

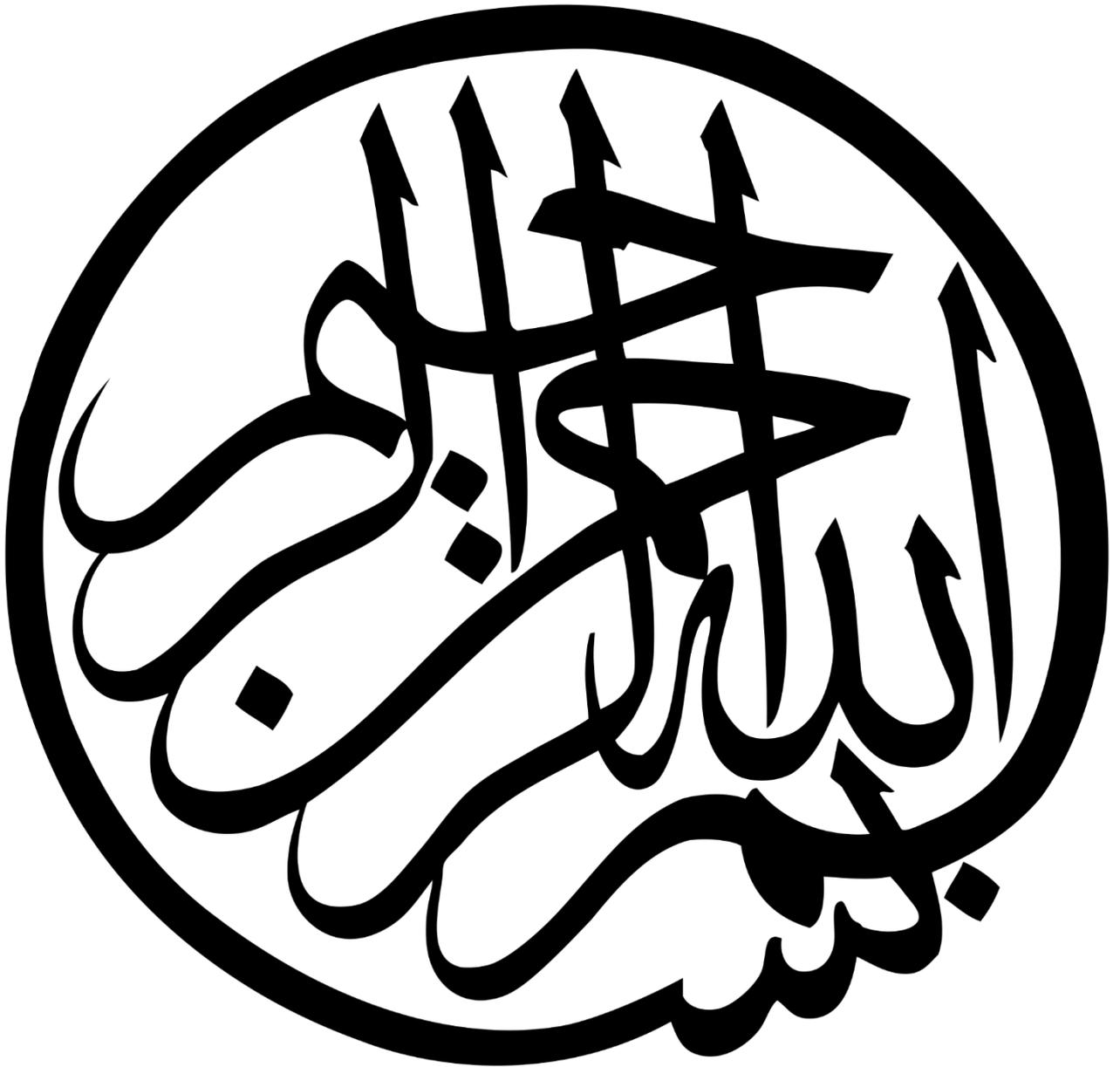
مجموع الرسائل

“الأبحاث والمقالات”

الجزء الأول

عبد المنعم مصطفى حلیمة

أبو بصیر الطرطوسی





المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:102.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كثييراً ونساءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ النساء:1.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ الأحزاب:70-71.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

وبعد، ليسهل على القارئ المتصفح الوقوف على البحث أو المقالة التي يريدها، ويبحث عنها، في أوجز وقتٍ، وفي مرجعٍ واحد، قمنا بجمع الأقسام التالية: "الأبحاث والمقالات، والردود، وتعليق على حدث"، في كتاب واحدٍ جامع، أسميناه "مجموع الرسائل"، راعينا في جمع الأبحاث والمقالات وترتيبها، التسلسل التاريخي والزمني لكتابة البحث أو المقال، حيث يُنشر وبالترتيب، الأقدم، والأول فالأول، مع ذكر عنوان المقال، وتاريخ كتابته ونشره، وقد أبقيت المقالات كما هي من غير تغييرٍ أو تبديل لها أو لشيء من مضمونها؛ لأن كل مقالة تمثل الزمن الذي كتبت فيه، وتعالج الأخطاء الشائعة والجاثمة في زمن كتابة البحث أو المقال، فمن المقالات، وبخاصة منها قسم الردود أو تعليق على حدث. قد لا يبدو موضوعها مهماً لو حُمِلت على ظروف ومشاكل يومنا هذا، لكن لو حُمِلت على زمن كتابتها قبل عشرين سنة، أكثر أو أقل، لظهر للقارئ أهمية المقالة وموضوعها، والمشاكل التي تستهدفها وتعالجها

المقدمة

في حينها .. والقارئ الفطن لا بد من أن يتنبّه لهذا المعنى .. مع التنبيه أن الكتب والمؤلفات لم يُدرج شيءٌ منها في هذا المجموع.

راجياً من الله تعالى السداد والقبول .. وأن ينفعَ بعملنا هذا الإسلامَ والمسلمين .. إنه تعالى سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1440/03/17 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2018/11/25 م

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: 102.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة

بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت

تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء

إلى صراطٍ مستقيم.

فقد بات واضحاً أن فرقة المسلمين في جماعات وأحزابٍ مُتنافرةٍ مُتناحرةٍ داءٌ ينبغي له العلاج،

وأن اعتصامهم . بحبل الله . جميعاً، وفي جماعةٍ واحدةٍ أمرٌ لا بد منه، وهو مطلبٌ شرعيٌّ وواقعيٌّ لا خلاف

عليه، وضرورة ملحة تفرضها حالة التشرذم والضعف والهوان الذي تعيشه الأمة، الأمة التي هانت

على أمم الكفر والنفاق، فتكالبوا عليها من كلّ حدبٍ وصوبٍ ينتهكون حرمتها..!

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾¹.

(1) سورة آل عمران : 103 .

¹ سورة الأنفال : 46

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)¹.

وقال ﷺ: (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوة الجنة فليؤم الجماعة)².

ومن دواعي تحقيق هذا المطلب الشرعي الضروري، ارتباطه الوثيق .كسببٍ وشرطٍ لازمٍ . بالمطلب الأهم والأعظم؛ وهو وجوب العمل من أجل استئناف حياة إسلامية على جميع الأصعدة والمستويات، وقيام خلافة راشدة على منهاج النبوة.

فهو واجب لذاته لأن الله تعالى يحب لنا الوحدة والاعتصام والاجتماع، وواجب لغيره؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأهم هذه الأسس والمبادئ التي - يجب الاجتماع عليها - تعين على وحدة المسلمين واجتماعهم في جماعة واحدة متماسكة، متراصة، متكافلة، نُجملها في النقاط التالية:

أولاً: الاتفاق على الحكم والمرجعية التي ترد إليها النزاعات والخلافات

إذ يستحيل الاجتماع والاتفاق وفض النزاعات فيما بين الأطراف المختلفة المتنازعة، ثم لكلٍ طرفٍ حكمه وموازينه ومرجعيته الخاصة به، المغايرة لمرجعيات وموازن الأطراف الأخرى، لذا كان لابد للمسلمين - العاملين المخلصين - أن يتفقوا - أولاً - على الحكم والمرجعية التي تُرد إليها جميع النزاعات والخلافات التي كانت سبباً في اختلافهم وتفرقهم، ويُسلّموا لما تُمليه عليهم من قرارات وأحكام من دون أدنى اعتراض أو تعقيب.

والحكم في الإسلام الذي يجب الاتفاق عليه في كلِّ أمرٍ هو "الكتاب والسنة على ضوء فهم سلف الأمة"، وبخاصة منها القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية والفضل.

¹ رواه مسلم .

² صحيح سنن الترمذي : 1758

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

والأدلة على هذا "الحكم" كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽¹⁾.

والرد إلى الله والرسول يكون بالرد إلى الكتاب والسنة..

ومن دلالات الآية كذلك أن في الكتاب والسنة جواباً وحلاً لكل ما يمكن أن يتنازع فيه المسلمون

من أمور الدنيا والدين، فحاشى لله عزوجل أن يردنا إلى "حكم" ومرجع نحتكم إليه ثم لا نجد فيه حلاً شافياً ووافياً لما قد تنازعنا فيه..

ومنها أن رد المنازعات إلى الله والرسول من لوازم الإيمان وشرط لصحته، ينتفي الإيمان

بانتفائه..

قال ابن القيم رحمه الله: "جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد

انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء الآخر" اه⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽³⁾.

قال رحمه الله: "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق

حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع والمعاد وسائر الصفات

وغيرها، ولم يُثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج؛ وهو ضيق الصدر، وتشرح

صدرهم لحكمه كل الانشراح، وتنفسح له كل الانفساح، وتقبله كل القبول، ولم يُثبت لهم الإيمان

بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة

والاعتراض" اه⁽⁴⁾.

(1) سورة النساء : 59 .

(2) اعلام الموقعين : 50/1 .

(3) سورة النساء : 65 .

(4) التبيان في أحكام القرآن : 270 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾¹.

ورفع الصوت فوق صوت النبي بعد وفاته ﷺ يكون برفع الصوت على سنته ﷺ، وتقديم

الأقوال والأفهام على أقواله ﷺ.

قال ابن القيم: "إذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم

وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه، أليس هذا أولى أن يكون مُحْبَطاً

لأعمالهم" اه².

قلت: ولا يُحْبَطُ العمل إلا الكفر..

وكون الالتزام ينبغي أن يكون بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة، فهو لأوجه:

منها أن نصوص الكتاب والسنة ألزمتنا بفهم السلف الصالح لنصوص الوحي وبخاصة منهم

الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا

تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾³.

وأولى الناس بصفة المؤمنين الواردة في هذه الآية هم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومن

كان على سيرتهم وسنتهم ممن جاؤوا بعدهم.

وفي الآية دلالة، وهي أن مُشَاقِقَةَ الصحابة واتباع غير سبيلهم ومنهاجهم هي مُشَاقِقَةُ للرسول

ﷺ تُوجِبُ على صاحبها اللعنة والعذاب.

قال ابن تيمية: "فإنهما مُتلازمان فكلّ من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير

سبيل المؤمنين، وكلّ من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى" اه⁴.

¹ سورة الحجرات : 4

² اعلام الموقعين : 51/1 .

³ سورة النساء : 115 .

⁴ مجموع الفتاوى : 38/7 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹

وفي قوله: ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ، كانوا على أحسن طريقة

وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان، وجُند الرحمن.

وقال ابن مسعود: من كان مُستنّاً فليستن بمن قد مات، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك

أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله

لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من

أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. اهـ.²

وفي السنّة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لتفترقنَّ أمتي على ثلاثٍ

وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة واثنان وسبعون في النَّار" قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "الجماعة)

3.

وفي رواية عند الترمذي، من حديث عبد الله بن عمرو: (وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملّة

كلّهم في النَّار إلا ملّة واحدة"، قال: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي)⁴.

وقال ﷺ: (أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب)⁵.

وقال ﷺ: (سترون من بعدي اختلافاً شديداً فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين،

عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأموار المحدثات فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة)⁶.

وقال ﷺ: (خير النَّاسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)⁷.

¹ سورة يوسف : 108

² تفسير البغوي : 453/2 .

³ صحيح سنن ابن ماجة : 3226 .

⁴ صحيح سنن الترمذي : 2129 .

⁵ رواه ابن ماجة، والترمذي، صحيح سنن الترمذي : 1758 .

⁶ صحيح سنن ابن ماجة : 40 .

⁷ متفق عليه .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وقال ﷺ لأصحابه: (من أثبتتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثبتتم عليه شراً وجبت له النار، الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض)¹.

قال ابن مسعود: إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يُقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآوه سيئاً فهو عند الله سيئ.²

وقال ابن عباس: لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة.³

وغيرها كثير من النصوص والآثار الصحيحة التي تلزم الأمة بالاعتداء بفهم الصحابة، وتتباع هديهم، ونهجهم، وسنتهم.

ومنها أن عدم الالتزام بفهم الصحابة لنصوص الوحي، يستلزم منه تعدد الأفهام لنصوص الوحي، حيث لكل فرد من البشر ممكن أن يكون له فهمه الخاص به، وهذا أمر من لوازم التسليم به التفرق، والتنازع، والاختلاف، وحلول البدع وذهاب السنة..

وما هذا التفرق، والتشردم، والاختلاف الذي تعيشه الجماعات الإسلامية المعاصرة إلا بسبب تجاوزهم لهذا القيد الهام، واستقلال كل جماعة أو حزب أو زعيم بفهمه الخاص لنصوص الكتاب والسنة..!

فكانت النتيجة الطبيعية لذلك هذه المئات من الفرق، والأحزاب، والجماعات المتنافرة المتناحرة المتباغضة.. وما أكلفه من ثمن!!

¹ أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن، قال الشيخ ناصر في تخريج "الطحاوية": حسن موقوف .

² أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن، قال الشيخ ناصر في تخريج "الطحاوية": حسن موقوف .

³ أخرجه أحمد وغيره، وصححه الشيخ ناصر في تخريج الطحاوية .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

ومنها أن الصحابة عاصروا نزول الوحي، وعرفوا أسباب نزوله، كما كانوا الأقرب والألصق بالنبي ﷺ، يتلقون منه العلم مباشرة غضاً ندياً.. ومن كان كذلك لاشك أنهم يكونون الأفقه والأعلم بمراد الشارع ممن فاتهم هذه الخاصية.

ومنها أن الصحابة والتابعين لهم باحسان قد رضي الله عنهم، وأثنى عليهم خيراً في كتابه العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾¹.

والله تعالى إذ يرضى عن أحدٍ فهو يرضى عنه لسلامة دينه وفهمه واعتقاده لا لشيءٍ آخر، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنه يدل على أن الصحابة والتابعين لهم باحسان كانوا على درجةٍ عاليةٍ - لا يرقى إليها أحد بعدهم - من الالتزام والفهم الصحيحين لدين الله تعالى، مما أهلهم لهذا المقام العلي، وهو رضى الله تعالى عنهم..

وهذه خاصية لا يمكن الجزم بها لأحدٍ بعدهم؛ لأنها قضية غيبية لا يمكن البت بها إلا بدليل صريح صحيح.

خلاصة ما تقدم نقول: إن أي محاولة لتوحيد جهود الجماعات الإسلامية المعاصرة تتغافل

هذا القيد الهام، وهو "الاحتكام إلى الكتاب والسنة على ضوء فهم السلف الصالح"، فهي محاولة فاشلة لا جدوى منها، وهي أقرب ما تكون إلى العبث، وجهود أصحابها لا ثمار لها، وإن بدت في الظاهر بعض الثمار ففي كبيت العنكبوت سُرعان ما يتهاوى وينهار لأدنى هزة أو هبة ريح، ليعود إلى حالة أرثى مما كان عليه قبل البناء، لأنها محاولة لجمع الأضداد والمتغايرات على أنها شيء واحد متكاتفٍ متماسك، وأنى..؟!!

ثم إنَّ الإسلام فرَّق وجمع: فرق بين الحق وأهله من جهة وبين الباطل وأهله من جهة، وبين الإيمان وأهله والكفر وأشياعه، وبين السنة وأهلها والبدعة وأصحابها..

ومن جهة فقد جمع أهل الحق على الحق، وأهل التوحيد على التوحيد، وأهل السنة والاتباع على السنة لا الابتداع.. فمن ينشد تجميع ما فرقته الإسلام، وتفريق ما جمعه الإسلام - تحت أي ذريعة كانت - فهو وعمله إلى البوار والنار.

¹ سورة التوبة : 100 .

ثانياً: التجرد من أي انطلاق غير شرعي

بحيث يكون النص الشرعي - قال الله، قال الرسول - أحب إلينا من أهوائنا، وآرائنا، وأحزابنا، وأشياخنا، وعشائرننا، ومن أنفسنا ومصالحنا الذاتية، فلا يمنعنا شيء من ذلك عن متابعة الحق ونُصرتِه أين كان، مهما ترتب على ذلك من تبعات..

وذلك لا يتحقق إلا بتجريد المتابعة لله ولرسوله من أي رابطة أو وشيجة تحيل بين المرء ومتابعة الحق والنزول عنده.

ومتى كان الأمر على خلاف ذلك، فإن الاختلاف والتفرق متحققان وسيبقى شعار توحيد المسلمين في جماعةٍ واحدةٍ شعاراً عزيز المنال، ولا واقع له.

وهذه نقطة هامة جداً - قد غفل عنها كثير من الناس - لا يمكن تجاوزها في أي حال من الأحوال إلا إذا رضيْنَا لأنفسنا صفة غير صفة الإسلام والإيمان.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (1).

قال الإمام أحمد رحمه الله: الفتنة هي الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

وقيل له: إنَّ قوماً يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان، فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته ويدعون ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وتدرى ما الفتنة؟ الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي؟! اهـ (2).

قلت: فما يكون القول إذاً فيمن يدعون النص الشرعي الثابت عندهم استرضاءً لأحزابهم، أو لأشياخهم، أو لعشيرتهم، أو لحكامهم، أو لأوطانهم وغير ذلك من الروابط والوشائج الأرضية التي لا اعتبار لها في ميزان الحق؟! لاشك أنهم أولى بالفتنة والوعيد الوارد في الآية الكريمة.

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان " منها " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) (3).

(1) سورة النور : 63 .

(2) عن الصارم المسلول لابن تيمية : 56 .

(3) متفق عليه .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وقال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)⁽³⁾.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: (لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر: فإنك الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال: (الآن يا عمر)⁽⁴⁾.

ومن علامات صدق هذا الحب ودلائله تجريد المتابعة للنبي ﷺ والتخلي عن متابعة كل ما سواه، أما أن يُتبع النبي ﷺ في جانب، ويُتبع غيره في جوانب أخرى، فدعوة الحب عند من يفعل ذلك غير صادقة وهو أقرب ما يكون إلى النفاق، والعياذ بالله.

مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁽¹⁾، فعلى قدر الاتباع يكون الحب صادقاً، فإذا ازداد الاتباع والانقياد ازداد الاتباع، وإذا قلَّ وضعف الاتباع والانقياد نقص وضعف الحب، وانعدام الاتباع مُطلقاً يستلزم منه انعدام الحب والإيمان مُطلقاً.. ولا اعتبار مع ذلك لمزاعم اللسان، فإنه لسان نفاق وزندقة فاحذره.

قال ابن كثير في التفسير: هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله "اهـ.

وفي صحيح سنن ابن ماجه، قال عبادة بن الصامت لمعاوية: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك!! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك عليّ فيها إمرة.

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة قال لرجل: يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثال⁽²⁾.

وكان ابن عباس يقول: يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر!.

⁽⁴⁾ رواه البخاري .

⁽¹⁾ سورة آل عمران : 31 .

⁽²⁾ صحيح ابن ماجه : 20 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

قلت: فما بال أقوامٍ نقول لهم: قال الله، قال رسول الله.. فيقولون لنا: ولكن قال الحزب.. قال الأشياخ.. ارتأت الجماعة.. مصلحة الجماعة تقتضي خلاف ذلك.. وغير ذلك من الأقوال التي تنم عن الاعتراض والتعقيب على شرع الله!! إلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثاً: وضوح الرؤية لواقع الأمة، وتحديد الأولويات في العمل الإسلامي

مما يُساعد على تحقيق وحدة المسلمين في جماعة واحدة، وضوح الرؤية لواقع الأمة، والاجتماع على رأي واحد حول حقيقة مجتمعاتنا المعاصرة، والصفة الشرعية التي تستحقها، وكذلك تحديد الموقف من الأنظمة التي تحكمها، إذ التباين والتناقض في المواقف والآراء تجاه هذه المسائل الهامة الحساسة من شأنه أن يفضي إلى التنازع والتفرق والاختلاف، حيث يستحيل الاجتماع على عمل إسلامي ينشد التغيير واستئناف حياة إسلامية على جميع أصعدة الحياة، ثم فريق من المجتمعين ينظر لهذه المجتمعات على أنها مجتمعات جاهلية مرتدة، وحُكم ديارها حكم دار الحرب والكفر، يجب الخروج على حُكامها لكفرهم وارتدادهم عن الدين، بينما الفريق الآخر له نظرتة المغايرة تماماً؛ حيث ينظر لهذه المجتمعات على أنها مجتمعات إسلامية تجري عليها أحكام ديار الإسلام، والأنظمة التي تلوها هي أنظمة إسلامية، وحُكامها مسلمون يجب لهم السمع والطاعة من قبل الناس..

فهذه قضايا شائكة – كثر الجدل حولها – لا بد من رؤية موحدة صحيحة تجاهها، وحسمها مع الأطراف قبل دعوتهم للاجتماع، وعلى ضوء ما تقدم في النقطة الأولى من بحثنا هذا. ومرة ثانية أؤكد أن هذه القضايا هامة ومستعجلة لا تحتل الإجراء أو التأخير، كما لا تحتل أن يعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه، فهذا ممكن في الفروع، وهذه من الأصول التي يجب الاجتماع عليها.

وكم من مجتمع ودارٍ توجّه فيه سهام المسلمين على بعضهم البعض بسبب اختلافهم حول هذه المسائل، بينما كان الأصل أن تجتمع سهامهم وتُوجه إلى صدر الطاغوت.

أما عن أولويات العمل الإسلامي التي يجب الاجتماع عليها، فأجملها في نقطتين:

الأولى، العمل على إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد وحده، والكفر بكلّ مألوه

مُطاع سوى الله سبحانه وتعالى.

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وهذه مهمة لأجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وكانت الهمة الأكبر والغاية العظمى للأنبياء والرسل، وللعلماء العاملين من بعدهم عبر التاريخ الإنساني وإلى يوم القيامة، لا يصرفهم عنها صارف، ولا يشغلهم عنها شاغل مهما كانت الأسباب الداعية لذلك.

وهي قضية - لعظمتها - لم تكن تقبل عندهم المساومة، ولم يرضوا بديلاً عنها شيئاً آخر، ولم يكن يتجاوزوها إلى أي شيء مهما عظم شأنه قبل أن يُعطوا عليها إجابة صريحة من العباد وكل الطواغيت. وكانت لأجلها تُسلُّ السيوف، وعليها يُعقد الولاء والبراء، ويعلن الحرب والسلم، وفي سبيلها تبذل المهج والأرواح، ويرخص كل غالٍ ونفيس.

إنها قضية لا بد من أن تُحسم. أولاً. وبوضوح مع الطواغيت، كل الطواغيت: من المعبود بحق في الوجود هم أم الله الواحد الأحد، الفرد الصمد؟.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾¹

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾².

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾³.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: (من وحَّد الله تعالى، وكفر بما يُعبدُ من دونه،

حَرَّمَ ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)⁴.

مفهوم الحديث الذي دلَّ عليه منطوق أدلة الشريعة، أن من وحَّد الله تعالى لكنه لم يكفر بما

يُعبد من دونه لا يُحرم ماله ودمه، ولا يكون من المسلمين المؤمنين.

والشاهد أن المسألة على أهميتها وخطورتها إلا أننا نجد كثيراً من الدعاة والوعاظ والحركات .

رهبةً أو رغبةً — قد تجاوزوها، وانشغلوا عنها بالفروع، والرفائق، والفقهيات، والاقتصاديات وبما يأذن

به الطواغيت فقط..!.

(1) سورة الذاريات : 56 .

¹ سورة الأنبياء : 25 .

² لبقرة : 256 .

³ سورة النحل : 36 .

⁴ رواه مسلم .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وصوروا للناس أن هذا الفُتات القليل الذي يُلقى إليهم من قبل الطواغيت ويُسمح لهم بممارسته على أنه شيء عظيم، وفتحٌ ليس بعده فتح، وهو الإسلام الذي جاءت به الرسل، ولم نعد بحاجة إلى شيء غيره نُطالب به الآخرين!!.

وهؤلاء - على ما لهم يوم القيامة جزاء كتمانهم للعلم - أتى لجهودهم ودعواتهم أن تُثمر في نفوس النَّاس والمجتمعات وقد تجاهلوا أصل الأصول؛ ألا وهو التوحيد؟!، وهم مثلهم مثل من يُريد غرس شجرة ممتدة الجذور، فيبدأ بغرس الغصون والفروع مُتجاهلاً الجذور والأصول التي من دونها لا ينبت شجر ولا ثمر.

ولعل ذلك يكون السبب الأكبر في نفور كثير من النَّاس عن الدين، أو قل: تمييع معاني الدين وتشويهها في نفوس كثير ممن يُقبلون عليه، وهؤلاء بإقبالهم المشوه هذا يكونون وبالاً على الدين بدلاً من أن يكونوا جُنداً من جنوده، يظهر ذلك في أقل صراع وتدافع بين الحق وأهله من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى، حيث سرعان ما يقفون إلى جانب الطاغوت في أي صراع يدور مع الإسلام وجنده، حتى أنك لتتساءل ما هذا الإسلام الذي يعتنقون؟!

ثم طبقة أخرى غير أولئك، ممن ينتسبون إلى العلم والفقهِ، نجدهم - رغبةً أو رهبةً - يُصوِّرون الحديث - مجرد الحديث - عن التوحيد الذي من أوكده لوازمه وشروطه الكفر بالطواغيت كل الطواغيت، هو فتنة يجب اجتنابه، واجتناب الدعوة إليه، بل ومحاربتهم على أنهم خوارج وأصحاب فتنة...!!.

ولهؤلاء نقول: قد وقعتم بالفتنة، وأنتم أولى بالفتنة من غيركم، وهل فاتكم - يا محاربي الفتنة - أن لا فتنة أعظم وأخطر وأشد على الأمة، والبلاد والعباد من فتنة الشرك، والرضى بالطواغيت التي تُعبد من دون الله ولو في جانب من جوانب العبادة..

صدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين

كله لله (1).

(1) قاله ابن تيمية في الفتاوى : 544/28 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وحتى تُحيط بالمشكلة من جميع أوجهها لابد من إدراك معنى الطاغوت ومعرفة أنواعه، ومعنى

العبادة وما يتفرع عنها، لنرى أين نحن من كل ذلك؟.

قال ابن تيمية: الطاغوت فعلوت من الطغيان، والطغيان مُجاوزة الحد؛ وهو الظلم والبغي،

فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهاً لذلك: طاغوت، والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير

الهدى ودين الحق — سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله أو مُطاعاً أمره المخالف لأمر الله — هو

طاغوت؛ ولهذا سُمى الله من تُحوكم إليه، من حاكم بغير كتاب الله طاغوت، وسمى الله فرعون وعاداً

طغاة. اهـ (2).

وقال ابن القيم: الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت

كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من

الله، أو يُطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتْها وتأملتْ أحوال النَّاس

معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى

التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومُتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومُتابعته. اهـ (3).

ولابن تيمية كلامٌ جامعٌ شاملٌ في معنى العبادة، حيث قال: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه

الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. اهـ (4).

وهذا يعني أنّ الركوع والسجود، والصوم والحج، والنذر والنسك، والحب والكره، والجهاد

والتضحية، والخشية والتوكل، والدعاء والإنابة والرجاء، والطاعة والانقياد والاتباع والحكم والتحاكم..

وغيرها كل ذلك داخل في مسمى العبادة التي لو أُعطيت - أو شيء مما يندرج تحت مسمائها - لغير الله عز

وجل حصل الشرك الأكبر وانتفى التوحيد والإيمان.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾¹.

(2) مجموع الفتاوى : 201-200/28 .

(3) اعلام الموقعين : 50/1 .

(4) كتاب العبودية .

¹ سورة الأنعام : 162 .

وبعد فإننا نتساءل:

مَنِ المعبود في زماننا وفي كثير من مجتمعاتنا، الله أم الطاغوت؟!

مَنِ المطاع لذاته، الله أم الطاغوت؟!

مَنِ الذي يُشرع للعباد، الله أم الطاغوت؟!

مَنِ الذي يُعقد عليه الولاء والبراء، الله أم الطاغوت؟!

مَنِ الذي يُحب ويُخشى لذاته، الله أم الطاغوت؟!

مِمَّن يتلقى النَّاس قيمهم وقوانينهم ودساتيرهم، مَنِ الله أم مَنِ الطاغوت؟!

إلى مَنِ يتحاكم النَّاس، وإلى من يردوا مُنازعاتهم وخصوماتهم، إلى الله أم إلى الطاغوت؟!

فإذا كان واقع الحال يقول: الطاغوت - وإن لم يعترف بذلك كثيرٌ من النَّاس - أدركنا حجم الهوة

بين النَّاس وحقيقة هذا الدين، وأدركنا بالتالي ثقل الأمانة الملقاة على عاتق العلماء والدعاة العاملين،

وما يجب عليهم نحو أمتهم ودينهم.

وعليه فإن "مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم لهي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله

وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد..

وهي المشكلة التي كان يُواجهها القرآن الكريم بهذا الحشد من المقررات والبيانات، ويربطها

بقضية الألوهية والعبودية، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر، وميزان الجاهلية أو الإسلام"¹.

وبالتالي لا نكون قد حaidنا الصواب لو بدأنا مع أقوامنا كما بدأ الأنبياء والرسل مع أقوامهم

يدعونهم: أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، لا نتجاوز هذه الدعوة إلى سواها حتى نلقى الله أو نرى

إجابة صحيحة صريحة، صادقة من النَّاس.

ثم حقيقة أخرى لابد من أن يدرسها العاملون لهذا الدين، وبخاصة منهم الذين يتلمسون طُرقاً

قصيرة ملتوية يتوخون من خلالها النصر والتمكين: وهي أنَّ النصر، والتمكين، والاستخلاف في الأرض،

والأمان والاطمئنان، وغير ذلك من الخير لن يتحقق إلا بسلامة التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى

وحده، والكفر بكلِّ مألوه معبود سواه أيّاً كان شكله ونوعه وصفته.

¹ في ظلال القرآن : 1217/3 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا¹﴾.

خلاصة ما تقدم نقول: إن قضية "من المعبود بحق في الوجود" هي قضية الدين كله، وهمُّ الدعاة المخلصين العاملين، يجب اجتماع الجهود على أساسها، ولا يمكن التفريط بها، أو تجاوزها إلى ما هو دونها - قبل حسمها مع الطواغيت كل الطواغيت وجميع من يُشايعهم وينصرهم ويعبدهم - مهما كانت الأسباب الداعية لذلك.

أما النقطة الثانية - في سلم الأولويات - التي يجب الاجتماع عليها، والقلق لأجلها تكمن في العمل من أجل قيام خلافة راشدة، واستئناف حياة إسلامية على منهاج النبوة.

وهذا أمر لا خلاف على وجوبه بين علماء الأمة قاطبة، لا يشذ عنهم إلا مرجف مغفل أو مغرض لا يريد أن تقوم للإسلام قائمة أو تعلو له كلمة.

قال النووي: أجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة.²

وقال الماوردي: عقد الإمامة لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع.³

وقال الهيثمي: اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض

زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ.⁴

وقال القرطبي: ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة.⁵

ومن جهة فإن أهمية هذا الهدف تكمن في ارتباطه الوثيق - كسبب - بالهدف السابق وهو تعبيد

العباد لربهم سبحانه وتعالى وحده، حيث أن الله تعالى ليزع بالسلطان المسلم ما لا يزعه بالقرآن، بل

¹ سورة النور : 55 .

² شرح صحيح مسلم : 205/12 .

³ الأحكام السلطانية : 56 .

⁴ الصواعق المحرقة : 17 .

⁵ الجامع لأحكام القرآن : 264/1 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وإن كثيراً من الأحكام والواجبات الشرعية لا يمكن القيام بها إلا في ظل خلافة راشدة يعلوها خليفة راشد يزود عن الدين، ويسوس الدنيا بالدين.

قال ابن تيمية: يجب أن يُعرف أن ولاية أمر النَّاس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين

إلا بها. اهـ.

وقال الإمام أحمد: الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر المسلمين. اهـ.

لذا عملت قوى الكفر والنفاق — ولا تزال — للحيلولة بين المسلمين وخلافتهم، وشغلتهم عنها

بافتعال شعارات وخلافات بين صفوف المسلمين ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد وُجد — وللأسف من أبناء جلدتنا وممن يتقمصون ثوب العلم والعلماء — من استجاب لهم،

وأنصت إلى شبهاتهم ومكائدهم، فجنودهم لمحاربة الخلافة والدعاة إليها وهم يدرون أو لا يدرون..

حتى وصلنا إلى مآلٍ أصبح العمل من أجل قيام خلافة راشدة تُهمة خطيرة تُوجب على صاحبها.

عند أنظمة الكفر والطغيان. السجن لسنين طويلة، إذا لم يكن القتل وقطع العنق!.

ونحن نقول لجميع الكفار ومن تبعهم من المنافقين: لن يطول فألكم، ولن تبقى عروشكم التي

بنيتموها على جماجم وأشلاء شعوبكم بالقهر والحديد، ومهما كدتم وتآمرتم ومكرتم فإن مكركم إلى

بوار، وإن الخلافة الإسلامية. على منهاج النبوة. قادمة وكائنة بإذن الله.

فها هو نبينا محمد ﷺ يُبشرنا، ونحن به مؤمنون مصدقون: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن

تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون،

ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن

يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة

على منهاج النبوة، ثم سكت)⁽¹⁾. ونحن على أبوابها إن شاء الله.

وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ زَوَى — أَي جَمَعَ وَضَم — لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ

مَلِكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا)⁽²⁾. وهذا لم يكن من قبل، لكنه سيكون بإذن الله..

(1) رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة : 5 .

(2) رواه مسلم وغيره، السلسلة الصحيحة : 2 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وقال ﷺ: (ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا

الدين، بعز عزيزٍ أو بذلٍ ذليل، عزاً يُعزُّ اللهُ به الإسلام، وذلاً يذلُّ به الكفر)⁽³⁾. وهو كائن بإذن الله.

رابعاً: ترشيد النصح فيما بين المسلمين، ومراعاة ضوابط الاختلاف

إذ يستحيل اجتماع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم في وجوه الأعداء، ثم هم لأدنى خلاف فقهي - وما أكثر المسائل الفقهية المختلف فيها - يُعلنون الحرب والمفاصلة، والولاء والبراء، وتحصل فيما بينهم البغضاء والمجافاة والمعاداة!.

ومما يشتد له العجب أننا نجد من المسلمين ممن يعملون في حقل الدعوة أو الوعظ والإرشاد، قد يُثيرون مشاكل. لها نتائج خطيرة على وحدة الصف وصفاء القلوب. لأدنى خلاف أو خطأ، يصدر عن مسلم، بحجة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، بينما تراهم - رغبةً أو رهبةً - يلتزمون الصمت المطبق تجاه الكفر البواح، والمنكر الأكبر الظاهر، وبخاصة إن كان مصدره أئمة وطواغيت الكفر، حيث لا منكر يُنكرونه، ولا معروف يأمرون به...!

يُقاتلون المسلمين على سنّة من السنن، بينما تراهم يُسلمون الطواغيت رغم تنحيّتهم لشرع الله

عن الحكم...

يُسيئون الظن بالمسلم العاصي ويحملون عليه جميع النصوص التي تأمر بالأخذ على الظاهر، وفي المقابل تراهم يُدافعون ويوسعون دائرة التأويل والأعذار على طواغيت اجتمعت فيهم جميع نواقض الإيمان، ويحملون عليهم النصوص التي تستلزم مراعاة الباطن والقصد...!!.

تراهم على الطواغيت مرجئة رحماء، وعلى المسلمين والدعاة العاملين منهم خوارج أشداء، لا تفوتهم البدعة المؤثمة فيهم لها بالمرصاد، بينما إذا مرت عليهم البدعة المكفرة فيهم نيام يشخرون لا حسيس لهم ولا صوت...!!.

ومن هذا القبيل تحالف بعض الفصائل أو الجماعات الإسلامية مع أحزاب علمانية كافرة، تُعادي الله ورسوله، وفي المقابل تراهم يستثقلون ويستصعبون الجلوس أو التفاهم مع مسلم مخالف لهم في مسألة أو وجهة نظر...!!.

(3) رواه ابن حبان في صحيحه وغيره، السلسلة الصحيحة : 3.

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وهؤلاء - جميعاً - نعيدهم أن يقعوا فيما وقع فيه الخوارج الأوائل، حيث وصفهم النبي ﷺ أنهم:

(يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان).

وكذلك ملاحظة بعض الناس . ممن ينتسبون إلى الدعوة والعمل الإسلامي . حيث يعقدون الولاء

والبراء على أساس الإنتماء الحزبي أو المشيخي؛ فيوالون من يوالي الحزب أو الشيخ بغض النظر عن

سلامة دينه وحسن سلوكه، ويُعادون من يُعادي الحزب ولو كان من أتقى أهل الأرض...!!.

وهذا مما لا شك فيه أن مؤداه إلى مزيد من التفرق والتناحر والاختلاف، كما أنه مُغايير لقوله

تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾⁽¹⁾. وقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ

يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽²⁾.

قال ابن تيمية: من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه، ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر

المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى ولا من جند المسلمين،

ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان. اهـ⁽³⁾.

وثمة أمر يجدر تنبيه الإخوان عليه: وهو أنّ العدو الكافر يحرص دائماً على اشغال المسلمين

بشبه ومسائل هامشية – عن أهدافهم العظمى – عديمة الفائدة، بل هي غالباً ما تفضي إلى البغضاء

والتفرق والتنازع والاختلاف، وضعف الشوكة، وعلى مبدأ فرق تسد... حتى لا تكاد شهية تموت وينتهي

أثرها، إلا وتجدهم يتبعونها بشبهات أشد أثراً على اجتماع الصف ووحدة كلمة المسلمين..

فلا نكون نحن طعماً سهلاً لهذه الشبهات، نُروج لها ونحییها بمعارك جدلية هامشية لا طائل

منها، بعد أن تكون ميتة لا أحد يعلم بها.

ثم ليس من الشجاعة ولا من الحكمة والفقہ أن نتناول فتناً قديمة قد اندثرت ولا واقع لها في

حياتنا، وقد كان لها رجالها الذين تصدوا لها، بينما نغض الطرف ونعمي العين - رغبةً أو رهبةً - عن فتن

معاصرة أهلكت البلاد والعباد، نحياها ونعيش آثارها، والأمة تصلى نارها صباح مساء...!.

(1) سورة المائدة : 54 .

(2) سورة التوبة : 67 - 71 .

(3) مجموع الفتاوى : 20/28 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

والاختلاف أنواع، منه ما يمس الأصول والعقائد والتوحيد، وهذا نوع عليه يُعقد الولاء والبراء، وعلى أساسه تُحدد المواقف، ويرفع لواء الحرب، حيث لا يُرجى من السكوت عليه دفع ضررٍ أكبر، لأنه هو ذاته يعتبر الضرر الأكبر والظلم الأعظم الذي لا يعلوه ضرر وظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : 13]. وقال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة : 191].

ومنه ما يمس الفروع دون الأصول، وأصحاب هذا النوع من الاختلاف على الغالب يكون عندهم ما يستوجب موالاتهم من وجه، ومجافاتهم من وجه آخر، فيُعاملون على أساس ما عندهم من خير أو شر، واختلافهم مع الحق يُعالج بالنصح وبالحكمة والموعظة الحسنة، وبثيءٍ من الرفق وبخاصة إن كان المخالف عنده مظنة دليل مرجوح أو أنه يقلد عالماً مُعتبراً، وشاهدنا أن هذا النوع من الاختلاف لا يجوز أن يُشهر على أساسه السيف أو يؤدي إلى المجافاة المطلقة وقطع جميع حبال الود، وإنما الأمور بقدر..

ومنه ما يكون عن علمٍ واجتهاد معتبر، لمظنة دليل أو قياس يحتمل أوجهاً من الأفهام والاستنباطات المتباينة المتغايرة، كاختلافات سلفنا الصالح مع بعضهم البعض، وهذا النوع من الاختلاف ينبغي أن يعذر بعضنا بعضاً فيه، مع المحافظة على النصح الجميل الواعي ما أمكن الذي لا يؤدي إلى الشحناء والتباغض، ولو بقي كل طرف على رأيه المخالف للطرف الآخر..

فوحدة الأمة واجتماع كلمتها أصل من أصول الدين، لا يُفرض به إلا لأصل أعظم منه وأؤكد، هذا ما يقتضيه قوله ﷺ: (وَأَنْ لَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ)⁽¹⁾ . وقوله: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة)⁽²⁾ .

فلا بد من أن نُنزل الأمور منازلها، ونُراعي قاعدة اعتبار الأولويات والأهم فالأهم وفق ضابط وميزان الشريعة، ونُعطي كل شيء حقه من غير جنوح إلى إفراط أو تفريط.

خامساً: الشمولية

أعني بذلك أخذ الإسلام أخذاً شمولياً من دون تفريط في جانب من جوانبه، أو اهتمام بجانب دون آخر، مع الأخذ بالاعتبار مراعاة فقه الأولويات والموازنات، وما ينبغي أن يُقدم أو يؤخر بحسب ما

(1) متفق عليه .

(2) رواه مسلم .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين
تقتضيه المصالح الشرعية، وتقديم الأهم على المهم عند التزاحم في وقت واحد، من دون إستهانة بالمهم
أو تفريط به.

وهذا ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁽³⁾. أي جميع
ما آتاكم به الرسول فخذوه، وجميع ما نهاكم عنه فانتهوا عنه، وليس بعضه دون بعض.
فنأخذ الإسلام أخذاً شمولياً؛ إسلام العلم والفقه، إسلام الجهاد والاستشهاد، إسلام الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، إسلام الدعوة والتبليغ، إسلام الزهد وتربية الأنفس، إسلام التميز والصبر
والثبات، إسلام الاستسلام والانقياد والاتباع..

وهذه خصال جميعها تصب في منهاج عملي واحد متماسك متكامل، من دون تفريق أو فصل
فيما بينها، أو تقليل لشيءٍ من أهميتها، وذلك كله يكون وفق هدي وسنة المصطفى ﷺ.
والذي دعاني للتنبية على هذه النقطة الهامة، انشغال كثير من المسلمين ببعض الدين دون
البعض الآخر، وإهتمامهم بجانب من جوانب الدين دون الجوانب الأخرى، وفي حال تذكيرهم بتلك
الجوانب سرعان ما يُقللون من أهميتها قياساً لما هم عليه من عملٍ، أو يُؤولونها ويصرفونها عن
مدلولها الشرعي الصحيح!.

وسبب ذلك يعود في الغالب لأمرين:

أولهما، وجود المدارس الفقهية، والجماعات الإسلامية المعاصرة التي تقوم على تكريس مفهوم
فصل الدين بعضه عن بعض، والعمل بعضه دون بعض عن قصدٍ أو غير قصدٍ، مما يعكس ذلك سلباً
على فكر وسلوك المسلمين، وحياتهم العامة والخاصة.

فهناك مدرسة تهتم بجانب "الدعوة والتبليغ"، وتُبالغ بأهمية هذا المنهج، مما يحدونها إلى
إهمال بقية جوانب الدين، وإذا ما ذُكرت أتباع هذه المدرسة بهذه الجوانب سرعان ما يُقللون من أهميتها
وكأنها ليست من الدين...!

وهناك مدرسة تهتم بجانب "تزكية النفس" وتُبالغ في أهمية هذا الجانب على حساب بقية
جوانب الدين، مما يجعل أتباع هذه المدرسة يظنون أن الدين كله يدور حول هذا الجانب، فيقعون في
التفريط. عن عمدٍ أو غير عمدٍ. ببقية جوانب الدين الأخرى...!

⁽³⁾ سورة الحشر: 7.

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وهناك مدرسة تهتم بالدعوة إلى العلم والانشغال به — تحقيقاً وتخريجاً — وتُبالغ في ذلك، حتى تجدها تقع في الترف العلمي النظري المجرد عن معايشة واقع الأمة ومشاكلها وآلامها، مما يجعل أتباع هذه المدرسة يقعون في المحذور المشار إليه، وهو الاهتمام ببعض الدين دون بعض...!

وهناك مدرسة تقوم على مبدأ "الجهاد والقتال" والاهتمام به، وتُبالغ في ذلك مما يجعلها تقع في محذور التفريط في بقية جوانب الدين التي تُعتبر بحق من لوازم الجهاد وشروط نجاحه وقبوله...! وهناك مدرسة تقوم على التنظير السياسي، والاشتغال بالأخبار قراءةً وتحليلاً، بينما هم في المقابل تراهم يفقدون الرصيد العلمي الشرعي، الذي به تُعرف الأمور على حقيقتها...!

وهناك من يُدندن حول العقيدة وأهميتها، وإذا نظرت ماذا يقصد من دندنته ودعوته لوجدته يقصد توحيداً دون توحيد، فهو إما يقصد توحيد الربوبية مُتجاهلاً توحيد الله في ألوهيته وأسمائه وصفاته، وإما يقصد توحيد الربوبية والألوهية معاً مُتجاهلاً توحيد الله في أسمائه وصفاته مُقللاً من أهمية هذا النوع من التوحيد، وإما أنه منشغل - بحكم التربية وكثافة المناهج التي يعكف على دراستها - بتوحيد الأسماء والصفات والرد على المعارضين والمخالفين من القدامى والمعاصرين، عن توحيد العبودية والألوهية مع ما يقتضي هذا النوع من التوحيد من اهتمام وتركيز...!

وهو لو أراد أن يتكلم عن توحيد الألوهية والعبودية — بحكم الخلل في التلقي والدراسة الغير متوازنة - تراه يقصد جانباً دون جوانب، يقصد توحيد الله في العبادات الشعائرية، والاستغاثة والتوكل، مُتجاهلاً توحيده سبحانه وتعالى في الحُكم والتشريع، والطاعة والاتباع، والولاء والبراء، وهو كذلك لو أراد أن يُعري الشرك تراه يطنب في تعرية شرك القبور والبدع والشعوذة، بينما يتغاضى - رهبةً أو رغبةً أو جهلاً — عن شرك "القصور"، ونعني به شرك الحكم والتشريع، وشرك الطاعة والاتباع والانقياد، وشرك الولاء والبراء، هذا إذا لم يكن هو نفسه واقعاً في هذا الجانب من الشرك عن علمٍ أو غير علمٍ! وهناك من تراه قد جند نفسه لمحاربة البدع، وفي المقابل تراه يتعامى عن الشرك والكبائر...!

وهناك من تراه يعمل على إحياء بعض السنن، وفي المقابل تراه يتساهل بل ويُमित بعض

الفرائض والواجبات...!

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وكم يحزنني انشغال بعض الإخوان — الزمن الطويل — مع أناس حول مسائل تتعلق بالثوب والبنطال واللحية وما شابهها، بينما يكون هؤلاء الناس ممن يؤمنون بالطاغوت ويكفرون بالله عز وجل، ثم لا يسمعون كلمة واحدة في ذلك؟!.

وهذا كله يعود — في الغالب — إلى الخلل في التربية والتنشئة، وفي كيفية تلقي هذا الدين، والعمل له.

ورحم الله سيد قطب إذ يقول: بينما الطيبون السذج من المسلمين يروحون يشتغلون في سذاجة بلهاء — من تأخذه الحمية للدين منهم وللأخلاق — بالتنبيه إلى مخالفات صغيرة، وإلى منكرات صغيرة، ويحسبون أنهم أدوا واجبهم كاملاً بهذه الصيحات الخافتة، بينما الدين كله يُسحقُ سحقاً ويُدمر من أساسه، وبينما سلطان الله يغتصبه المغتصبون، وبينما الطاغوت - الذي أمروا أن يكفروا به - هو الذي يحكم حياة الناس جُملةً وتفصيلاً⁽¹⁾.

وقال: إن الأمر أكبر وأوسع وأعمق مما يُنفق فيه هؤلاء الطيبون جهدهم وطاقاتهم واهتمامهم.. إنه في هذه المرحلة ليس أمر تتبع الفرعيات مهما تكن ضخمة حتى ولو كانت هي حدود الله، فحدود الله تقوم ابتداءً على الاعتراف بحاكمية الله دون سواه، فإذا لم يُصبح هذا الاعتراف حقيقة واقعة تتمثل في اعتبار شريعة الله هي المصدر الوحيد للتشريع واعتبار ربوبية الله وقوامته هي المصدر الوحيد للسلطة، فكلّ جهد في الفروع ضائع، وكلّ محاولة في الفروع عبث، والمنكر الأكبر أحق بالجهد والمحاولة من سائر المنكرات⁽¹⁾.

أما السبب الثاني، فهو يكمن في تلبس إبليس على كثير من خواص المسلمين فضلاً عن عامتهم، حيث يصرفهم عن الأهم بالمهم، وعن الواجب إلى المندوب، وعن المندوب إلى المباح، ولو أفلح في صرفهم عن المباح إلى المحظور فلا يُقصر، وإن لم يُفلح فهو غالباً ما يُشغلهم في جزئية من جزئيات الدين إلى حد الإشباع والأطناب، وربما إلى حد الإفراط على حساب الأجزاء أو الشرائع الأخرى. مما يجعلهم يقعون في المحظور المشار إليه - عن قصدٍ أو غير قصدٍ - وهو العمل ببعض الدين دون بعض، والاهتمام بجوانب منه دون جوانب.

(1) في ظلال القرآن : 1034/2 .

(1) في ظلال القرآن : 951/5 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

فمثلاً ترى أحدهم يُزَيِّن الشيطان له الاهتمام بالشعر - وهو أمر مباح وأحياناً يُستحسن ويُندب له . إلى حد المبالغة، فيغوص في دراسته . قراءة وتحليلاً وحفظاً . الزمن الطويل، ولربما يقضي عمره كله وهو منشغلٌ بذلك عن التوحيد ومُتطلباته، وعن القرآن الكريم وتدبر آياته، وعن السنّة النبوية المشرفة وغيرها من العلوم الضرورية النافعة التي تعلو الشعر أهميةً ونفعاً. ولربما تراه مملوءاً جوفه شعراً بينما لا يحفظ بضع آيات من القرآن الكريم...!

ومثل هذا لو أراد أن يعطي الآخرين شيئاً فهو يقى ما في بطنه من قيح، فالإناء ينضح بما فيه، فيؤذي نفسه وغيره.

وأذكر مرة أنني دخلت مكتبة، فوجدت رجلاً يتفاح ويعلو صوته بين الناس، فبادرني . على وجه المفاجأة والتنطع . بسؤال: هل تعرف القائل؟ وذكر شعراً...!

فقلت له: هل تعرف معنى "لا إله إلا الله" التي بها تدخل الجنة أو النار..؟ فهتت وسكت ولم يُجب!!

ومن ذلك كذلك أن يشتغل المرء في مسألة من المسائل الدينية مُضيعاً وقته وعمره فيها، وعلى حساب بقية مسائل الدين الأخرى، حتى أنه يُعرف بها وتُعرف به، وكم من داعية تراه يُدندن حول مسألة معينة أو شعار معين لا يتجاوزها إلى غيره حتى يُحمل إلى قبره، فيُفاجأ حينئذٍ بما قدم لنفسه.

قال ابن القيم رحمه الله: فمن الناس من يتقيد بلباسٍ لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزي وهينة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد غيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه، فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاتة في الله والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عد ذلك فضولاً وشرأ، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم وعدوه غيراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله..¹

¹ مدارج السالكين : 176 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

ومن نتائج العمل ببعض الدين وترك بعضه الآخر حصول الحالقة؛ العداوة والبغضاء، والتفرق

والتنازع والاختلاف فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض.

كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا

بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ¹ .

وهذا مثل ضرب للمسلمين، أي إنكم إذا فعلتم فعل النصارى، فنسيتم حظاً من الدين،

وعملتم ببعضه وتركتم البعض الآخر، فإنه سيُصيبكم ما أصابهم من التفرق والتنازع والعداوة

والبغضاء، وما أصاب المسلمين ويُصيبهم في هذه الأيام من تفرقٍ وتنازعٍ وضُعبٍ وعداوةٍ فيما بينهم ما

هو إلا بسبب أنهم نسوا حظاً من الدين والتوحيد . بل حظواً . فعملوا ببعضه ونسوا بعضه الآخر!.

وإذا كان هذا جزءاً من يُبعض الدين؛ فيعمل ببعضه وينسى بعضه الآخر، فإن مفهوم المخالفة

وهو العمل بمجموع الدين . من دون تفريط بأي جزئية من جزئياته . يقتضي الوحدة والائتلاف والرحمة

والتكافل.

وإنَّ أيَّ محاولة تسعى للنهوض بالأمة وتوحيد كلمتها تتجاهل هذه النقطة الهامة يُعتبر سعيها

كالركض وراء السراب..

وبعد، فهلاً أخذنا الإسلام أخذاً شمولياً من غير إنتقاصٍ ولا افراطٍ أو تفريطٍ، ثم بعد ذلك

سألنا الله الوحدة والجماعة والنصر والتوفيق؟؟.

سادساً: اعتماد الجهاد في سبيل الله للتمكين والتغيير، وإعلاء كلمة الله في الأرض

حيث لابد للعاملين للإسلام من سبيل يُجمعون عليه ابتداءً، ينهجونه لنصرة هذا الدين وإعلاء

كلمته في الأرض، فاختلفت وجهات النظر حول السبل والوسائل كان ولا يزال ذريعة للتنازع والتفرق

والاختلاف، وتعدد الجماعات المتنافرة..

والإسلام إذ حدد لنا الغايات وألزمنا بالعمل لها كذلك فقد حدد لنا السبل والوسائل التي

تُوصلنا - بإذن الله - إلى تحقيق تلك الغايات، وألزمنا الأخذ بها، فالمسألة لم تترك فراغاً من غير بيان من

الشارع الحكيم ليجتهد فيها المجتهدون، ويخوض فيها الخائضون كلٌ بحسب ما يرتئي ويمهى..

¹ سورة المائدة : 14 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

ونحن إذ نقرر أن الجهاد في سبيل الله هو طريق الإسلام للنصر والتمكين وإعلاء كلمة

الله في الأرض، فهو لأوجه نُجملها في النقاط التالية:

1- أن طريق الجهاد وحي قد أمرنا الله به، وهو قدر الأمة فلا مناص للتفlect منه أو إستبداله

بطريقٍ أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾⁽¹⁾. وهو

كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾⁽²⁾، فكما أن الأمة كُتِبَ عليها الصيام فقد كُتِبَ عليها القتال، فلا

فرق بين الآيتين من حيث دلالة المشروعية والوجوب..

وإن كنتَ تعجب فمِن أولئك الذين يستشهدون بآية الصيام على شرعية ووجوب الصوم، ثم

إذا ذُكِرُوا بآية القتال تراهم يلوون أعناقهم ويتكفون التأويل والتعطيل!!

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ

الدِّينِ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

نَصِيرًا﴾⁽⁶⁾.

وغيرها كثير من الآيات التي تُدَلِّل على أن الجهاد في سبيل الله هو طريق الإسلام إلى النصر

والتمكين وإعلاء كلمة الله في الأرض.

(1) سورة البقرة : 216 .

(2) سورة البقرة : 183 .

(3) سورة الأنفال : 39 .

(4) سورة النساء : 84 .

(5) سورة التوبة : 41 .

(6) سورة النساء : 75 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: (أمرت أن أقاتل النَّاسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)(1) .

وقال ﷺ: (بُعِثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجُعِل رزقي تحت ظل رُمحي، وجُعِل الذلُّ والصغار على من خالف أمري)(2) .

وقال: (واعلموا أنَّ الجنَّةَ تحت ظلال السيوف)(1) .

وقال: (من مات ولم يغز ولم يُحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق)(3) .

وقال: (مَنْ لم يغز أو يُجهز غازياً، أو يخلُف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)(4) .

فالمؤمن ليس له إلا أن يكون واحداً من ثلاث، إما غازياً، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، وإلا فلينتظر. عاجلاً أو آجلاً. قارعة تنزل بساحته لا يعلم ماهيتها وشدتها إلا الله تعالى. ومن يتأمل القوارع الشداد التي تنزل بالأمة في هذا الزمان يُدرك أن سبب ذلك كله يعود إلى تخليها عن الجهاد، وعن نُصرة المجاهدين.

2- أن الجهاد في سبيل الله دواء لكثير من الأدواء، فلا شيء أنفع للبلاد والعباد من الجهاد في

سبيل الله تعالى.

فيه تتحقق الهداية وتيسر لأصحابه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(5) .

وعليه فكان السلف إذا أشكل عليهم أمرٌ من أمور الدين يسألون أهل الثغور والجهاد.

وهو باب من أبواب الجنَّة يُذهب الله به الهمَّ والغمَّ، كما في الحديث: (عليكم بالجهاد في سبيل

الله تبارك وتعالى، فإنه باب من أبواب الجنَّة يذهب الله به الهمَّ والغم)(6) .

(1) رواه البخاري .

(2) رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع : 2831 .

(3) رواه مسلم .

(4) صحيح سنن أبي داود : 2185 .

(5) سورة العنكبوت : 69 .

(6) رواه الحاكم وغيره، السلسلة الصحيحة : 1941 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وبه تحفظ مقاصد الدين، وتُصان الحُرُمات، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾¹.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾². أي أن الخير العائد من الجهاد مردود على أنفسنا إن جاهدنا في سبيل الله، فالله تعالى غنيٌّ عنا وعن جهادنا. وهو كذلك باب عظيم من أبواب التمحيص يُعرف به المؤمن الموحد من المنافق المتسلق الذي يحب أن يُحمد بما لم يفعل، فالجهاد تُرجمان التوحيد..

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾³. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾⁴.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾⁵.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾⁶. فاعتبر جهادهم دليلاً على صدق إيمانهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَتَبَطَّهْمُ وَقِيلَ لَهُمْ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾⁷.

¹ سورة النساء : 75 .

² سورة العنكبوت : 6 .

³ سورة آل عمران : 142 .

⁴ سورة الأنفال : 74 .

⁵ سورة التوبة : 20 .

⁶ سورة الحجرات : 15 .

⁷ سورة التوبة : 4645 .

تنبيه الدعوة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

فاعتبر سبحانه وتعالى تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ دليلاً على نفاقهم وعدم إيمانهم، كما اعتبر عدم الإعداد والأخذ بالأسباب دليلاً على عدم رغبتهم في الخروج للجهاد في سبيل الله، فلكل دعوةٍ وزعمٍ برهانٌ ودليلٌ، وزعم اللسان وحده لا يكفي.

قال ابن تيمية رحمه الله في تفسير الآية: فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد وإنما يستأذنه الذين لا يؤمنون، فكيف بالتارك من غير استئذان؟!¹.

قلت: فكيف بمن يثبط الأمة عن الجهاد، ويؤثم المجاهدين لجهادهم..؟!.

والجهاد إلى جانب ما تقدم لا يعدله شيء من العبادات، كما في الصحيحين، عن أبي هريرة قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد؟ قال: (لا تستطيعونه) فأعادوا عليه مرتين وثلاثاً كل ذلك يقول: (لا تستطيعونه) ثم قال: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد).

وقال ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من ألف يوم فيما سواه من المنازل)².

وقال ﷺ: (الغدوة والروحة في سبيل الله، أفضل من الدنيا وما فيها)³.

وقال ﷺ: (من اغبرت قدماه في سبيل الله، فهو حرامٌ على النار)⁴.

قلت: فما بالك فيمن يغبر وجهه في سبيل الله، ويلامس غبار الجهاد شغاف قلبه..؟.

وإذا كان هذا الخبر كله يتحقق من جراء الجهاد في سبيل الله تعالى، فإن تركه والركون إلى الدنيا

وإغراءاتها مآله إلى العذاب والنذل والهوان، وضياع حرمان البلاد والعباد..

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ⁵

¹ مجموع الفتاوى : 438/28 .

² صحيح سنن النسائي : 2971 .

³ متفق عليه .

⁴ صحيح سنن النسائي : 2919 .

⁵ سورة التوبة : 39 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ¹﴾.

وفي هذه الآية دلالات عظيمة منها: أن الله تعالى لم يقل إن كان آباؤكم أو أبنائكم أو إخوانكم.. وإنما عطف بين الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمسكن بحذف الألف الذي يُفيد التفرد في الاختيار والمفاضلة في هذا الموقع، لندرك أنه لو حصلت المفاضلة والاختيار بين مجموع هذه الأشياء. وليس واحدة منها فقط. وبين الله ورسوله وجهاد في سبيله، لوجب على المؤمن أن يختار الله ورسوله والجهاد في سبيله.

ومنها أن الولاية لا تتحقق إلا بالمتابعة والجهاد في سبيل الله، قال ابن تيمية: قد جعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول والجهاد في سبيل الله؛ وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، وفي دفع ما يُبغضه من الكفر والفسوق والعصيان.⁽¹⁾ ومنها أن إثارة الأضناف الواردة في الآية - وما أعزها على النفس - على الجهاد في سبيل الله، مآله إلى العذاب والفسق والضلال، وضياع جميع المصالح.

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا تبايعتم بالعينة⁽²⁾) ، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)⁽³⁾ . وقال ﷺ: (يُوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن، فقال: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت).

¹ سورة التوبة : 24 .

(1) كتاب العبودية .

(2) العينة نوع من التعامل الربوي، وصفته أن يبيع المرء شيئاً من غيره بثمان مؤجل ويُسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه بثمان أقل من ذلك القدر، يدفعه نقداً.

(3) السلسلة الصحيحة : 11 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

ومهما كان للجهاد من تبعات وتكاليف، فإن تبعات وتكاليف ترك الجهاد في سبيل الله والركون إلى الدنيا ومشاغليها وملذاتها لهي أشد بكثير من تبعات الجهاد في سبيل الله، وهذا أمر - شهدت عليه الأدلة النقلية والعقلية - لا يُدرکه إلا المؤمن العاقل المتبصر⁽⁴⁾.

3- إن عدم الاتفاق على مبدأ الجهاد كسبيل للتمكين وإعلاء كلمة الله في الأرض، يستلزم بالضرورة تسليم الأعناق وجميع الحرمات إلى رحمة وسيوف الكفار الذين لا يرقبون في المؤمنين إلا ولا ذمة.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾⁽⁵⁾. أي لا يُراعون فيكم قرابة ورحم، ولا عهداً قطعوه لكم.

وهم لا يزالون يُقاتلون المسلمين حتى يفتنونهم عن دينهم إن استطاعوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾¹. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾².

فلو سالمتم يا مسلم فهم لا يُسلمونك إلا بشرط التخلي عن دينك، وكم هي الأحداث - في الماضي والحاضر - التي تؤكد على صحة ذلك، وما يجري اليوم لمسلمي البوسنة والهرسك وغيرها من البلدان لأكبر شاهد على ما نقول.

ولن أنسى تلك المرأة من مسلمات البوسنة - وقد رُوعت بقتل زوجها وأطفالها - وهي تقول: ظللنا نتكلم أن الإسلام دين سلام.. دين سلام.. حتى ذبحونا من الوريد إلى الوريد!!
فهل نعتبر أم ننتظر مزيداً من الانتهاكات لحرمات وأعراض المسلمين..!؟

(4) جاءت إحصائيات الهيئات الرسمية أن عدد المسلمات في البوسنة اللواتي انتهكت أعراضهن واغتصبن من قبل كفار الصرب ما يزيد عن ستين ألف امرأة وفتاة، هذا المعلن والمخفي أعظم وما يُمارسه جنود الأمم المتحدة على الإسلام من انتهاكات للحرمات ومحاولات للإبتزاز ما هو معروف لدى الجميع..

(5) سورة التوبة : 8 .

¹ سورة البقرة : 217 .

² سورة البقرة : 120 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

4- الجهاد في سبيل الله طريق الطائفة الناجية المرضية المنصورة، حيث يُعتبر من أخص

خصائصهم ومن أبرز ما يتميزون به عن غيرهم..

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾¹. فالجهاد في سبيل الله منة وفضل وتوفيق يتفضل الله به على من يشاء من عباده.

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: (لن يبرح هذا الدين قائماً يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة)².

وقال ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)³.

وقال ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى يُقاتل آخرهم المسيح الدجال)⁴.

وعن سلمة بن نفيل الكندي، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أذال النَّاسُ الخيل⁵ ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: (كذبوا، الآن، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يُقاتلون على الحق ويُزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)⁶.

وقال ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)⁷.

¹ سورة المائدة : 53 .

² رواه مسلم .

³ صحيح سنن أبي داود : 2170 .

⁴ صحيح سنن أبي داود : 2170 .

⁵ أي استخفوا بها وتركوها .

⁶ صحيح سنن النسائي : 3333 .

⁷ صحيح سنن ابن ماجه : 6 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وبعد، فهذا هو طريق الطائفة المنصورة الناجية المرضية، فهل يحسن بنا – ونحن ننشد الحق .

أن نتنكب طريقهم ونلتمس طرقاً أخرى ما أنزل الله بها من سلطان..!؟.

لأجل هذه الأوجه مجتمعة – وواحد منها يكفي – نُقرر أن الجهاد هو الطريق الوحيد للنصر

والتمكن وإعلاء كلمة الله في الأرض، وهو السبيل الذي يجب على الأمة أن تجتمع وتتفق عليه.

وبالتالي فإن السبل الأخرى – المطروحة على الساحة – أكثرها غير شرعية فضلاً عن أن تحقق

غايةً ونصراً للإسلام والمسلمين، وبخاصة السبل التي يكون من مناهجها السير في اللعبة الديمقراطية

والمشاركة في المجالس النيابية والشعبية، التي تفضي بأصحابها إلى مُسأمة ومُعاشة طواغيت الكفر

والظلم على كفرهم وظلمهم..

فهذه سبل باطلة غير شرعية – يترتب عليها مزالق شرعية وعقدية لا تُحمد عُقباها – لا يجوز

للمسلمين أن يسلكوها وينشدوا النصر والتمكين من خلالها، والمسألة قد أفردنا لها كتاباً مستقلاً لمن

يُريد التفصيل أو الدليل¹ .

أما الطرق الثانية التي تتبناها بعض المدارس الإسلامية المعاصرة، كطريق التربية أو التصفية

والتربية، وطريق طلب العلم، وطريق الاهتمام بالسياسة وفقه الواقع والفرق وغيرها من الطرق، نقول

فيها: هذه الطرق جميعها تصب في خانة الإعداد الشرعي الذي يُعتبر من لوازم الجهاد في سبيل الله،

فالتصفية والتربية هي من الإعداد اللازم ولكن لا يجوز أن نعتبرها سبيلاً للتغيير والنصر والتمكين في

الأرض.

وكذلك طلب العلم والطرق الأخرى فهي من الإعداد اللازم، ولكن لا يجوز اعتبارها سبيلاً للتغيير

والتمكن، وقيام خلافة راشدة.

ولا أدل على ذلك من جيل الصحابة الأول، الجيل الأول في تربيته وزهده، وعلمه وفقهه، الأول

في درايته للواقع وما يدور حولهم.. ومع ذلك لم يكن يُغنيهم عن الجهاد في سبيل الله، أو يُبرر لهم

التخلف عن الغزو في سبيل الله وخوض غماره.

¹ حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية، وهو كتاب مطبوع .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

بل من هو أسمى وأفضل من الصحابة أجمعين، محمد ﷺ، وعلى ما أوتيته من خير وفضل، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. كل ذلك لم يكن مُبرراً له ﷺ للعودة عن الجهاد في سبيل الله، بل كان أول الأوائل في الجهاد، يحتمي به الأبطال الصناديد إذا ما حمى الوطيس، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لولا أن يُشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)⁽¹⁾ .

وقال ﷺ: (لأن أقتل في سبيل الله، أحبُّ إليَّ من أن يكون لي أهل الوبر والمدر)⁽²⁾ .

فأين مسلمي اليوم من هذه المعنويات العالية والحب العظيم للجهاد والاستشهاد في سبيل الله، بل من يُلحظ عنده أدنى حماس للجهاد في سبيل الله سُرعان ما يُنظر إليه نظرة ازدراء واستهجان وتهكم، وعلى أنه من المتهورين وممن يلقون بأنفسهم في التهلكة...!!

ثم أين طلاب السنّة وحُرّاسها من ذلك، حيث نرى كثيراً منهم يتحرون دقائق السنّة في صغائر الأمور - وهذا حق - ثم هم في المقابل يتغافلون - رهبةً أو رغبةً - عن سنّة بل فريضة الجهاد في سبيل الله التي تكاد أن تكون غائبة وكأنها ليست من الدين، إلى درجة أنهم لا يُحدثون أنفسهم ولا الآخرين بها...!!

(1) رواه مسلم .

(2) صحيح سنن النسائي : 2955 .

تنبيهات ضرورية:

حتى لا يفهم كلامنا خطأ ويحمل على غير الوجه الذي نريد نُسجل التنبيهات التالية:

التنبيه الأول: مما يدخل في مسمى الجهاد في سبيل الله الجهاد بالمال والبيان، فربَّ كلمة حق

ينطق بها المؤمن - في أجواء الجور والنفاق - عند سلطان جائر كافر تعدل ضرب السيوف وتزيد، كما في

الحديث: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله)¹. وقال ﷺ:

(إنَّ المؤمن يُجاهد بسيفه ولسانه)².

ولكن أفضل الجهاد والمجاهدين كما قال سيد المجاهدين ﷺ: (أفضل الجهاد من عُقر جواده

وأهريق دمه)³.

وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل، فقال: (مؤمنٌ يُجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)⁴.

التنبيه الثاني: قولنا بأن الجهاد في سبيل الله هو السبيل للنصر والتمكين والاستخلاف، لا

يستلزم منه ولا يفهم إهمال بقية الوسائل الشرعية الأخرى كالدعوة والتبليغ، والتربية والتزكية، وطلب

العلم تعلماً وتعليماً، وبناء شريحة عريضة من الناس تُطالب بوعي وعلم بالإسلام.. فهذه من الأمور

الضرورية التي تدخل في مسمى الإعداد بمفهومه العام الذي يعتبر من المقدمات الضرورية للجهاد في

سبيل الله.

لكن أخص ما يدخل في مسمى الإعداد الإعداد المادي الذي يرهب العدو الكافر، كما قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال : 60].

وفي صحيح مسلم، عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا

لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا أن القوة الرمي، ألا أن القوة الرمي).

¹ رواه الحاكم، السلسلة الصحيحة : 374 .

² رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع : 1934 .

³ السلسلة الصحيحة .

⁴ رواه البخاري .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

وقال ﷺ: (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصي)¹.

التنبيه الثالث: قولنا بالجهاد في سبيل الله.. لا ينبغي أن يُفهم منه الفوضى والتصرف الفردي

غير المسؤول، أو استعجال القتال قبل مقدماته الضرورية، فمن تعجل شيئاً قبل أوانه عُوقب بحرمانه.

التنبيه الرابع: الجهاد في سبيل الله كبقية العبادات يشترط له الاستطاعة، فإذا انتفت

الاستطاعة وتحقق العجزُ رفع التكليف؛ لأن الله تعالى لا يُكلف نفساً إلا وسعها.

لكن هذا العجز لا ينبغي أن يُقعد المؤمن عن الإعداد للجهاد قدر استطاعته، فالمؤمن إما أنه

يُجاهد في سبيل الله، أو يعد عدته، فالميسور لا يسقط بالمعسور.

قال ابن تيمية: يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز،

فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب².

التنبيه الخامس: شرع الجهاد في سبيل الله لدفع المفسد وجلب المصالح – وأعظم المفسد

الشرك، وأنفع المصالح وأفضلها التوحيد. ومتى يكون الأمر على خلاف ذلك لا يشرع الجهاد، وهو كالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يجب تقدير المصالح والمفاسد – وفق ميزان الشرع – عند الإقدام

أو الإحجام.

التنبيه السادس: فشل المجاهدين في موقعة من المواقع أو مرحلة من المراحل لأسباب قد

تكون من عند أنفسهم، لا يستلزم اعتبار طريق الجهاد في سبيل الله فاشلاً كما لا يستلزم استعداد

الجهاد والمجاهدين كما وقع في ذلك بعض الدعاة المعاصرين، وتذرعوا بواقع بعض الحركات الجهادية

في زماننا المعاصر!!.

أقول: هذا تجنٍّ وظلم ومُجاوزة للحق والإنصاف، فخطأ خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما

قتل أولئك الذين قالوا له صباناً، وكانوا يريدون أن يقولوا أسلمنا فأخطأوا التعبير، لم يستدع النبي

ﷺ إلى أن يتبرأ من الجهاد في سبيل الله، ومن خالد ومن معه، وإنما تبرأ من صنيع خالد الذي أخطأ

¹ رواه مسلم .

² مجموع الفتاوى : 259/28 .

تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين

فيه تحديداً ولم يتجاوزه، وقال: اللهم إني أبرؤ إليك مما صنع خالد ثلاثاً. والشواهد من السيرة النبوية كثيرة التي تُدلل على مثل هذا الفقه والإنصاف، ونحن لنا في رسول الله أسوة حسنة.

وفي الختام: أعود وأذكر أن هذه النقاط الست الأنفة الذكر لابد من مُراعاتها والأخذ بها عند القيام بأي عمل جادٍ يستهدف جمع الطاقات وتوحيد كلمة المسلمين، وإلا فإنَّ دعوة توحيد الكلمة والجهود ستبقى زعماً تلوكمها الألسن لا واقع ولا أثر لها في حياة الأمة والمسلمين. أسأل الله تعالى أن يُلهمنا رشدنا، والإخلاص في القول والعمل، وأن يُوحّد كلمة المسلمين على ما يُحبه ويرضاه، فالأمر له من قبل ومن بعد، إنه تعالى سميع قريب مجيب. وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1415/10/13 هـ

أبو بصير الطرطوسي

1995/03/14 م

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

- هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى الذين لا يزالون يعتبرون الاختلاف على الديمقراطية هو اختلاف في الوسائل والفرعيات التي

لا تمس الأصول والاعتقاد .. !!

إلى دعاة الترفيع، والتقميش، والتوفيق .. !!

إلى الذين لا يزالون يتذرعون بجهل حقيقة الديمقراطية .. !!

إلى الذين يلبسون الديمقراطية . زوراً ومهتاناً . ثوب الشورى والإسلام ..!!

إلى الذين يرون في الديمقراطية الحل الأمثل لمشكلات الإسلام والمسلمين .. !!

إلى الذين يروجون للديمقراطية، ويدعون لها، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم مسلمون .. !

إلى هؤلاء وغيرهم نقول: الديمقراطية تعني حكم الشعب، واختيار الشعب، والاحتكام إلى الشعب؛

فلا تعلق سيادة الشعب سيادة، ولا إرادته إرادة بما في ذلك إرادة الله، التي لا اعتبار لها وليست لها أية

قيمة في نظر الديمقراطية والديمقراطيين ..

الديمقراطية تعني أن مصدر التشريع والتحليل والتحرير هو الشعب وليس الله، ويتم ذلك عن

طريق اختياره لممثلين ينوبون عنه في مهمة التشريع وسن القوانين ..

وهذا يعني أن المألوه المعبود المطاع . من جهة التشريع . هو الإنسان وليس الله جلّ في علاه ..

وهذا مغاير ومناقض لأصول الدين والتوحيد، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا

تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾. وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ

الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. أي لأن عبدتموهم من جهة

طاعتكم إياهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فإنكم لعابدون لهم من دون الله؛ لأن الشرك

لا يطلق في القرآن أو السنة إلا لنوع عبادة تصرف لغير الله عز وجل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فهم أرباب من دون الله لما

اعترفوا لهم بحق التشريع والتحليل والتحرير وسن القوانين من دون الله تعالى.

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

الديمقراطية تعني رد أي نزاع أو اختلاف بين الحاكم والمحكوم إلى الشعب، وليس إلى الله والرسول .. وهذا مغاير ومناقض لقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، بينما الديمقراطية تقول: فحكمه إلى الشعب، وليس غير الشعب .. !

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فجعل الله عز وجل من لوازم الإيمان رد النزاع . أي نزاع . إلى الله والرسول؛ أي إلى الكتاب والسنة .. الديمقراطية تعني مبدأ حرية الاعتقاد والتدين؛ فللمرء . في حكم الديمقراطية . أن يعتقد ما يشاء، ويتدين بالدين الذي يشاء، ووقت يشاء، ولو أراد أن يرتد من الإيمان إلى الكفر والإلحاد فلا راد له ولا مُعيب عليه ..

أما حكم الإسلام فهو على نقيض ذلك، وهو يتمثل في قوله صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه"، وليس فاتركوه. وقوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة .."، وقوله صلى الله عليه وسلم: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له ..".

ومعلوم أن الإسلام انتهى حكمه في أهل الكتاب إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، وإما الجزية وهم صاغرون، وإما القتل والقتال. أما عبدة الأوثان من مشركي العرب وغيرهم فليس لهم إلا الإسلام أو القتل والقتال ..

وكذلك يوم نزول عيسى عليه السلام . كما دلت على ذلك السنة . فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويسقط الجزية، ولا يقبل من مخالفه . بما فهم أهل الكتاب . إلا الإسلام، أو القتل والقتال .. على ضوء هذه الحقائق والنصوص، وغيرها من النصوص الشرعية ذات العلاقة بالمسألة يجب أن يفهم قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ...

الديمقراطية تعني مبدأ حرية التعبير والإفصاح، أيًا كانت صفة هذا التعبير؛ ولو كان شتمًا لله ولرسوله، وطعنًا في الدين، إذ لا يوجد في الديمقراطية شيء مقدس يحرم الخوض فيه أو التناول عليه بقبيح القول .. وأي إنكار على ذلك يعني إنكار على النظام الديمقراطي برمته، ويعني تحجيم الحريات المقدسة في نظر الديمقراطية والديمقراطيين ..

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

وهذا عين الكفر في دين الله؛ إذ لا حرية في الإسلام لكلمة الكفر والشرك، للكلمة التي تفسد ولا

تصلح، وتدمر ولا تبني، وتفرق ولا توحد ..

قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أِبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

وهذه آيات نزلت في نفرٍ قالوا وهم في طريقهم إلى غزوة تبوك عن أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء .. فكفروا بذلك

بعد أن كانوا مؤمنين.

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى

بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار".

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ

بلسان نفسه، ثم قال: "هذا".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين فخذه دخل الجنة"

وقال صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"

فأين الديمقراطية من هذا الأدب الرفيع الذي جاء به ديننا الحنيف ..؟

الديمقراطية . يا قوم . تعني العلمانية بكل أبعادها؛ حيث تقوم على مبدأ فصل الدين . أي دين .

عن الدولة والحياة، فالله تعالى ليس له في نظر الديمقراطية سوى الزوايا، والمساجد، والكنائس والمعابد

شريطة أن لا يكره أحد على دخول هذه الأماكن، وما سوى ذلك من جوانب الحياة السياسية

والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها فهي ليست من خصوصياته، وإنما هي من خصوصيات الشعب وحده

.. وللشعب كذلك صلاحيات التدخل في شؤون والمساجد لو اقتضت الضرورة ذلك ..

﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهَوَ

يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ هو حكم كل ديمقراطي علماني يفصل الدين عن الدولة والسياسة،

وشؤون الحياة .. وإن زعم بلسانه . ألف مرة . أنه من المسلمين المؤمنين.

الديمقراطية تعني مبدأ الحرية الشخصية للفرد، فالمرء له . في ظل الديمقراطية . أن يفعل ما

يشاء، من الموبقات والفواحش والمنكرات .. من غير حسيب ولا رقيب !

والإباحية التي عرفت بها فرق الزندقة عبر التاريخ، ماذا تعني غير ذلك .. !؟

الديمقراطية تعني أن الذي يختاره الشعب هو الذي يحكم البلاد والعباد، ولو كان المختار كافرًا

زنديقاً مرتدًا عن دين الله ..

وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

وهو كذلك مناقض لإجماع الأمة على أن الكافر لا تجوز له ولاية على المسلمين ولا على بلادهم ..

الديمقراطية تعني مساواة الناس جميعاً في الحقوق والواجبات، بغض النظر عن انتمائهم

العقدي الديني، وسيرتهم الذاتية الأخلاقية؛ حيث أن أكفر وأفجر وأجهل الناس يتساوى مع أتقى وأعلم

وأصلح الناس في تقرير أهم القضايا وأخطرها، وهي من يحكم البلاد والعباد .. !

وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. في دين الله لا يستوون، بينما في دين

الديمقراطية نعم يستوون .. !!

الديمقراطية تقوم على مبدأ حرية تشكيل التكتلات والأحزاب السياسية وغير السياسية، أيًا

كانت عقيدة وأفكار ومناهج هذه الأحزاب، ومهما كثر تعدادها، ولها تمام الحرية في نشر كفرها وباطلها

وفسادها بين البلاد والعباد ..

وهذا يعني . من منظور الشرع . الإقرار طواعية بشرعية وحرية الكفر والشرك، والارتداد والإفساد

.. وهو مناقض لما يجب القيام به نحو الكفر والمنكر من تغيير وإنكار، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا

تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره

بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان". أي لا مناص من إنكار

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

المنكر وتغييره ولو في القلب عند حصول العجز عن إنكاره باليد أو اللسان، أما أن يمتد التعامل مع المنكر إلى حد الرضى به أو المطالبة فهو عين الكفر البواح، وهذا الذي يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل". أي ليس وراء إنكار القلب سوى الرضى، والرضى بالكفر كفر ينفي مطلق الإيمان عن صاحبه.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السفينة، كما في صحيح البخاري وغيره، وفيه: "فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً".

وهذا مثل الديمقراطية، فهي تقول . بكل وقاحة ووضوح : دع للأحزاب حريتها أن تخرق السفينة ليغرقوها بمن فيها من الأنفس والحرمان، بمعاولهم الهدامة ..

ثم إذا كان مجرد ترك الأحزاب الباطلة . المنكر الأكبر . من دون أن ننكر عليها أو نأخذ على أيديها بالزجر والإنكار والمنع مؤداه إلى هلاك المجتمعات بما فيها من المسلمين، فما يكون القول فيما لو اعترفنا طوعاً بشرعيتهما وحريتهما في أن تفعل ما تشاء وتريد .. !؟

وهو . أي الاعتراف بشرعية الأحزاب الباطلة . كذلك فإن مؤداه إلى تفريق الأمة، وإضعاف شوكتها، وتشتيت ولاءاتها وانتماءاتها في أحزاب شيطانية متناحرة متباغضة، متنافرة ما أنزل الله بها من سلطان .. وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. ولقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أ بعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة".

الديمقراطية تقوم على مبدأ اعتبار وإقرار موقف ورأي الأكثرية، مهما كان نوع هذه الأكثرية، وأياً كان موقف هذه الأكثرية، هل وافقت الحق أم لا، فالحق في نظر الديمقراطية والديمقراطيين هو ما تجتمع عليه الأكثرية ولو اجتمعت على الباطل أو الكفر الصريح ..!

بينما الحق المطلق . في نظر الإسلام . الذي يجب التزامه والعض عليه بالنواجذ . ولو فارقك جماهير الناس . هو الحق المسطور في الكتاب والسنة . فالحق ما وافق وطابق ما في الكتاب والسنة وإن اجتمعت جماهير الناس على خلاف ذلك، والباطل ما حكم عليه الكتاب والسنة بالبطان ولو اجتمعت جماهير الناس على خلاف ذلك . فالحكم لله وحده، وليس للبشر أو الأكثرية.

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

قال تعالى: ﴿وَأِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا رجل واحد". فأين موقع هذا النبي ومعه الرجل الواحد في ميزان أكثرية الديمقراطية؟! قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لعمر بن ميمون: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال ابن القيم في أعلام الموقعين: اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض . انتهى.

الديمقراطية تقوم على مبدأ الاختيار والتصويت، حيث كل شيء مهما سمت قداسته أو قلت يجب أن يخضع لعملية التصويت والاختيار، ولو كان المصوت عليه هو شرع الله سبحانه وتعالى ..

وهذا مناقض للخضوع والانقياد، والاستسلام التام، والرضى المنافي لأدنى تعقيب أو تقديم أو اعتراض، الذي يجب على العبد نحوربه سبحانه وتعالى، والذي لا يستقيم للعبد دين ولا إيمان إلا بذلك،

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

فإذا كان مجرد رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم مؤداه إلى حبوط الأعمال، ولا يحبط الأعمال إلا الكفر والشرك، فما يكون القول فيمن يرفع حكمه أو قوله فوق حكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم، لا شك أنه أولى في الكفر والارتداد، وأن يحبط عمله كل عمله ..

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

بينما الديمقراطية تقول: نعم لهم أن يختاروا وأن يعقبوا، ويرفضوا !!!

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

الديمقراطية تقوم على نظرية أن المالك الحقيقي للمال هو الإنسان؛ وبالتالي فله أن يكتسب المال بالطرق التي يشاء، كما ينفق ماله بالطرق التي يشاء ويهوى، وإن كانت هذه الطرق محرمة ومحظورة في دين الله، وهذا ما يسمونه بالنظام الرأسمالي الحر..

وهذا بخلاف ما عليه الإسلام الذي يقرر أن المالك الحقيقي للمال هو الله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان مستخلف عليه، وهو مسؤول عنه أمام الله تعالى: كيف اكتسبه، وفيما أنفقه ..

فالإنسان في الإسلام كما ليس له أن يكسب ماله بالحرام والطرق غير المشروعة، كالربا، والرشوة، والسحت والمتاجرة فيما هو حرام وغير ذلك، كذلك لا يجوز له أن ينفق ماله في الحرام والطرق الغير مشروعة، بل إن الإنسان في الإسلام لا يملك نفسه في أن يفعل بها ما يشاء بعيداً عن هدي الإسلام؛ لذلك عُدَّ إنزال الضرر في النفس والانتحار من أكبر الكبائر التي يجازي الله عليها بالعذاب الأليم، وهذا المعنى نجده في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾. وهذا شراء ما يملك سبحانه وتعالى . خاص بالمؤمنين . إمعاناً في الكرم والجود والفضل، وترغيباً بالجهد والاستشهاد.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعزي أحداً في مصابه، يقول له: "إن لله ما أخذ، وله ما أعطى". وبالتالي ليس للإنسان أن يعترض على أخذ شيء منه هو لا يملكه، وإنما ملكه لغيره؛ وهو الله سبحانه وتعالى.

هذه هي الديمقراطية باختصار...

وبناء على ما تقدم: فإننا نقول جازمين غير مترددين ولا شاكين في أن الديمقراطية حكمها في دين الله تعالى هو الكفر البواح الذي لا يخفى إلا على كل أعمى البصر والبصيرة. وأن من اعتقدها، أو دعى إليها، أو أقرها ورضيها، أو حسنها . على الأسس والمبادئ التي تقوم عليها الديمقراطية الأنفة الذكر. من غير مانع شرعي معتبر، فهو كافر مرتد عن دينه وإن تسمى بأسماء المسلمين، وزعم زوراً أنه من المسلمين المؤمنين، فالإسلام وحال هذا وصفه لا يجتمعان في دين الله أبداً.

أما من كان يقول بالديمقراطية جاهلاً للمعاني والأسس والمبادئ . الأنفة الذكر. التي تقوم عليها الديمقراطية، فمثل هذا نرى الإمساك عن تكفيره بعينه، مع بقاء القول بكفر قوله. إلى أن تقوم عليه

هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتهون

الحجة الشرعية التي تبين له كفر الديمقراطية، ومناقضتها لدين الله تعالى، لأن الديمقراطية من المصطلحات والمفاهيم المستحدثة والمشكلة على كثير من الناس، التي يمكن أن يعذرفيها بالجهل إلى أن تقوم الحجة الشرعية التي بها يندفع جهل الجاهل.

وكذلك الذي يقول بالديمقراطية وهو لا يريد المعاني والأسس الأنفة الذكر، وإنما يستخدمها كمصطلح يريد بها الشورى، أو حرية التعبير والإفصاح عن الكلمة البناءة، أو رفع القيود والرقابة التي تمنع الناس من ممارسة حقوقهم الشرعية والأساسية في الحياة، وغير ذلك من التأويلات والتفسيرات الفاسدة التي لا تحتملها الديمقراطية أساساً، فمثل هذا. رغم خطئه. إلا أنه لا يكفر، ولا ينبغي أن يُكفَّر .. هذا ما يقتضيه العدل والإنصاف، وتلزم به قواعد الدين وأصوله.

أما حكم الإسلام في العمل النيابي والنواب، فإننا نقول: إن العمل النيابي . للمزائق العقدية والشرعية التي لا يمكن تفاديها. هو كفر بواح بدين الله تعالى، ولا يجوز القول بخلاف ذلك.

أما النواب أنفسهم الذين سلكوا هذا النفق المظلم، فإننا نقول فيهم: من غلبت منهم شهواته، وتأويلاته، وأدلته، مزالقه وأخطائه، فمثل هذا نرى فيه أن يمسك عن تكفيره بعينه. مع بقاء القول بكفر فعله ومسلكه. إلى أن تقوم عليه الحجة الشرعية التي تدفع عنه ما وقع فيه من مخالفات وجهالات .. أما من غلبت مزالقه وأخطاؤه، شهواته وتأويلاته وأدلته، فمثل هذا، القول فيه: أنه يكفر بعينه لانتفاء موانع التكفير عنه، وتحقق شروطه فيه، والله تعالى أعلم.

هذه هي الديمقراطية، وهذا هو حكمها، وحكم القائل والعامل بها .. فهل أنتم منتهون، فهل أنتم

منتهون ..؟؟

اللهم إني قد بلغت فاشهد.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1419/10/25 هـ

أبو بصير الطرطوسي

1999/02/11 م

- حكم الاستئناف لطلب اللجوء السياسي في دار الكفر -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فإن بين الفينة والأخرى تطفو على الساحة مسائل . تشغل الشباب عن جادة الحق والصواب، وعن الأوكد والأهم والأولى . لاتدري كيف ظهرت، ومن أين بدأت، ومن وراءها، وما المراد والمستفيد منها .. تحت عناوين ظاهرها الحق وباطنها الإثم والغلو والعدوان !؟

تُطرح ابتداء كمسائل قابلة للنقاش والأخذ والعطاء، وأحياناً ملئ الفراغ وإشباع رغبة المرء، وتنتهي كمسائل يعقد فيها وعليها الولاء والبراء، ويبني عليها مواقف وأحكام، وربما تكفير وإيمان .. !!
تبدأ كفروع يمكن الخلاف فيها، وتنتهي . مع الجدل والتأصيل المنحرف . إلى أصول لا بد من الاتفاق عليها؛ حيث لا عذر ولا تأويل، ولا شبهة للمخالف فيها .. !!

من هذه المسائل، مسألتنا هذه التي شغلت عدداً كبيراً من الشباب المسلم . المكره على الإقامة في ديار المهجر في بلاد الغرب . وأقلقت بهم خوفاً على دينهم وإيمانهم، وهي: هل يعد الاستئناف لطلب اللجوء السياسي . بعد رفض الطلب الأول للجوء . من التحاكم إلى الطاغوت الذي يكفر صاحبه بمجرد، ويخرج من دائرة الإسلام .. !؟

أقول: هذه الصورة المسؤول عنها؛ وهي اضطرار المسلم . لينجو بنفسه من التعذيب والقتل . إلى طلب اللجوء والأمان في دار الكفر، أو استئناف الطلب وتكراره في حال تم رفضه في أول مرة، لا تُعد من صور التحاكم إلى الطاغوت الذي يكفر صاحبه، ولا تأخذ صفته وحكمه. وما دام طلب اللجوء أو استئناف الطلب وتكراره . إذ لا فرق بينهما . تم تحت ظروف الاضطرار والإكراه التي أكرهته ابتداء على اللجوء إلى دار الكفر، فإنه لا إثم عليه ولا حرج إن شاء الله، وإليك برهان ذلك بشيء من التفصيل.

أولاً: قبل أن نخوض في تفصيل الإجابة، لا بد من الإشارة إلى أن المسلم لا يجوز له أن يقيم حراً مختاراً في ديار الكفر عند توفر دار الإسلام الذي يأمن فيه على نفسه ودينه؛ لأن مجرد دخوله وسكنه في ديار الكفر يعني حصول المخالفات الشرعية التي لا يمكن له دفعها، ولأن ديار الكفر والشرك ليست

حكم الاستئناف لطلب اللجوء السياسي في دار الكفر

هي الديار المناسبة لتحقيق سلامة العبادة والدين على الوجه الذي يرضاه ربنا سبحانه وتعالى، ومن هنا جاءت النصوص الشرعية تحض على وجوب الهجرة من ديار الكفر إلى دار الإسلام كما في قوله تعالى:

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾

فوسع الله تعالى الأرض، وشرع الهجرة والضرب فيها لتحقيق سلامة العبادة والتوحيد، وديار الكفر والشرك ليست هي الأرض المناسبة لذلك كما تقدم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. فلم يعذرهم الله تعالى لأنهم كانوا قادرين على الهجرة، ودعواهم أنهم كانوا مستضعفين في الأرض هو زعم. شدتهم إليه أواصر التراب ورغد العيش. لا حقيقة، وإلا فإن الاستضعاف الحقيقي الصادق يقبل العثرات، ويرفع التكليف إلى حين تحقق القدرة، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، ألا لا تراءى نارهما". وقال صلى الله عليه وسلم: "برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم". وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أبق العبد إلى الشرك فقد حل دمه".

أما إذا انعدم للإسلام داراً يأمن فيه المسلم على دينه ونفسه. كما هو حال المسلمين في هذا الزمان. الدار الذي يجد فيه المسلم الملاذ الآمن عندما تداهمه الخطوب والأخطار من كل حذب وصوب، فحينها لا حرج عليه إن اضطر أن يهاجر من دار كفر إلى دار كفر آخر أقل كفراً وفتنة على دينه ونفسه وأهله، كما حصل للصحابه عندما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة حيث فيها ملك لا يُظلم عنده أحد.

فهم هاجروا من دار كفر يسود فيه الظلم والبطش والقتل لضعاف المسلمين إلى دار كفر آخر لكن تنتفي فيه مظاهر البطش والظلم السائدة يومئذ في مكة.

قال ابن حزم في المحلى (125/12): وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه، ولم يحارب المسلمين،

ولا أعانهم عليهم، ولم يجد في المسلمين من يجيره، فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره.

وقد ذكرنا أن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب، كان عازماً على أنه إن مات هشام بن عبد الملك لحق بأرض الروم، لأن الوليد بن يزيد كان نذر دمه إن قدر عليه، وهو كان الوالي بعد هشام، فمن كان هكذا فهو معذور. انتهى.

قلت: الزهري عالم من علماء السلف، وابن حزم يقول عنه معذور رغم أنه كان سيهاجر من أرض الإسلام إلى أرض الكفر ودار الكفر ليدفع عن نفسه الظلم والقتل. وإذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى أن يعذر المسلم عندما يهاجر. تحت ظروف الاضطرار والإكراه. من دار كفر إلى دار كفر آخر ليدفع عن نفسه القتل والظلم والقهر، كما هو الحال في مسألتنا هذه.

ثانياً: اعلم أنه ليس تحصيل كل حق ثابت لك عن طريق الكفار هو ضرب من ضروب التحاكم إلى الطاغوت الذي يكفر صاحبه جرأه، ولمجرد تحصيلك للحق عن طريق الكفار ومحاكمهم، والدليل على ذلك مارواه البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "شهدت مع عمومي حلف المطيبين، فما أحب أن أنكته وأن لي حمر النعم". [صحيح الأدب المفرد: 441].

قال ابن الأثير في النهاية: اجتمع بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيباً في جفنة، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فسُموا المطيبين. انتهى.

قلت: رغم أن هذا الحلف تتوفر فيه عناصر الحكم والتحاكم من فضي للنزاعات بين الظالم والمظلوم، وأن القائمين على هذه المهمة هم من أكابر المشركين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أثنى عليه خيراً، وما أحب أن ينقضه ولو بحمر النعم، لقيامه على معنى صحيح لا يتعارض مع الشرع، وهو إنصاف المظلوم من الظالم.

وبالتالي لا يجوز لأحدٍ. إلا إذا أثر الكفر على الإيمان. أن يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقر التحاكم إلى الطاغوت؛ لأن القائمين على حلف المطيبين كانوا من الكفار المشركين.

كما لا يجوز أن يعتبره من الأحكام المنسوخة لعدم اكتمال الدين وقتئذٍ؛ لأن القضية . على زعم القوم . إذا كانت من التوحيد ومن لوازمه وشروطه، فهذا مكتمل ومعلوم من أول يوم نزلت "لا إله إلا الله" على محمد صلى الله عليه وسلم.

وعليه ليس كل فض نزاع بين طرفين . وإن سمي تحاكماً لغة . يجوز أن يعتبر من التحاكم إلى الطاغوت المناقض للتوحيد والذي يكفر صاحبه.

لذا نقول: لا يجوز لأحد أن يشير إلى مسلم . في حال غياب المحكمة أو الجهة الإسلامية القادرة على إنصافه من ظالمه واسترداد حقه . يسترد حقه المغموب عن طريق الكفار، أن يصفه بالكفر لأنه أراد التحاكم إلى الطاغوت، كما يفعل ذلك بعض الجهلة الملوئين بالغلو في هذا الزمان .. !!

يقول صاحب كتاب [ضوابط التكفير: 174]: ولا يلزم من هذا أن كل من تحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية لا بد أن يكون كافراً، بل قد يضطر المسلم لتخليص حقوقه ونحو ذلك إلى التحاكم إليها مع عدم رضاه عنها، فلا يكون كافراً بل يكون حكمه حكم المضطر. انتهى.

هذا من وجه، ومن وجه آخر فقد تضافرت أدلة الشريعة التي تلزم المسلم باختيار أهون الشرين عند إلزامه بأمرين كلاهما شر، وهذا يتكرر بكثرة في زماننا بسبب غياب دولة الإسلام، وغياب المحاكم الشرعية التي تحكم المسلمين بالإسلام، ومثل هذا . لاختياره الشر الذي هو أهون الشرين . لا يجوز أن يوصف بأنه راض بحكم الطاغوت، لأنه اختار ما ليس في دين الله.

ولضبط المسألة فإننا نلخص ما تقدم في النقاط التالية:

1. لا يجوز لمسلم أن يتحاكم إلى الحاكم الكافر عند وجود الحاكم المسلم الذي يستطيع أن يرد له حقه وينصفه من ظالمه.
2. لا يجوز للمسلم أن يتحاكم إلى الحاكم الكافر فيما يضاها ويضاد شرع الله إلا وهو مكره، ولحكم الطاغوت كاره مبغض، وغير راضٍ به ..
3. إذا اغتصب حق المسلم ولم يجد وسيلة لإعادة حقه إلا الحاكم الكافر، له أن يحصل على حقه عن طريقه..

4. نرى من العزيمة والأفضل أن يضحى المسلم . وبخاصة إن كان من الخواص والأعلام . بحقه إن كان محتملاً، ولا يمثل أمام الحاكم الكافر، وهذا أمر نستحسنه ولا نلزم به مجموع الأمة، للضرر العام المترتب على ذلك، والمسألة مرتبطة بنوع وحجم الحق المغتصب، فلا يُعقل أن يقال لمن خُطف له ولده لا يجوز لك أن تشتكي إلى الشرطي الكافر . أو الحاكم الكافر فلا فرق . ليسترد إليك ولدك من خاطفيه لأن هذا نوع من التحاكم إلى الطاغوت !!..

ثالثاً: لكي ندرك هل الاستئناف في طلب اللجوء من التحاكم المكفر أم لا، لا بد من أن نقف على صفة التحاكم إلى الطاغوت الذي يكفر صاحبه، وصفة الاستئناف في طلب اللجوء لنرى هل يحمل هذا على ذلك، وإليك ذلك.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾.

قال ابن جرير الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بقلبك فتعلم إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، يعني إلى من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله. ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ يقول: وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه، فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان. ﴿بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ يعني أن الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالاً بعيداً.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا رجلاً من اليهود في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهان، ليحكم بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم. انتهى. وقيل أن الكاهن هو أبو بردة الكاهن الأسلمي، وقيل أن المراد بالطاغوت في هذا الموضع هو اليهودي كعب بن الأشرف. وقد أسند ابن جرير الآثار التي تدل على ذلك فانظرها.

ثم قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني بذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ هلموا إلى حكم الله الذي أنزله في كتابه، وإلى الرسول ليحكم بيننا، ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ يعني بذلك: يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم. انتهى.

وقال ابن كثير في التفسير: هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار، ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول ببني وبينك محمد، وذاك يقول ببني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله فإنها دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ماسواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا. وقوله: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي يعرضون عنك إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك. انتهى.

وعليه فإننا نقول: من أعرض وصد عن حكم الله ورسوله، وعدل أو آثروقدم. حراً مختاراً. حكم الطاغوت على حكم الله ورسوله، وأراد أن يتحاكم إليه من دون الله ورسوله مع تيسر المحاكم الإسلامية التي تحكم له بحكم الله ورسوله، فهذا نقول فيه: أنه أراد أن يتحاكم إلى الطاغوت، وهو كافر بتحاكمه ذلك، وعليه وعلى أمثاله نحمل الآية الكريمة، وأقوال أهل العلم المتقدم ذكرها.

والآن فلننظر إلى المستأنف في طلب اللجوء، ونجري مقارنة بينه وبين المتحاكم إلى الطاغوت المراد في الآية الكريمة، والتي نص أهل العلم على كفره، ثم نرى هل يحمل عليه وصف وحكم المتحاكم إلى الطاغوت أم لا ؟

1. المستأنف في طلب اللجوء يستأنف وهو مكره مضطر إذ لا سبيل له غير ذلك، بينما المتحاكم

إلى الطاغوت يحتكم حراً مختاراً وعن رضى وإرادة ..

2. المستأنف إذ يستأنف فهو ليؤكد للطرف الآخر أنه ممن لهم الحق في طلب الأمان، وهذا أمر لا

يتعارض مع دين الله وحكمه في شيء، وهو مما كان يمارسه. أي طلب الأمان والجوار من الكفار والمشركين

حكم الاستئناف لطلب اللجوء السياسي في دار الكفر

. الصحابة والمسلمون الأوائل عند توفر دواعيه وأسبابه، بينما المتحاكم إلى الطاغوت يتحاكم في أمور تضاهاه وتعارض حكم الله ورسوله ..

3. المستأنف في حقيقته هو طرف واحد، إذ لا يوجد نزاع حقيقي بينه وبين أي طرف آخر، بينما

المتحاكم إلى الطاغوت كما هو ظاهر في نزاع وخصام مع طرف آخر ..

4. المتحاكم إلى الطاغوت يختار حراً غير مكره حكم الطاغوت ويقدمه ويؤثره على حكم الله

ورسوله، وهذا الوصف كما هو ظاهر لا يُجرى على المستأنف في طلب اللجوء ..

5. المتحاكم إلى الطاغوت يؤثر حكم الطاغوت ومحاكمه، مع تيسر نزوله على حكم الله ورسوله

ووجود المحاكم الشرعية التي تحكم له بحكم الله ورسوله، وهذا الوصف لا يُجرى على المستأنف لأنه في

قضيته ليس له وجهة سوى الجهة التي يطلب عندها اللجوء ..

6. المتحاكم إلى الطاغوت يتصف بالصد والإعراض عن حكم الله ورسوله، وأين المستأنف وحاله

من هذا الوصف ..

فإذا تبين أن أيّاً من أوصاف المتحاكم إلى الطاغوت لا تحمل على المستأنف في طلب اللجوء،

جزمنا أنه لا يصح ولا يجوز أن يحمل حكم المتحاكم إلى الطاغوت على المستأنف لطلب اللجوء ..

رابعاً: الاحتكام إلى القوانين الوضعية ذات الطابع الإداري والتنظيمي، والتي لا تتعارض مع دين

الله وشرعه في شيء، لا يعد ذلك من ضروب التحاكم إلى الطاغوت الذي يكفر صاحبه.

يقول الشنقيطي في أضواء البيان (84/4): اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي

يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك.

وإيضاح ذلك أن النظام قسمان: إداري، وشرعي. أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها

على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة، فمن بعدهم. وقد عمل

عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ككتبه أسماء الجند

في ديوان لأجل الضبط، ومعرفة من غاب ومن حضر، وكاشترائه. أعني عمر رضي الله عنه. دار صفوان

بن أمية وجعله إيّاه سجنًا في مكة

حكم الاستئناف لطلب اللجوء السياسي في دار الكفر

المكرمة، مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ سجناً هو ولا أبو بكر. فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لا بأس به، كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة. انتهى.

قلت: ومن يتأمل قوانين اللجوء والاستئناف المعمول بها في بلاد الغرب . بحسب ما أعلم . يجدها لا تخرج عن كونها قوانين تنظيمية وإدارية تنظم عملية اللجوء وشؤون اللاجئين وما لهم من حقوق¹، وبالتالي لا يجوز تحميل المعاني ما لا تحتل وإقحام التحاكم إلى الطاغوت الذي هو كفر بخالق السماوات والأرض في هذا النوع من التحاكم، والله تعالى أعلم.

ومن شذوذات القوم وإسرافهم في الأمر . كما سمعنا بذلك مؤخراً . إنه يوجد من يعد الاحتكام إلى قوانين كرة القدم، وإلى الحكم الكافر الذي يحكم اللعب، كفر، وهو من ضروب التحاكم إلى الطاغوت !! وفات هؤلاء الجهلة أن لعبة الشطرنج وما تخضع له من قوانين وأحكام كانت موجودة في عهد السلف وكان منهم من يمارسها، وما كانوا يعدونها من ضروب التحاكم إلى الطاغوت !!

حقاً إن الإفراط والغلو أخو التفریط، وكلاهما ممقوت في الشرع، وتشتمن منهنما النفوس السوية المؤمنة، ولا ندري مسلسل شذوذات القوم بماذا تطالعنا غداً وإلى أين ستنتهي بهم؟!

خامساً: لا نرى فرقاً . من حيث عملية التحاكم . بين إجراءات طلب اللجوء لأول مرة، وبين استئناف الطلب عند رفضه، وربما الذي يميز عملية استئناف الطلب هو قيام مزيد من الحجج الظاهرة والمدعمة بالوثائق والأدلة التي تثبت أن لصاحب الطلب الحق في الحصول على الأمان في الدولة التي حصل اللجوء إليها، وهذا قد فعل شيئاً منه عند طلبه للجوء أول مرة، فعلام إثارة الزوابع والتفريق بين الحالتين من حيث الجواز، فيقولون: طلب اللجوء أول مرة جائز، بينما استئناف الطلب غير جائز وهو

¹ علماً أنه ليس للمسلم أية حقوق شرعية يستطيع أن يلزم بها الكفار عند لجوئه إليهم، وطلبه الأمان منهم، وما يتحصل عليه من حقوق في ديارهم هو من إنصاف القوم وعدلهم، وهذه الشهادة منا لا ينبغي أن يصدنا عنها عداوة القوم وشنائهم لنا .

حكم الاستئناف لطلب اللجوء السياسي في دار الكفر

كفر لأنه تحاكم إلى الطاغوت، علماً أن نفس إجراءات التحاكم التي تحصل للمستأنف تحصل لطالب اللجوء أول مرة ..!!

سادساً: من يتأمل قصة لجوء الصحابة . رضوان الله عليهم . إلى النجاشي يجد أنهم قد اضطروا . بعد لجوئهم الأول ونزولهم في ديار الحبشة . للمثول أمام الحاكم النجاشي . الكافر يومئذٍ . مرتين بسبب مطالبة كفار قريش بهم، وللذود عن حقهم في إبطال مزاعم قريش الباطلة فيهم، وكانوا في كل مرة احتمال تسليمهم إلى كفار قريش وارداً في حال كانت حجتهم داحضة وواهية أمام مزاعم قريش التي وشوا بها إلى الملك.

وبعد انتهاء الجلسة الثانية وظهور الصحابة على خصومهم كفار قريش أمام الملك، تقول أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: فخرجنا . أي عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة . من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار.¹

والشاهد من هذه القصة أن تكرار الجلسة في مجلس قضاء الملك مرتين وفي زمانين مختلفين، وفي حضور الخصوم وجميع الأطراف، هو نفسه ما يسمى في زماننا بالاستئناف، فهل يصح أن يقال في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم بذلك قد تحاكموا إلى الطاغوت وكفروا .. اللهم لا، وألف لا.

سابعاً: في حال عدم الاستئناف يعني ذلك المجهول الذي قد يترتب عليه القتل، أو السجن وانتهاك الحرمات، وهي مشقة لا يكلف الله بها.

لذا فإن المستأنف إذ يقوم بما يقوم به فهو في حقيقته يتم كله تحت ظروف الاضطرار والإكراه، وإن كان الإكراه على المنظور القريب غير محقق، لكنه على المنظور البعيد فإنه محقق ولا بد، وهو من الإكراه المعتبر .. أعد إن شئت قراءة ما قاله ابن حزم: "وأما من فرَّ إلى أرض الحرب لظلم خافه .. فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره"، فاعتبر الإكراه علماً أنه غير محقق على صاحبه في المنظور القريب.

¹ قصة الصحابة مع النجاشي رواها الإمام أحمد في مسنده، قال أحمد شاكر في تعليقه على الحديث: إسناده صحيح. انظر حديث رقم (1740)، وانظر صحيح السيرة النبوية (ص 101.108).

حكم الاستئناف لطلب اللجوء السياسي في دار الكفر

وبعد، لأجل هذه الأوجه السبع الأتفة الذكر، أفدنا في أول المقال أن الذي يستأنف طلب اللجوء لينجو بنفسه ودينه من ظلم وبطش الطواغيت، أنه لا حرج عليه، ولا يجوز أن تحمل عليه حكم الذي يتحاكم إلى الطاغوت، والنصوص الشرعية الواردة في هذا الشأن.

ثم ليس من الفقه التشدد والتكلف في مواضع الضيق والشدة والعسر، كما أنه ليس من الفقه التساهل وإعمال فقه التيسير في مواضع التفريط، والتميع واللامبالاة، والقاعدة الفقهية تقول: "إذا ضاقت اتسعت، وإذا اتسعت ضاقت". "والمشقة تجلب التيسير".

بينما فقهاء أهل الغلو والتنطع يُعملون القاعدة بالعكس: إذا ضاقت وتعسرت، ضاقت وازدادت عسراً وخناقاً، والمشقة تجلب المشقات .. والضحية دائماً هم الشباب !!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1419/08/03 هـ

أبو بصير الطرطوسي

1998/10/23 م

نصيحتنا للمجاهدين¹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإننا نفاجأ بين الفينة والأخرى بمواقف وتصرفات، وأفعال خاطئة مشينة تحدث باسم الجهاد والمجاهدين، يترتب عليها سفك دم الأبرياء، وانتهاك الحرمات الآمنة بغير وجه حق أو دليل، مما عكس ذلك سلباً على الجهاد والمجاهدين، وعلى سمعتهم حتى أصبح كثير من الناس يحصرون الجهاد، ودعوة الجهاد في تلك التصرفات أو الأفعال الخاطئة اللامسؤولة واللاشرعية .. حتى أصبح من العسير علينا أن نوصل دعوة الجهاد كما جاء بها الإسلام نقية واضحة صريحة إلى الناس، من دون أن تلامس أذهانهم بعض التصورات والمفاهيم الخاطئة بسبب تلك الممارسات.

لذا فإنه يتوجب علينا أن نتوجه بالنصح . والدين النصيحة . لكل أخ مجاهد أين كان موقعه وكانت لغته وجنسيته، نذر نفسه . مخلصاً . للجهاد في سبيل الله، محذرين ومنذرين ومذكرين .. اعلم أبا الجهاد أن الدماء شأنها عظيم، وأن حرمتها مغلظة، لا يجوز سفك شيء منها إلا بنص جلي صريح؛ أي لا يجوز أعمال الظن في القتل وفي الدماء، فالقتل كالتكفير لا يجوز الإقدام عليه إلا بنص جلي . يسلم من المعارض . يفيد اليقين، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "تكفير المسلم كقتله"، فكما أن التكفير لا يجوز الإقدام عليه إلا بيقين، كذلك القتل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا﴾ النساء: 94. وفي قراءة: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ ..

وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". وقد فسر النبي ﷺ مفارقة الجماعة . الواردة في الحديث . بالارتداد عن الدين، كما في رواية أخرى.

¹ كان هذا المقال قد نشر في مجلة المنهاج الصادرة في لندن، العدد الرابع المؤرخ في جمادى الآخرة 1418 هجري، بصورة منقوصة ومشوهة؛ حيث تم حذف وتبديل كثير من عباراته من دون علم الكاتب !!..

ولأهمية المقال في تاريخه الذي كُتب فيه، رأيت أن يعاد إصداره ونشره كاملاً غير منقوص كما كُتب في تاريخه وهو 1418/3/16 هـ الموافق 1997/7/21 م.

وحتى يعرف القارئ العبارات التي تم حذفها وتبديلها فقد قمت بتسويدها وتظليلها لتمييز عن الكلام الذي تم إثباته ونشره في مجلة المنهاج.

صحت عنه ﷺ حيث قال: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل زنى وهو محصن فرجم، أو رجل قتل نفساً بغير نفس، أو رجل ارتد بعد إسلامه".

ففسر مفارقتة للجماعة بارتداده عن الدين بعد إسلامه، وفي هذا التفسير الجليل إبطال لتأويلات أهل الغلو الذين فسروا مفارقة الجماعة بالمفارقة لجماعتهم ولو إلى جماعة إسلامية أخرى !

وفي الحديث رد على الذين يوسعون دائرة القتل . بغير علمٍ ولا دليل . تحت ذريعة عقوبة التعزير ! وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يُجلد فوق عشر جلدات إلا في حدٍّ من حدود الله".

قال الترمذي في سننه: وقد اختلف أهل العلم في التعزير، وأحسن شيء يُروى في التعزير هذا الحديث. انتهى.

فتأمل، إذا كان التعزير لا يجوز أن يتجاوز العشرة سياط بنص حديث النبي ﷺ، فكيف تُراه يتجاوز عندك ليلبلغ حد قطع الأعناق والأطراف، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات ..!؟

فإن بان لك ذلك فاعلم أن المسلم على المسلم كله حرام دمه وماله وعرضه، وأن قتل النفس التي حرم الله بغير حق من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر التي توجب غضب الله ولعنته، وعذابه الأليم على صاحبها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قيل: وما هن يا رسول الله ؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ..". وقال ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" و"المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم". مفهوم المخالفة يقتضي أن الذي لا يأمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم، ولا يسلمون من شرِّ لسانه ويده، فهو ليس بمسلم ولا مؤمن.

وقال ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"، وقال ﷺ: "من حمل علينا السلاح فليس منا".

قال ابن حجر في الفتح (24/13): أي ليس على طريقتنا، أو ليس متبعاً لطريقتنا، لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يربعه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله أو قتله .. إلى أن قال: والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله، ليكون أبلغ في الزجر. انتهى. وقال ﷺ: "لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا"، وقال ﷺ: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً"، وقال ﷺ: "أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة"، وقال ﷺ: "لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً"، وقال ﷺ: "من قتل رجلاً من أهل الذمة، لم يجد ربح الجنة، وإن ربحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً"، وقال: "من قتل نفساً معاهدة بغير حلها، حرم الله عليه الجنة أن يشم ربحها".

قلت: إذا كان هذا شأن من يقتل ذمياً أو رجلاً معاهداً من الكافرين، فما يكون القول: فيمن يقتل المسلمين والمؤمنين الأمنيين في بيوتهم، وأسواقهم، وأماكن عملهم؟! وقال ﷺ: "إن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه"، وهذا إذا كان على وجه المزاح واللعب، فما بالك فيمن يشير جاداً بالمسدسات والرشاشات والقنابل، وغيرها من الأسلحة الفتاكة ليرعب المسلمين المؤمنيين، لا شك أنه أولى باللعن والوعيد، والطرده من رحمة الله .. وفي جميع ما تقدم من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة عبرة وعظة، ومدعاة توجب على كل من يحمل السلاح باسم الجهاد أن يتقي الله في نفسه، وسلاحه، وأمته ومن حوله من الناس الأمنيين المسلمين ..

فلا يجوز له باسم الجهاد أن يقتل صعلوكاً من الكافرين . قد يكون من السياسة الشرعية عدم الاشتغال به . ليقتل معه النساء والأطفال، والعشرات من المسلمين الأمنيين في بيوتهم وأسواقهم.. وإذا كان من المقرر أن قتل المسلم الواحد بغير حق أعظم عند الله من زوال الدنيا كلها، فكيف تستسيغ لنفسك . وأنت المجاهد ! . أن تزيل الدنيا كلها وأعظم منها بزوال منك، أو بقتل صعلوك من الكافرين !!؟..

ليس من الدين ولا الرجولة أن تضع قبيلتك في أي مكان، وبطريقة لا تأمن ضحاياها وقتلاها، ثم تولى هارباً فزعاً، زاعماً أنك ألقى قبيلة على الكافرين والطواغيت !!..
فإن أردت أجر وثواب الجهاد، فاعلم أنه لا جهاد لمن يؤدي مؤمناً واحداً في جهاده، وقد صح عن قائد المجاهدين، وإمام المرسلين محمد ﷺ أنه قال: "من آذى مؤمناً فلا جهاد له" (رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 6378).

فكيف بك وقد أذيت وأرعبت العشرات والمئات من المسلمين المؤمنين. الذين تجهل حالهم، وربما فيهم من هو أفضل منك بكثير. بسبب قبيلتك الطائشة الداشرة وباسم جهادك المزعوم !!
فأنت تجاهد في سبيل الله لحماية الأمة من كفر الطواغيت وظلمهم، وللذود عن حرمان الناس وحقوقهم، ولتحقيق المقاصد الشرعية التي لأجلها أرسلت الرسل، وبُعث الأنبياء، وشُرع الجهاد .. وليس لهتك الحرمات الآمنة، ونشر الرعب والفساد، وضياع حقوق العباد ..

ودع عنك صعاليك الكفر. الذين لا حول لهم ولا قرار. وما اشتبه عليك كفره وحاله، وعليك برؤوس الكفر وأئمتهم من طواغيت الحكم والكفر الذين يجاهرون بالعداوة والمحاربة ضد الإسلام والمسلمين .. فإن عجزت عن اصطيد رؤوس الكفر والطغيان، فلا تقع بالمحذور، وامكث واصبر، واقعد لهم كل مرصد، واعلم أن هذا الأمر لا يتقنه إلا الرجل المكيث، كثير الصبر، قليل الأنفاس ..
وإياك ثم إياك أن تشتغل بما اشتبه عليك أمره مع وجود المحكم الذي لا خلاف عليه، فإن إعمال القتل والسيف في رقاب أهل القبلة من العصاة هو من خلق الخوارج الغلاة، كلاب أهل النار، وكما وصفهم النبي ﷺ: "بأنهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان".

فاتق الله . يا أبا الجهاد . ولا تسيء للجهاد والمجاهدين، واعلم أن قبل حملك للسلاح يتعين عليك أن تتعلم كيف تحمل السلاح، وفيمن تضع السلاح، ومتى ترمي بالسلاح، وأين تضع السلاح، وعمن تحجب السلاح .. فأنت كما أمرت أن تأخذ مناسكك عن النبي ﷺ، مأمور كذلك أن تأخذ الجهاد والقتال وما يتعلق به من أحكام وفقه عنه ﷺ من دون أن تتجاوزه في شيء مهما قل ودق: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر: 7.

ودع عنك ما يقال لك عن أساطين الكفر والإلحاد، موتسيتونك، وجيفارا، وكاسترو⁽¹⁾ ... فإنهم طواغيت، ولن يأتوا إلا بالشر، ونعيذك من كل شر..
وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبد المنعم مصطفى حليلة

1418/3/16 هـ

أبو بصير الطرطوسي

1997/7/21 م

¹ أعجب لأخ . نود له الخير . يقول في حديث له . وهو يشرح في أحد كتب حرب العصابات المعربة والمؤسمة !! . عن كاسترو: هذا الرجل نموذجاً للقيادة الميدانية ..!! يعني تُخجل كثيراً من قيادات المسلمين ..!! هذا الرجل كان يقاتل من جيش الحكومة النظامية خمسين ألفاً، فلما أصبح عدد الجنود عنده مائة شخص .. مائة قسمها على خمسين ألف، ببطلع 500/1 واحد لخمسمائة .. قال . أي كاسترو : لما بلغ عدد الجنود عندي واحد مقابل خمسمائة، قلت أن جيوش العصابات أصبحت غير قابلة للهزيمة .. بينما تصور رب العالمين يقول: ﴿الآن خفف عنكم إن يكن منكم مائة صابرون يغلبون مائتين﴾ . يعني واحد لاثنين، والقبلها واحد لعشرة ...
تصور هاد الكافر اعتبر حالو أنو لما صاروا واحد مقابل خمسمائة، ما عاد قابلين للهزيمة .. طبعاً الحكمة ضالة المؤمن . انتهى الاقتباس من الشريط، وفي حديث الأخ إطلاقات عديدة لا تقل خطورة ومجافاة للحق عن هذه، لا مجال لمناقشتها هنا.

ومفاد هذه المقارنة الخاطئة الجائرة من الأخ . هداه الله . أن جنود كاسترو أفضل وأشجع، وأقوى في القتال من الصحابة . رضوان الله عليهم . الذين شهد الله لهم بأن الواحد منهم يقابل الاثنين من المشركين، بينما جنود كاسترو الأشاوس واحد منهم يقابل خمسمائة .. فتأمل !!

ثم نسأل الأخ: هل خلت القيادات النموذجية من تاريخنا الإسلامي الحافل بالأبطال، حتى تلتجئ للحديث عن

هذا الملحد النجس . وتستهجد به ..!!؟

أبمثل هذا النجس نُعبأً معنويات المجاهدين ..!!؟

دعاة أم طفاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

الذي حملني على خط هذه الكلمات هو أن الإسلام - إضافة إلى كيد الأعداء ومكرهم - يعاني من جهل أبنائه وطغيان كثير من دعائه⁽¹⁾، فالداعية منهم ما إن يُعرف في ميدان الدعوة، وينتابه شعور شيطاني بأنه أصبح كبيراً ورأساً وسيداً .. إلا وتتحول كثير من أخلاقه وطبائعه إلى أخلاق وطبائع الطغاة، فما كان ينكره على الطغاة بالأمس فهو يقع فيه وهو يدري أو لا يدري .. ولما يكون الداعية داعية وكبيراً في عين نفسه فقد يصعب عليه أن ينظر إلى نفسه على أنه طاغية، فضلاً عن العوام الذين يطوفون حوله أن تتجاسر عقولهم على التفكير بأن شيخهم أو زعيمهم يتصرف كطاغوت أو أنه يتصف بكثير من خصال وأخلاق الطغاة.

فلا هو يعرف نفسه على أنه طاغوت - بل لربما ينظر إلى نفسه في المرآة التي توحى إليه دائماً على أنه الداعية الأوحى الذي يمثل بقية الحق في الأمة! - ولا يوجد من ينهيه - من العوام الذين يطوفون حوله - على طغيانه وسوء أخلاقه وطبائعه، فهو لا يسمع منهم سوى عبارات التفخيم والإعجاب والإطراء، ولا يرى منهم سوى مظاهر الانحناء والتبجيل والانقياد، فيزيدونه بذلك رهقاً وطغياناً وفساداً .. فتنقلب أخلاقه وطبائعه الطاغوتية سلباً ودماراً على الدعوة التي يتكلم باسمها، وعلى الأتباع الذين حوله، الذين يرون فيه المثل والنموذج الذي يُقتدى به ..!

¹ لا يجوز أن يحمل كلامنا على عموم دعاة هذا العصر، فدعاة الحق والتوحيد والجهاد موجودون، وهم متوافرون ولله الحمد، فأمة الإسلام - على ممر العصور - لا تخلو من دعاة الحق والتوحيد، وهي بنص الحديث لا يمكن أن تجتمع على ضلالة.

وكلماتي هذه ليست همسة ألقها في الأذان، وإنما هي صيحة مدوية ألقها في وجوه الدعاة الطغاة، الجاثمين زوراً على منابر الدعوة إلى الله، عسى أن يفيقوا على أنفسهم ويعودوا إلى رشدهم وصوابهم، فهتدوا إلى الحق، ويهدي الله بهم من يشاء من عباده.

دعاة أم طفافة

لذا فقد تعينت النصيحة، وتعين البيان مهما كان مرأً أو كان صعب المذاق على أصحاب النفوس المريضة .. فالحق أحب إلى نفوسنا وهو أحق أن يتبع، والنصيحة واجبة لله ولرسوله، وللمؤمنين، وليكن بعدها ما يكون !!

ولما كانت ظاهرة طغيان الدعاة عامة بحيث لا يخلو قطر من الأقطار إلا وفيه بعض هؤلاء الدعاة الطغاة، لذا فإن مقالي هذا ليس موجهاً إلى شخص معين ولا إلى جهة بعينها، ولا إلى حزب بعينه، وإنما إلى كل من يتزي بزي الدعاة ويرتدي ثوبهم - أين كان موقعه - وهو في حقيقته يتخلق بأخلاق الطغاة الآثمين .. فالمظهر مظهر الدعاة، والأخلاق أخلاق الطغاة !!

ومظاهر طغيان الدعاة التي نعايشها ونلمسها، ونعاينها عديدة:

منها، أن يُعقد الولاء والبراء في الداعية - وهو راضٍ بذلك - فيوالون فيه ويعادون فيه؛ فيوالون من يواليه، ويعادون من يعاديه، بغض النظر عن الحق أو الباطل الذي يستدعي الولاء أو البراء، وبغض النظر هل هذا المعادى أو الموالى يستحق هذا القدر شرعاً من المعادة أو الموالاة ..!!

فالداعية هنا يكون محبوباً لذاته وشخصه لكونه الداعية فلان بغض النظر عن الحق أو الباطل الذي هو عليه .. وهذه من أبرز خصال وأخلاق الطغاة المجرمين !

قال ابن تيمية رحمه الله: من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه، ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان ا-هـ.

ومنها، عندما يكون الداعية مطاعاً لذاته لكونه الداعية فلان؛ فكل ما يصدر عنه فهو مطاع وينال القبول عند الأتباع الرعاع، ويسارعون إلى تنفيذه بغض النظر هل يوافق الحق أم لا .. وهذه من خصال وأخلاق الطغاة المجرمين الذين يطاعون لذواتهم وأشخاصهم !

ومنها، العصبية لقوله وآرائه في الحق والباطل، فيؤخذ قوله في الباطل كما يؤخذ في الحق، وينافح عنه الأتباع في الباطل، كما ينافحون عنه وهو محق وأشد .. وهذه من خصال وأخلاق الطغاة المجرمين !

دعاة أم طفاة

ومن صور هذا الطغيان والظلم أن تتحول سيئات الداعية في نظر الأتباع والمقلدين إلى حسنات ومحامد، يتسع لها التأويل والتفسير، بينما لو جاءت الحسنات من مخالفه ومعارضيه فهي تتحول في أعينهم إلى سيئات وذنوب، يساء بها الظن أو التأويل والتفسير..!!

ومنها، أن الحق لا يؤخذ ولا يقبل إلا إذا جاء عن طريقه ومنه، ولو جاء الحق عن غير طريقه فهو لا ينال القبول عند الأتباع بالقدر الذي لو جاء عن طريق شيخهم وزعيمهم، هذا إذا لم يقابله بالفتور والاستهانة والإعراض .. وهذه أيضاً من خصال وأخلاق الطفاة المجرمين، وخصال أتباعهم وجنودهم وعبيدهم !

ومنها، عندما يتحول الداعية – ولو بلسان الحال – إلى شخص لا يمكن أن يُسأل عما يفعل، أو يُحاسب أو يعقب عليه في شيء .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطفاة المجرمين !

ومنها، عندما يكون هم الداعية كيف يصرف إليه وجوه الناس، وكيف يتكئ عليهم لمأربه الشخصية كما يتكئ على أريكته .. عندما يفعل الداعية ذلك فهو يتخلق بأخلاق وخصال الطفاة المجرمين !

ومنها، عندما يعدم الإنصاف والعدل عند الداعية، بحيث تراه كثير العطاء والإنفاق والمنح على من يدخل في طاعته وموالاته وحزبه وإن لم يكن يستحق كل ذلك، بينما الذي لا يدخل في طاعته وموالاته – وإن كان من أتقى أهل الأرض ومن ذوي الحاجة – فهو لا ينال عنده شيئاً من هذا الجود والعطف والإحسان .. عندما يصبح الداعية كذلك فهو يتخلق بأخلاق وخصال الطواغيت المجرمين !

ومن صور هذا الطغيان أن الداعية الطاغية إذا لمس من الآخرين الإعجاب به وبشخصه، وطمع في دخولهم في موالاته وطاعته وحزبه، تراه يمد إليهم حبال الود والتقرب ولين الجناح، وربما الجود عليهم بالعطاء الجزيل، بينما من يلمس فيه الاستعصاء على الدخول في موالاته وطاعته، أو أنه لا يمكن أن ينضم إلى حزبه وطائفته، فهو لا يلقي منه إلا كل جفاء وعداء .. وهذه من أخلاق وخصال الطفاة المجرمين !!

ومنها، أنه لا يقبل ولا يطبق أن يرى له مخالفاً أو معارضاً فيما يقول أو يفعل، وفي حال وجد له المخالف أو المعارض فهو لا يتورع أن ينتهك حرماته، أو ينزل به وبساحته – زوراً ومهتاناً - كل نقيصة ومشينة .. وهذه من خصال وأخلاق الطفاة المجرمين !

ومنها، ممارسة الإرهاب الفكري وربما الجسدي - من خلال اتباع سياسة الحرق والتشويه لما يمكن أن يشيعوه من أباطيل كاذبة بين الناس - على كل من تتجاسر نفسه على المخالفة أو النقد، وإبداء النصيحة .. عندما يفعل الداعية ذلك ويرضى لنفسه هذا الخلق المشين الدنيء فهو يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !!

ومنها، عدم إنصاف الحق من نفسه؛ بحيث لو جاء الحق مخالفاً لهواه ومصالحه الشخصية تراه بكل ما أوتي من علم وقوة حجة وبيان، يرد الحق وينتصر لهواه وباطله ونفسه، حتى لا يمكن للحق أن ينتصف منه .. عندما يصير الداعية كذلك فهو يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !!

ومنها، عندما يصل الداعية إلى درجة الإعجاب بنفسه وتقديس آرائه وعقله، واحتقار وازدراء كل من يخالفه ويباينه بقول أو فهم، فهو إن نظر إلى الآخرين تراه ينظر إليهم نظرة المتكبر المستعلي .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !

ومنها، عندما يتحول الداعية إلى ظهير للمجرمين المشركين على أهل القبلة والتوحيد، ويوالي الطواغيت على أهل الجهاد في سبيل الله .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !

ومنها، عندما يصبح الداعية بوقاً يدافع عن الطغاة المجرمين، لا هم له سوى كيف يزين حالهم وصورتهم في أعين الناس .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !!

ومنها، عندما يتجرأ الداعية على التحليل والتحرير وإصدار الفتاوى بغير سلطان من الله .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !

ومنها، كذلك عندما يتحول إلى داعية إلى الشرك، كحال الذين ينتصرون للديمقراطية والدماساير الوضعية الشركية، وغيرها من المفاهيم الباطلة .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !

ومنها، عندما لا يتخلق الداعية بأخلاق هذا الدين، ولا يلتزم في نفسه وسلوكه شرائعه وأدابه ..

فهو بذلك يكون شرقدوة لشر مقلد ومتبع .. وهذه من خصال وأخلاق الطغاة المجرمين !

ومنها، أن ينظر الداعية إلى مصالح الأمة من خلال مصلحته ومصالحه طائفته أو حزبه؛ فإن سلم هو وحزبه من الشر والأذى فقد تحققت المصلحة عنده وإن كانت الأمة تعيش حالات من القهر والتعذيب والفقر والجوع .. فالأمة هو، وهو الأمة .. عندما يصبح الداعية بهذه الأنانية القاتلة - وما أكثرهم في

دعاة أم طغاة

زماننا – فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين الذين لا يحبون إلا أنفسهم، ولا يكثرثون إلا لمصالحهم وذواتهم !

ومنها، عندما يعيش الداعية لنفسه، يأخذ ولا يعطي، ولو أعطى فهو يعطي ليأخذ ويقطف الثمار في الدنيا أضعاف ما أعطى .. لا هم له إلا كيف يبني أمجاده وطموحاته الشخصية ولو كان ذلك على حساب أمن ومصالح المسلمين .. عندما يصبح الداعية كذلك، فهو يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !!

ومنها، عندما يحب الداعية لنفسه ألقاب التفخيم والتبجيل والتعظيم .. وينتظر على عمله من الآخرين عبارات الثناء والمدح والإطراء، فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !

ومنها، عندما يتعامل الداعية مع طائفته أو جماعته على مبدأ "انصر أخاك ظالماً ومظلوماً"، فينصرهم ظالمين كما ينصرهم مظلومين لكونهم من طائفته أو حزبه وجماعته .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !!

ومنها، عندما يُعدم الداعية الشعور الصادق بالرحمة والعطف على العباد، وبخاصة المستضعفين منهم .. فإنه بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين الظالمين !

ومنها، عندما يُعمل الداعية السيف والقتل في الأمة لشبهات واهية، كانت متعلق الخوارج الغلاة من قبل .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطواغيت المجرمين !

وما أكثر هؤلاء الغلاة الذين ينتهكون حرمة العباد بالشبهات والظنون، وبمتعلقات لم يتعلق بها أسيادهم الخوارج من قبل .. كل ذلك يتم باسم الدين والعلم !!

ومنها، عندما يتبع الداعية أساليب المكر والخداع والكذب لتمرير باطله وإقناع الجماهير الضالة بما هو عليه من باطل .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !

ومنها، عندما تكون الغاية – عند الداعية - تبرر فعل الوسيلة الباطلة .. فهو بذلك يتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين !

دعاة أم طغاة

ومنها، عندما تُحوّل سيئات الداعية – في نظر نفسه وأتباعه – إلى حسنات، يتسع لها التفسير والتأويل الحسن، بينما تُحوّل حسنات مخالفه – لمجرد كونهم يخالفونه – إلى سيئات يُساء بها الظن والتفسير.. عندما يكون الداعية كذلك فهو يتحلى ويتخلق بأخلاق وخصال الطغاة المجرمين!

هذه أبرز خصال الظلم والطغيان التي يتخلق بها كثير من دعاة هذا العصر وبشكل متفاوت ومتباين بين داعية وآخر، وبالتالي لا يلوموا إلا أنفسهم لو خاض فهم الخائضون، وتكلم عليهم المتكلمون، فالناس – يا طغاة الدعاة - يغلب على أحاديثهم طغيان طغاة الحكم والكفر، وطغيان طغاة الدعاة..!! فهلاً عدتم إلى رشدكم واتقيتم ربكم ﷻ فيما حملكم من أمانة العلم .. هلاً حاسبتم أنفسكم قبل أن تحاسبوا .. هلاً اتقيتم الله تعالى في أنفسكم وفيمن يتبعونكم ويقلدونكم من العباد .. هلاً أقلعتم عن ظلمكم وطغيانكم .. هلاً اتقيتم الله في أمة الإسلام!؟؟

أما أنت أيها القارئ فلا تعجب – بعد أن عرفت أخلاق وصفات طغاة الدعاة – لو قيل لك عن سبب تأخر أمة الإسلام بعد أن كانت أول الأمم تقدماً وعزة وقوة بتمسكها بتعاليم وأخلاق هذا الدين العظيم!؟..

لا تعجب – بعد أن عرفت أخلاق طغاة الدعاة – لو قيل لك عن سبب تأخر النصر عن هذه الأمة .. وسبب تسلط الأعداء على البلاد والعباد!؟..

تأمل لو تحقق نصر جزئي لأمة الإسلام عن طريق طغاة الدعاة هؤلاء .. كم هي المجازم والمظالم التي سترتكب باسم الانتصار لهذا الدين، وفي حقيقة الأمر ما هو إلا انتصار لأهواء وطغيان طغاة الدعاة هؤلاء!؟..

تأمل الدماء التي ستسيل غدراً .. تأمل الحرمات التي ستنتهك .. تأمل السجون التي ستمتلئ بالمظلومين .. كل ذلك من أجل إشباع رغبات ونزوات وأهواء طغاة الدعاة، وإن كانوا سيلبسونها زوراً ثوب الدين، والانتصار للدين!؟..

نحن في مرحلة الاستضعاف والتشرد والمطاردة – والكل مستهدف من طواغيت الكفر والحكم – ومع ذلك لا نرحم بعضنا بعضاً، ولا نراعي حرمات بعضنا بعضاً .. الكل ساخط على الكل .. والكل يلعن الكل .. والكل يريد أن ينتقم من الكل .. والكل يتهدد ويتوعد الكل .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!؟؟

دعاة أم طفاة

إذا كنا في مرحلة الاستضعاف كذلك .. فكيف الحال بعد التمكين والقوة ..؟!؟

لذا - يا أخا الإسلام - لا تستعجلن على الله تعالى النصر، فالله تعالى أعلم أين ومتى وعلى من

ينزل النصر.. فنصر الله تعالى له أسبابه وشروطه، يتحقق باستيفائها، وينتفي بانتفائها.

ونصيحتنا لك: أن تجتنب جميع مظاهر الشرك والعبودية للمخلوق أيّاً كان هذا المخلوق، وأن

تحذر لدينك ونفسك من أن تدخل في عبادة طفاة الدعاة - وأنت لا تشعر - أشد مما تحذر أن تدخل في

عبادة طفاة الحكم والجور؛ لأن عبادة طفاة الدعاة تأتي غالباً باسم الدين، وباسم الدفاع عن الدين ..

فهي من هذا الوجه أدق وأخفى على الأنفس من عبادة طواغيت الحكم والفجور ذوي الكفر البواح،

الذين لا يخفى كفرهم وطغيانهم إلا على كل أعمى البصر والبصيرة ..!

ثم اعلم أن عبادة المخلوق - ولو بوجه من الوجوه - شرك وخروج من الدين، سواء كان هذا

المعبود من طفاة الدعاة أم من طفاة الحكم والجور ..

نسأل الله تعالى البراء من جميع مظاهر الشرك والطغيان ما ظهر منها وما بطن، وأن يلهمنا الكفر

بجميع الطغاة الأثمين؛ طفاة الدعاة والحكم سواء .. وأن يعز دينه وينصره بعباد يحبهم ويحبونه، يوالون

فيه ويعادون فيه، أذلة على المؤمنين الموحدين، أعزة على المشركين الكافرين، يجاهدون - حق الجهاد

- في سبيل الله وحده، وإعلاء كلمته في الأرض كل الأرض، ولا يخشون في الله لومة لائم ..

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلةٍ على

المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمٍ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

والله واسع عليم﴾ المائدة: 54.

وصلى الله على نبينا وقائدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1420/8/28 هـ.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1999/12/06 م

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

فاعلم أن الله تعالى منزه عن العيب وعن كل ما هو مشين، فحاشاه أن يخلق الإنسان عبثاً من غير هدف ولا غاية، أو رسالة تحدد له معالم الطريق الذي يتعين عليه أن يسلكه في حياته الدنيا من غير اعوجاج عنه أو التفات إلى غيره من الطرق والسبل، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون: 115-116. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: 153.

ولما ضل أكثر الناس عن الغاية التي لأجلها خلقهم الله تعالى في هذا الوجود، ورضوا لأنفسهم غايات وضيعة تابها الدواب والبهائم فضلاً عن ذوي النفوس السوية، أسماها عندهم إشباع الغرائز والشهوات بطريقة بهيمية بعيداً عن هدي الله وشرعه..

وفي المقابل تعدد الآلهة المزيفة المكذوبة التي تستشرف خصائص الإلهية، يمكرون في الليل والنهار، إذ يأمرون الناس بعبادتهم وطاعتهم من دون الله!..

رعاع ترتع في الشرك وحول الشرك، ثم يحسبون أنهم على شيء، وأوثان من حجر وبشر تُعبد من دون الله، زاعمة لنفسها الحق في كل ذلك!..

فلما كان الأمر بهذا الاتساع من الضياع والشرود والطغيان عن الهداية والطاعة لرب العباد تعين علينا البيان والتذكير منذرين القوم شؤم ما هم عليه، لعلهم يتذكرون أو يرجعون، والله تعالى وحده الهادي إلى سواء السبيل.

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاء

أقول: إن غاية الغايات التي لأجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنة والنار، وشرع الجهاد والقتال، والسلم والحرب، وعلّمها يعقد الولاء والبراء، والحب والكره، وفيها نجتمع ونفارق، ونهاجر أو نقيم، وفي سبيلها يرخص كل غالٍ ونفيس ..

إنها الغاية التي ترخص في سبيلها كل الغايات والمقاصد، إنها توحيد الله تعالى، وإفراده سبحانه وحده بالعبادة دون أحد سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: 56. أي ما خلقت الجن والإنس لشيء إلا لعبادتي، فليس لهم غاية في الوجود بل ولا عمل يشتغلون به إلا عبادة الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة: 5. أي ما أمروا بشيء من التكليف في هذا الوجود إلا بعبادة الله تعالى وحده، فالنفي الذي يتبعه استثناء ثم إثبات يفيد قمة الحصر والقصر أي هم مقصورين على العبادة وخلقوا لأجلها لا يجوز لهم الانشغال عنها بأي شاغل، وهذا هو الدين القيم الذي يعلو ولا يُعلى عليه، والذي يجب اتباعه والدخول فيه.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة: 31. أي لا مألوه ولا معبود بحق في الوجود إلا الله، ﷻ عما يشركون في عبادة غيره من الطواغيت والآلهة المزعومة، فالمعبود بحق هو الله ﷻ، وهم لم يؤمروا إلا بعبادته، ومع ذلك تراهم ينصرفون. وكأن عقولهم وأبصارهم قد طُمست وتعطلت مهامها. إلى المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله، فيعبودونه من دون الله ويقدمون له فروض الطاعة والولاء، والتذلل والخضوع ..!

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: 36. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: 25. فالآيات تفيد حصر مهمة الرسل في الدعوة لهذا الأصل العظيم، فليست لهم مهمة في هذه الحياة سوى بيان هذا الأصل ودعوة الناس إليه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهكذا ينبغي أن تكون مهمة الدعاء والمصلحين من بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يشغلهم عنها شاغل، ولا يصرفهم عنها صارف حتى يُعطوا عليها إجابة صريحة من الناس كل الناس قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاء

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿33﴾ فصلت: 33. والدعوة إلى الله تعالى تكون بالدعوة إلى توحيده وعبادته..

وإذا كان المرء قد خلق للعبادة وليس لشيء آخر، فما هي العبادة التي يريدها الشارع منه، أي عبادة التنسك والركوع والسجود فقط، أم هي عبادة ساعة وما سواها من الساعات لنفسك أو هي لغير الله، أم غير ذلك؟!..

أقول: العبادة التي يريدها الشارع من العباد. والتي تدل عليها النصوص الشرعية. هي العبادة الشاملة لجميع المساحة الزمنية والعملية التي يعيشها الإنسان في حياته، وهي شاملة كذلك. كما يقول شيخ الإسلام. لجميع ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة: عبادته سبحانه وتعالى في الركوع والسجود، عبادته في الخضوع والتذلل والانقياد الظاهر والباطن، وعبادته في الصوم والحج والندو والتنسك، وعبادته في الحب والكراهة، والموالة والمعاداة، وعبادته في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبادته في الدعاء والإنابة والخوف والرجاء، وفي الخشية والتوكل، وفي الطاعة والانقياد، والاتباع والحكم والتحاكم، وغيرها من الأمور الواجبة والمستحبة شرعاً، حتى نومه واستيقاظه، وطعامه وشرابه، ولهوه مع أهله وأطفاله. إن تقدمته النية الحسنة. فهو عبادة لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام: 162-163.

فالعبادة المفروضة على العباد لم تقتصر على الصلاة والتنسك وحسب. كما يصور ذلك بعض الوعاظ. بل هي تمتد لتشمل جميع مناحي الحياة ومجالاتها، وحركاتها وسكناتها، حتى آخر رفق من الحياة الذي يختم بالموت يجب أن يكون في سبيل الله وحده، وعبادة خالصة لوجهه الكريم، وليس في سبيل الوطن أو الزعيم أو الطاغوت ..

ومتى صرف المرء شيئاً من معاني العبادة ومجالاتها الواسعة. الأنفة الذكر. لغير الله تعالى فقد تحقق الشرك، وحبط العمل، وتحققت عبادة الطاغوت من دون الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: 88.

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاة

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يس: 60.

وعبادة الشيطان هنا تكمن في طاعته على الكفر والشرك، أو عبادته لذاته لأنه الشيطان حتى يصرف عنهم شره وشر أتباعه كما يعتقدون ويظنون⁽¹⁾.

قال ابن حزم في الأحكام (93/1): العباداة إنما هي الاتباع والانقياد مأخوذة من العبودية، وإنما يعبد المرء من ينقاد له ومن يتبع أمره، وأما من يعصي ويخالف فليس عابداً له وهو كاذب في ادعائه أنه يعبده. انتهى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ

لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾

محمد: 25-26. فعلى كفرهم ومفارقتهم للإيمان بسبب أنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر؛ أي أنهم كفروا بسبب عبادتهم لطواغيت الكفر من جهة الطاعة ولو في بعض الأمر مما يضاهي شرع الله، لأن الكفر والشرك لا يُطلق في الكتاب والسنة إلا لنوع عبادة تُصرف لغير الله ﷻ، وهذه قاعدة مطردة لا تكاد تتخلف أبداً، وهي: [أن الشرك لا يُطلق في النصوص الشرعية إلا لنوع عبادة تُصرف لغير الله تعالى]⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

الأنعام: 121. أي إن عبدتموهم من جهة طاعتكم لهم في استحلال أكل الميتة بعد أن حرمها الله، إنكم لمشركون بعبادتكم إياهم من دون الله.

¹ عدد الذين يعبدون الشياطين لذواتهم كما جاءت في ذلك بعض الإحصائيات ما يزيد على (270) مليون، ويسمون بالأرواحية. وعدد الهندوسية عبدة البقر والأوثان ما يزيد على (732) مليون. وعبدة بوذا ما يزيد على (580) مليون. وعدد كفار اليهود والنصارى ما يزيد على المليار نسمة، أضف إليهم اللادينين، وكفار الزنادقة والعلمانيين ممن ينتسبون إلى أهل القبلة..فإن أدركت ذلك أدركت حجم التقصير الذي يقع به علماء ودعاة الأمة، كما تدرك ثقل وضخامة المهمة التي تقع على كاهل دعاة التوحيد.

² وكذلك لو أطلقت كلمة الكفر، أو كلمة الردة، أو أي عبارة تفيد انتفاء مطلق الإيمان والخروج من الملة، فإنها تكون بسبب. كما تدل على. صرف نوعٍ من أنواع العبادة لغير الله تعالى، وهذه قاعدة مطردة نرجو أن نتاح لنا الفرصة لمناقشتها وشرحها وبيان أدلتها بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاء

وكذلك قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: 31.

قال البغوي في التفسير (285/3): فإن قيل إنهم لم يعبدوا الأحرار. بمعنى الركوع والسجود. قلنا:

معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا، فاتخذوهم كالآرباب. انتهى.

قلت: ومثيل الأحرار والرهبان في زماننا أعضاء مجالس الشعب والنواب الذين يستشرفون مهمة

التشريع والتحليل والتحرير بغير سلطان من الله، ومع ذلك فالشعوب يعترفون لهم بهذه الخاصية، ولا

يتخرجون أن يتخذوهم آرباباً مطاعين من دون الله.

ومن العبادة التي تُصرف لغير الله ﷻ كذلك محبة المخلوق لذاته، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ

النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ البقرة: 165. أي

أحبوهم لذواتهم كما يُحب الله لذاته، وعقدوا الموالات والمعاداة فيهم ولأجلهم، فعبدوهم بذلك واتخذوهم

أنداداً وشركاء مع الله ﷻ.

قال ابن تيمية في الفتاوى (607-267/10): لا يجوز أن يُحب شيء من الموجودات لذاته إلا هو

سبحانه وبحمده، فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يُحب لغيره لا لذاته، والرب تعالى هو الذي يجب

أن يُحب لنفسه، وهذا من معاني إلهيته ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، فإن محبة الشيء لذاته

شرك فلا يُحب لذاته إلا الله، فإن ذلك من خصائص إلهيته، فلا يستحق ذلك إلا الله وحده، وكل محبوب

سواه لم يُحب لأجله فمحبته فاسدة ..

فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه وإن خالف أمر الله ورسوله فقد

جعله نداً، وربما صنع به كما تصنع النصراني بالمسيح، فهذا من الشرك الذي يدخل أصحابه في قوله

تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ انتهى.

قلت: ومن يتأمل مظاهر الشرك السائدة بين الناس يجد أكثرها تأتي من جهة المحبة والطاعة،

وشاهدنا مما تقدم أن ندلل على أن العبادة أوسع من أن تحصر في معنى النسك أو الركوع والسجود

وحسب، وليس تتبع كل ما يدخل في معنى ومسمى العبادة، فهذا له موضع آخر.

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاء

ونود الإشارة كذلك إلى أن للعبادة شروط لا تقبل إلا بعد استيفائها، منها . إضافة إلى شرطي الإخلاص والمتابعة . شرط الكفر بالطاغوت، وهو كل ما عُبد . ورضي بذلك . من دون الله، ولو بوجه من أوجه العبادة.

فإن كان المعبود نبياً أو ملكاً أو رجلاً صالحاً، تعين الكفر بعبادته وبعابديه حتى يؤمنوا بالله وحده لا شريك له، كما قال تعالى عن إبراهيم ومن آمن معه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ الممتحنة: 4.

أما ما يدل على صحة شرط الكفر بالطاغوت، شهادة التوحيد ذاتها "لا إله إلا الله" حيث تتضمن في الشرط الأول منها "لا إله" جانب النفي والكفر بمطلق الآلهة التي تعبد من دون الله، ثم يأتي الإثبات في الشرط الثاني منها "إلا الله" الذي يدل على أن المعبود بحق في الوجود هو الله وحده ﷻ لا شريك له. وهذا يظهر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ البقرة: 256. أي من كفر بالطاغوت اعتقاداً وقولاً وعملاً، وآمن بالله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً فقد استمسك بالعروة الوثقى؛ وهي شهادة التوحيد ..

أما من آمن بالله تعالى ولم يتقدم إيمانه كفر بالطاغوت لا يكون قد استمسك بالعروة الوثقى، وهو مثله مثل من يأتي بالتوحيد والشرك، وبالشيء وضده في آنٍ معاً، والنبي ﷺ يقول: "لا يجتمع إيمان وكفر في قلب امرئ".

وأخرج مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله". مفهوم المخالفة يقتضي أن من قال لا إله إلا الله لكنه لم يكفر بما عُبد من دون الله لا يكون معصوم الدم والمال، وليس هو من أهل القبلة فضلاً عن أن تُقبل أعماله التعبدية ..

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فقوله "وكفر بما يعبد من دون الله" تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله، واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت. انتهى.

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاة

واعلم أن الشرك . شر كبير لا يعلوه شر وظلم . يحبط جميع الأعمال الصالحة ويدمرها تدميراً كأنها لم تكن من قبل، وهو سد منيع يمنع من قبول الأعمال وصعودها إلى السماء، كما أنه لا تقاومه ولا تعلوه حسنة . بما في ذلك التوحيد . إلا التوبة الصادقة وإعلان البراءة منه، فإن التوبة تجب ما قبلها بما في ذلك الشرك والكفر ..

وبعد، فإننا نتساءل:

. من المعبود في زماننا عند كثير من الناس، وفي كثير من الأمصار..؟!!

. من المطاع لذاته، وفي كل ما يصدر عنه ..؟!!

. من المحبوب لذاته الذي يُعقد فيه الولاء والبراء، والسلم والحرب (1) ..؟!!

. من الذي يحكم ويشرع للعباد والبلاد ..؟!!

. من الذي يسأل ولا يُسأل، ولا يُعقب عليه في شيء ..؟!!

. إلى من تُرد النزاعات والخصومات ..؟!!

. من الذي يُخشى ويُخاف ..؟!!

وغيرها كثير من التساؤلات، نجد أن الإجابة عليها عند أكثر الناس . وللأسف الشديد . هو

الطاغوت (2) !!..

¹ من الأيمان والأقسام التي يقسم بها جند الطاغوت في كثير من البلدان والأمصار المسماة زوراً بالإسلامية: نقسم بالله العظيم، أن نعادي من يعادي الوطن، ونسالم من يسالم الوطن ..! وذلك بغض النظر عن دين وعقيدة وخلق من يعادي أو يسالم الوطن، والسبب الذي دعاه إلى مسالمة أو معاداة الوطن..! وهم في الغالب يريدون من الوطن قائد الوطن، فمن عادى قائد الوطن ناصبوه العدا، ومن سالم قائد الوطن سالموه..!!!

² من الطواغيت التي تُعبد من دون الله تعالى، وفي كثير من مجالات العبادة: الهوى، والساحر، والكاهن، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمشرع من دون الله تعالى، والتشريع ذاته ومنها الدساتير والقوانين الوضعية، والمحبوب لذاته من دون الله تعالى، وكذلك المطاع لذاته من دون الله، والوطن والوطنية في بعض صورها ومفاهيمها الوثنية الشركية، وكذلك القومية التي تعقد الولاء والبراء والحقوق والواجبات على أساس الانتماء القومي، وكذلك الإنسانية، والشعب والأكثرية في بعض صورها وكما تريدها الديمقراطية، والمجالس النيابية أو مجالس الشعب التي تدعي لنفسها خاصية التشريع من دون الله، ومجلس الأمم المتحدة الطاغوت الأكبر، وكذلك أمريكا راعية الكفر والإرهاب الدوليين التي لا يُرد لها في

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاة

فهم يعبدون الطاغوت في كل ما تقدم، وفي غيرها من معاني العبادة ومجالاتها، من دون أن يجدوا

حرجاً، أو من ينكر عليهم كفرهم وشركهم وعبادتهم لغير الله تعالى !!..

يكفهم أنهم يصلون ويصومون لله رب العالمين، وليعبدوا بعد ذلك في المجالات الأخرى للعبادة ما

شاءوا من الطواغيت !!..

صدق الله العظيم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يوسف: 106.

وقال تعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الإسراء: 89.

والسؤال: أين غالب الدعاة من هذا الكم الهائل من الشرك والطغيان !!؟!

أين هم من عبادة المخلوق للمخلوق !!؟!

أين هم من كل هؤلاء الطواغيت، الذين تعج بهم الساحة إلى حدِّ الاختناق، الذين يستشرفون .

بكل وقاحة . خصائص الإلهية لأنفسهم من دون الله !!؟!

أين هم من التوحيد حق الله تعالى على العباد، والذي لا يُقبل من دونه عمل ولا دين !!؟!

أين هم من واجب البيان والصدق بالحق في وجوه الطواغيت الجاثمين بالقهر والإرهاب على

مقدرات البلاد والعباد !!؟!

أم فاتهم . وهم العلماء الفقهاء . أن الساكت عن الحق شيطان أحرس، وأنه يوم القيامة يُلجم

بلجامٍ من نار !!؟!

أين هم من كل ذلك !!؟!

والجواب: يأتي مخيباً للأمال، مورثاً للإشفاق والحزن على مصير هذه الأمة المنكوبة المبتلاة

بطواغيت الجور والكفر من جهة، وعلماء السوء والضلال من جهة أخرى !!..

الباطل طلب وأمر، وكذلك الأحزاب في بعض صورها وحالاتها، وكذلك المشايخ وزعماء القبائل والعشائر في بعض

الصور والممارسات، وكذلك الأحرار والرهبان ومن كان على شاكلتهم ووصفهم من الطغيان .. وغيرهم كثير من الطواغيت

ممن يعبدون من دون الله، يعرف ذلك من عرف التوحيد على حقيقته، وأنار الله بصيرته بنور الإيمان.

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاة

لم يعد يُلقَهم منظر الطواغيت وهي تُعبد من دون الله تعالى، ولم يعد يثير حفيظتهم علو الشرك وانتشاره بكل ضروبه وأنواعه !!

ألفوا المنكر حتى استساغوه واستعذبوه، واستساغوا العيش معه، بل وجدنا منهم من يفتي به على المملأ وعلى شاشات التلفاز، تحت ذريعة إحياء فقه التيسير وجلب المصالح، وأنه واقع لا بد منه .. وهو في حقيقته إحياء لفقه التفلت والتحرر من قيود وواجبات هذا الدين !!

وبعضاً منهم من يصور الحديث عن التوحيد حق الله تعالى على العباد، والذي يتضمن الكفر بالطاغوت، بأنه فتنة ينبغي اجتنابها، وعدم تعريض شباب الصحوة لها.. ولا أدري أي صحوة وأي شباب يريدون من دون التوحيد الذي يكسب الأمة المنعة والقوة ضد كل ما يتهدها من خطوب وأخطار؟! لذا لا غرابة لو رأيت أكثر شباب الصحوة هؤلاء يعبدون الله على حرف، فإذا أصابتهم مصيبة في الله انقلبوا على أعقابهم، خسروا الدنيا والآخرة !!

وبعضاً منهم .رغبة أو رهبة .تراه يعتكف العمر على تدريس الناس الفقه والرقائق، وأن الله غفور رحيم، مع علمه أن أكثر من يدرسهم واقعون .ولو بوجه من الوجوه .بالشرك وعبادة الطاغوت من دون الله!!

فليس من مناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله الانشغال بالفروع وتشعب المسائل قبل بيان أصل الأصول الذي لا يصح عمل ولا يقوم بناء صحيح من دونه، ألا وهو التوحيد حق الله على العباد .. وهذا المستفاد من توجيه النبي ﷺ لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن وأمره بأن يدعو الناس أولاً إلى التوحيد وعبادة الله قبل أن يدعوهم إلى أي ركن آخر من أركان هذا الدين.

وفي الأثر الصحيح عن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فإزددنا به إيماناً.

وبعضاً منهم يتكلم عن العقيدة والتوحيد، ولكن بطريقة منقوصة وملتوية، تخدم الطواغيت وتبرر لهم كثيراً من الكفر والفجور والإجرام، تحت ذريعة أن ولي الأمر له حقوق السمع والطاعة، وأن ما يجوز له لا يجوز لغيره، وأنه فوق المساءلة أو المحاسبة !!

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاة

وبعضاً منهم تراه مشغولاً طيلة حياته في المجادلات السياسية، والتحليلات والتقسيمات قبل أن يتمكن عنده التوحيد، وقبل أن يعيه، فيضل ويُضِل، ثم بعد ذلك يحسب نفسه أنه على شيء..!

وفريقاً آخر تراهم مشغولين بالطرق الشركية الباطلة عن التوحيد. لنصرة الدعوة كما زعموا!!

.مزينين لها ومروجين، كتبهم لطريق الديمقراطية الكافرة، ولوجههم في العمل النيابي التشريعي...!!

رضوا بالفُتات اليسير الذي يُرمى إليهم من قبل الطواغيت، فتعاضم في أعينهم وشُغلوا به عن قضية الدين كله، حتى ظنوا أنه النصر والظفر الذي لا يعلوه نصر ولا ظفر..

طرحوا كل شيء. يهون طرحه وسماعه. على مسمع الطاغوت، إلا قضية من المعبود بحق في الوجود الله أم الطاغوت..؟! إلا مساءلة الطاغوت أنت عبد أم إله، فإنهم لم يسمعهوا إياها، ولم يطرحوها عليه، ولم تكن من أولويات برامجهم المليئة بالرياء والوعود الخيالية الكاذبة..؟! وفي هذا يقول سيد رحمه الله في الظلال (1034/2): بينما الطيبون السذج من المسلمين يروحون يشتغلون في سذاجة بلهاء. من تأخذه الحمية للدين منهم وللأخلاق. بالتنبيه إلى مخالفات صغيرة، ومنكرات صغيرة، ويحسبون أنهم أدوا واجبهم كاملاً بهذه الصيحات الخافتة، بينما الدين كله يُسحق سحقاً ويُدمر من أساسه، وبينما سلطان الله يغتصبه المغتصبون، وبينما الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به هو الذي يحكم حياة الناس جملة وتفصيلاً. انتهى. ومن دون أن تسمع لهم صوتاً أو همساً..! فشُغلوا. رهبة أو رغبة. بكل شاغل تُعدم فائدته أو تقل ليس له تبعات ترد عليهم من قبل الطاغوت، عن غاية الغايات، وأصل الأصول، حق الله على العباد...!!

لذا فإننا نؤكد للمرة الثانية، والثالثة.. والعاشر: أن قضية الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، قضية التوحيد بشموليته وكل أقسامه، كانت. ولا تزال. الهم الأكبر، والغاية العظمى للأنبياء والرسل، والعلماء العاملين من بعدهم، لا يصرفهم عنها صارف، ولا يشغلهم عنها شاغل، ولم تكن تقبل عندهم المساومة أو التأخير، أو يرضوا فيها بأنصاف الحلول وأرباعه، فإما استسلام وخضوع وعبودية مطلقة لله رب العالمين، وهو الإيمان والإسلام، وإما عبودية للطاغوت. ولو في وجه من أوجه العبادة. وهو الكفر والشرك والمروق من دائرة الدين الحق إلى دين الطاغوت..

لذا كانت قضية لأجلها تُسل السيوف، وتبعث البعث، وتُجهز الجيوش، ويُعلن الحرب والسلم، وعليها يُعقد الولاء والبراء، وفي سبيلها تُبذل المهج والأرواح، ويرخص كل غالٍ ونفيس.. فإنها. بحق. قضية

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاة

لا بد أن تُحسم أولاً وبكل وضوح مع الطواغيت كل الطواغيت: من المعبود بحق في الوجود، هم أم الله الواحد القهار؟!

فهي مسألة . عندنا . لا يمكن تجاوزها ولو استغرق ذلك الدهر كله، وإن تخلى عنا جميع الناس، ورمانا قومنا عن قوسي واحدة، فالله تعالى خير مؤنس، ورفيق، ومعين ..والله خير وأبقى.

كما أننا لا نقبل الانشغال عنها بأي مسألة أخرى مهما عظمت أهميتها وعلا قدرها، قبل أن نُعطى عليها إجابة صريحة صادقة من الناس كل الناس، حكماً ومحكومين، من المعبود بحق في الوجود، أربابهم الهزيمة المتعددة أم الله الواحد القهار؟!

نراهم يتماجدون . بكل وقاحة . بمعبوداتهم وألتهم المتعددة والمهترنة الضعيفة، فعلام . يا قوم . تعبدون الله الحق على استحياء ووجل، وتخافون أن تُنسبوا إلى التوحيد وأهله، وكان الأجدر بكم أن تفتخروا وتعزوا بمعبودكم الخالق ﷻ الذي تفرد بأسمائه الحسنى، وصفاته العظمى والعليا، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: 8.

وإلى دعاة المصالح، والتجميع، والتقميش ..

إلى طلاب الخلافة، الذين يعملون للاستخلاف والتمكين نقول: إن لم تحققوا التوحيد . الذي من أركانه وشروطه الكفر بالطاغوت . في أنفسكم أولاً، ثم في جماعاتكم وأحزابكم، وأهاليكم، وفي واقع حياتكم، وتجعلوه همكم الأكبر، وعلى رأس الأولويات والأهداف .. فاعلموا أن سعيكم إلى وبار لا طائل منه ولا فائدة، وهو كالركض وراء السراب، إلى جانب كونه مخالفاً لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله (1).

¹ من العناية بفريضة الدعوة إلى التوحيد، نشر الدعوة في كل مكان، وحيثما يحل ويقيم الداعية إلى الله، وإيصالها إلى جميع الناس بلا تفریق، فهذا الدين هو دين الله للجميع وليس لأناس دون أناس، والنبي ﷺ إذ بُعث بُعث للناس كافة، وليس إلى قوم دون قوم، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾

وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء: 107. وقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ آل عمران: 64.

وفي الحديث الذي يرويه مسلم، قال ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت إلا كان من أصحاب النار".

والنصوص الشرعية كثيرة التي تدل على وجوب تبليغ الدعوة إلى اليهود والنصارى وغيرهم من الشعوب والملل، وهذا أمر بدهي لا خلاف عليه وهو من مسلمات هذا الدين، ما كنا لنشير إليه أو نذكر به لولا أننا وجدنا شريحة من الناس ممن يعيشون في بلاد الغرب ضاقت بهم طبائعهم وأخلاقهم السيئة، فمنعتهم من دعوة النصارى وغيرهم من الكفار إلى دين الله تعالى، متذرعين بحقي أرادوا به ستر عيوبهم وأخلاقهم المشينة، حيث زعموا أن من لوازم دعوة الكفار إلى الإسلام إظهار نوع من البر والإحسان، وحسن الجوار وغير ذلك من الأخلاق الحميدة التي جاء بها شرعنا، وهذا يتنافى في زعمهم . مع ما يجب على المسلم من إظهار للعداوة والبغضاء، والبراء من الكفار وما عليه من الدين الباطل !!
وهؤلاء إلى جانب خطأهم في تعطيل الدعوة إلى توحيد الله، وحصرها في أناس دون أناس، يظنون وجود التعارض والتضاد بين ما يجب على المسلم من إظهار للأخلاق الإسلامية الحميدة التي يوجبها الشرع؛ كالصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وإظهار العفة، وغير ذلك من الأخلاق الإسلامية التي يجب أن يتصف بها الداعية إلى الله، وبين ما يجب على المسلم من المعاداة والمفاصلة للكفار ولدينهم الباطل، وظنوا أن من لوازم كل منهما انتفاء الآخر، وهذا خطأ ظاهر !!

هذا في حال حسنا الظن بما يقولون. ولكن الحقيقة أنهم لا يستطيعون أن يجمعوا في أنفسهم رغبتين في آنٍ واحد، رغبة في السطو، وحب الغدر، وانتهاك الحرمات بغير وجه حق، ورغبة في إظهار الأخلاق الحميدة التي ترغب الآخرين بهذا الدين، ولما عجزوا عن ذلك قدموا وآثروا الأولى على الثانية، وفاتهم قول النبي ﷺ لعلي: "لئن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم".

ولهؤلاء نقول: عندما أمر الله تعالى بإجارة الكفار والمشركين . إن طلبوا الجوار . حتى يسمعوا كلام الله وتبلغهم دعوة التوحيد . لم يفهم من ذلك الصحابة . رضوان الله تعالى عنهم . التعارض مع ما يجب عليهم من البراء والمعاداة للكافرين . مع علمهم بما يكتنفه مفهوم الجوار من إحسان ورعاية وحماية تعطى للمستجير ..

والنبي ﷺ لم يكن موالياً للكفار المشركين عندما كان يحافظ على أماناتهم التي أودعوها عنده، في الوقت الذي كان يلقي منهم كل حرب وعداء، حتى لقبوه وهم خصومه وأعداؤه بالصادق الأمين ..

والنبي ﷺ هو القائل والأمر أمته: "أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك".

عندما قال النبي ﷺ: "من قتل رجلاً من أهل الذمة، لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً"، وعندما قال ﷺ: "من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها"، لم يكن ﷺ يدافع عن الكفار والمشركين، ولا محباً لهم. وإنما كان يظهر أخلاق هذا الدين، وكان يريد أن يربي أصحابه على قيمة وقدسسية الوفاء بالعهد ولو كان ذلك مع العدو الكافر ..

عندما أنصف عمر بن الخطاب ؓ ذاك الذمي النصراني من ابن الأمير المسلم عمرو بن العاص، لم يكن عمر موالياً للكفار ولا مدافعاً عن المشركين، وإنما كان يحيي أخلاق الإنصاف والعدل الذي رباه عليه النبي ﷺ.

غاية الغايات التي غفل عنها الدعاة

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ النور: 55.

فكل هذه المنح الربانية: الاستخلاف، والتمكين، والأمن والأمان بعد خوف.. كل ذلك الخير مقابل تحقيق التوحيد ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

فهل عقلنا ذلك .. أم سنظل نستشرف الفُتات والعظام المجردة عن لحومها وشحومها التي تُرمى إلينا من قبل الطواغيت .. !!؟؟

عبد المنعم مصطفى حليلة

1418/3/6هـ

أبو بصير الطرطوسي

1997/7/11م

عندما أمر الشارع بالإحسان إلى الوالدين الكافرين، وبمصاحبتهم في الدنيا بالمعروف، لم يكن من باب موالة المشركين والدفاع عنهم .. فأحياء أخلاق هذا الدين العظيم شيء، والدفاع عن المشركين شيء آخر يا قوم! وعندما صالح أبو عبيدة ابن الجراح نصارى الروم على مدينة دمشق، وكان قد افتتحها خالد ابن الوليد عنوة من جهة الباب الشرقي للمدينة، ولم يكن يعلم بما أمضاه أبو عبيدة من الصلح.. ردَّ أبو عبيدة المدينة إلى النصارى وأمضى صلحه معهم، وفاء والتزاماً بالكلمة التي أعطاهم لهم، ولم يعد ذلك من باب الدفاع عن المشركين ولا التعاطف معهم، وإنما هو من باب إظهار أخلاق الوفاء بالعهد، وإن أدى ذلك إلى خسارة مدينة بكاملها، وكانت دمشق ذاتها ..! وعندما قال النبي ﷺ: "لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى . يعني أسرى بدر. لأطلقهم له"، علماً أن مطعماً مات على الشرك وعبادة الأوثان، ولكن لما كان له صنيع جميل مع النبي ﷺ حيث أجاره لأيام يوم الشدة في مكة، أراد النبي ﷺ أن يكافئه ويرد جميله بصنيع أجمل .. عندما قال النبي ﷺ ذلك لم يكن يدافع عن المشركين حاشاه، وإنما أراد أن يعلم الأمة خلق الاعتراف بالجميل ومقابلة المعروف بالمعروف، والحسنة بالحسنة، لا بالغير والسيئة ..

فأي خلق يعلو هذا الخلق، وأي دين أعظم من هذا الدين ..!؟

هذه نماذج وإشارات تدل على عظمة أخلاق هذا الدين، أردنا منها التذكير لا التشهير.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

وبعد، فقد كثرت في الآونة الأخيرة الحديث عن مساجد ضرار، التي يجب اعتزالها. وعن صفاتها وغاياتها وبواعثها، وخاض الخائضون في المسألة بعلم وبغير علم.. وجنح بعضهم إلى الإفراط والغلو والتشدد؛ فحكموا على مساجد المسلمين لظنون وشبهات واهية ضعيفة لا ترقى إلى درجة الدليل بأنها مساجد ضرار، وأن الصلاة فيها لا تجوز..!

فانعكس ذلك سلباً على أخلاق وسلوك وعبادة المسلمين، فتركّت الجمعة والجماعات، وهجرت المساجد. على قلتها في بلاد الغرب. من المصلين.. حتى أصبح من المؤلفين على المسامح إن سألت أحدهم عن سبب هجره للمساجد والجماعات العامة. رغم مجاورته للمسجد. بأن يقول لك. بكل بساطة. إنها مساجد ضرار، لا تجوز الصلاة فيها..!

ولو وقف الأمر على هجره للمساجد بنفسه لهان الخطب، ولكنه لا يكتفي بذلك حتى يشنع على غيره من إخوانه ممن لا يرى رأيه ولا يذهب مذهبه في مساجد المسلمين، فيرميه بالتخاذل والتهاون وغير ذلك من عبارات التجريح والطعن إلى أن يحمله على هجر المساجد التي هي في ظنه ضرار..!

فاتسع الخرق، وعم الخطب، وازداد الخطر، واضطرب الشباب. بين مؤيد ومعارض ومتسائل. خوفاً على صحة صلاتهم وعبادتهم.. كل ذلك مما حدانا للكتابة في الموضوع وبحث المسألة بإنصاف وتجرد عن مذاهب ومشارب أهل الإفراط والتفريط، أهل الغلو والجفاء سواء، سائلين الله تعالى السداد

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

والتوفيق .. فإن أصبت فمن الله تعالى وفضله ومنه الواسع، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأنا أبرأ إلى الله تعالى منه وأتوب.

أقول: مرد الحكم على الأشياء إلى الله ورسوله فقط لا غير، وهذا من لوازم وشروط صحة التوحيد والإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النساء: 59. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: 65.

من هنا نجد لزاماً على أنفسنا جميعاً أن نرد المسألة المثارة للبحث إلى الكتاب والسنة، لنرى ماذا يقول فيها ربنا ﷺ وماذا يحكم في مسجد ضرار، ومن هو مسجد ضرار، وما هي صفاته ووظيفته، وما هي غاياته وبواعثه، وبالتالي على أي المساجد يمكن أن يُجرى ويسحب عليها وصف وحكم الضرار..؟

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى النَّفْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُجِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ التوبة: 107-108.

لكي يتضح المعنى جلياً لا بد من أن نذكر السبب الذي نزلت فيه هذه الآيات والأشخاص الذين نزلت فيهم.

أطبقت كتب التفسير على أن هذه الآيات نزلت في رجلٍ جند نفسه لحرب الله ورسوله، ولم يدع حرباً ضد الرسول ﷺ إلا وقد شارك فيها وهو أبو عامر الراهب، وقد سماه النبي ﷺ بالفاسق، وكان مما فعله هذا الرجل أنه التجأ إلى هرقل ملك الروم يستنجده العون لقتال النبي ﷺ، فأرسل إلى أصحابه من المنافقين في المدينة وكان عددهم اثنا عشر رجلاً أن يبنوا له مسجداً ضراراً وإرصاداً؛ أي ترقباً وانتظاراً

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

لقدومه مع جيش الروم يستخدمه كقاعدة لحرب الله ورسوله والمؤمنين، إضافة للمهام الأخرى التي ذكرتها الآية الكريمة، والتي سنأتي على بيانها. إن شاء الله. بشيء من التفصيل.

وإليك أقوال بعض أهل العلم والتفسير فيما تقدم:

قال ابن جرير الطبري في التفسير 470/6: فتأويل الكلام: والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ، وكفراً بالله لمحادثهم بذلك رسول الله ﷺ، ويفرقوا به المؤمنين، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله ﷺ، وبعضهم في مسجد رسول الله ﷺ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا، ﴿وَارْضَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، يقول: وإعداداً له لأبي عامر الكافر، الذي خالف الله ورسوله، وكفر بهما، وقاتل رسول الله، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد؛ وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزّب الأحزاب لقتال رسول الله، فلما خذله الله، لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله، وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم، إذا رجع إليهم، ففعلوا ذلك، وهذا معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿وَارْضَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾، وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فأتي بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي ﷺ فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه، وتدعونا بالبركة! فأنزل الله فيه: ﴿لَا لَاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

وقال. أي ابن عباس: قوله ﴿وَارْضَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني رجلاً منهم يقال له أبو عامر، كان محارباً لرسول الله ﷺ، وكان قد انطلق إلى هرقل، فكانوا يرصدون إذا قدم أبو عامر أن يصلي فيه، كانوا يرون أنه سيظهر على محمد ﷺ، وكان قد خرج من المدينة محارباً لله ورسوله.

وعن مجاهد: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ قال: المنافقون، ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾،

لأبي عامر الراهب. انتهى كلام ابن جرير، والاقْتباس من تفسيره.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

قال ابن كثير في التفسير 402/2: سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يُقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهروا الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهرها وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدمو عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان .. وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وشُج رأسه صلوات الله وسلامه عليه. وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يُسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً فنالته هذه الدعوة؛ وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم من أهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: "إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله" فلما قفل الصلوة راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض اليوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس في أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: هم أناس من الأنصار بنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتي بجند من الروم وأخرج

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

محمدًا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحسب أن تصلي فيه وتدعونا بالبركة، فأنزل الله ﷻ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ إلى قوله ﴿الظَّالِمِينَ﴾ وكذا روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعروة بن الزبير، وقتادة وغير واحد من العلماء. انتهى.

وقال القرطبي في التفسير 257/8: ﴿وإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني أبا عامر الراهب؛ وسُمي بذلك لأنه كان يتعبد ويلتمس العلم فمات كافرًا بقتسرين بدعوة النبي ﷺ فإنه كان قال للنبي ﷺ: لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم؛ فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الروم يستنصر، وأرسل إلى المنافقين وقال: استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر فأت بجند من الروم لأخرج محمداً من المدينة، فبنوا مسجد الضرار. انتهى.

ونحو الذي قاله الطبري، وابن كثير، والقرطبي قاله غيرهم من أهل العلم والتفسير في كتبهم، والذي دعانا إلى هذا التفصيل النسبي في ذكر سبب نزول آيات مسجد الضرار هو أن يدرك القارئ خطورة مسجد ضرار الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وحرقه، وحجم المؤامرة الضخمة التي كانت تحاك من وراء بناء هذا المسجد المذكور، حتى إن أراد القياس عليه يحسن القياس والتقدير، وهذا أمر مهم جداً لكل من أراد أن يبحث ويدقق في شأن مساجد الضرار..

وليُعرف القارئ كذلك أن الذي بنى مسجد الضرار هم المنافقون إرصاداً وترقباً لمقدم أبي عامر الكافر ومعه جند الروم ليكون لهم قاعدة ومعقلاً. كما سماه ابن كثير. ينطلقون منه لحرب الرسول ﷺ .. وليس أن الذي بنى المسجد هو أبو عامر كما ذُكر في بعض المقالات! والفرق بين الأمرين والنقلين من حيث الدلالة على حجم خطورة مسجد ضرار الذي استحق الهدم والحرق واضح لكل ذي بصيرة وبصيرة.

. بواعث وغايات ومهام مسجد الضرار الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وحرقه.

تتلخص بواعث وغايات ومهام مسجد ضرار كما ذكرتها الآيات القرآنية في أربعة نقاط، وهي:

أولاً: الإضرار والضرر، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾، فكلمة ﴿ضِرَارًا﴾ جاءت بصيغة المفعول لأجله؛ أي ما حملهم على بناء المسجد شيء إلا من أجل إنزال الضرر والأذى بالمسجد المجاور لهم الذي أسس على التقوى من أول يوم من إنشائه؛ وهو مسجد قباء وقيل هو مسجد الرسول

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

ﷺ⁽¹⁾، ولإنزال الضرر كذلك بالجماعة المسلمة المؤمنة والتي على رأسها النبي صلوات ربي وسلامه عليه .. فهم ليس لهم رغبة وهدف من وراء بناء هذا المسجد سوى الضرر والإضرار، وطلبه والسعي لتحقيقه ..!

ولا يُسمى الشيء ضراراً إلا إذا عُدَّ نفعه وكان شراً وضرراً محضاً كما هو حال مسجد ضرار المذكور، أو كان ضرره يرجح على نفعه وخيره، كالخمر والميسر .. وفي كلا الحالتين الضرر يُزال ولا يُزال بمثله أو أكثر منه.

كما في الحديث: "لا ضرر ولا ضرار، من ضار ضار الله به، ومن شاق شاق الله عليه". والقاعدة الفقهية تقول: "الضرر يُزال".

وفي معنى الضرر والضرار يقول القرطبي في التفسير 254/8: قال بعض العلماء: الضرر الذي لك به منفعة وعلى جارك فيه مضرة. والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة. وقد قيل هما بمعنى واحد، تكلم بهما جميعاً على جهة التأكيد. انتهى.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير 500/3: ضراراً انتصب مفعولاً له، المعنى: اتخذوه للضرار .. قال المفسرون والضرار بمعنى المضارة لمسجد قباء. ا-هـ.

وفي روح المعاني للألوسي 17/11: ضراراً؛ مفعول له وكذا ما بعده .. وقيل مفعول مطلق لفعل مقدر أي يضارون بذلك المؤمنين ضراراً، والضرار طلب الضرر ومحاولته. ا-هـ.

ثانياً: من الغايات كذلك التي بني لأجلها مسجد ضرار الكفر بالله ورسوله، وتقوية للكفر وأهله، ومحاربة لله ولرسوله وجماعة المؤمنين، وذلك باستخدامه كقاعدة للمنافقين ومأوى لهم يُحكيون فيه المؤامرات على الدولة المسلمة الفتية، وكذلك لكي يكون مقراً لأبي عامر الكافر ومن معه من جند الروم عندما يصلون إلى المدينة المنورة ليخرجوا النبي ﷺ وأصحابه منها، فهم بنوا المسجد وأرادوا منه إضافة للضرار الكفر بالله ورسوله، والانتصار للكفر وأهله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا

¹ قال ابن جرير الطبري في التفسير: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو مسجد الرسول ﷺ. لصحة الخبر بذلك عن رسول الله. ا-هـ.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

.. فقولهُ: ﴿وَكُفْرًا﴾ معطوف على ضرار؛ أي من أجل الكفر والإلحاد والمحاربة، فهم أضمرُوا هذه النية الخطيرة في قلوبهم منذ اللحظة الأولى من بنائهم وتأسيسهم لمسجدهم المشؤوم.

قال البغوي في التفسير: ﴿وَكُفْرًا﴾ بالله ورسوله. ا-هـ.

وفي روح المعاني للألوسي: ﴿وَكُفْرًا﴾ أي ليكفروا فيه، وقدر بعضهم التقوية أي وتقوية الكفر الذي يضمرونه. ا-هـ.

وفي فتح القدير للشوكاني 403/2: فقد أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة: الأول الضرار لغيرهم، وهو المضاررة. والثاني الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام؛ لأنهم أرادوا ببناؤه تقوية أهل النفاق .. ا-هـ.

وفي تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 39/11، أرادوا: الكفر أو تقوية الكفر، وتسهيل أعماله من فعل وترك، كتمكين المنافقين من ترك الصلاة هنالك مع خفاء ذلك على المؤمنين لعدم اجتماعهم في مسجد واحد، والتشاور بينهم في الكيد لرسول الله ﷺ وغير ذلك. ا-هـ.

ثالثاً: من البواعث والغايات التي أرادوها من وراء بنائهم لمسجد ضرار. إضافة لما تقدم. تفريق جماعة المسلمين إلى جماعات؛ ليقبلوا عدد الذين يجتمعوا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، وكذلك مسجد قباء، وفي ذلك فيه ما فيه من إضعاف للشوكة، وتشتيت للكلمة، وإبعاد للمسلمين عن التأثير والتوجيه المباشر من شخص النبي ﷺ .. إضافة إلى التقليل من سواد المسلمين في الجماعة الواحدة، والذي يُعتبر ذلك. أي تكثير السواد في الجماعة الواحدة. مطلباً من مطالب الشريعة، ومقصداً هاماً من مقاصد صلاة الجماعة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال الشوكاني: لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة مالا يخفى. ا-هـ.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: كانوا يصلون في مسجد قباء جميعاً، فأرادوا تفريق جماعتهم ا-هـ.

وقال البغوي في التفسير: لأنهم كانوا جميعاً يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة ا-هـ.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

وقال القرطبي في التفسير: ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يفرقون به جماعتهم ليتخلف أقوام عن النبي ﷺ. وهذا يدل على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة، وعقدُ الذمام والحرمة بفعل الديانة حتى يقع الأُنس بالمخالطة، وتصفو القلوب من وُضْر الأحقاد⁽¹⁾ ا-هـ.

رابعاً: ﴿وَإِزْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: أي ترقباً وانتظاراً لمقدم من حارب الله ورسوله من قبل أن يبني مسجد الضرار، وهو أبو عامر الفاسق الذي جند نفسه لمحاربة الله ورسوله، وكان قد خاض الحروب العديدة ضد النبي ﷺ قبل أن يبني مسجد الضرار. والذي كان قد وعدهم ومناهم بأنه سيأتي ومعه جيش الروم ليخرج النبي ﷺ وأصحابه من المدينة المنورة! فطلب منهم تمهيداً لذلك أن يبنيوا له مسجداً. في الظاهر. ليستغله كقاعدة عسكرية ينطلق منه لحرب الإسلام والمسلمين.. فهو مسجد في الظاهر، لكنه في حقيقة أمره قلعة من قلاع الحرب والمكر والكفر!!

قال البغوي في التفسير: أرسل أبو عامر الفاسق إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأت بجندي من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِزْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام. قوله ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ يرجع إلى أبي عامر؛ يعني حارب الله ورسوله من قبل أي من قبل بناء مسجد الضرار ا-هـ.

وفي زاد المسير لابن الجوزي: الإزصاد؛ الانتظار، فانتظروا به مجيء أبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار. ا-هـ.

¹ في ذلك عظة وعبرة لكثير من الناس الذين يحرصون أن لا يصلوا إلا في مكان معين ربما لا تتوفر فيه صفات المسجد الجامع، متجاوزين في ذلك الأميال الكثيرة والمساجد الجامعة عصبية لشيخ معين، أو لطريقة معينة علمها ذلك الشيخ أو المكان.. حتى أنهم يُعرفون بنسبتهم إلى ذلك الشيخ أو المكان، وفي ذلك من التفرق وبذر بذور الاختلاف والتفرق والضغائن بين المسلمين ما لا يخفى على أحد.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

وقال محمد رشيد رضا في التفسير: الإحصاء لمن حارب الله ورسوله من قبل اتخاذ هذا المسجد، أي الانتظار والترقب لمن حارب الله ورسوله أن يجيء محارباً، فيجد مكاناً مرصداً له، وقوماً راصدين مستعدين للحرب معه، وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك.

واتفق المفسرون على أن الذي أغراهم ببناء هذا المسجد لهذا الغرض رجل من الخزرج يُعرف بأبي عامر الراهب، وعدهم بأن سيأتهم بجيش من الروم لقتال النبي ﷺ وأصحابه. ا-هـ.

قلت: هذا المسجد بصفاته وغاياته وأهدافه الهدامة الخطيرة. الأنفة الذكر. هو مسجد الضرار، وهو المسجد الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وحرقه، ونهى عن الصلاة فيه .. فهل هكذا هي المساجد التي يشار إليها في زماننا بأنها ضرار..!!؟

مسجد الضرار الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وحرقه، واعتزاله . من خلال أهدافه وغاياته وبواعثه المبينة من قبل . لم يُنشأ لغرض العبادة أو التعبد، وإنما هو في حقيقته معقلاً وقلعة عسكرية من قلاع الحرب والكفر والنفاق يُنطلق منها لحرب الله ورسوله .. فهل هكذا هي المساجد في زماننا التي يشار إليها بأنها ضرار..!!؟

. الخلاصة وبيان الحكم.

من خلال ما تقدم نقول: أيما مسجد يكون الباعث على بنائه الغايات والأهداف الثابتة لمسجد الضرار الأول. الأنفة الذكر. أو بعضها، أو إحداها .. فهو مسجد الضرار الذي يجب اعتزاله، وعدم الصلاة فيه، لقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي لا تقم فيه للصلاة ..

ولا يكون المسجد ضراراً لمجرد اتصافه بصفات مسجد الضرار إلا إذا كانت هذه الصفات والغايات مبيته ومضمرة قبل بناء المسجد، أما إذا بني المسجد على التقوى ثم طرأ عليه غلبة الكفر وأهله، واستغل المسجد لبعض غايات مسجد الضرار فإنه لا يُعتبر في ذلك الحين مسجد ضرار ولا يأخذ حكمه ولا اسمه، لأن العبرة في ذلك القصد والنية المبيته الباعثة على البناء قبل البناء وليس بعده، وهذه مسألة سنعود إليها إن شاء الله.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

قال ابن القيم في زاد المعاد 571/3: لما كان بناؤه . أي مسجد ضرار . ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين، ومأوى للمنافقين، وكل مكان هذا شأنه، فواجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وُضع له . اهـ.

. توسع لا دليل عليه.

قد ألحق بعض أهل العلم . كالزمخشري وغيره! . باعناً آخر على بناء المسجد يلحقه بوصف وحكم مسجد الضرار، وهو قصد الرياء والسمعة من بناء المسجد، فقالوا: من بنى مسجداً رياءً فحكمه حكم مسجد ضرار .. وقد تابعهم على هذا القول بعض طلاب العلم المعاصرين . ونشروه بين الناس . وقاسوا عليه قياسات باطلة، ترتب عليها إدخال ما لا يجوز إدخاله من المساجد التي بناها المسلمون على أنها مساجد ضرار !!

أقول: هذا توسع لا يصح، وهو مردود من أوجه:

منها، لانتفاء الدليل من الكتاب والسنة الذي يدل على أن الرياء من الصفات التي تحيل المسجد إلى وصف وحكم مسجد الضرار ..

ومنها، أن حرمة مال المسلم . الذي منه يبني المسجد . مصانة بأدلة محكمة من الكتاب والسنة، لا يجوز معارضة هذه الأدلة وردّها وإبطالها بقول لأحاد من أهل العلم ..!

فمال المسلم مصان بالدليل، فكيف تنتهك حرمة بغير دليل ..؟!!

ومنها، الرياء موضعه القلب لا يمكن معرفته بيقين والجزم به؛ فكم من مظهرٍ لعمله لا يكون مرئياً، وكم من مخفٍ لعمله يظهره من طرفٍ خفي يكون مرئياً عند الله تعالى، وكم من امرئٍ يترك العمل رياءً وحتى لا يقال عنه مرءٍ وهذا باب واسع لا يحيط به إلا الله تعالى .. لذا فقد سماه النبي ﷺ: "شرك السرائر .. والشرك الخفي". لحجبه عن أعين الناس وعلمهم، وربما عن صاحبه نفسه.

فإن قيل: يمكن معرفة الرياء من خلال قرائن تدل عليه ..!

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

أقول: هذه القرائن لا ترقى أن تكون ظنية، والظن لا يغني من الحق شيئاً .. والأحكام . وبخاصة

منها مسألتنا هذه . لا تبني على الظن، وليس بالظن تنتهك الحرمات، وتعتزل المساجد وتهدم وتحرق.

ومنها، أن المؤمن من طبعه أن تسره الحسنة، ويعجبه ثناء الصالحين عليه بالخير لأنهم هم

شهداء الله في الأرض، وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: " من سرته حسنته وساءته

سيئته فهو مؤمن"، ومثل هذا السرور والرضى قد يفسر عند كثير من الناس بأنه رياء .. فيبنون على ذلك

التصور الخاطئ الأحكام الجائرة، وتهجر المساجد، ويتسع الخرق إلى حد يصعب ترقيعه أو سده !

ومنها، أن حجة الرياء قد تكون ذريعة لكل منافق أو ضعيف الإيمان تحمله على هجر المساجد

والجماعات، وربما ترك الصلاة .. فإن سألت أحدهم عن سبب تركه للجماعة وهجره للمسجد الذي قد

يكون مجاوراً له، يقول لك أنا أعرف من باني هذا المسجد ما لا تعرف، فقد بناه وأراد من بنائه الرياء ..

وهكذا تحت ذريعة الرياء تهجر المساجد والجماعات !!

ومنها، انعدام الموازين التي من خلالها يضبط ويوزن ويُعرف الرياء، والتي يمكن أن تكون محل

اتفاق عند جميع العقلاء .. فالعمل الذي تفسره أنت على أنه رياء، قد يفسره غيرك على أنه صدع

بالحق، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر .. أو هو خشوع صادق، أو عمل صادق، ومثل هذا التباين لو

عمل به لأفضى إلى الفرقة والتنازع والاختلاف، وبخاصة في مسألة كمسألة مسجد الضرار.

ومنها، أن مثل هذا التوسع في إصدار الأحكام على المساجد بأنها ضرار ينعكس على المسلمين

وأطفالهم وحياتهم سلباً، وبخاصة الذين يعيشون في أوربة والتي تُعرف بقلعة المساجد فيها، حتى أن

المسلمين لقلعة المساجد يلجأون إلى إقامة الجمعة والجماعات في أماكن تحوّل بعد الصلاة مباشرة إلى

دور للفسق وشرب الخمر والعهر، وإحياء المنكرات !!..

أيعقل في مثل هذا الواقع المؤلم الحرج أن يُضيق على العباد أكثر مما هم فيه من ضيق وعسر

ويقال لهم لا يجوز لكم أن تصلوا في هذه المساجد لاحتمال شبهة وجود الرياء ..؟!..

لا يجوز أن تأخذوا أطفالكم إلى هذه المساجد، مع علمهم أن البديل عنها ستكون الأندية

والأسواق الماجنة، ومصاحبة أقران السوء، والجلوس أمام شاشة التلفاز الساعات الطوال ليستقبلوا

السموم المدمرة التي تبث إليهم عبر القنوات المحلية والفضائية..!

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

والقاعدة الفقهية تقول: "إذا ضاقت اتسعت"، وليس إذا ضاقت ضاقت واشتدت ضيقاً وخناقاً
وشدة..!

والله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح: 5-6. فليس من الدين
والفقه أن نَتَّبِع العسر عسراً وشدة .. فالعسر دائماً يتبعه اليسر والسعة . من غير تفريط . إلى أن يُرفع
الحرج عن الأمة والعباد.

ومنها، أن صلاة الجماعة وما يلحق بها من مقاصد شرعية عظيمة وهامة، إلى درجة أن النبي ﷺ
قد همَّ بأن يحرق بيوت المتخلفين عنها لولا وجود الأطفال والنساء فيها .. لا يمكن أن تعطل هذه المقاصد
الشرعية كلها من أجل شبهة الرياء التي لا ترقى إلى مستوى الدليل الصحيح..!!

. مسائل هامة لها علاقة بالموضوع.

المسألة الأولى: مسجد بني علي التقوى ثم طرأت عليه صفات مسجد الضرار أو بعضها، فهل له

حكم مسجد ضرار؟

الجواب: المسجد الذي يؤسس على التقوى ثم تطراً عليه بعض صفات مسجد الضرار، لا يتحول
إلى مسجد ضرار، ولا يأخذ حكمه ولا وصفه .. ودليل ذلك مسجد الحرم المكي فقد أسس على التقوى
والتوحيد، وعلى يد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .. ثم بعد ذلك طراً عليه الكفر والشرك، ونصبت
فيه الأوثان لتعبد من دون الله، واستغله كفار قريش كقاعدة لحرب النبي ﷺ ومن آمن معه من أصحابه
وغير ذلك .. فرغم كل هذا التغيير الذي طراً على المسجد الحرام لم يحوله إلى مسجد الضرار، ولم يأخذ
حكمه ولا اسمه ولا وصفه، بل كان يصلي فيه النبي ﷺ ويأمر أصحابه أن يصلوا فيه، وكان ولا يزال، ولن
يزال أفضل وأشرف بقعة على وجه الأرض يتعبد فيها لله ﷻ.

وكذلك رغم استيلاء زنادقة القرامطة على الحرم المكي لفترة طويلة وأخذهم للحجر الأسود، . كما
يحدِّث بذلك ابن كثير وغيره من المؤرخين . لم يتوقف العباد والعلماء عن الصلاة فيه، وما أشار أحد من
أهل العلم أن الحرم المكي قد أصبح بسبب استيلاء القرامطة عليه مسجد ضرار لا تجوز الصلاة فيه ..!

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

وحصل مثل ذلك في التاريخ البعيد والقريب الشيء الكثير لبيوت الله ﷻ وفي أماكن متعددة ومختلفة، وما أحد من أهل العلم نص على أنها أصبحت بذلك مساجد الضرار.

المسألة الثانية: مسجد يؤسس على التقوى ثم يظهر أنه يحقق ضرراً أكيداً لمسجد جامع بجواره.

فهل يكون بذلك مسجد ضرار؟

الجواب: لا يكون مسجد ضرار؛ لأنه لم يؤسس على نية وقصد الضرر .. ولكن ذلك لا يمنع من أن يُزال الضرر المتحقق من غير زيادة ولا نقصان، لأن الضرر يُزال، ولا يُزال بمثله ولا أكثر منه.

المسألة الثالثة: هل من الممكن أن نحكم في زماننا على مساجد بأعيانها بأنها ضرار؟

الجواب: نعم يمكن أن يحكم على مسجد بعينه أنه مسجد ضرار، ولكن بشرطين، هما: أولاً: أن يتم التثبت بيقين. وليس بالظن. أن هذا المسجد كان الباعث على بنائه وقيامه تحقيق الغايات. أو بعضها. التي بني لأجلها مسجد الضرار الأول. فإذا انتفت المقدرة على التثبت والتحقق من ذلك، أو جهلت الغاية من بناء هذا المسجد بسبب وفاة من قام على بنائه أو غير ذلك .. لا يجوز أن يُحكم عليه بأنه ضرار.

ثانياً: أن يقوم بمهمة التحري والتثبت من واقع المسجد المشار إليه ومن ثم بيان الحكم عليه العلماء العاملين الأتقياء؛ لأن البحث في واقع المسجد. هل بني على الضرار أم لا. من الأمور الخفية التي تتعلق بالنيات والبواعث على البناء، ومن ثم الإمام بالقرائن والأدلة الدالة على تلك البواعث والنيات .. كل ذلك وغيره يحتاج إلى بحث واجتهاد وتثبت ومعرفة دقيقة بواقع المسألة وبالأدلة الشرعية عليها. وبالتالي لا نرى لعوام الناس أن يشغلوا أنفسهم بإطلاق الأحكام على بيوت الله بأنها ضرار؛ لما يترتب على ذلك من نتائج وأثار لا تحمد عواقبها!!!

فبيوت الله . يا عبد الله . لها حرمة وحق، وهي من شعائر الله التي ينبغي لها التعظيم والتوقير، وتعظيمها من تقوى القلوب وعلامة عليه، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ الحج: 30. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شُعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج: 32.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

ثم لأن تلقي في بيوت الله القاذورات والأوساخ، وتكون عندك موضعاً للتبرز والتبول .. لهي أهون عليك . من حيث الوزر والإثم . من أن تحكم عليها ظلماً وجهلاً بأنها ضرار!
فالأول ينتهك بعض حرمانات المسجد .. بينما الآخر الذي يحكم على المسجد ظلماً وعدواناً بأنه ضرار فإنه ينتهك جميع حرماناته بغير وجه حق !

المسألة الرابعة: هل يجب هدم وحرق مساجد ضرار؟

الجواب: مرد الأمر إلى الإمام أو من ينوب عنه من أمراء الجند والجهاد من ذوي الشوكة والقوة والمنعة، فإن رأى من المصلحة والسياسة الشرعية حرقه وهدمه يُحرق ويهدم، وإن رأى من المصلحة أن يغير صورته ويخرجه عما وضع له فله ذلك كذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له. ا-هـ.

قلت: وبخاصة إن كان هذا المسجد كبيراً قد كلف تشييده وبنائه ملايين الدولارات .. فإن الإقدام على هدمه وحرقه قد يفتن الناس عن دينهم، وتحصل من جراء ذلك فتن ومضار أكبر من المفسدة التي يراد إزالتها؛ ففي مثل هذه الحالة لا شك أنه من الأحسن والأسلم أن تغير صورته ووظيفته، ويوضع لما فيه مصالح العباد والبلاد.

وفي السنة ما يدل على اعتبار ذلك: فقد ثبت أن النبي ﷺ قد امتنع عن هدم الكعبة وبنائها من جديد على قواعد إبراهيم عليه السلام بسبب أن أهل مكة كانوا حديثي عهد بالإسلام، فخشي عليهم الفتنة، وأن لا يتحملوا رؤية الكعبة وهي تهدم !

المسألة الخامسة: هل انحراف الإمام الراتب للمسجد يؤثر على المسجد ويحيله إلى مسجد

ضرار..؟!!

الجواب: لا يتأثر المسجد بانحراف إمامه عن الحق والصواب، ولا يحيله ذلك إلى مسجد ضرار، كما لا يتأثر لو اعتاده أناس من أهل الأهواء والبدع .. حيث يبقى له وصفه وحكمه الذي أنشئ عليه من أول يوم.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

فكما أن مسجد الضرار لو صلى فيه التقي وكان فيه إماماً راتباً للناس لا يرفع عنه وصف الضرار وحكمه، كذلك المسجد الذي أسس على التقوى لو صلى فيه المبتدع المنحرف كإمام راتب للناس لا يرفع عنه وصفه وحكمه كببت من بيوت الله ينبغي لها التعظيم.

لكن انحراف الإمام على نوعين:

نوع يكون فيه كافراً؛ وذلك عندما يقع في الكفر البواح من غير مانع شرعي معتبر.. فحينها يجب اعتزال الصلاة خلفه، دون اعتزال الصلاة في المسجد؛ فالصلاة خلفه لا تجوز ولا تصح، بينما صلاته في المسجد تجوز وتصح.

ونوع يكون فيه مبتدعاً فاسقاً لا يرقى به انحرافه إلى درجة الكفر البواح، ففي مثل هذه الحالة تجوز الصلاة في المسجد وخلف هذا الإمام المبتدع المنحرف⁽¹⁾، وبخاصة إن خشي فوات الصلاة مع الجماعة فحينها تتعين عليه الصلاة خلفه، ولا يمنع انحرافه من ذلك.

قال ابن حزم في المحلى 129/3: عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محصور، فقال له: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج، فقال له عثمان: إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسن الناس فأحسن معهم؛ وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم.

وكان ابن عمر يصلي خلف الحجاج، ونجدة: أحدهما خارجي، والثاني أفسق البرية !

وكان ابن عمر يقول: الصلاة حسنة ما أبالي من شركني فيها.

وعن ابن جريج قلت لعطاء: رأيت إماماً يؤخر الصلاة حتى يصلحها مفرطاً فيها؟ قال: أصلي مع

الجماعة أحب إلي، قلت: وإن اصفرت الشمس ولحقت برؤوس الجبال؟ قال: نعم، ما لم تغب؛ قلت

¹ إذا كان الإمام من ذوي البدع والأهواء، يستحسن هجران الصلاة خلفه. من قبل ذوي الهيئات والفضل والعلم. تعزيراً وتبكيئاً له عسى أن يردعه ذلك عن انحرافه وفجوره، شريطة أن يجدوا المسجد والجماعة الأخرى الأفضل التي يمكن أن يلتحقوا بها ويصلوا الصلوات معها، فإن انعدم المسجد البديل وخشوا على أنفسهم أن تفوتهم صلوات الجماعة تعين عليهم الصلاة خلفه ولا بد.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

لعطاء: فالإمام لا يوفي الصلاة، أعتزل الجماعة معه ؟ قال: بل صل معه، وأوف ما استطعت، الجماعة أحب إلي ..

وعن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عقبة عن أبي وائل: أنه كان يجمع مع المختار الكذاب! وعن أبي الأشعث قال: ظهرت الخوارج علينا فسألت يحيى بن أبي كثير، فقلت: يا أبا نصر، كيف ترى في الصلاة خلف هؤلاء ؟ قال: القرآن إمامك، صل معهم ما صلوها ؟ وعن إبراهيم النخعي قلت لعقمة: إمامنا لا يتم الصلاة ؟ قال لعقمة: لكننا نتمها؛ يعني نصلي معه ونتمها.

وعن الحسن: لا تضر المؤمن صلواته خلف المنافق، ولا تنفع المنافق صلواته خلف المؤمن. وعن قتادة قلت لسعيد بن المسيب: أنصلي خلف الحجاج ؟ قال: إنا نصلي خلف من هو شر منه! قال علي . أي ابن حزم : ما نعلم أحداً من الصحابة رضي الله عنهم امتنع من الصلاة خلف المختار، وعبيد الله بن زياد، والحجاج؛ ولا فاسق أفسق من هؤلاء. وكل هذا قول أبي حنيفة، والشافعي، وأبي سليمان. ا-هـ.

وقال ابن تيمية في الفتاوى 343/23: كان الصحابة يصلون خلف الحجاج، والمختار بن أبي عبيد الثقفي، وغيرهما الجمعة والجماعة، فإن تفويت الجمعة والجماعة أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بإمام فاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنهما لا يدفع فجوره، فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة، ولهذا كان التاركون للجمعة والجماعات خلف أئمة الجور مطلقاً معدودين عند السلف والأئمة من أهل البدع. ا-هـ.

قلت: مما تقدم يُعلم فساد الأحكام والاطلاقات الجائرة التي يطلقها بعض المتسرعين من الشباب . عن جهل . على بيوت الله لمجرد علمهم بأن فيها إماماً مبتدعاً أو عنده بعض الانحرافات .. بأنها مساجد الضرار لا تجوز الصلاة فيها، فيؤدي ذلك بهم إلى ترك الجمعة والجماعات !!..

المسألة السادسة: هل تجوز الصلاة في المسجد المجهول الحال، خلف الإمام المجهول الحال ؟

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

أو بمعنى آخر هل يجب التحري عن حقيقة المسجد قبل الصلاة فيه؛ هل بني على الضرار أم لا،

وهل إمامه الراتب عقيدته صحيحة أم لا ..؟!

الجواب: تجوز الصلاة في المسجد المجهول الحال، خلف الإمام المجهول الحال، ولا يجوز التحري . كشرط للصلاة . عن المسجد وغاياته وبواعثه التي بني على أساسها ولأجلها، كما لا يجوز التحري عن عقيدة الإمام واختباره بأسئلة تعرف من هو .. فهذا الصنيع يُعتبر من البدع والتكلف الذي لم يكن سلفنا الصالح يفعلوه أو يراه جائزاً.

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 351/23: ليس من شروط الانتماء أن يعلم المأموم اعتقاد

إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف مستور الحال.

وقول القائل لا أسلم مالي إلا لمن أعرف؛ ومراده لا أصلي خلف من لا أعرف، كما لا أسلم مالي إلا لمن أعرف، كلام جاهل لم يقله أحد من أئمة الإسلام، فإن المال إذا أودعه الرجل لا لمجهول فقد يخونه فيه، وقد يضيعه. وأما الإمام فلو أخطأ أو نسي لم يؤاخذ بذلك المأموم، كما في البخاري وغيره، أن النبي ﷺ قال: "أنتمكم يصلون لكم ولهم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم"، فجعل خطأ الإمام على نفسه دونهم.

وقال رحمه الله 542/4: وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور باتفاق الأئمة الأربعة وسائر أئمة

المسلمين، فمن قال: لا أصلي جمعة ولا جماعة إلا خلف من أعرف عقيدته في الباطن فهذا مبتدع مخالف للصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم. 1-هـ.

قلت: إذا كان الذي يقول لا أصلي جمعة ولا جماعة إلا خلف من أعرف عقيدته .. هو مبتدع

ضال مخالف للصحابة والتابعين وجميع أئمة المسلمين، فمن باب أولى أن يُحمل هذا الحكم والوصف على من يقول لا أصلي الجمعة والجماعة إلا في المسجد الذي أعرف عقيدة ونوايا من قاموا على بناء

المسجد وتأسيسه !!..

أقول: هذا القول لا يقدم عليه إلا كل متنطع مبتدع متكلف استهوته شذوذات وأهواء الخوارج

الغلاة من قبل !!..

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

المسألة السابعة: مسجد يعتاده عناصر من المخابرات والجواسيس يعملون كأعين للطواغيت

الظالمين، لغرض التجسس على عورات وأخبار المسلمين .. هل يكون المسجد بسبب ذلك ضراراً له أحكامه وصفاته ..؟

الجواب: لا يعتبر المسجد بسبب ما ذكر ضراراً، لأنه لم يتأسس على معنى من معاني مسجد الضرار الأول. ولو كانت المساجد بذلك تصبح ضراراً لما سلم مسجد على وجه الأرض إلا وكان ضراراً؛ لأنه وللأسف ما من مسجد . إلا ما ندر. إلا ويعج بالجواسيس الظالمين الذين يتجسسون على المسلمين المصلين لحساب الطواغيت !!

فالمساجد لا يحكم عليها على اعتبار ما يطرأ عليها من صفات وعوامل، وإنما على اعتبار البواعث والنوايا التي بنيت وأسست عليها ابتداءً ومن أول يوم، وهذه قاعدة مطردة ينبغي إعمالها في كل مسجد يثار حوله الجدل والخلاف.

وعليه فإن بناء الجاليات المسلمة . في بلاد الغرب . المساجد للاهتمام برعاياهم وأبنائهم، والمحافظة على إسلامهم وانتمائهم لهذا الدين، وتعليمهم اللغة العربية وغير ذلك من شؤون الدين .. فهذه المساجد كلها ليست ضراراً ولا يجوز أن يُحكم عليها بأنها مساجد ضرار، لأنها أسست على معاني شرعية صحيحة ولم تأسس على أي معنى من المعاني التي أسس عليها مسجد الضرار الأول.

والذي يتتبع الأخبار والبرامج التي تقام في هذه المساجد يجد فيها الخير الكثير لأبناء المسلمين، كما يجد فيها الحلقات العلمية المتنوعة والنافعة، إضافة إلى إقامة الصلوات والجماعة .. فكيف يمكن اعتبار هذه المساجد بأنها ضرار، وأنها أسست على معاني وأهداف مسجد الضرار؟!!!

ونحوها المساجد التي تبنيها الجماعات والأحزاب والطوائف الإسلامية، وغيرها .. لا يجوز كذلك أن نحكم عليها "بالكوم" أنها كلها ضرار لا تجوز الصلاة فيها، من دون النظر والتدقيق في البواعث والغايات من إنشاء كل مسجد من تلك المساجد، وهل منها شيء بني على ما بني عليه ولأجله مسجد الضرار الأول ..؟!!

فليس من العلم ولا الفقه ولا التقوى والورع أن يقال ويشار إلى هذه المساجد كلها لكون القائمين

عليها جاليات، وأحزاب، وجماعات إسلامية .. بأنها ضرار؟!!!

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

كما أنه ليس من الظن الحسن الذي يجب أن يكون بالمسلمين، وبخاصة منهم الجماعات العاملة للإسلام .. أن يفترض فيهم ابتداءً أنهم يبنون مساجدهم من أجل الغايات والأهداف الهدامة والخطيرة التي بني لأجلها مسجد الضرار الأول .. فالظن فيهم ابتداءً ذلك يخرجهم عن كونهم ووصفهم جماعات تعمل للإسلام .. وهذا لا شك أنه من البغي والظلم والتعسف الذي لا تحمد عقباه ونتائجه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات: 12. وقال

تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ النجم: 23.

المسألة الثامنة: هل تدخل الكنائس والبيع وغيرها من معابد المشركين في حكم الضرار؛ بحيث

لا تجوز الصلاة فيها ؟

الجواب: مما خص الله به هذه الأمة أن جعل لها الأرض كلها طهوراً ومسجداً تصلح للسجود والصلاة إلا بعض المواضع استثنتها النصوص لا تجوز الصلاة فيها.

ولما الكنائس لم تبني على قصد الضرار، ولم يأت النص الذي يفيد تحريم الصلاة فيها، نقول: يجوز الصلاة في الكنائس والبيع وغيرها من المعابد ما اجتنبت الأصنام والصلبان والتمائيل، والقبور التي تعبد فيها من دون الله تعالى، وهذا أمر لا يُعلم فيه خلاف بين أهل العلم.

قال ابن حزم في المحلى 400/2: الصلاة في البيعة، والكنيسة، وبيت النار، والمجزرة . ما اجتنب البول والفرث والدم . وعلى قارعة الطريق، وبطن الوادي، ومواضع الخسف، وإلى البعير والناقة، وللتحدث، والنيام وفي كل موضع جائزة، ما لم يأت نص أو إجماع متيقن في تحريم الصلاة في مكان ما؛ فيوقف عند النهي في ذلك.

عن أبي ذر قال: "قلت يا رسول الله، أي المساجد وضع في الأرض أول ؟ قال: المسجد الحرام، قلت ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة، ثم حيثما أدركتك الصلاة فصل، فهو مسجد" متفق عليه.

وروينا عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة، وجابر، وحذيفة، وأنس: أن من فضائلنا أن الأرض

جُعِلت لنا مسجداً.

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

وكل ما ذكرنا من الأرض، فالصلاة فيه جائزة، حاشا ما جاء النص من المنع من الصلاة فيه: كعطن الإبل، والحمام، والمقبرة، وإلى قبر وعليه، والمكان المغصوب، والنجس، ومسجد الضرار فقط⁽¹⁾. ا-هـ.

وقال القرطبي في كتابه الجامع 255/8: الكنيسة لم يقصد بنائها بالضرر بالغير، وإن كان أصل بنائها على الشر؛ وإنما اتخذ النصارى الكنيسة واليهود البيعة موضعاً يتعبدون فيه بزعمهم كالمسجد لنا فافتقرا (أي الكنيسة ومسجد الضرار من حيث الحكم والباعث على البناء).

وقد أجمع العلماء على أن من صلى في كنيسة أو بيعة على موضعٍ طاهر أن صلاته ماضية جائزة، وقد ذكر البخاري أن ابن عباس كان يصلي في البيعة إذا لم يكن فيها تماثيل. وذكر أبو داود عن عثمان بن العاص أن النبي ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طواغيتهم. ا-هـ. أي حيث كانت أصنامهم التي تعبد من دون الله تعالى، وذلك بعد إزالتها وتطهير الأرض من رجسها.

قلت: إذا كانت الكنائس والبيع القائمة على الشرك لا تدخل في حكم ووصف مسجد الضرار، فكيف يليق بهؤلاء المتسرعين أن يطلقوا أحكامهم الجائرة على مساجد يُعبد فيها الله تعالى وحده، وتقام فيها الصلوات والجماعات، وغير ذلك مما ينفع المسلمين وأطفالهم .. بأنها مساجد ضرار من غير بينة أو دليل سوى الجهل والظن !!؟

المسألة التاسعة: ما هي آثار الجراءة على بيوت الله تعالى والحكم عليها ظلماً وعدواناً بأنها ضرار..؟!

الجواب: لا شك أن رمي بيوت الله ظلماً وعدواناً بأنها ضرار يترتب عليه آثار ونتائج خطيرة جداً،

منها:

¹ يمكن مراجعة الأدلة التي تفيد تحريم الصلاة في هذه المواضع في كتاب المحلى لابن حزم، وغيره من كتب الفقه.

.لأنها ضرار في نظره وزعمه ..!

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

أولاً: ما ذكرناه من قبل من أنه يفضي إلى انتهاك جميع حرمت المسجد؛ بحيث تكون المزابل والأماكن التي تلقى فيها القمامات أشرف عنده وأفضل من المساجد . أحب الأماكن إلى الله تعالى وهو بذلك يُحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ البقرة: 114. فهو يسعى في خرابها علم بذلك أم لم يعلم.

ثانياً: مؤداه إلى هجر الناس للمساجد، وتركها للجمعة والجماعة في هذه المساجد الجامعة، فينعكس ذلك سلباً على دينهم وسلوكهم وأخلاقهم، وعبادتهم !!

ثالثاً: حرمان الأطفال الاستفادة من البرامج المتنوعة والعديدة النافعة لهم الموجودة في تلك المساجد، رغم حاجتهم الماسة لها وبخاصة الأطفال الذين يعيشون في ديار الغرب، والذي أكثرهم قد فقد اللغة العربية، فضلاً عن الجوانب الدينية الأخرى !!

فيكون البديل لهؤلاء الأطفال الشوارع الفاسقة، والأندية الماجنة، والمكث الطويل أمام شاشات التلفاز المدمرة للخلق والقيم، فيشب الطفل ليصبح عدواً شرساً ضد دينه وأمته !!

رابعاً: مؤداه إلى الفتنة ودب الفرقة والاختلاف بين المسلمين .. فما يراه فلان ضراراً يراه غيره على أنه بيت من بيوت الله تعالى يستحق التعظيم والتوقير!

وما يراه فلان على أنه مسجد ضرار يجب هجره وهدمه وحرقه .. يرى الآخر أنه بيت من بيوت الله تعالى التي تقام فيه الصلوات والجمعة والجماعات، وهو رمز من رموز الإسلام التي يجب الذود عنها بالغالي والنفيس .. !

وهكذا فالناس ينقسمون إلى فريقين وربما إلى فرق متعددة كلها مختلفة فيما بينها متناحرة ومتدابرة، هل هذا المسجد ضرار أم أنه غير ضرار، هل له حرمة المساجد أم ليس له، وهكذا !!

فمن غايات إزالة مساجد الضرار إزالة الفرقة وتحقيق الألفة والمحبة بين المسلمين المؤمنين .. وهنا بسبب الأحكام الجائرة على بيوت الله بأنها ضرار يتحقق خلاف ذلك .. فأين المصلحة من وراء هذه الأحكام الجائرة، ومن المستفيد منها، وفي خدمة من تصب !!؟

خامساً: مؤداه إلى رمي الإخوان ورشق بعضهم البعض بعبارات التضليل والتبديع والتفسيق .. فالذي يرى المسجد أنه ضرار يرمي المخالف له بالتفريط وأنه من أهل مسجد الضرار، وأنه جاهل لا

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

يعرف أحكام مساجد ضرار، وأنه يكثر سواد أهل الضرار، ويعينهم على الضرار.. وغير ذلك من قائمة الاتهامات الجارحة التي لا تكاد تنتهي.

وكذلك الذي لا يرى المسجد أنه ضرار لا يقصر في حق مخالفه فيطلق بحقهم عبارات التبديع والتجهيل، والغلو وغير ذلك.. وهذا كله له ما له من نتائج سلبية قاتلة تنعكس على صفاء القلوب، بل وعلى العمل الإسلامي برمته، فتأمل !!

سادساً: ينتاب الذين يرون المساجد على أنها ضرار شعور شيطاني يميزهم عن بقية الناس؛ فهم عرفوا ما لم يعرفه غيرهم، وهم أشد حرصاً على التمسك بتعاليم الدين التي جهلها غيرهم، وهم كذلك أكثر من غيرهم كفراً بالطاغوت، وهم وهم.. وهذا كله له لذة في النفوس الضعيفة القاصرة يحدثها لهم الشيطان ويزينها ويزخرفها، ليقومهم بالغرور والكبر والترفع على إخوانهم.. فيأتون بحسنة بزعمهم، ليأتوا مقابلها بسيئات مضاعفة !!

فالإفراط والتفريط كلاهما لهما لذة في النفوس الضعيفة مبعثها الشيطان.. ومن لا يفلح الشيطان معه من جهة الإفراط والغلو يأتيه من جهة التفريط والجفاء، فأهل الإفراط والغلو يصور لهم الشيطان أن بيدهم مفاتيح النار يمكن أن يدخلوا فيها من يشاءون ممن يخالفهم أو يخالف اعتقادهم، وأنهم كذلك بجرة قلم يمكن أن يحولوا المسجد إلى ضرار يمنعون الناس من دخوله ومن التعبد فيه.. فهم يملكون عصا التكفير والتخليد في النار يخوفون بها العباد وهزونها لكل مخالف لا يروق لهم؛ وفي ذلك تحصل لهم نشوة لا تلوها نشوة، وبخاصة إذا لاحظوا أن الناس الجهلاء يخشونهم ويرجون منهم أن لا يكفروهم أو يخلدوهم في نار جهنم !!..

أما أهل التفريط والجفاء والإرجاء فهم على عكس ذلك حيث يصور لهم الشيطان أن مفاتيح الجنة بيدهم، وأنهم بإمكانهم أن يدخلوا من يشاءوا من العباد في الجنة، وفي رحمة الله ﷻ، وبخاصة إذا وجدوا الجهلاء من الناس يرجونهم. بالعطايا السخية وغير ذلك. أن يخلدوهم في الجنة وأن يحكموا لهم أنهم من أهلها بيقين، وأن يحدثوهم عن رحمة الله التي تسعهم وتسع ذنوبهم، وأنهم مغفور لهم بيقين.. فهذا كذلك يحدث لديهم نشوة عظيمة توازي نشوة إخوانهم من أهل الغلو والتفريط نعوذ بالله منها ومن أهلها ومن نشواتهم الشيطانية.. ونبراً إلى الله تعالى من أهل الإفراط والتفريط سواء، ومن شذوذاتهم

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

وانحرافاتهم، وأخلاقهم، ومن أن نتألى عليه ﷺ بشيء بغير علم .. كما ونسأله تعالى أن يلهمنا الوسطية الحنيفية السمحة ملة المصطفى ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا ونبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1421/5/1 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2000/8/1 م.

بيان إلى بشار الأسد والطائفة النصيرية بخاصة، والعالم الإسلامي بعامته

حول الأوضاع المستجدة في سورية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

بعد موت حافظ الأسد أخذ المحللون والمراقبون يتناولون الأوضاع المستجدة في سورية بين ناقد،

وناصح، ومؤيد، ومعارض..!

وقد جاءت أكثر الآراء تصب في ضرورة عودة سورية إلى الديمقراطية والحرية بعد عهد

الديكتاتورية والقهر، واحترام إرادة الشعب في اختيار شخص الحاكم .. وضرورة تخلي النظام عن

سياسته الطائفية القائمة على التمييز الطائفي بين الطائفة النصيرية القليلة العدد الحاكمة، وغيرها

من الطوائف الموجودة في سورية والتي تمثل السواد الأعظم من الشعب السوري..!

وبغض النظر عن مدى صحة هذه الآراء وفعاليتها في حل المشاكل القائمة في سورية، فإننا نقول:

إن المشاكل والمزالق التي تعاني منها سورية ليست منحصرة في هذا الجانب وحسب، وإنما هناك جوانب

أخرى هامة جداً لا يمكن إغفالها، أو تجاوزها إذا أردنا بحق أن تخرج سورية من مأزقها الحالي،

وأن يعود لها دورها الريادي والقيادي في الأمة الذي كان لها من قبل، من أهم هذه الجوانب والمشاكل:

أولاً: الطائفة النصيرية الحاكمة: حيث يوجد شعور صائب عند جميع المسلمين السُنَّة في سورية

وخارجها أن النصيرية طائفة مارقة خارجة عن ملة الإسلام كلياً بناءً على ما تنطوي عليه هذه الطائفة

من عقائد وأفكار خطيرة لا يمكن أن تُدرج بسببها كفرقة من فرق الإسلام التي يمكن الاعتراف بها أو

التعايش معها؛ من ذلك قولهم: بألوهية علي بن أبي طالب ﷺ وغيره من البشر، وإنكارهم للبعث

والنشور، والوعد والوعيد .. وقولهم بالتناسخ والحلول .. إضافة إلى جحودهم لأركان وفرائض الدين ..

وتحليلهم للحرام المجمع عليه في الأمة .. وخضوعهم لنصوص ورموز وطقوس باطنية رهيبة .. وغير ذلك

من الأقوال والاعتقادات الشركية التي تدرجها كطائفة باطنية مارقة عن الدين بإجماع جميع أهل العلم

المتقدمين منهم والمتأخرين .. وهذه مسألة ليست محطة خلاف أو جدال بين أهل العلم المعتبرين.

ومما يجعل المسلمين يصدقون أكثر بكفر وزندقة هذه الطائفة: هذا التاريخ المديد للطائفة الحافل بالحرب والمكر والطغيان ضد الإسلام والمسلمين، فهم لا يُعرف عنهم، ولا يُرى منهم إلا العداوة الصريح للإسلام والمسلمين .. يشهد بذلك تدميرهم للمساجد في مدينة حماه وغيرها من المدن، وقتلهم وسجنهم ومطاردتهم للآلاف من الشباب المسلم بسبب انتمائهم لهذا الدين بحق، أو ظهور بعض علامات التدين عليهم .. ولا يزال إلى يومنا هذا عشرات الآلاف من المسلمين قابعين في سجون القهر والتعذيب كتدمر وغيره !!

إضافة إلى ذلك فإنك لا تستطيع على امتداد الجبال النصيرية في سورية أن تجد رجلاً واحداً قد حج بيت الله الحرام .. أو يقيم الصلوات الخمس كما يقيمها المسلمون .. أو يصوم شهر رمضان .. بل هي خاوية تماماً من المساجد التي يُرفع فيها الأذان أو تقام فيها الصلوات !!
فإن قيل هذا مسجد ناعسة في القرداحة .. فكيف تفسرون ذلك ؟

نقول: بُني هذا المسجد لأهداف سياسية بحتة بدليل أن هذا المسجد منذ أن أُسس لم يُفتح إلا ثلاث مرات: مرةً لما ماتت صاحبتة ناعسة أم حافظ الأسد، ومرةً لما مات باسل الأسد، وأخيراً لما مات حافظ الأسد .. من أجل الصلاة عليهم !!

لذا فإننا نقول ناصحين ومشفقين وجادين: إذا أرادت هذه الطائفة . ممثلة في قياداتها الدينية والسياسية وجميع أبنائها وشبابها . أن تعيش بأمان وسلام، وعزة وكرامة مع المسلمين كل المسلمين في سورية وخارجها، وأن تعود إلى الجسد الأم كجزء لا يتجزأ عن الأمة، لا بد لها من أن تعلن . على الملأ . براءتها من عقائدهم وأفكارهم الباطنية الباطلة والمنحرفة، ومن تحالفاتهم المشبوهة مع أعداء الأمة، وأن يدخلوا في سلم الإسلام كافة، ظاهراً وباطناً .. فإن التوبة قبل القدرة تجبُّ ما قبلها وهي أصدق في الدلالة على التراجع عن الباطل، وهي أنفع لهم من التوبة بعد القدرة وسطوة السيف.

أيها النصيريون: لا يمكن للأمة أن تقبلكم كجزءٍ منها ومن أبنائها، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم من الحقوق والواجبات . وأنتم على ما أنتم عليه . إلا بعد أن تعلنوا التوبة والبراءة مما أنتم عليه من كفر وباطل وانحراف .. وثبتوا . بالقول والعمل . أنكم لستم ضد الأمة ولا ضد دينها وثوابتها .. وهذه حقيقة لا ينبغي أن يصدكم عنها ما أنتم عليه في هذه الأيام من قوة وطغيان، فالتاريخ ليس كله لكم، والزمن إن

أسعفكم يوماً، فبقية الأيام ليست كلها لكم، ولو كانت ستدوم لكم لدامت لغيركم من الطواغيت والجبابرة الظالمين الذين هلكوا من قبلكم.

فاعتبر يا بشار بأبيك وما نزل به، ولا تظنن أنك ستبلغ من الملك والرياسة أكثر مما بلغ أبوك أو مثله .. فيها هو بعد ثلاثين عاماً من الحكم قضاها في الظلم والطغيان .. جعل من نفسه نداً لله ﷻ في كثير من خصائصه وصفاته .. إلى أن وصل كذب وضلال الناس وفتنتهم به أن يقولوا له: إلى الأبد إلى الأبد يا حافظ الأسد .. وكأنه لن يموت؟!؟

يا الله حلَّك حلَّك يجلس حافظ محلك ..!!!؟

وكان يسمع ذلك منهم .. فما يزيد ذلك إلا كفراً وطغياناً وكبراً !!

لكن أين أبوك الآن .. وأين الله ﷻ، وأين الإسلام، وأمة الإسلام..!؟

ماذا نفعه ظلمه وجبروته .. ماذا أخذ معه من ملكه وسلطانه وجنده .. إنه كفته وحسب ليقف منفرداً أمام أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين، فيحاسبه على ما فرط بحق نفسه وحق شعبه وأمته. ما نزل بأبيك نرجو أن تكون فيه كامل العبرة لك ولطائفتك، تحملكم جميعاً بجد على التفكير بعواقب الأمور في الدنيا والآخرة ..

لا تغرنكم هتافات الشعوب الضالة والمقهورة، ولا نفاق المنافقين المتزلفين .. فمن يقول لكم غير ذلك فهو غاش لكم، ولا يمكن أن يكون ناصحاً، وهو لا يريد لكم الخير ولا البقاء ..!

إنكم اليوم تُجرون الصلح . منفردين وبعيدين عن إرادة الأمة . مع اليهود ودولة إسرائيل .. فهلاً اصطلحتم أولاً مع الله ﷻ ودخلتم في دينه وعبادته بصدق وإخلاص ..!؟

هلاً اصطلحتم مع أهل السنة في بلدكم، واعتذرتهم لهم عما بدر منكم نحوهم من ظلم واعتداءات،

وانتهكات للحرمان .. قبل أن تصطلحوا مع اليهود ودولة إسرائيل ..!؟

فأيهما أولى بالصلح والسلام ..!؟

وأيهما نفعه أقرب وأدوم لكم ..!؟

أليس فيكم اليوم رجل رشيد قبل حلول ساعة الندم، ولات حين مندم ..!؟

ثانياً: قد أفرزت فترة حكم الطاغية حافظ الأسد في المجتمع السوري تورمات سرطانية خطيرة لا بد من استئصالها وإزالتها، إن أردنا لسورية الشفاء وأن تعود لها عافيتها، ويعود لها دورها الريادي والقيادي.

من هذه التورمات السرطانية حزب البعث وغيره من الأحزاب العلمانية الملحدة التي ناصبت الإسلام والمسلمين الحرب والعداء طيلة فترة وجودها .. هذه الأحزاب التي طالما كانت عقبة كؤوداً أمام حركة الإسلام وانتشاره .. تمنع عودة العباد إلى دينهم وربهم !

لذلك نجد أن حافظ الأسد ومعه طائفته قد استغلوا هذه الأحزاب كغطاء سياسي لمحاربة الإسلام والمسلمين، وتمير مخططاتهم ومآربهم !!..

ثم أن هذه الأحزاب قد أعطيت الفرصة الكافية لتظهر ما عندها، ويُعرف خيرها من شرها .. فما عُرف عنها إلا الشر، والفساد، والدمار للبلاد والعباد !!..

لذا نرى من السلامة أن تزول . غير مأسوفٍ عليها . قبل أن تُزال !!..

والقول بخلاف ذلك هو من قبيل إعطاء المسكنات التي لا تزيد المرض العضال إلا قوة واستفحالةً .. وهو لا يمكن أن يكون علاجاً يحسم أصل الفساد والمرض.

ثالثاً: لقد نجم عن هذه التورمات السرطانية الأنفة الذكر تسلط فئة من اللصوص الساقطين المنافقين المرتدين .. على مقدرات البلاد والعباد، فكان لهم أسوأ الأثر على سورية وعلى جميع المستويات الداخلي منها والخارجي !

وهؤلاء كذلك . عند الحديث عن سورية القوية المعافية . لا بد أن يُزالوا بعد أن يأخذوا قصاصهم العادل .. ويحاسبوا على ما فرطوا بحق الأمة والشعوب.

رابعاً: ما تقدم هو كائن . بإذن الله . لا محالة ولو بعد حين؛ فإن سورية الشام لا بد أن يعود لها دورها المشرف في قيادة الأمة ونصرة هذا الدين وإعلاء كلمته .. ولكي يتحقق ذلك كله لا بد أولاً من أن يتقدم ذلك عملية استئصال للفساد من جذوره وأصوله، لتزول مادته عن موقع التأثير وإصدار القرار. وهذا ليس من قبيل الظن أو الضرب بالغييب من غير علم، بل الأحاديث النبوية الصادقة هي التي نطقت بذلك، ودلت عليه.

قال ﷺ: "إن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله"، أي أن الله تعالى قد تكفل لنبيه ﷺ بنصرة هذا الدين وإعلاء كلمته بالشام وأهله، ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

وقال ﷺ: "لن تبرح هذه الأمة منصورين أينما توجهوا لا يضرهم من خذلهم من الناس حتى يأتي أمر الله، وهم بالشام".

وقال ﷺ: "لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". وغرب المدينة هي الشام.

وقال ﷺ: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم".

وقال ﷺ: "يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، قالوا يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام".

وقال ﷺ: "إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وصادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع عمُد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام".

وقال ﷺ: "هل تدرون ما يقول الله ﷻ بالشام؟ يقول: أنت صفوتي من بلادي أُدخل فيك خيرتي من عبادي .. ورأيت ليلة أُسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة. قلت: ما تحملون؟ قالوا: نحمل عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام".

وقال ﷺ: "فسطاط المسلمين . أي مدينتهم . يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق، من خير مدائن الشام".

وفي رواية قال ﷺ: "يوم الملحمة الكبرى، فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ".

وقال ﷺ: "إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً يؤيد الله بهم الدين". وهذه الأحاديث كلها صحيحة والله الحمد . قد صححها أهل العلم والحديث . وهي قليل من كثير مما قيل في فضائل الشام وأهله [1].

وما جاء فيها من أخبار ستتحقق . ولو بعد حين . بإذن الله، فإن محمداً ﷺ ما كذب أمته قط، حاشاه وهو الصادق الأمين ..

¹ مما يدخل في بلاد الشام: سورية، وفلسطين، والأردن، ولبنان.

والشاهد مما تقدم أن الخير بدلالة النص سيعود للشام، وأن الخير. رغم كيد الكائدين . باقٍ في الشام .. وأن الشام سيعود إليها دورها في استئصال مادة الشر والفساد، ونصرة دين الله وإعلاء كلمته في الأرض.

وأن حكم الطائفة النصيرية ما هو إلا عبارة عن غيمة سوداء ستزول . بإذن الله . عن سماء الشام، وها قد بدأ أقولها ..

فسنوات حكم النظام النصيري الطائفي في بلاد الشام لا شيء بالنسبة للامتداد الزمني لتاريخ ومستقبل بلاد الشام الحافل بالكرامات والبطولات .. ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ . ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ . ويخزي الظلم والظالمين، والكفر والكافرين ..

فإن قيل . ولا بد أن يُقال . أنتم تعظون قوماً عرفوا بكفرهم المغلظ والمركب، وبعدهم القديم للأمة وثوابتها .. فهل تطمعون بتوبتهم وإياهم إلى الحق والجماعة !!؟

نقول: نعرف ذلك، وما عرفوا به من كفر مغلظ لا يمنع من نصحتهم ووعظهم من باب إنذارهم سوء العاقبة، والإعذار إلى الله تعالى ولعلمهم يتقون .. والله تعالى يهدي من يشاء.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ . والحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة
أبو بصير الطرطوسي

15/ ربيع الأول/1421هـ
2000/06/17م

حوار بين مسجدين الروضة والرضى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا حوار بين جماعتين سلفيتين، ترفعان شعار "الكتاب والسنة، والاهتداء بفهم السلف الصالح"، لكن أيادٍ غريبة عميلة مشبوهة انغمست بينهما وفرقت بين الأخوين، وزرعت في دروب التلاقي والتحاب والتآخي بينهما أشواكاً وألغاماً من الأهواء والأحقاد، والمتناقضات، والشبه .. وقد تحققت لهم أهدافهم إلى حد كبير، بحيث دب بين الأخوين المسلمين البغضاء؛ حالقة الدين، وأصبح الأخ . بفعل هذه الأهواء والمتناقضات المصطنعة . لا يطيق أن يرى أخاه أو أن يسمع منه شيئاً حتى لو كان حقاً، فحقه مرفوض ما دام قد جاء منه أو عن طريقه، بل لا يتوانى لحظة في أن ينزل في ساحته الشر والأذى من باب ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، كما زعموا .. !!

وساحة هاتين الجماعتين ليست مسجدين في مدينة أو دولة فقط، بل هي تشمل دولاً وأمصاراً، حتى إنه لا تخلو دولة من وجود وأثر لهذين المسجدين والجماعتين .. لذا لا بد من كسر الطوق، وخرق الحواجز النفسية المصطنعة، وإجراء هذا الحوار الهادف بينهما .. عسى الله أن يلم الشمل، ويوحد الصفوف، ويؤلف بين القلوب على ما يحب ويرضى، ويكون سبباً لهداية بعض القلوب .. إنه تعالى سميع قريب.

- الروضة: السلام عليكم ورحمة الله ..

- الرضى: وعليكم ..!

- الروضة: لماذا لا تردون التحية كاملة، ألسنا إخوانكم، ألم يأمرنا الله تعالى في كتابه العزيز بأن

نرد التحية كاملة أو أحسن منها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾، أم

أنكم تنزلوننا منزلة كفار أهل الكتاب الذين يحرفون الكلام عن مواضعه ..؟!!

- الرضى: لا، ولكنكم من أهل الأهواء والبدع، والآثار قد جاءت بوجوب الإغلاظ على أهل البدع،

وهجرهم ..!

- **الروضة:** نعيذكم من الوقوع في الزلل والظلم، فالذي يقبح ويبعد من غير دليل ولا برهان، كالذي يحسن ويزين ويحلل من غير دليل ولا برهان، حيث كلاهما يعتبران تعدٍ على حقوق الله تعالى وخصوصياته، فالله تعالى وحده الذي يحكم على الأشياء بالحسن أو التقبيح، وما هو مشروع أو غير مشروع، وما هو بدعة وما هو غير ذلك .. وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أنا مدحي زين وذمي شين!! فقال له النبي ﷺ: "ذلك الله": أي هذا ليس من خصوصياتك ولا من خصوصيات أحد غيرك، وإنما هو من خصوصيات الله تعالى وحده، فالذي يقول الله تعالى عنه: زين وحسن فهو زين وحسن على الإطلاق، وما يقول عنه شين فهو شين وباطل على الإطلاق، ولا اعتبار لمعارضيه ومخالفيه من البشر والعبيد أياً كانوا، ورحم الله القائل: من استحسن فقد شرع، وكذلك الذي يقبح ويبعد من تلقاء نفسه من غير دليل ولا برهان فقد شرع ما لم يأذن به الله، وجعل من نفسه نداً لله تعالى في أخص خصائصه .. ألا وهي خاصية التحسين والتقبيح، والتحليل والتحرير.

فهلا بينتم لنا بالدليل . من الكتاب السنة . أين يكمن وقوعنا في الأهواء والبدع، وما هي نوعية هذه البدع لعلنا نجتنبها أو نقلع عنها ..؟

- **الرضى:** أخبرنا أشياخ ثقة عنكم أنكم من أهل البدع، وهذا يكفي لاعتزالكم واجتنابكم وتحذير الناس منكم ..!

- **الروضة:** هل هذا يكفي لكي تحكموا علينا بالتبديع والتضليل، ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .
فهلاً تبينتم ثم حكمتم .. ؟!

- **الرضى:** الحقيقة أننا لم نتبين، ولا نريد أن نتبين، فالمشايخ عندنا ثقة لا يكذبون أمتهم، وما عهدنا عليهم الكذب .. وقد أخبرونا عنكم بأشياء لا نريد أن ندخل في نقاشها؛ لأننا نهينا عن الجدل، وبخاصة مع أهل الأهواء والبدع ..!

- **الروضة:** ليس مطلق الجدل، فالجدال بالتي هي أحسن مرغوب شرعاً، ثم نحن ننشد منكم النصيح . لا الجدل . والتواصي بالحق والصبر، كما جاء ذلك في سورة "العصر"، فهل ذكرتم لنا هذه الأشياء، حتى نتراجع عنها إن كنا مخطئين، وإن كنا غير ذلك، ظهر الحق لكم فتزولوا عنده راضين

ومستسلمين لأن الحق غاية المسلم ومراده، أينما وجده أخذ به ونزل عنده، لا يلتفت عنه إلى ما سواه ولو إلى نفسه وهواه !..

- **الرضى:** قيل لنا أنكم تؤمنون "بالحزبية" والإسلام نهى عن الحزبية والتفرق !..

- **الروضة:** ماذا تعنون بالحزبية، فإن كلمة الحزبية حمالة أوجه ومعانٍ، فهي تطلق ويراد منها

معانٍ شرعية صحيحة، وأحياناً تطلق ويراد منها معانٍ غير شرعية، فأبي الوجهين تقصدون وتريدون ؟..

- **الرضى:** نعني مطلق الحزبية، فالحزبية كلها شر، ولا يوجد لها معنى شرعياً صحيحاً كما

ذكرتم !..

- **الروضة:** بدلاً من التسرع في إطلاق هذا النفي، كان ينبغي عليكم أن تسألوننا عن الدليل الشرعي

. الذي يحسم مادة الخلاف . الدال على المعنى الإيجابي للحزبية ؟..

- **الرضى:** تفضلوا ما هو الدليل ؟..

- **الروضة:** لنتفق أولاً على المعنى السيئ للحزبية لنخرجه من دائرة النقاش، ونحصر النقاش في

الجوانب الإيجابية للحزبية، التي حصل الخلاف عليها، ثم ننظر بعد ذلك إن كانت هذه الجوانب من

الحزبية مشروعة أم لا ..

- **الرضى:** لا بأس إن كان ذلك يرشد النقاش، ويسهل الوصول إلى الحقائق بشكل أسرع، وإن كنا

نعتمد أن مطلق الحزبية والتحزب شروباطل، لا خير فيها !..

- **الروضة:** من الجوانب الباطلة للحزبية: التحزب على الباطل؛ بمعنى الاجتماع على منهاج وأفكار

باطلة بدعية، أو التحزب على عقد الولاء والبراء في الحزب وأرباب الحزب، والانتصار للحزب والجماعة

أو الشيخ في الحق والباطل سواء، والتفوق على الذات من دون إعطاء الآخرين حقهم من الموالة بحسب

قرهم أو بعدهم عن الإسلام، وكذلك أخذ الحق وقبوله لكونه صادراً عن الحزب أو الجماعة أو الشيخ،

بينما لو جاء عن غير طريق الحزب أو الشيخ فهو لا يلقي نفس القبول عند الأفراد والأتباع .. فهذه المعاني

للحزبية أو التحزب كلها باطلة وغير شرعية، لا يجوز تبنيها أو التحلي بها، أو الدعوة إليها، وهي لا تأتي

للأمة إلا بالضعف والتفرق والدمار ..

- الرضى: كلام جيد، ولكن ماذا تقصدون بالتحزب للشيخ أو الانتصار له، وما علاقة ذلك

بمسألتنا المطروحة للنقاش..؟

- الروضة: نعي كما أن التحزب للحزب أو الجماعة في الحق والباطل هو باطل وغير مشروع،

كذلك التحزب والتعصب للشيخ وأقواله في الحق والباطل هو باطل وغير مشروع، وصور التحزب . في

زماننا . للشيخ وأقواله أوسع انتشاراً وأثراً من صورة التحزب للأحزاب .. فالتحزب للباطل وعلى أساس

الباطل، باطل مهما كانت صورته وأشكاله ..

- الرضى: لا خلاف على ذلك، ولكن بقي أن تبينوا لنا الجانب الإيجابي الشرعي للحزبية كما

زعمتم ..!

- الروضة: نعي بالجانب الإيجابي الشرعي .. هو ضرورة اجتماع المسلمين في جماعة واحدة . ما

استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . وبطريقة منظمة، تأخذ بأسباب القوة والمنعة بعيداً عن الفردية والارتجال

والفوضى والعشوائية، ليتحركوا بقوة نحو أهدافهم العامة في مواجهة الباطل المدجج بجميع أنواع

القوة المادية، ومن أجل استئناف حياة إسلامية . على جميع مستويات الحياة . وقيام خلافة راشدة على

منهاج النبوة..

- الرضى: من أين أتيتم بهذه الضرورة..؟!

- الروضة: تأتي هذه الضرورة من جهة أن الأهداف الإسلامية العامة الكبيرة المتفق عليها بين

الأمّة، لا يمكن التحرك نحوها . في خضم هذه الجاهلية المعاصرة القوية والمنظمة، والمجتمعة فيما بينها

على حرب الإسلام والمسلمين . إلا من خلال عمل جماعي منظم يرشد الطاقات ويوحد الصفوف في

مواجهة الأخطار والتحديات .. فالحديد لا يفله إلا الحديد، والقوة لا يردها ولا يقوم لها إلا القوة .. وما

لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والإله ترون بالإمكان استئناف حياة إسلامية، وقيام خلافة راشدة، وغير ذلك من الأهداف

العامة المنشودة .. ثم كل مسلم في العالم يتحرك إلى تلك الأهداف بطريقة فردية أنانية وبمعزلٍ عن

إخوانه، ومن دون الأخذ بالإعداد والأسباب التي تؤدي إلى النصر والتمكين ..؟!

- الرضى: نحن نؤمن بالكتاب والسنة، نريد كلاماً من الكتاب والسنة ..؟

- الروضة: الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة متوافرة، وهي أكثر من أن تحصر في هذا الموضوع، منها قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، ومن القوة والإعداد الجماعة والتنظيم. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"، وقال: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة"، وإذا كان الشيطان من الاثنين أبعد، فهو لا شك من الثلاثة أبعد، ومن الأربعة والخمسة أشد بعداً، وهكذا كلما كبر عدد المجتمعين على طاعة الله كلما كانوا من الشيطان أبعد ومن الرحمة أقرب.

وقال ﷺ: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب"، وقال: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"، ولا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم".

قال ابن تيمية: فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة. ا-هـ.

وقال الشوكاني: فيها دليل على أنه يشترع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى ا-هـ.

وقال عمر بن الخطاب ؓ: لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا إمارة، ولا إمارة بلا سمع وطاعة. قال علماء نجد رحمهم الله تعالى: وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أن لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة؛ وهذه الثلاثة متلازمة، لا يتم بعضها ولا يستقيم بدون بعض، وبها قوام الدين والإسلام، وبها صلاح العباد في معاشهم ومعادهم، وإذا وقع الإخلال والتقصير

فيها أو في بعضها حصل من الشر والفساد بحسب ما وقع من ذلك ولا بد، وهكذا حتى يعظم الفساد، ويتتابع الشر ويتفاقم الأمر، وينحل النظام، وتتخلف أمور الدين⁽¹⁾ -هـ.
فهذه أدلة الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة كلها تضافرت على ضرورة العمل الجماعي بإمارة وتنظيم.

ثم لو تأملنا أي عمل دنيوي مهما كبر أو صغر لرأينا أنه يخضع في حركته ونشاطه إلى تنظيم وتخطيط دقيقين، وإلى رئيس ومرؤوس، وأمير ومأمور، وهذا أمر. لحاجة البشر إليه. تدل عليه الفطر والعقول كما تدل عليه النصوص الشرعية، لا يكاد يخالف فيه عاقل، فعلام أنتم تشذون عما يطالب به العقل والنقل والواقع، واجتمعت على فعله جميع الشعوب والعقلاء.. وتريدون من الأمة أن تعمل لاستئناف حياة إسلامية، وقيام خلافة راشدة بطريقة فردية مبعثرة متفرقة هزيلة؛ كل فرد يكون جماعة بمفرده، رئيس ومرؤوس ..!!؟

- **الرضى:** قد أسهبتم وأفدتم مشكورين، ولكن نخشى أن يوصف أو يصبغ هذا العمل المشروع الذي تقدمت الإشارة إليه بالحزبية أو الحزب، وهذا ما لا نريده..!

- **الروضة:** لا ينبغي أن نستهن أو نستحي من كلمة جاء ذكرها في مواضع عديدة من القرآن الكريم بصيغة المدح، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.
- **الرضى:** ولكن أيضاً جاءت كلمة "حزب" في مواضع عديدة من القرآن الكريم بصيغة الذم، كقوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وقوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

- **الروضة:** صحيح، ومما تقدم يعلم أن "الحزب" يطلق أحياناً ويراد به الجانب الممدوح، وأحياناً يطلق ويراد به الجانب المذموم، بحسب ما قد تم الاجتماع أو التحزب عليه، فإن كان الحزب قائماً على

¹ انتهى كلام العلماء وهم: محمد بن عبد اللطيف، وسعد بن حمد بن عتيق، وصالح بن عبد العزيز، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، رحمهم الله تعالى، انظر الدرر السنية: 9/197. والمسألة بحثت بتوسع في كتابنا "حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية"، فانظرها. إن شئت. هناك.

طاعة الله ورسوله، وموالة المؤمنين ومعاداة الكافرين فهو حزب محمود ومرضي، وإن كان قائماً على معصية الله وموالة الكافرين فهو حزب باطل ومذموم شرعاً، فمرد الذم والمدح على صفة الحزب وما قدمتم التحزب والاجتماع عليه وليس لمجرد التحزب أو الكلمة .. !

قال ابن تيمية: كون الأستاذ يريد أن يوافق تلميذه على ما يريد فيوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه مطلقاً، وهذا حرام ليس لأحد أن يأمر به أحداً، ولا يجيب عليه أحد، ومن حالف شخصاً على أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه كان من جنس التترالمجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان. ولكن يحسن أن يقول لتلميذه: عليك عهد الله وميثاقه أن توالي من والى الله ورسوله، وتعادي من عاد الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان -هـ- فتأملوا كيف أن شيخ الإسلام لم يعترض على مجرد التعاقد والتوافق والتحالف بين الأستاذ وتلاميذه، وإنما كان اعتراضه على ما يتم التعاقد والتوافق عليه، فإن كان مشروعاً ويرضي الله ورسوله فهو جائز ومشروع، وإن كان خلاف ذلك فهو غير مشروع ولا جائز وهو من ضروب التعاقد على الباطل والإثم والعدوان.

وهذا الذي يدل عليه مفهوم الحديث الصحيح: "ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط": أي إذا كان الشرط مما جاء به الكتاب أو دلت عليه السنة فهو حق يجب الوفاء به، والعمل بمقتضاه، وما سوى ذلك فهو مردود.

- الرضى: هذا يعني أن الباب مفتوح على مصراعيه لتشكيل أحزاب متعددة متنافسة في الأمة

الواحدة ..؟!!

- الروضة: قولنا بضرورة العمل للإسلام من خلال جماعة منظمة وإن سميت حزباً، لا يستلزم

منه فتح الباب على مصراعيه لتشكيل أحزاب متنافسة متنافرة فيما بينها تفرق كلمة الأمة وتضعف شوكتها وطاقاتها.

والذي يمكن تقريره بإيجاز فيما يخص هذا الأمر: أن أي تعدد للأحزاب الإسلامية على الساحة

لا يمكن دفعه وتفاديه إلا بضرر أكبر منه، وبمفسدة أعظم من تلك المفسدة التي يراد إزالتها، فإن حصوله

وجوده . أي التعدد . يسقط الإثم والحرَج إلى حين تحقق القدرة على إزالته بمفسدة أقل؛ لأن العجز باتفاق يرفع التكليف والمؤاخذة عن صاحبه، أما إن كان هذا التعدد يمكن تجاوزه وتفاديه . بضرر أقل . ثم يحصل تقصير في تحقيق ذلك، فالإثم يطال أصحاب هذه الأحزاب مجتمعة لتقصيرها فيما يمكن القيام به، وكل بحسب تقصيره؛ لأن الاجتماع . على طاعة الله وأمره . واجب شرعي لذاته ولغيره.

- الرضى: ماذا تقصدون بالواجب لذاته ولغيره .. ؟

- الروضة: هو واجب لذاته لأن الله تعالى قد أمرنا بالاجتماع ونهانا عن الفرقة والاختلاف، وهو

كما يكره لنا التفرق والاختلاف فإنه يجب لنا الوحدة والاعتصام بحبله جميعاً.

أما كونه واجب لغيره؛ فلأن النصر والتمكين والاستخلاف وغير ذلك من معاني القوة والشوكة .. كل ذلك لا يتحقق إلا من خلال الاجتماع والاتحاد، والاعتصام بحبل الله جميعاً، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

- الرضى: هل يفهم من ذلك أن امتناع هذه الجماعات أو الأحزاب عن الاجتماع والاتحاد يفقدها

مبرر وجودها، وبالتالي فالواجب عليها أن تنفض وتنحل وكل يعود أدراجه إلى بيته .. ؟!

- الروضة: بحسب المصالح والمفاسد المحققة من جراء ذلك، فإن كانت المصالح ترجح على

المفاسد، تبقى هذه الأحزاب مع لحوق الإثم والحرَج بها لتقصيرها في واجب الاجتماع والاتحاد، وإن كانت المفاسد ترجح . بسبب التفرق . فالواجب هنا أن تنحل وتنفض غير مأسوف عليها..

- الرضى: إلى هنا قد بان لنا كثير من جوانب الموضوع .. جزاكم الله خيراً.

- الروضة: الحمد لله، ولكن هل تسمحون لنا أن نصارحكم ببعض ما يجول في نفوسنا عليكم..!

- الرضى: بإمكانكم ذلك..!

- الروضة: مما نلاحظه فيكم أنكم تعادون مطلق العمل الجماعي المنظم باسم محاربة الحزبية،

وقد بلغ غلوكم في المسألة مبلغاً جعلكم توالون عليها وتعادون فيها، وكأنها قضية إيمان وكفر، أصل من أصول الدين؛ فمن يرى العمل الجماعي المنظم فهو عندكم ليس من أهل السنة والجماعة، وله منكم

العداوة والبغضاء أبداً حتى يقلع عن حزبيته، ومن لا يرى العمل الجماعي أو الحزبية فهو عندكم . على

عجره وبجره . من أهل السنة، وله منكم كل الموالاتة والتودد والمؤاخذة !!

وإذا أردتم أن تصفوا مخالفكم بأشنع الأوصاف، تقولون عنه: هذا رجل حزبي، يدعوا إلى

الحزبية..!

أترون مثل هذا السلوك ينسجم مع الفقه والإنصاف والعدل، ومع عقيدة الولاء والبراء التي جاء

بها الإسلام..!؟

- **الرضى:** اللهم لا .. ولا نخفيكم أنه يوجد بيننا عناصر. باسم العلم ومحاربة البدع! . تغزي في

الشباب حب الفرقة وهذا السلوك والفقه الشاذين، وتزرع فيهم الحقد واللؤم والبغضاء على إخوانهم

في العقيدة والدين ..!!

- **الروضة:** ثمة أمر آخر نود مصارحتكم به، وهو أنكم عندما تربون الشباب على التمايز عن

إخوانهم من أهل السنة، وعلى التعصب لأشخاص بأعيانهم دون غيرهم، وأن يأخذوا الحق منهم فقط

دون سواهم، ولو جاء الحق من غيرهم أو عن غير طريقهم فهو لا ينال عندكم القبول كما لو جاء من

عندهم، وكذلك فإنكم توالون من والاهم. ولو في الباطل. ولو كان من أفجر الناس، وتعادون من عاداهم

أو جافاهم في الحق ولو كان من أتقى وأعلم الناس ..!؟

ألا ترون أن هذا هو التحزب الباطل الممقوت شرعاً، والذي يجب على جميع أفراد الأمة أن تترفع

عنه وتجتنبه .. أنهون عن خلقٍ وتأتون أسوأ ما فيه !!؟

- **الرضى:** الحقيقة هذا موجود في صفوفنا، ولا شك أنه باطل لا يجوز، ولكن كذلك لا يجوز

التعميم ..!

- **الروضة:** جزاكم الله خيراً، نحن لا نقصد التعميم ولا نريده، وإنما أردنا الغالب والسائد بين

أكثر شبابكم، وهذا مدعاةً لمراجعة النفس ومحاسبتها قبل أن تحاسب يوم لا ينفع مال ولا بنون..

- **الرضى:** صدقتم .. ولكن من المستفيد من هذه الحرب الشعواء المثارة ضد العمل الجماعي

باسم محاربة الحزبية والتحزب ..!؟

- **الروضة:** المستفيد بالدرجة الأولى هم طواغيت الحكم والكفر وقوى الكفر العالمية، حيث لا

يقلقهم ويخيفهم شيء أكثر من أن يتحرك لهذا الدين بطريقة جماعية منظمة، لأنهم يدركون أنه الأسلوب

الوحيد الذي يمكن أن يحقق شيئاً نحو للأهداف الإسلامية العامة، وبالمقابل فهم يسرون جداً عندما

يرون المسلمين يتحركون للإسلام بطريقة فردية أنانية هزيلة تبعثر الطاقات ولا توحيدها، لعلمهم أنها طريقة لا طائل من ورائها، ولا يمكن أن تعطي ثماراً تُذكر، أو تشكل عليهم خطراً يوماً من الأيام، لذلك فهم يزكون فقه التفرق والتشردم والتنازع في صفوف الأمة، وكم يكون الخبر ساراً على قلوبهم عندما يعلمون أن الجماعة انقسمت إلى جماعتين، والدولة إلى دولتين .. وقد يمارفوا شعارهم المعروف "فرق تَسُد".

- الرضى: وهل المشايخ يعرفون ذلك .. !؟

- الروضة: منهم من يعرف، ومنهم من لا يعرف ومنهم من يقلد من يعرف ومن لا يعرف، والذي يعرف فهو ينشط في هذا المضمار. باسم محاربة الحزبية . إما رهبة من بطش الطواغيت وإما رغبة بما في أيديهم من الفتات والعظام المجردة عن شحومها ولحومها .. وجميع هؤلاء الذين يحاربون العمل الجماعي مطلقاً باسم محاربة الحزبية، تصب جهودهم في خدمة الطواغيت وقوى الكفر، علموا بذلك أم لم يعلموا، وسواء أرادوا ذلك أم لم يريدوا .. ولا أزال أذكر قصة أولئك الشباب السلفي عندما أرادوا أن يتخلصوا من شر الطاغوت وفتنته وسجنه، قالوا: نحن من جماعة الشيخ السلفي فلان الذي لا يؤمن بالحزبية ولا بالعمل الجماعي، وهو يرى في كفر طاغوتكم الأكبر أنه كفر أصغر، كما يقول ابن عباس: كفر دون كفر .. فخلي سبيلهم !!

- الرضى: ولكن هؤلاء الذين تصفونهم بأنهم طواغيت هم أولياء أمور المسلمين، تجب طاعتهم .. وهذه من جملة الأمور التي تؤخذ عليكم؛ وهو أنكم تنهجون نهج الخوارج الغلاة في التعامل مع ولاة الأمور!!

- الروضة: ولاة الأمور الذين تجب طاعتهم في المعروف هم الولاة الذين يحكمون الأمة بالكتاب والسنة، ويوالون المؤمنين ويعادون الكافرين، ويجاهدون في سبيل الله تعالى أعداء الأمة، أما هؤلاء الطواغيت الذين تصفونهم بأنهم ولاة للمسلمين فقد استبدلوا شرع الله بشرائع الكفر والطغيان، وتحاكموا إليها وفرضوها على شعوبهم . بالحديد والنار. بعد أن زينوها في أعينهم من خلال مكر الليل والنهار .. ودخلوا في موالة ونصرة الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وعادوا المؤمنين الموحيدين والدعاة إلى الله منهم خاصة، وعطلوا الجهاد في سبيل الله ووصفوه بالإرهاب والعنف تنفيراً للناس عنه، وهم

إضافة إلى ذلك فقد حسنوا الفواحش والمنكرات في أعين الناس وزينوها وقننوا لها القوانين التي تحميها، وشجعوا النساء . أداتهم ووسيلتهم في إغواء وإغراء العباد . على التبرج والتبرج والتبرج والتبرج . وكذلك فرقوا الأمة بل القطر الواحد إلى ولاءات وأحزاب علمانية كافرة متناحرة متنافرة، لها كامل الحرية في الحركة والعمل بين العباد وفي البلاد باسم الديمقراطية كما يزعمون، ويجوز لهذه الأحزاب الكافرة ما لا يجوز للدعاة إلى الله .. ولو أردنا أن نستقصي مخازيمهم وكفرهم لوجدناهم متلبسين في جميع نواقض الإيمان القولية والاعتقادية والعملية التي تخرج صاحبها من الملة .. فكيف يحسن بكم أن تصفوا حكماً هذه أقل صفاتهم بأنهم ولاة تجب طاعتهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾؟!

- الرضى: ولكنهم يقولون: لا إله إلا الله .. ؟

- الروضة: يقولون لا إله إلا الله، ولكنهم بنفس الوقت يأتون صراحة بضدها . من النواقض . في أنّ واحد، فهم مثلهم كمثل من يقولون لا إله إلا الله ثم بلسان الحال والقال يقول بإله آخر مع الله، ويعبد إلهاً آخر من دون الله ﷻ !!

ومثل هذا أتى له أن ينتفع بلا إله إلا الله وهو يمارس نواقضها على مدار الساعة، وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: " لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئٍ " . ثم ألا تعلمون أن لا إله إلا الله قد قيدت بقيود وشروط، منها: العلم، والإخلاص، والصدق، والانقياد، والعمل بها، والحب لها ولأهلها المنافي للكره وغير ذلك .. فهل ترون هؤلاء الطواغيت يقولون لا إله إلا الله بقيودها وشروطها الأنفة الذكر..؟!

- الرضى: لا، ولكن ابن تيمية وغيره من أهل العلم قد نصوا على وجوب طاعة الأئمة وعدم الخروج عليهم، وإن ظهر منهم بعض الفجور والفسوق ..

- الروضة: هذا صحيح، ولكن أي أئمة..؟! من لوازم فقه الفتوى ودلائلها معرفة الواقعة والأعيان التي قيلت فيهم هذه الفتوى، وما قاله أهل العلم في الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين لا يجوز أن يقال أو يحمل على حكام اجتمعت فيهم جميع خصال الكفر والزندقة والنفاق، وكذلك لا يجوز حمل النصوص الشرعية التي تأمر بطاعة الأئمة المسلمين العدول في المعروف على طاعة حكام الكفر والفجور، كما

يفعل ذلك مشايخ السوء والسلطان .. وهؤلاء بفعلهم هذا مثلهم مثل من يقيس الطهارة على النجاسة،
والحلال على الحرام، والإيمان على الكفر.. !!

ثم قضيتنا ليست قضية حكام يظهر منهم بعض الفجور والفسوق وإنما حكام ظهر منهم الكفر
البواح الذي لا ينبغي أن يختلف عليه اثنان..

- **الرضى:** ولكن لا نسلم لكم أن جميع الحكام طواغيت وكفرة..

- **الروضة:** لا بأس، فالخلاف وارد، وخلافنا على كفر طاغوت من الطواغيت يخضع للحوار

والنقاش الهادف، ولا توجد مشكلة عندما يكون مراد الجميع هو الحق وإنصاف الحق، ولكن هذا
الخلاف لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يجر إلى التنافر والبغضاء والعداوة، أو أن يترتب عليه ولاء
وبراء، وبخاصة إن كان هذا المعين المختلف عليه يستساغ الاختلاف عليه لقرائن تحتمل ذلك، وقد
اختلف السلف على كفر الحجاج ومع ذلك ما حملهم اختلافهم على تكفير بعضهم البعض، أو اتهام
بعضهم البعض الآخر بالخوارج وغير ذلك من الألقاب، وكان طاووس يقول: "عجباً لإخواننا من أهل
العراق يسمون الحجاج مؤمناً"، فرغم وجود الخلاف على كفر الحجاج فما منعه ذلك من اعتبار
المخالفين له من أهل العراق إخواناً له، ولهم عليه حقوق الأخوة الإيمانية..

- **الرضى:** هذا فقه جميل يحسن الانتباه إليه، وإنها لمصيبة بحق أن ينعكس كل خلاف إلى تفرق

وعداوة وبغضاء بين المسلمين ..

- **الروضة:** ومما يذكر في هذا الصدد أن كثيراً من الناس . الذين يسمون أنفسهم دعاة وطلبة

علم . قد جندوا أنفسهم لخدمة الطواغيت، وسخروا علمهم للجدال عن الطواغيت وتوسيع فقه التأويل
والتبرير لهم، واعتبروا موالاة الطواغيت وطاعتهم علامة لأهل السنة والجماعة، والخروج عليهم أو
تكفيرهم هو خروج على منهج أهل السنة !!..

وهؤلاء الذين يوالون الطواغيت ويجادلون عنهم هم أنفسهم الذين لا يسلم منهم علماء الأمة من

الطعن، والتفسيق والتضليل والتبديع، وربما التكفير..!!

فطواغيت الأمة عندهم مرضيين تجب طاعتهم وموالاتهم والدعاء لهم، بينما الموحدون من علماء

الأمة يجب تفسيقهم وتضليلهم والبراءة منهم !!..

على الطواغيت يوسعون دائرة التبريرات والتأويلات إلى حد المبالغة والتكلف، وبشكل يقتضي الخروج عن المؤلف والمشروع، ويحملون عليهم جميع النصوص التي تراعي القصد والباطن، بينما على مخالفهم من علماء الأمة العاملين الموحدين تراهم يضيقون عليهم ساحة التأويل والأعذار، ويقدمون فيهم إساءة الظن في المحتملات والمتشابهات، ويحملون عليهم . على الإطلاق . النصوص التي تراعي اعتبار الظاهر في الأحكام !!..

فهم بحق كما قيل عنهم: مرجئة مع طواغيت الكفر والفجور، خوارج مع دعاة الإسلام وعلماء الأمة، وغيرهم من أهل القبلة والإسلام الذين لا يرون رأيهم ولا يسلكون منهجهم، وقد جاء في الحديث أن من صفات الخوارج أنهم: "يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان!" وهكذا هؤلاء .. !

- **الرضى:** الحقيقة أن هذا الفقه الشاذ الذي يجمع بين المتناقضات موجود، وأصبح سمة لكثير

من طلبة العلم في هذا الزمان، وربما بعض الدعاة المعروفين !!..

- **الروضة:** والذي يزيد الطين بلة، أنهم ينسبون شذوذاتهم وانحرافاتهم إلى السلف الصالح، وإلى

عقيدة أهل السنة والجماعة، حتى أنك ترى أحدهم يجادل عن الطواغيت ويؤصل لعقيدة المرجئة أو الجهمية ثم بعد ذلك ينسب شذوذاته وضلالته هذه إلى الكتاب والسنة وإلى عقيدة أهل السنة والجماعة .. حيث أنهم وجدوا في هذه النسبة أو الانتساب وسيلة جديدة تسهل تمرير شذوذاتهم وانحرافاتهم

وضلالاتهم على الطوام من الناس، بل وعلى كثير من الخواص منهم !!..

فهم يوالون الطواغيت ضد شباب الأمة وعلمائها الموحدين ولكن على الكتاب والسنة !!

ويكذبون على العباد .. ولكن على الكتاب والسنة !!

ويؤلفون المؤلفات التي تؤصل لعقيدة غلاة المرجئة .. ولكن على طريقة الكتاب والسنة !!

ويربون الشباب على اللؤم والحقد والكراهية والحزبية الباطلة .. ولكن على الكتاب والسنة !!

ويفسقون ويبعدون ويكفرون الدعاة إلى التوحيد لشبهات واهية .. ولكن على الكتاب والسنة !!..

وهكذا كل باطل من باطلهم . حتى يمر على العباد ويجد له رواجاً . فهم يلصقونه بالكتاب والسنة،

والكتاب والسنة براء منهم ومن باطلهم كبراءة الذئب من دم يوسف وأشد ..

-الرضى: هذه الظاهرة موجودة ونحن نسلم لكم بما قدمتم من تفصيل .. ولكن كيف ترون

السبيل للخروج من هذه الفتن أو على الأقل التقليل من حجمها..؟

- الروضة: بدوام التناصح، والتجرد للحق، ونبذ التحيزات الباطلة بشتى أنواعها وصورها،

فالحق يجب أن يكون مطلب الجميع وغايتهم وهمهم الأكبر، والمقدم على الأنفس والمال والأشخاص

وجميع الروابط الأرضية، يؤثرونه على جميع من يخالفه ولو كانوا من المقربين من الأساتذة والأشياخ

والدعاة .. فالحق أحب إلينا وهو أولى بالاتباع.

وإنا لنعيذ أنفسنا وإياكم من أن ينطبق على أحدنا قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيقع في الشرك وهو لا يدري ..!

- الرضى: نسأل الله تعالى أن يعيذنا من ذلك ..

- الروضة: إضافة إلى ما تقدم ينبغي أن لا نغفل عن حقوق الأخوة الإيمانية ولوازمها، أو نفرط

بها لأسباب وهمية مصطنعة غير واقعية وشرعية، أو لخلافات يتسع لها الفقه الإسلامي، فالأخوة الإيمانية

عروة وثقى تعاقدت على الحب في الله والبغض في الله، لا ينقض عراها إلا الكفر والشرك ..

- الرضى: جزاكم الله خيراً، فقد أفدتم وبيئتم .. نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا ويعلمنا ما

جهلنا ..

-الروضة: اللهم آمين .. وإلى أن يشاء الله لنا بلقاء آخر، نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- الرضى: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1417/04/12 هـ

أبو بصير الطرطوسي

1996/08/26 م

كبوّة فارس

مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل

والرد عليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فقد اطلعت على كلام لأخينا الشيخ أبي محمد المقدسي . حفظه الله وفك أسره . مفاده أنه لا يعذر من يقع في الشرك المنافي للتوحيد بالجهل أو بأي مانع آخر . سوى الإكراه . ويرى أن أي امرئ يقع في الكفر أو الشرك هو كافر بعينه، وهو من أهل العذاب والنار يوم القيامة، وإن لم تبلغه الحجة من جهة ندارة الرسل فيما قد خالف فيه؛ لأنه محجوج من جهة حجة الآيات الكونية الدالة على الخالق ﷻ، وحجة الفطرة، وحجة الميثاق الذي أخذه الله من ذرية آدم . يوم أن خلقه . وأشهدهم على نفسه ﷻ بالوحدانية ..!

ولما كان هذا القول . إضافة لمخالفته للنصوص الشرعية وما عليه جماهير العلماء الموحدين . متكاً لكثير من غلاة هذا العصر . على غير علم من الأخ . فيما هم عليه من الغلو والتنطع، الذين يلغون اعتبار موانع التكفير مطلقاً كمانع من تكفير المعين .. بحجة أن جاهل التوحيد أو شيء من متطلباته لا يعذر بالجهل، ولا يشترط لتكفيره . والحكم عليه بالخلود في النار . قيام الحجة عليه من جهة بلوغ ندارة الرسل؛ لأن الحجة قائمة عليه من جهة حجة الميثاق، وحجة الفطرة ..!

والشيخ . حفظه الله . لم يكن قصده نصرة الغلاة فيما هم عليه من الغلو والتنطع .. فليس هذا من شأنه أو منهجه، بل عهدناه . ولله الحمد . من خلال كتاباته القيمة النافعة حرباً على الغلو والغلاة كما هو حرب على الإرجاء والمرجئة سواء .

ونحسب ما صدر عن الأخ في المسألة ما هو إلا عبارة عن كبوة غير مقصودة .. ولكل فارس . لا محالة . كبوة: لأجل ذلك كله ومن قبيل النصح الواجب بين المؤمنين، وبيان الحق الذي نعتقده في المسألة .. نخط هذه الكلمات مستعينين بالله تعالى وحده.

وقبل أن ندخل في الرد ومناقشة المسألة لا بد أولاً من ذكر كلام أبي محمد بنصه كما ورد في بعض كتاباته، ثم بعد ذلك . إن شاء الله . نشرع في الرد والبيان.

قال الأخ في رسالة له بعنوان "النكت اللوامع في ملحوظات الجامع"⁽¹⁾ "يرد فيها على بعض ما جاء في كتاب "الجامع لطلب العلم الشريف" لكاتبه الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز حفظه الله: [قوله . أي صاحب الجامع . (ص 498) في مانع الجهل محتجاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: 15. فلا عذاب في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البلاغ ا-هـ.

فهذا إطلاق فيه نظر والواجب تقييده بما لا يُعرف إلا عن طريق الحجة الرسالية، إذ أن أصل التوحيد الحنيفية، قد أقام الله فيه الحجة البالغة، فمن لم يحقق أصل التوحيد، بل نقضه ومات على الشرك والتنديد، فهو معذب في الآخرة دون شك.

ويدل على هذا أدلة كثيرة .. (ساق منها حديث الرجل من بني النجار الذي عُذب في قبره، وكان دفن في الجاهلية .. وكذلك قوله ﷺ لرجل: إن أبي وأباك في النار .. وقوله للأعرابي: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار ..).

إلى أن قال: وهؤلاء من القوم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ السجدة: 3. وقال تعالى: ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ يس: 6. فصح بنص الوحي أن هؤلاء قوم معذبون في الآخرة، مع أنهم ما أتاهم نذير وأنهم غافلون بنص التنزيل .. وهو دليل

¹ وهي رسالة قيمة نافعة استدرك فيها الأخ بعض الملاحظات على كتاب "الجامع لطلب العلم"، وكان أهمها مسألة "الحكم بغير ما أنزل الله"، وبيان أن منه ما يكون كفوياً أكبر ومنه ما يكون كفوياً أصغر، بحسب صفة الحاكم والقرائن المحيطة به اتباعاً لتقسيم السلف وعلماء الأمة للمسألة .. بخلاف ما شذ عنه الشيخ عبد القادر عن علماء الأمة؛ حيث اعتبر أن مطلق الحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر يخرج من الملة .. وهذا قول خاطئ طالما اتكأ عليه الغلاة من قبل ومن بعد !

على أن من نقض أصل التوحيد من المكلفين ومات على الشرك الصراح والتنديد، أنه معذب في الآخرة وإن لم يأتته نذير، لأن أصل التوحيد مما استقر في فطر الخلق وقامت عليه حجج الله المختلفة وبعث رسل الله جميعاً له، وأنزلت كتب الله كلها من أجله (1) !!..

وأية الإسراء كما نقل الشوكاني في فتح القدير عن الجمهور إنما هي في عذاب الدنيا لا الآخرة، وهي مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهِلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهِلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص: 59.

ومما يتبع هذا الموضوع ما انتقده المصنف (543) على صاحب "ضوابط التكفير" في كلامه في أن الأصل في الحجة على الناس في التوحيد هو الفطرة والميثاق الذي أخذ منهم .. أما حجة الرسل فهي فيما يناقض الالتزام التفصيلي بالشريعة .. مع أن هذا الكلام حق لا غبار عليه إن أريد به أصل التوحيد واجتناب الشرك الأكبر، دون تفاصيل التوحيد وفروعه التي لا تُعرف إلا عن طريق الرسل.

وقد انتقد المصنف صاحب الضوابط في قوله: بأن من نقض التوحيد فهو معذب في الآخرة حتى وإن لم تقم عليه الحجة الرسالية، لقيام حجج الفطرة والميثاق وغيرها، واستدل مرة أخرى هناك بآية الإسراء: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: 15. وأورد كلاماً للشنقيطي حولها ..

وقد عرفت أن المراد بالعذاب فيها عذاب الاستئصال الدنيوي وعلى ذلك جمهور المفسرين، وأن النصوص قد أثبتت أن هناك من يعذب في الآخرة لموته على الشرك الأكبر، وعدم تحقيقه للتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وإن لم يأته رسول خاص، إذ أن هذا الأصل بعث به الرسل كافة، وأنزلت به الكتب كلها، واتفقت وتواترت عليه الشرائع (2) !!..

¹ لا داعي لذكر العبارة الأخيرة التي تتضمن قيام الحجة عن طريق الرسل والشرائع ومن ثم الاستدلال بها .. لأنه لا خلاف على أنه من بلغته نذارة الرسل والشرائع السماوية لا يُعذر بالجهل .. وموطن النزاع هنا على من لم تبلغه نذارة الرسل والشرائع .. فلا ينبغي إقحام حجة نذارة الرسل والشرائع السماوية عند الحديث . وحصول الخلاف . عن قيام الحجة على العباد من جهة غير طريق الرسل، وهل يُعقد العذاب على أساسها أم لا!!..

² الاستدلال هنا بنذارة الرسل والشرائع ليس في موضعه المناسب .. ولا ينبغي إقحامه هنا لأن النزاع والخلاف ليس عليه .. انظر التعليق رقم (2) من الصفحة الثانية.

أما الشنقيطي فواضح من تركيزه فيه على موضوع العقل ونصب الأدلة، أنه يرد على المعتزلة ونحوهم من أهل الكلام الذين أوجبوا معرفة الله بالأدلة العقلية وهذا موضوع آخر غير ما نحن فيه .. وكذلك (ص 545) ساق المصنف الآيات التي فيها سؤال خزنة جهنم لداخلها: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ ﴾ ليستدل على أنه لا يدخل النار إلا من جاءه رسول .. وهذا حق خرج مخرج الغالب لا العموم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ يس: 6. مع شهادة النبي ﷺ لبعضهم أنهم في النار.

وقال في رسالته "كشف الشبهات": وذلك لأن الشرك الأكبر المناقض للحنيفية السمحة وهو صرف شيء من العبادة الظاهرة لغير الله ﷻ أمر لا يُعذر فاعله بالجهل أصلاً فقد أقام الله ﷻ عليه حجته البالغة من أبواب شتى .. (ثم ذكر منها الأدلة الكونية الظاهرة .. وحجة الميثاق الذي أخذه ﷻ على بني آدم .. وحجة الفطرة .. ثم أضاف إليها حجة نذارة الرسل والكتب !! .. ولا ينبغي إقحامها في هذا الموضوع .. وقد تقدم التعليق عليه فانظره).

إلى أن قال: ومع هذا يأتي بعض من لا يعرفون من الدين إلا الاسم ولا من معاملته إلا الرسم يطالبون بإقامة الحجّة في باب الشرك الواضح المستبين والتوحيد الذي هو أحق حقوق الله على العبيد .. وربما أقاموا على ذلك شياً بآيات يضعونها في غير موضعها كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ يريدون: أنه لا تكفير إلا بعد إقامة الحجّة في كل باب حتى في الشرك الأكبر الواضح المستبين. وليس في هذه الآية وجه دلالة على قولهم الفاسد هذا فالله جل ذكره لم يقل "وما كنا مكفرين حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا"، وإنما قال: ﴿ مُعَذِّبِينَ ﴾ والمقصود بذلك عذاب الاستئصال الدنيوي .. [انتهى الاقتباس من كلام أخينا الشيخ أبي محمد، وقد أكثرنا في ذلك ليُعلم مذهبه في المسألة على وجه التفصيل والتدقيق .. وإليك الرد والتعقيب على ما تقدم من كلامه.

الرد والتعقيب على كلام أبي محمد المتقدم.

يُرد على كلام أخينا أبي محمد المتقدم الذكر من أوجه عدة، نلخصها في النقاط التالية:

أولاً: أن أدلة الكتاب والسنة قد دلت دلالة قطعية صريحة أن العذاب في الآخرة لا يكون إلا

على من بلغته الحجة الرسالية، وقامت عليه الحجة من جهة نذارة الرسل، وإليك بعضها:

أدلة القرآن الكريم:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ

حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الزمر: 71.

فقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من صيغ العموم التي تفيد كل الذين كفروا من دون استثناء

.. وجميعهم يقرون ويعترفون أنهم قد بلغتهم نذارة الرسل وأنهم استحقوا هذا العذاب الأليم بعد ردهم

لنذارة الرسل وإعراضهم عنها.

وهذا بخلاف ما قرره الأخ من أن المراد من هذه الآية ومثيلاتها "الغالب لا العموم!"; أي أن الذين

يقرون ويعترفون بأنهم قد بلغتهم نذارة الأنبياء والرسل هم غالب أهل النار وليس كلهم !!

فهذا قول بخلاف ما دلت عليه صيغة الآية التي تفيد العموم، وما نص عليه أهل العلم؛ قال

الشنقيطي في أضواء البيان 337/2: ومن ذلك أنه تعالى صرح بأن جميع أهل النار قطع عذرهم في الدنيا

بإندار الرسل، ولم يكتف في ذلك بنصب الأدلة كقوله تعالى: ﴿كَلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ* قَالُوا بَلَىٰ..﴾ وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ..﴾،

ومعلوم أن لفظة كلما في قوله: ﴿كَلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ﴾ صيغة عموم، وأن لفظة الذين في قوله: ﴿وَسِيقَ

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صيغة عموم أيضاً؛ لأن الموصول يعم كل ما تشمله صلته ا-هـ.

وقال رحمه الله 473/3: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عام لجميع الكفار. وقد تقرر في الأصول: أن الموصولات كالذي والتي وفروعهما من صيغ العموم؛ لعمومها في كل ما تشمله صلاتها .. إلى أن قال: وهو ظاهر في أن جميع أهل النار قد أُنذرتهم الرسل في دار الدنيا؛ فعصوا أمر ربهم كما هو واضح ا-هـ.

قلت: ومما يفيد أن المراد من الآية العموم لا الغالب قوله تعالى في الآية التي تليها: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا..﴾ الزمر: 73. أي كل الذين اتقوا ربهم .. وهي نفس صيغة الآية التي قبلها: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾، فهل يصح أن يقال أن المراد من الآية غالب الذين اتقوا وليس كلهم أو عامتهم ..؟! فإن قيل لا، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، نقول: كما حملت آية الذين اتقوا على العموم لا الغالب لزمك كذلك أن تحمل آية الذين كفروا على العموم لا الغالب لتطابقهما في الصيغة والألفاظ الدالة على العموم.

قال الألوسي في تفسير الآية: واستدل بالآية على أنه لا تكليف قبل الشرع لأنهم وبخوهم بكفرهم بعد تبليغ الرسل للشرائع وإنذارهم .. وقيل وجه الاستدلال: إن الخطاب للداخلين عموماً يقتضي أنهم جميعاً أُنذروهم الرسل، ولو تحقق تكليف قبل الشرع لم يكن الأمر كذلك ا-هـ.

وقال ابن جرير الطبري في التفسير: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: وحُشِر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدها لهم يوم القيامة جماعات؛ جماعة جماعة، وحبزاً حبزاً.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ يعني كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يقول: وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا. قالوا: بلى، يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتتنا الرسل منا فأُنذرتنا لقاءنا هذا اليوم .. ا-هـ.

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ غافر: 49-50.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ..﴾ هي أيضاً من صيغ العموم تفيد الاستغراق والعموم: أي قال جميع الذين في النار بلى قد جاءتنا رسلنا بالبينات والنذر ..

كبوّة فارس "مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه"

قال الألويسي في التفسير: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ من الضعفاء والمستكبرين جميعاً لما ضاقت

بهم الحيل وعيت بهم العلل .. ا-هـ. وكذلك جاء في تفسير أبي السعود ..

الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَبَسَ الْمَصِيرُ (6) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا

سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

(8) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ الملك: 6-9.

فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ و ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ من صيغ العموم التي تعم وتشمل

جميع الذين كفروا من دون أي استثناء .. وكلهم . وليس على الغالب . يعترفون ويقرون بأنهم بلغتهم نذارة

الرسول ، فقابلوها بالإعراض والتكذيب ..

قال ابن كثير في التفسير: يذكر تعالى عدله في خلقه وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه

وإرسال الرسول إليه ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. وفي الحديث: "لا يدخل أحد

النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة" ا-هـ.

وقال ابن جرير الطبري في التفسير: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ الذي خلقهم في الدنيا ﴿

عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة .. ا-هـ.

قلت: الكفار الذين خلقهم في الدنيا: كل الذين كفروا .. ولا يقال غالب الذين خلقهم من الكفار..!

قال الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: وهذه الآية تدل على أن الله تعالى لا يعذب بالنار أحداً

إلا بعد أن ينذره في الدنيا .. ا-هـ.

وقال رحمه الله: ومعلوم أن قوله جل وعلا: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ يعم جميع الأفواج الملقين في

النار.

قال أبو حيان في "البحر المحيط" في تفسير هذه الآية التي نحن في صددها ما نصه: و ﴿كُلَّمَا﴾ تدل

على عموم أزمان الإلقاء فتعم الملقين .. ا-هـ.

وقال الألويسي في التفسير: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ من غير الشياطين أو منهم ومن غيرهم على أنه

تعميم بعد التخصيص لدفع إبهام اختصاص العذاب بهم .. ا-هـ. أي بالشياطين ..

الدليل الرابع: قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ ق: 27-28. أي قدمت إليكم قبل أن تقفوا هذا الموقف العصيب بالوعيد والنذر عن طريق رسلي الذين أرسلتهم إليكم.

ولا ينبغي أن يُقال هنا أن الآية تفيد الغالب لا العموم لأن ما من إنسان . كافر أو مؤمن . إلا وله قرينه من الجن، حتى نبينا محمد ﷺ فله قرينه من الجن، لكن الله أعانه عليه فأسلم، كما صح في ذلك الحديث، قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة. وقالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، لكن الله أعاني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير" مسلم وغيره. قال ابن جرير الطبري في التفسير: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا قبل اختصاصكم هذا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني وخالف أمري ونهي في كتي وعلى ألسن رسلي.

قال ابن عباس: إنهم اعتذروا بغير عذرٍ، فأبطل الله حجّتهم، وردّ عليهم قولهم. ا-هـ.

الدليل الخامس: قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ الأنعام: 130. أي شهدوا على أنفسهم أن حجة الرسل قد بلغتهم .. وهذا خطاب موجه لجميع الإنس والجن يفيد كذلك العموم لا الغالب؛ لأن الجمع المعروف بأل يفيد العموم والاستغراق؛ أي جميع الجن والإنس .. وفي هذه الآية يبين الله تعالى أنه أقام الحجة على العباد من جهة نذارة الرسل التي تحسم عندهم مادة الأعدار كلها.

قال ابن كثير: ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ أي أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة ا-هـ.

الدليل السادس: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: 15.

هذه الآية رغم دلالتها الصريحة على انتفاء العذاب يوم القيامة إلا على من تقوم عليه الحجة من جهة نذارة الرسل، إلا أن الأخ . عفا الله عنه . حاول جاهداً أن يبطل دلالتها على عذاب الآخرة . انتصاراً لمذهبه في المسألة . ليحصرها في العذاب والاستئصال الدنيوي فقط .. ثم ذكر رأي الجمهور نقلاً عن الشوكاني، من دون أن يبين رأي الشوكاني ذاته الذي خالف فيه رأي الجمهور الذي ينقله ..!

ولبيان دلالة الآية على انتفاء العذاب الأخرى إلا على من تقوم عليه الحجة الرسالية نذكر

أقوال بعض العلماء المفسرين، ونبدأهم بالشوكاني رحمه الله:

قال الشوكاني في كتابه فتح القدير: ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسله،

وإنزال كتبه، فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم، والظاهر أنه لا

يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل، وبه قالت طائفة من أهل العلم،

وذهب الجمهور إلى أن المنفي هنا هو عذاب الدنيا لا الآخرة ا-هـ.

تأمل كيف اعتبر القول الظاهر في المسألة أن العذاب المراد من الآية يشمل العذاب الدنيوي

والأخرى معاً بخلاف رأي الجمهور الذي ينقله .. وهذا مهم بيانه حتى لا يوهم القارئ أن الشوكاني ناقل

قول الجمهور . يتابع الجمهور على قولهم !

أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إن الله

تبارك وتعالى ليس يعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذباً أحداً إلا

بذنبه.

وأخرج عنه، عن أبي هريرة قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في

الفترة والمعنوه والأصم والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا، ثم أرسل رسولاً أن ادخلوا

النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول؟ وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً⁽¹⁾، ثم يرسل إليهم،

فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل⁽²⁾. قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ

رَسُولًا﴾. ا-هـ. فتأمل كيف أن هذا الصحابي الجليل حمل الآية على العذاب الأخرى ..

قال ابن كثير في التفسير: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إخبار عن عدله تعالى

وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه كقوله تعالى: ﴿كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ

¹ مراده أنهم لو أطاعوا ودخلوا النار فإنهم لن يُعذبوا فيها ولكانت عليهم برداً وسلاماً؛ لأنهم لم تبلغهم نذارة الرسل، وهم

معذورون بجهالة نذارة الرسل .. ولأن الله تعالى أخذ على نفسه سبحانه أن لا يعذب في النار إلا من بلغته نذارة الرسل

والآيات لا غير، وهذا من تمام وكمال رحمته وعفوه وحبه للعذر.

² الحديث سنأتي على ذكره. إن شاء الله. بشيء من التفصيل.

كبوّة فارس "مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه"

سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا.. ﴿ وكذا قوله ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ .. ﴾. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحداً النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ا-هـ.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: ومعنى ﴿ حَتَّىٰ نَبَعَثَ رَسُولًا ﴾ أي حتى نبين ما به نُعَذِبُ، وما من أجله ندخل الجنة.

قال القاضي أبو يعلى: في هذا دليل على أن معرفة الله لا تجب عقلاً، وإنما تجب بالشرع، وهو بعثة الرسل، وأنه لو مات الإنسان قبل ذلك، لم يُقَطع عليه بالنار.. ا-هـ.

وقال البغوي في التفسير: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبَعَثَ رَسُولًا ﴾، إقامة للحجة وقطعاً للعذر، وفيه دليل على أمن ما وجب بالسمع لا بالعقل ا-هـ.

قلت: قوله ما وجب بالسمع لا بالعقل، شامل لجميع ما أوجب الله على العباد من الأصول والفروع، إذ لا فرق بينهما .. وهذه مسألة سنعود إليها إن شاء الله.

قال الشنقيطي في أضواء البيان 336/2: مقتضى القول الأول أن ما أقام الله لهم من البراهين القطعية كخلق السماوات والأرض، وما فيهما من غرائب صنع الله الدالة على أنه الرب المعبود وحده، وما ركز فيهم من الفطرة التي فطرهم عليها تقوم عليهم به الحجة، ولو لم يأتهم نذير، والآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأن الله تعالى لا يُعَذِبُ أحداً حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل، وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة، وما ركز من الفطرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبَعَثَ رَسُولًا ﴾ فإنه قال فيها: حَتَّىٰ نَبَعَثَ رَسُولًا، ولم يقل حتى نخلق عقولاً، وننصب أدلة، ونركز فطرة (1) ا-هـ.

¹ واضح أن الشيخ يرد على من يقول بقيام الحجة على العباد من جهة حجة الفطرة والآيات الكونية والميثاق وغير ذلك .. ولم يشر قط إلى المعتزلة وإلى استدلالهم بالعقل على مسائل الشرع، لكن ممكن أن يكون قد عناهم بالرد في موضع آخر، كما ذكر أخونا أبو محمد .. لكن في هذا الموضوع كما هو ظاهر يرد على من يقول بقيام الحجة . التي يستحق رادها العذاب . من غير جهة نذارة الرسل؛ كحجة الفطرة، والميثاق، والآيات الكونية !!

كبوّة فارس "مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه"

وقال رحمه الله 471/3: ظاهر هذه الآية الكريمة أن الله جل وعلا لا يعذب أحداً من خلقه لا في الدنيا ولا في الآخرة حتى يبعث رسولاً ينذره ويحذره فيعصي ذلك الرسول، ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار.

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فصّح في هذه الآية الكريمة بأنه لا بد أن يقطع حجة كل أحد بإرسال الرسل، مبشرين من أطاعهم بالجنة، ومنذرين من عصاهم النار.

ويوضح ما دلت عليه هذه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن العظيم من أن الله جل وعلا لا يعذب أحداً إلا بعد الإنذار والإعذار على السنة الرسل عليهم الصلاة تصريحه جل وعلا في آيات كثيرة بأنه لم يدخل أحداً النار إلا بعد الإعذار والإنذار على السنة الرسل (1) -هـ.

وقال ابن حزم في الأحكام 114/3: قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فصّح أنه لا عذاب على الكافر أصلاً حتى تبلغه نذارة الرسول ﷺ -هـ.

هذه بعض أقوال أهل العلم التي تفيد أن العذاب الوارد في الآية الكريمة يراد منه عذاب الآخرة والدنيا سواء .. ولو أردنا أن نستقصي جميع أقوال أهل العلم في المسألة الدالة على ما أفدنا به لطلال بنا المقام.

لكن بقي أن نشير إلى أمرين: أولهما أن القول بأن المراد من الآية الاستئصال والعذاب الدنيوي لا الأخروي، ورد ذلك إلى قول الجمهور .. لا يعني ولا يستلزم أن الجمهور يرون أن العذاب يوم القيامة لا يُشترط له بلوغ نذارة الرسل .. ثانيهما، إذا كان العذاب الدنيوي . وهو الأخف والأهون . لا يأخذ الله به

¹ واضح مذهب الشيخ الشنقيطي . رحمه الله . بأنه لا عذاب في الدنيا والآخرة إلا بعد رد حجة الرسل .. واستشهاد أخيها عبد القادر بن عبد العزيز بقوله، كان صحيحاً وفي موضعه المناسب .. لا يرد عليه بمثل قول أخيها أبي محمد: "أما الشنقيطي فواضح من تركيزه فيه على موضوع العقل ونصب الأدلة، أنه يرد على المعتزلة ونحوهم من أهل الكلام الذين أوجبوا معرفة الله بالأدلة العقلية، وهذا موضوع آخر غير ما نحن فيه .."، فكلام الشنقيطي الأتف الذكر في وإد، وكلام الأخ الذي أشار إليه في وإد آخر!!

العباد إلا بعد قيام حجة الرسل عليهم، من قبيل حسم الأعذار والحجج .. فمن باب أولى أن لا يأخذ الله سبحانه العبادَ بالعذاب الأشد والأثقل يوم القيامة إلا بعد قيام حجة ونذارة الرسل عليهم، وهذا ما يقتضيه حبه ﷺ للعذر ولحسم الأعذار قبل نزول العقاب والعذاب .. الذي لا يضاهيه فيه أحد من خلقه، كما جاء في الحديث الصحيح: "لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" متفق عليه.

فإذا حملت الآية الكريمة على انتفاء العذاب والاستئصال الدنيوي عن العباد قبل بلوغ نذارة الرسل وقيام الحجة عليهم من جهة الرسل، فهي لدليل قوي على انتفاء العذاب عن العباد يوم القيامة إلا بعد قيام الحجة عليهم من جهة الشرائع والرسل.

الدليل السابع: قد تضافرت أدلة الكتاب والسنة على أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وعلى قدر استطاعتها وقدرتها، فإذا انتفت القدرة والاستطاعة رُفِعَ التكليف . أياً كان نوعه . إلى حين تحقق القدرة والاستطاعة، فالعجز الذي لا يمكن دفعه . مع بذل الجهد على دفعه . يرفع التكليف والمساءلة عن صاحبه في الدنيا والآخرة، وهذه مسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ البقرة: 286. وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

التغابن: 16.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم".

قال الشافعي رحمه الله: فإن الله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه، فإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه -هـ- وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم ..

وعليه: فإننا نقول من وقع في المخالفة الشرعية . أياً كان نوعها ولو كانت كفراً أو شركاً . عن عجز

لا يمكن دفعه، فهو معذور بالعجز إلى أن يقدر على دفعه وإزالته ..

ومن قال: إنه غير معذور وهو مسؤول وسيحاسب على ما قد خالف فيه . وهذا هو المفهوم من

كلام أخينا أبي محمد المتقدم . لزمه مخالفة ومعارضة النصوص الأنفة الذكر الدالة على أن التكليف من شروطه القدرة والاستطاعة على الإتيان به.

قال ابن حزم رحمه الله في الأحكام 104/5: أما شرائع الأبدان والاعتقاد فإنها تجب بوجهين: أحدهما البلوغ مبلغ الرجال والنساء، وهو البلوغ المخرج عن حد الصبا. والثاني: بلوغ الشريعة إلى المرء اهـ.

قلت: لأن في بلوغ الشريعة إلى المرء ينتفي عنه العجز في إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه أو حصل فيه القصير.

واعلم أن أي تكليف شرعي . مهما كان نوعه . لا يجب على المرء إلا بالقدرة على العلم به عن طريق الشريعة أو الحجة الرسالية، وبالقدرة على العمل به وامثاله في الظاهر وعلى الجوارح؛ فإذا حصل العجز. الذي لا يمكن دفعه مع بذل الجهد على دفعه . في تحصيل العلم، سقط العلم والعمل معاً؛ لأن العمل تبع للعلم لا يمكن القيام به إلا بعد تحصيل العلم. أما إذا حصل العجز في العمل دون العلم، تعين العلم والاعتقاد به، وسقط العمل به للعجز إلى حين توفر القدرة على دفعه.

قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين ص412: وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهم قسمان أيضاً: أحدهما مريد للهدى مؤثر له محب له، غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة اهـ. أي معذور بالجهل المعجز الذي لا يمكن دفعه، وهذا له حكم أهل الفترات .. وسيأتي الحديث عنهم إن شاء الله.

وبعد، ما تقدم من أدلة هي بعض أدلة القرآن الكريم. وليس كلها. الدالة على مبدأ العذر بالجهل، وأن المرء لا يؤاخذ في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد قيام الحجة عليه من جهة نذارة الرسل والشرائع .. لننتقل بعدها . بإذن الله . إلى ذكر بعض أدلة السنة النبوية . على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم . الدالة على هذا الأصل السني العظيم.

الدليل الأول: قال رسول الله ﷺ: "أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة. فأما الأصم فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً⁽¹⁾. وأما

¹ تأمل كيف أن عذره الذي يعتذره أنه لم يسمع شيئاً من كلام الرسل الذي به تقوم الحجة، وكذلك أصحاب الفترات .. لكن الذي يمكن أن نقوله هنا: أن الأصم في زماننا توجد له لغة خاصة به يستطيع من خلالها أن يفقه كثيراً من المعاني والمسائل، ومن كان كذلك لا شك أنه لا يُعذر بالجهل وهو محجوج بنذارة الرسل على قدر ما يستطيع أن يعرف

الأحمق فيقول: ربّ جاء الإسلام وما أعدل شيئاً، والصبيان يحذفونني بالبعر. وأما الهرم فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أعدل شيئاً. وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول. فيأخذ موثيقهم ليطيّعنّه، فيرسل إليهم: أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها سُحب إليها" (1).

هذا حديث صحيح. روي من أكثر من طريق وعن أكثر من صحابي. وإلى معناه ودلالاته صار قول أهل السنة والجماعة، لا يحسن بك. يا عبد الله. أن تتسرع في رده لاعتبارات واهية لا تبرر لك ذلك !! والحديث أفاد مبدأ العذر بالجهل؛ لأن الأربعة الذين يعتذرون إلى ربهم يشتركون في صفة الجهل بالرسالة وبمراد الشارع منهم، وإن كان جهل كل واحد منهم له سببه الذي يختلف عن الآخر.. وإليك أقوال بعض أهل العلم في الحديث، وفي فقهه ودلالاته.

ابن حزم: قال رحمه الله في الأحكام 104/5: أما من لم يبلغه ذكره ﷺ، فإن كان موحداً فهو مؤمن على الفطرة الأولى صحيح الإيمان لا عذاب عليه في الآخرة، وهو من أهل الجنة، وإن كان غير موحد فهو من الذين جاء النص بأنه يُوقد له يوم القيامة نار، فيؤمرون بالدخول فيها، فمن دخلها نجا، ومن أبي هلك.

وقال في الأصول ص131: فنص الله تعالى على أن الندارة إنما تلزم من بلغته وأنه تعالى لا يُعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل. فصح بهذا أن من لم تبلغه الدعوة إما لانقزاح مكانه وإما لقصر مدته إثر مبعث النبي ﷺ، فإنه لا عذاب عليه ولا يلزمه شيء، وهذا قول جمهور أصحابنا ا-هـ.

ابن القيم: قال رحمه الله في طريق الهجرتين، بعد أن ذكر الحديث. حديث اعتذار الأربعة يوم القيامة. وطرقه المتعددة: فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً وتشهد لها أصول الشريعة وقواعدها، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة، نقله عنهم الأشعري رحمه الله في المقالات وغيرها.. فدل

ويفقه منها، لأن مدار التكليف على الاستطاعة كما تقدم، والأصم في زماننا. والله الحمد. يستطيع أن يعرف ويطلع على الشيء الكثير من معاني التوحيد والدين.

¹ أخرجه أحمد، وابن حبان، وغيرهما، صحيح الجامع الصغير: "881".

على أنهم . أي أهل السنة والحديث . ذهبوا إلى موجب هذه الأحاديث ا-هـ . وقد رد على من ضعف الحديث بحجة أن دار الآخرة دار جزاء لا دار عمل وتكليف .. رداً قوياً نافعاً يمكنك مراجعته والوقوف عليه .

ابن كثير: قال رحمه الله في التفسير 33/3، بعد أن ذكر الحديث وطرقه: أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها .. ا-هـ . ثم يرد على شبهة أن دار الآخرة دار جزاء لا دار تكليف رداً نافعاً .. فانظره .

الشنقيطي: قال رحمه الله في التفسير 481/3: الظاهر أن التحقيق في هذه المسألة التي هي: هل يعذر المشركون بالفترة أو لا ؟ هو أنهم معذورون بالفترة في الدنيا، وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها؛ فمن اقتحمها دخل الجنة وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا؛ لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل .

وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في هذه المسألة لأمرين:

الأول: أن هذا ثبت عن رسول الله ﷺ وثبوتة عنه نص في محل النزاع؛ فلا وجه للنزاع البتة مع ذلك .

الأمر الثاني: أن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن بلا خلاف؛ لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما . ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا هذا القول بالعذر والامتحان؛ فمن دخل النار فهو الذي لم يمتثل ما أمر به عند ذلك الامتحان، ويتفق بذلك جميع الأدلة ا-هـ .

فإن قيل: الآيات الأنفة الذكر التي قدمتم في ذكرها تفيد أن عموم من يدخل النار قد قامت

عليهم الحجة الرسالية في الدنيا، فعلام استثنيتهم الأصناف الأربعة هؤلاء الواردة في الحديث ؟

أقول: الآيات الأنفة الذكر تفيد العموم، والحديث المشار إليه يفيد التخصيص أو الخصوص؛

فهو خاص من عام، ويكون التوفيق أن جميع من يدخل النار قد أقيمت عليهم الحجة من جهة نذارة

الرسل في الدنيا إلا الأربعة هؤلاء المذكورين في الحديث يجرى لهم اختبار في عرصات يوم القيامة كما أفاد بذلك الحديث، هذا ما يقتضيه مبدأ التوفيق بين النصوص.

تنبيه: أهل الفترة المعذورون بالجهل هم الذين لم تبلغهم نذارة الرسل بأي وجه من الوجوه، ولا يُشترط في ذلك أن يأتيهم أو كل واحد منهم رسول خاص يبلغهم وينذرهم .. فالعذر بالفترة يأتي من جهة انقطاع النذارة، وجهلهم بما جاء به الرسل، وليس من جهة انقطاع ذوات الرسل وأشخاصهم عنهم .. فهذا غير ممكن، ولم يقل به أحد!

فإذا عرفت ذلك عرفت أنه لا وجه لقول أخينا أبي محمد "وإن لم يأتته رسول خاص!" .. فانقطاع الرسل شيء . وهو ليس شرطاً للعذر. وانقطاع نذارة الرسل شيء آخر، وبلوغ نذارة الرسل إلى العباد شيء، وأن يُشترط أن يأتيهم رسول خاص شيء آخر .. وهذه مسألة سنعود إليها إن شاء الله.

الدليل الثاني: عن واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم فتح مكة، قال: فمررنا بشجرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكان للكفار سدرة يعكفون حولها ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط، فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال: "الله أكبر، قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم". والحديث صحيح أخرج الترمذي وغيره.

قلت: تأمل قوله "ونحن حديثو عهد بكفر" الذي يفيد عجزهم عن الإمام بكل ما يدخل في التوحيد، وما يضاده من الشرك .. بسبب حداثة عهدهم بالكفر والإسلام معاً؛ لأن من كان حديث عهد بكفر فهو يلزمه أن يكون حديث عهد بالإسلام وعلومه .. لذلك نجد أن النبي ﷺ قد أقال عثرتهم ولم يكفرهم بأعيانهم، رغم أن مقولتهم شرك أكبر مناقض للتوحيد، وهو شبيه قول بني إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، واكتفى بتعليمهم وبيان بطلان مقولتهم وأنها من الشرك ..

ولا شك أنهم لو عادوا عليه الطلب بعد أن بين لهم بطلان ما سألوه وعلموا أنه من الشرك، أو فعلوه بعدما نهوه عنه وبلغهم فيه علم من النبي ﷺ .. يكونون بذلك كفاراً بذواتهم وأعيانهم لانتفاء الجهل بالخطاب الشرعي عنهم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بيان سبب عدم كفر بني إسرائيل الذين سألوا موسى بأعيانهم، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط: نقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب⁽¹⁾ ا-هـ.

فتأمل كيف علق كفرهم . لو فعلوا . بعد بلوغهم النبي والخطاب الشرعي من جهة النبي ﷺ وليس قبله .. مما يدل أن الذي سألوه يعتبر من الشرك الأكبر المناقض للتوحيد.

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ في كتابه النافع تيسير العزيز الحميد ص 185: وفيها أن من أراد أن يفعل الشرك جهلاً فنهى عن ذلك فانتهى لا يكفر ا-هـ.

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 61/20: إن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلحق جميع شرائعه ويؤمر بها كلها .. إلى أن قال: ومن هنا يتبين سقوط كثير من الأشياء وإن كانت واجبة أو محرمة في الأصل لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم، فإن العجز مسقط للأمر والنهي وإن كان واجباً في الأصل ا-هـ. ولا ينبغي أن يُقال هنا: أن العجز يسقط الأمر والنهي في الفروع دون الأصول !!..

الدليل الثالث: عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: "يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك"، فطرحته فلما انتهيت إليه وهو يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، حتى فرغ منها، قلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه"، قلت: بلى، قال: "فتلك عبادتهم"⁽²⁾.

نستخلص من الحديث الفوائد التالية:

1. أن عدي بن حاتم رضي الله عنه جاء النبي ﷺ مسلماً مقرأً بالشهادتين ..

¹ العقيدة والآداب الإسلامية، ص 174.

² تفسير البغوي: 285/3.

2. أن عدياً ﷺ كان قد تنصر، وكان حديث عهد بالكفر.. أي أنه كان عاجزاً عن معرفة كل ما

يدخل في التوحيد ومتطلباته من أيامه الأولى من إسلامه؛ أي أنه معذور بالجهل ..

3. بسبب ما تقدم وقع عدي ﷺ بنوعين من الشرك الأكبر، كل واحد منهما يخرج صاحبه من

الملة لو اقترفه من غير جهل بالنص الشرعي الذي يفيد التحريم، لكن عدياً لم يكفر بعينه لمانع الجهل
المعتبر بالخطاب الشرعي:

أولهما: ارتداؤه للصليب .. وهذا شرك أكبر، لذا سماه النبي ﷺ بالوثن الذي يعبد من دون الله

ﷻ .. ومع ذلك فقد اكتفى النبي ﷺ بأن قال لعدي: "اطرح هذا الوثن من عنقك"، من دون أن يحكم

عليه بعينه أنه كافر أو قد كفر وارتد، وعليه أن يدخل الإسلام من جديد بتلفظ الشهادتين .. فتأمل.

ثانياً: أن عدياً كان يجهل أن طاعة الأعبار والرهبان في التحليل والتحريم من دون سلطان من

الله .. يدخل في معنى العبادة التي لا يجوز أن تصرف لغير الله، وأنه من الشرك الأكبر .. إلى أن بين له

النبي ﷺ ذلك، وعلمه أن طاعة الأعبار والرهبان، والتحاكم إليهم لذواتهم في التحليل والتحريم من دون

الله ﷻ عبادة لهم وشرك بالله تعالى، ومن دون أن يحكم عليه بالكفر والارتداد ويطلب منه الدخول في

الإسلام من جديد !!..

وهذا من جملة ما يُرد به على كلام أخينا أبي محمد الذي يفيد أن الجهل لا يُعذره في الشرك،

أو فيما يناقض التوحيد⁽¹⁾ .. بخلاف الفروع التي لا يمكن أن تُعرف إلا عن طريق الرسل !!

الدليل الرابع: قال رسول الله ﷺ: "قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله، إذا مات فحرقوه، ثم

اذروا نصفه في البرّ ونصفه في البحر، فوالله لئن قدير الله عليه ليعذبنّه عذاباً لا يُعذبه أحداً من العالمين.

¹ في رسالة لأخينا أبي محمد يجيب فيها على سائل .. وذلك في أواخر شهر شوال من سنة 1416 هـ، كما هو مثبت في

الرسالة، يقول: الشرك بالله وعبادة غيره، واتباع دين وشرع غير دينه وشرعه، أو الطاعة في التحليل والتحريم والتشريع

.. ونحو ذلك فهذا كله لا يعذر الجاهل به لأنه أصل الدين (التوحيد) الذي جاءت الرسل كافة من أجل دعوة الناس

إليه وتقديره والتحذير من ضده (الشرك) وسد ذرائعه، وقد أقام الله تعالى فيه حجته من أبواب شتى .. اهـ. وهو كلام

منسجم مع كلامه الذي أثبتناه له في أول هذا البحث .. فتأمل !!

فلما مات الرجلُ فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البرَّ فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لِمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر الله له "مسلم".

فهذا رجل جحد قدرة الله عليه إن فعل ما فعل، وشك في البعث والمعاد .. وهذا عين الكفر البواح؛ لكن الله ﷻ قد غفر له وعذره لجهله وخشيته من الله .. كما نص على ذلك ابن تيمية، وابن حزم، وابن القيم وغيرهم من أهل العلم (1).

¹ قال أبو محمد في الهامش من رسالته كشف الشبهات، بعد أن ذكر الحديث: فيه دلالة على العذر بالجهل في باب الأسماء والصفات لأن ذلك لا يُعرف إلا عن طريق الرسل فهذا الرجل جهل سعة قدرة الله ﷻ وظن أن وصيته لأولاده ستنجيه من عذاب الله فغفر له ذلك الجهل، بخلاف التوحيد الذي هو حق الله على العبيد والذي نصب الله له الأدلة العقلية والكونية، وأقام عليه حجج الميثاق والفطرة وأكملها بالحجة الرسالية ..!! اهـ.

أقول: قوله "فغفر له ذلك الجهل" غير دقيق، ولو قال: فغفر له كفره وجحوده لجهله . كما نص على ذلك أهل العلم . كان أصوب وأدق، ولكن نجد أماناً متحفظاً جداً من وصف الشيء باسمه حتى لا يُقال عنه أنه يعذر الكافر أو المشرك الذي يقع بالكفر أو الشرك بالجهل !!

وقوله: بالعذر بالجهل في الأسماء والصفات لأن ذلك لا يُعرف إلا عن طريق الرسل بخلاف التوحيد .. خطأ يُرد عليه من أوجه:

منها: أن الأسماء والصفات من التوحيد بل من أعظم أبواب التوحيد، لا يجوز إخراجها من التوحيد الذي هو حق الله على العباد ..!!

ومنها: أن هذا التقسيم إلى جهل بالتوحيد . الخاص بالأسماء والصفات . يعذر، و جهل بتوحيد آخر لا يعذر .. لا يصح، يعوزه الدليل، ولم يقل به أحد من السلف، وسيأتي الرد عليه إن شاء الله.

ومنها: كيف يعرف العبد حق الله عليه من التوحيد، وهو يجهل المعبود وأسماءه وصفاته، وتم يكون معذوراً بالجهل ..؟!!!

ومنها: إذا كان المرء يعرف حق المعبود ﷻ عليه بالفطرة، فمن باب أولى أن يعرف المعبود بأسمائه وصفاته بالفطرة وحجة الميثاق .. وإذا كان المرء معذوراً بجهل المعبود وبجهل أسمائه وصفاته .. فمن باب أولى أن يُعذر بجهله لحق المعبود عليه ..!

وهل يُقال . كما يقول الأخ . أن الذي ينكر المعاد ويشك به، ويجحد قدرة الله تعالى، وأنه قادر على كل شيء . وهذا من لوازمه أن يصف الله تعالى بالعجز والضعف . أنه يُعذر بالجهل، بينما الذي يقع في شرك طاعة الأحرار والرهبان في التحليل والتحریم، أو أي نوع من أنواع شرك العبادة .. لا يُعذر بالجهل !!؟

كل هذه الاعتراضات وغيرها تواجه هذا التقسيم الذي لجأ إليه الأخ . من غير ضرورة . الذي لا يسلم به نقل ولا عقل !!

قال ابن تيمية: والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شكاً في المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره .. ا-هـ.
وقال ابن القيم: وأما جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه، فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه .. وهذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله ا-هـ.

الدليل الخامس: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" مسلم.
تأمل كيف علق النبي ﷺ العذاب بالنار يوم القيامة على السمع، وعلى رد حجة نذارة الرسول التي تقوم عن طريق السمع .. هذا منطوق الحديث.

أما مفهوم الحديث فإنه يدل أن من لم يسمع بالنبي ﷺ، ولم تصله نذارة الرسل فهو ليس من أهل النار، وإنما يُرجأ أمره إلى الله ﷻ، ويُعامل معاملة أهل الفترات؛ كما جاء في الحديث يقول: "رب ما أتاني لك رسول"، فيرسل له الله تعالى أن ادخل النار فإن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، وإن لم يدخلها سُحب إليها، وقد تقدم الحديث.

وبعد، هذه بعض أدلة الحديث والسنة وليس كلها، وهي كافية وزيادة .. وبها نكون قد انتهينا من النقطة الأولى من ردنا على كلام أخينا الفاضل أبي محمد، لننتقل بعدها إلى النقطة الثانية أو الوجه الثاني من أوجه الرد.

ثانياً: النصوص الشرعية التي تفيد أن مات من المشركين قبل بعثة النبي ﷺ وهو من أهل العذاب والنار، كقوله ﷺ للرجل: "إن أبي وأباك في النار". وقوله عن رجل مات في الجاهلية، وكان يُعذب في قبره: "لولا أن تدافنوا لدعوت الله ﷻ أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني". فهذه النصوص وغيرها التي تفيد عذاب بعض المشركين كانوا قد ماتوا في الفترة قبل بعثة النبي ﷺ نجزم بأنهم قد بلغتهم نذارة الرسل الذين بعثوا قبل محمد ﷺ، كإبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء .. والعبرة في بلوغ نذارة الرسل، ولا يُشترط لقيام الحجة مبعث رسولٍ خاص، أو أن تحصل مشاهدة للرسول، أو أن يقيم الحجة على

المخالفين شخص الرسول .. فهذا لا يُشترط ولم يقل به أحد من أهل العلم، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك...!

والذي دعانا إلى الجزم بأن هؤلاء قد بلغتهم نذارة الرسل التي بها تقوم الحجة التي يستحق رادها العذاب، النقاط التالية:

1- النصوص العديدة المحكمة والصريحة التي تفيد بأن الله ﷻ لا يُعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه، فيقابلها بالرد والجحود .. وقد تقدم ذكر بعض هذه الأدلة في النقطة الأولى.

2- في قوله ﷺ للرجل: "إن أبي وأباك في النار"، قال النووي في الشرح 338/7: فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين. وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذه قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ا-هـ.

وقال الشيخ ناصر رحمه الله بعد أن ذكر حديث الرجل الذي يُعذب في قبره: من فوائد الحديث أن أهل الجاهلية الذين ماتوا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام معذبون بشركهم وكفرهم، وذلك يدل على أنهم ليسوا من أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة نبي، خلافاً لما يظنه بعض المتأخرين، إذ لو كانوا كذلك لم يستحقوا العذاب لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (1) ا-هـ.

3- وردت بعض النصوص تفيد أن من كان قبل بعثة النبي ﷺ قد بلغته نذارة الرسل كإبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء، كما في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ابن جدعان . وكان قد مات قبل بعثة النبي ﷺ . كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه ؟ قال: "لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين".

قلت: قول النبي ﷺ عنه أنه "لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين" لهو دليل صريح على أن نذارة الرسل قد بلغته؛ لأن هذه المقولة التي لم يقلها لا تعلم إلا عن طريق الرسل ..

¹ السلسلة الصحيحة: 247/1.

ومما يدل على أن دعوة إبراهيم عليه السلام كانت قد بلغتهم قول زيد بن عمرو بن نفيل لقريش قبل بعثة النبي ﷺ: يا معشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: "اللهم لو أي أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته. فهذا نص صريح على أن دين إبراهيم عليه السلام ودعوته كانت قد بلغتهم، وإلا ما فائدة تذكير زيد بن عمرو لكفار قريش بذلك، لولا أنهم كانوا يعرفون إبراهيم عليه السلام وقد بلغتهم دعوته ..؟! وكذلك قوله ﷺ: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.." مسلم.

قلت: وهذا قبل بعثة النبي ﷺ، ولا يجوز حمله على خلاف ذلك؛ وإلا لشمّل الحديث أصحاب النبي ﷺ الأختار، وهذا لا يجوز .. وكون الله ﻋﻠﻴﻚ مقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب دل أن هذه البقايا من أهل الكتاب كانت قد بلغتهم نذارة الرسل، وكانوا ملتزمين بالتوحيد الذي جاءت به رسلهم؛ لأن الله تعالى إذ يرضى فلا يرضى إلا على عباده الموحدين الملتزمين بهدي وغرس الرسل.

4- هذا ما يقتضيه مبدأ التوفيق والجمع بين النصوص ما أمكن، قبل اللجوء إلى القول بالتخصيص أو النسخ أو غير ذلك .. والقول بخلاف ذلك مؤداه إلى ضرب النصوص بعضها ببعض، ومعارضة بعضها لبعض ..!

هذه هي النقطة الثانية، أو الوجه الثاني من أوجه الرد، وإليك النقطة الثالثة:

ثالثاً: فإذا علمت ذلك علمت أن ما استدل به الأخ على أن أهل الفترة قبل بعثة النبي ﷺ كانوا معذيين ومن دون أن تقوم عليهم حجة الرسل أو تبلغهم نذارة الرسل، هو استدلال خاطئ لا يصح، وإليك ما استدل به الأخ مع بيان وجه الخطأ من استدلاله:

استدل الأخ . حفظه الله . بقوله تعالى: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾

السجدة: 3. وبقوله تعالى: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فِيهِمْ غَافِلُونَ﴾ يس: 6.

ثم قال: فصح بنص الوحي أن هؤلاء قوم معذبون في الآخرة، مع أنهم ما أتاهم نذير وأنهم غافلون بنص التنزيل .. وهو دليل على أن من نقض أصل التوحيد من المكلفين ومات على الشرك الصراح والتنديد، أنه معذب في الآخرة وإن لم يأتته نذير-هـ.

وهذا قول لا يصح نرد عليه من أوجه:

منها: أن الآيات المستدل بها تفيد انقطاع النذير وليس انقطاع وانعدام النذارة، والفرق بينهما واضح: فالأول . وجوده وغيابه . لا يُعتبر شرطاً للعذاب، بينما الآخر . نذارة الرسل . يعتبر وجوده شرطاً لحصول العذاب في الدنيا والآخرة، وإليك بعض أقوال أهل العلم في المراد من الآيتين المذكورتين: في قوله تعالى: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، أخرج ابن جرير الطبري في التفسير عن قتادة قال: كانوا أمة أمية، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ -هـ. أي لم يأتهم نذير خاص بقريش قبل محمد ﷺ، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون قد بلغتهم نذارة الرسل، حيث يوجد فرق بين القول بأنهم لم يأتهم نذير وبين القول أنهم لم تبلغهم نذارة النذير!! قال البغوي في التفسير: قال ابن عباس ومقاتل: ذاك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ -هـ.

وقال القرطبي بعد أن نقل قول قتادة وابن عباس ومقاتل المتقدم: وقيل كانت الحجة ثابتة لله جل وعز عليهم بإنذار من تقدم من الرسل وإن لم يروا رسولا -هـ. أما قوله تعالى: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، فقد قيل في تفسيرها قولان: كلاهما تحتملها الآية، وكلاهما يدلان على خلاف ما ذهب إليه الأخ. القول الأول: انقطاع الرسل والنذير، وليس النذارة .. القول الثاني: أن ﴿مَّا﴾ جاءت بمعنى الذي؛ أي لتنذر قوماً الذين أنذر آبائهم من قبل، وبهذا التفسير، تكون الآية دليلاً وشاهداً على الأخ وليس له .. وإليك بعض أقوال أهل العلم في ذلك: قال البغوي في التفسير: قيل: ﴿مَّا﴾ للنفي أي لم تنذر آبائهم لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل ﴿مَّا﴾ بمعنى الذي؛ أي لتنذر قوماً بالذي أنذر آبائهم -هـ.

وقال القرطبي في التفسير: المعنى لتندّر قوماً ما أتى آباءهم قبلك نذير. وقيل: هي بمعنى الذي:

فالمعنى لتندّرهم مثل ما أنذر آباؤهم، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة أيضاً -هـ.

وقال ابن الجوزي في التفسير: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ في ﴿مَّا﴾ قولان: أحدهما أنها نفي،

وهو قول قتادة والزجاج في الأكثرين. والثاني: أنها بمعنى "كما" قاله مقاتل، وقيل هي بمعنى الذي -هـ.

أقول: لو سلمنا افتراضاً أن في الآية دلالة على مذهب الأخ لكان هذا الاختلاف في التأويل موجداً

للاحتمال؛ وإذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال.

أما وقد علمنا أن معاني الآية لا تحتل أصلاً المعنى الذي ذهب إليه الأخ .. علمنا بالضرورة أن

الآية لا يصح الاستشهاد بها على عذاب أناس تنتفي عنهم مطلق نذارة الرسل، والله تعالى أعلم.

ومنها: كونهم كانوا غافلين .. لا يستلزم أن تكون نذارة الرسل لم تصلهم؛ فالغافل عن النذارة

إعراضاً أو كبراً، أو انشغالاً بالدنيا، أو استخفافاً بأمر الدين، أو عصبية للأصنام والأوثان .. شيء. وهو لا

يُعذر. والذي لم تبلغه نذارة الرسل مع حرصه عليها شيء آخر، وهو معذور.

ومنها: أن آيات عديدة في القرآن الكريم قد وصفت الكافرين بالجهل والغفلة، وأنهم لا يعقلون،

ولا يعلمون، ولا يفقهون وغير ذلك من الأوصاف التي تفيد جهلهم المطبق .. لكن هل هذا الجهل مانعاً

من تكفيرهم، وهل هذا دليل على عدم بلوغ نذارة الرسل إليهم ..؟!

أقول: لا؛ لأن جهلهم ناتج عن الإعراض عن الدين وطلبه، وعن الاستخفاف به، أو الانشغال

بالدنيا وملذاتها عنه مع سهولة طلبه وتحصيله لمن أرادته .. ولم يكن ناتجاً عن عجزهم في إدراك أو

الوقوف على نذارة الرسل.

ومنه نعلم: أن كل كافر جاهل، وليس كل جاهل كافر؛ لاحتمال وجود موانع التكفير في حقه.

وهذه قاعدة من قواعد التكفير نسأل الله تعالى أن يتاح لنا من العمر ما نتمكن به من شرحها على وجه

التفصيل، ولعلنا نضيفها إلى كتابنا قواعد في التكفير في طبعته القادمة إن شاء الله.

رابعاً: كون الحجة تقوم على العباد من جهات عدة؛ كحجة الميثاق الذي أخذه الله تعالى من بني

آدم قبل أن يخلقهم، وحجة الفطرة، وحجة الآيات التي أودعها الله في النفس والكون .. فهذا حق لا ريب

فيه قد دلت عليه النصوص الشرعية، لكن قضت حكمة الله تعالى أن لا يعذب أحداً بناءً على هذه الحجج، وإنما علق العذاب ﷺ على رد وجود نذارة الرسل فقط، وهذا من كمال رحمته بالعباد، وحبه ﷺ للعفو والعذر.. كما أفادت الأدلة التي تقدم سردها وبيائها في النقطة الأولى من هذا البحث.

يوجد فرق بين بما تقوم به الحجة، وبين أي الحجج علق الشارع عليها العذاب!؟..
لذا فالمطلوب ممن يخالفنا في ذلك أن يأتي بالأدلة التي تثبت تعليق العذاب على أساس هذه الحجج الأنفة الذكر، وليس ذكر الأدلة على حجية هذه الحجج. فالبحث يكون فيما اختلفنا فيه وليس فيما اتفقنا عليه.

خامساً: هذا التفريق الذي أقدم عليه الأخ: وهو الفرق بين أصل التوحيد الذي لا يعذر مخالفه

بالجهل، وبين تفاصيل التوحيد وفروعه وهو الذي يُعذر مخالفه بالجهل!..!!

أقول: هذا التفريق والتقسيم لا يصح وهو باطل، وذلك من أوجه:

منها: أن هذا التقسيم يعوزه الدليل من الكتاب والسنة، وأنى ..

ومنها: أن الأدلة من الكتاب والسنة التي تعذر بالجهل جاءت عامة لجميع أنواع الجهل، من دون

تفريق بين جهل وجهل، وتخصيصها بنوع من الجهل دون نوع يحتاج لدليل مخصص، وأنى ..

ومنها: أن بعض الأدلة جاءت دلالتها صريحة على العذر بالجهل في أصل التوحيد، وفي الشرك

المناقض للتوحيد كما تقدم في حديث عدي بن حاتم وغيره ..

ومنها: أنه قول محدث لم يقل به الصحابة ولا السلف رضوان الله عليهم، وإنما هو من قول

المعتزلة وغيرهم من أهل البدع والأهواء (1) .. !

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 346/23: وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل

لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد

يكون عُرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر

¹ لا يلزم من قال قولاً وافق فيه أهل البدع أن يكون منهم، بل قد يكون له أجر إن كان مجتهداً، وكان خطؤه ناتجاً عن اجتهاد .. فتنبه لهذا.

له خطأه كائناً ما كان؛ سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام.

وما قسموا المسائل إلى مسائل أصول يكفر بإنكارها، ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها.

فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل أصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة، ولا عن التابعين لهم بإحسان، ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع، وعنه تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم، وهو تفريق متناقض، فإنه يقال لمن فرق بين النوعين: ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطئ فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟ فإن قال: مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع هي مسائل العمل. قيل له: فتنازع الناس في محمد ﷺ هل رأى ربه أو لا؟ وفي أن عثمان أفضل من علي أم علي أفضل؟ وفي كثير من معاني القرآن، وتصحيح بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية، ولا كفر بها بالاتفاق، ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل عملية، والمنكر لها يكفر بالاتفاق. وإن قال الأصول هي المسائل القطعية، قيل له: كثير من مسائل العمل قطعية، وكثير من مسائل العلم ليست قطعية، وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافية، وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له، كمن سمع النص من الرسول ﷺ وتيقن مراده منه، وعند رجل لا تكون ظنية، فضلاً عن أن تكون قطعية لعدم بلوغ النص إياه، أو لعدم ثبوته عنده، أو لعدم تمكنه من العلم بدلالاته -هـ.

سادساً: هذا القول مفاده إلغاء اعتبار جميع موانع التكفير التي تكلم عنها أهل العلم؛ كالحديث

عهد بكفر، وكالذي يعيش في منطقة نائية لا هو يستطيع أن يأتي العلم ولا العلم يمكن أن يصله، وكالمتأول الذي لا يستطيع أن يفقه النص على مراد الشارع، وغيرها من الموانع.. فهذه الحالات كلها تشترك في صفة الجهل المعجز الذي يحدث العجز عند صاحبه عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه، وإن اختلفت أسباب الجهل والعجز، بل هذه الموانع للتكفير لا تُعتبر موانع إلا لكونها تُحدث جهلاً عند المعين

كبوّة فارس "مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه"

لا يمكن دفعه. لذا فالقول بعدم العذر بالجهل في الكفر أو الشرك . لا فرق . مفاده إلغاء اعتبار جميع موانع التكفير التي تكلم عنها أهل العلم .. !!

والكلام عن موانع التكفير والقول بها مع القول بعدم العذر بالجهل في الكفر .. كمن يقول بالشيء وضده في آنٍ معاً !!

سابعاً: قوله "ومع هذا يأتي بعض من لا يعرفون من الدين إلا الاسم ولا من معاملته إلا الرسم يطالبون بإقامة الحجة في باب الشرك ..!".

أقول: هذه الاطلاقات فيها تسرع، كنا نود أن لا يقع فيها الأخ . عفا الله عنه . وبخاصة إذا علمت أن فحول الأمة من أهل العلم يقولون بهذا القول وقد تقدم في هذا البحث ذكر بعض أسمائهم وأقوالهم!!!

بل هذا القول مفاده الطعن بعقيدة أهل السنة والجماعة التي أثبتها عنهم أبو الحسن الأشعري في المقالات كما يذكر ابن القيم، وابن كثير، والشنقيطي وغيرهم، راجع إن شئت قول ابن القيم: "والقول بمضمونها . أي الأحاديث التي تعذر أهل الفترات بجهل التوحيد . هو مذهب السلف والسنة، نقله عنهم الأشعري رحمه الله في المقالات وغيرها .."فتأمل !!

ثامناً: بشيء من التتبع لأقوال الأخ نجده مضطرباً في المسألة، وإليك بعضها:

قال في رسالته كشف الشبهات: "فمن بلغه هذا القرآن العظيم فقد قامت عليه الحجة والندارة، خصوصاً في أوضح أبواب الدين الذي بعث كافة الرسل من أجله" -هـ.

أقول: مفهوم كلامه أن من لم يبلغه القرآن الكريم ولم تبلغه نذارته لم تكن قد قامت عليه الحجة والندارة ..؟!!

ثم إذا كانت الحجة تقوم بحجة الميثاق والفترة، فعلام اللجوء إلى الحديث عن حجة القرآن ونذارته ..؟!!

أما قوله: فمن بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة .. يحسن أن يُعلق ذلك على أن يبلغه . أي معانيه . بلغة يفهمها؛ لأن الجاهل الأعجمي الذي لا يُحسن شيئاً من العربية لو بلغته نسخة من القرآن

كبوّة فارس "مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه"

الكريم فإنها لا ترفع عنه العجز فيما قد جهل فيه، لأنه لا يقدر على أن يفهم منه شيئاً .. والعجز يرفع التكليف كما تقدم.

لكن في هذه الحالة: يمكن القول بأنه يجب عليه أن يتحرك ويسعى في البحث عن ما يعلمه ما جاء في هذا القرآن الكريم من تعاليم، وبخاصة منها التوحيد ..

وقال كذلك في نفس الرسالة: "وباب الشرك الأكبر الصريح قد أقام الله عليه حججه البالغة فلا يُعذر الجاهل فيه لأن جهله والحالة كذلك إنما يكون إعراضاً عن الدين وعن تعلم أهم ما خلق من أجله وليس جهل من لم تقم عليه الحجة" اهـ.

أقول: يفيد كلامه أن الجاهل لا يعذر بالجهل، لا لأنه لم تقم عليه الحجة الرسالية، وليس لكونه محجوج من جهة حجة الميثاق والفطرة .. بل لأنه يعرض عن الحجة الرسالية وعن تعلمها التي بها قامت الحجة وحُسمت الأعدار!!

ومثل هذا الكلام لا مبرر لذكره . سوى الاضطراب . عند الحديث عن عدم العذر بالجهل في التوحيد .. لأن العباد . كما يقول . محجوجون من جهة حجة الفطرة والميثاق .. فعلام اللجوء إلى الحديث عن حجة الرسل، وحجة الدين وتعلمه !!؟

ومثل هذا الاضطراب مكرر في أكثر من موضع من كتب الأخ، نكتفي منها بما ذكر لأن غرضنا من ذلك الإشارة والتنبيه لا الاستقصاء.

تاسعاً: قوله: "وربما أقاموا على ذلك شيئاً بآيات يضعونها في غير موضعها كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يريدون: أنه لا تكفير إلا بعد قيان الحجة في كل باب حتى في الشرك الأكبر الواضح المستبين، وليس في هذه الآية وجه دلالة على قولهم الفاسد هذا ..!!".

أقول: إذا كان لا يشترط في تكفير المعين . إن وقع في الكفر أو الشرك عن جهل بنذارة الرسل . قيام الحجة الرسالية عليه، لماذا هذا الإكثار من الدندنة عن موانع التكفير .. ولماذا هي اسمها موانع التكفير: أليس لأن صاحبها وقع في الكفر، فهي تمنع عنه لحوق الكفر به ..!!؟

ثم هؤلاء أصحاب القول الفاسد الذين يضعون الآية في غير موضعها، هم علماء الأمة وفحولها .. وقد تقدم من كلامهم الشيء الكثير، ونختمه هنا بكلام نفيس صريح لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، يزيد المعنى وضوحاً إلى وضوحه:

قال رحمه الله: لا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالى:

﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

والصحيح الذي تدل عليه الأدلة الشرعية أن الخطاب لا يثبت في حق أحد قبل التمكن من

سماعه ..

وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما يبعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام، فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يُحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول.

هذا مع أي دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني: أي من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق ومعصية؛ إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارةً، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى ..

وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة،

ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة ..

وإذا تبين هذا فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه، إما لعدم تمكنه من العلم؛ مثل أن

لا تبلغه الرسالة، أو لعدم تمكنه من العمل، لم يكن مأموراً بما عجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان

والدين الواجب في حقه، وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل⁽¹⁾ .. اهـ.

هذه بعض المقتطفات من أقوال جبل العلم الأشم شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله .

في المسألة .. أردنا منها إيضاح المعاني لا الاستقصاء لجميع أقواله في المسألة، فالموضع أضيق من أن

¹ انظر الفتاوى: 229/3، و 406-407/11، و 466/12 و 478.

يتسع لذلك .. عسى أن يتحقق منها المراد، وتنجلي بها الشبهات والغشاوات عن الأفهام، والله تعالى وحده يهدي من يشاء إلى ما يشاء.

.تنبيه هام:

حتى لا يُفهم كلامنا خطأً ويُحمل على غير الوجه الذي نريد، نبين صفة الجاهل الذي يُعذر بالجهل، **فأقول:** الجاهل الذي يُعذر بالجهل هو الذي يقع في المخالفة الشرعية. أيّاً كان نوعها. جهلاً عن عجزٍ لا يمكن دفعه، رغم بذله وسعيه، ورغبته في دفع ما وقع به من جهل، إن كان يعلم بجهالته ومخالفته.

فمثل هذا لا يجوز إلحاق حكم الوعيد به . سواء كان كفراً أم فسقاً أم غير ذلك . إلا بعد قيام الحجة الرسالية التي تدفع عنه العجز والجهل فيما قد خالف فيه، ولا يُشترط في ذلك إقناعه، أو قراءة المتون والمطولات عليه .. !!

وما سوى ذلك، فمن يقع في الكفر عن جهل غير معجز؛ أي يمكنه دفعه لكنه لا يفعل . لأي سببٍ كان . فمثل هذا لا يُعذر بالجهل، ولا يُشترط لتكفيره قيام الحجة عليه؛ حيث أن الحجة معروضة عليه على مدار الساعة والزمن، ولكن هو الذي لا يأتيها ولا يُحرك ساكناً نحوها .. بل لو عُرضت عليه يابها أو ينشغل عنها بمشاغل الدنيا وملذاتها !!!

بل هو نفسه لو قيل له عن عظامٍ عليها بعض لحومها توزع هنا أو هناك .. لشد إليها الرحال ولو طال به المسير⁽¹⁾ .. !!

فمثل هذا أتى له أن يُعذر بالجهل، إلا في دين أهل الإرجاء والتجهم .. وبئس الدين ذلك الدين!! فهذا إيجاز شديد، ومن أراد التفصيل فعليه أن يراجع كتابنا "العذر بالجهل وقيام الحجة" عسى أن يجد فيه ما يقر عيون الموحدين إن شاء الله.

¹ كنا قد أعلننا . في مسجد . عن درس ندرس فيه العقيدة والتوحيد، في كل أسبوعٍ مرةً واحدة ولا نزيد حتى لا نُمل القوم !! .. وبعد سنة من الإعلان فالحضور لا يتجاوزون العشرين نفر، وأحياناً يزيدون قليلاً، وحيناً آخر ينقصون .. ومرةً أعلن في المسجد ذاته عن وليمة طعام لمن يرغب في الأكل، فحضر أناس لا ندري من أين أتوا، وكيف سمعوا بالوليمة، يتجاوز تعدادهم أكثر من مائتي رجل، غير النساء في الغرف لا نعرف عددهنَّ .. فتأمل !!!؟

وبعد، هذا ما أردت ذكره. في هذا البحث الموجز. من رد على ما جاء من كلام لأخينا الشيخ أبي محمد المقدسي. حفظه الله وفك أسره. في مسألة العذر بالجهل.
راجياً لي وله ولجميع المسلمين السداد والتوفيق لما يحبه الله تعالى ويرضاه .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا ونبينا وقائدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

22 جمادى الأولى/1421هـ.

أبو بصير الطرطوسي

2000/08/22م

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً كثيراً.

وبعد: فإن كثيراً من المسلمين اضطرتهم ظروف القهر والإرهاب والظلم الذي يعيشونه في بلادهم مسقط رأسهم . من قبل طواغيت الحكم الجائمين زوراً على صدر الأمة ومقدراتها، والذين يفرضون على شعوبهم سياساتهم الباطلة، وأفكارهم الكافرة الماجنة بالحديد والبطش والنار. إلى الهجرة والبحث عن مكانٍ يتحقق فيه الحد النسبي من الأمان لهم ولأهلهم، وأبنائهم ..

ولما كانت بلاد الغرب فيها هذا الحد النسبي من الأمان .. كانت مقصد كثير من المسلمين المضطهدين في دينهم ومعاشهم (1) .. فهاجروا إليها ومعهم أبناءهم ونساءهم لتواجههم تحديات من نوع آخر لم يكن كثير منهم يتوقعها أو يتصورها، تختلف . نوعاً . عن التحديات التي كان يواجهها في بلاده ..! تحديات من جهة تزيين الباطل والترغيب به .. تحديات من جهة العرض الهائل للدعايات المكثفة لصور المجون والدعارة والفساد .. تحديات من جهة ضغط المناهج المنحرفة الفاسدة التي يتلقاها الأبناء في المدارس .. تحديات من جهة الترويج المكثف لكثير من الأخلاقيات السائدة في بلاد الغرب والتي تتعارض مع أخلاق وتعاليم الإسلام الحنيف ..

في ظل هذا الواقع المنحرف المفاجئ لكثير من الناس، يتساءل كثير من الآباء والأمهات الغيورين على دينهم وأبنائهم: كيف نربي أبناءنا التربية الإسلامية الصحيحة .. كيف نحافظ على سلامة أخلاقهم وسلوكهم من الانحراف .. كيف نحافظ على عقيدتهم وثقافتهم الأصيلة من الضياع .. كيف نربطهم بهموم أمتهم التي تكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب !!؟؟

¹ تذكر بعض الإحصائيات أن عدد المسلمين المقيمين في أوربة يقارب الأربعين مليوناً ..!

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

فهذه الأسئلة ومثيلاتها تراود كثيراً من الآباء الغيورين، وتقلق عليهم مضاجعهم وحياتهم .. وهم محقون في كل ذلك؛ فالأبناء فلزات الأكباد، وقرّة العين، وأمل الأمة وهم أمانة طيبة في أيديهم سيُسألون عنها يوم القيامة: أضيعوها أم حافظوا عليها، وأعطوها حقها ..؟! لذا سنجتهد . إن شاء الله . في هذه الأوراق القليلة الإجابة على هذه الأسئلة الهامة بشيء من التفصيل والتدقيق، راجياً من المولى ﷺ أن يهدي بها العباد، ويحقق منها المراد .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

والجواب يكمن في النقاط التالية:

أولاً: الشعور بالمسؤولية نحو الأبناء.

ونقصد بذلك أنه لا بد للآباء من أن يتحقق لديهم أولاً شعور قوي بالمسؤولية نحو الأبناء؛ يدفعهم للمتابعة والاهتمام بالأبناء إلى درجة القلق والخوف، إذ أن هذا الشعور يُعتبر شرطاً لأي حل أو علاج، لا تنفع من دونه الحلول الأخرى (1) ..!

الشعور بأن هؤلاء الأبناء أمانة في أعناق الآباء سيُسألون عنهم أمام الله تعالى: هل وفوا بحقهم عليهم، أم قصرُوا وفرطوا وضيعوا ..؟

قال رسول الله ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" متفق عليه.

¹ نلفت النظر لأهمية ذلك لملاحظتنا أن هذا الشعور غائب عن كثير من الآباء والأمهات .. ومنهم من يُعرب بلسان القول عن شعوره بالمسؤولية، وعن قلقه نحو أبنائه وهو في نفس الوقت بلسان الحال والواقع عبارة عن حمار في النهار؛ لا يعرف إلا العمل والشغل، ولا هم له سوى تكثير الأموال وتجميعها .. جيفة في الليل لا يعرف سوى النوم .. وكما يقول المثل: من الورشة إلى الفرشة، ومن الفرشة إلى الورشة .. ثم بعد كل ذلك إذا رأى أبناءه يسكرون في الاتجاه الذي لا يريد ولا يرضاه، تراه يسأل عن المخرج والسبيل، والسبب الذي أدى إلى ذلك .. !!

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

ومن الشعور بالمسؤولية نحو الأبناء إعطاؤهم حقهم من غير إفراطٍ ولا تفريط، ولا انشغالٍ عنهم بحقوقٍ أخرى .. وإنما يُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقه بالتمام والكمال.

فليس من العدل ولا الفقه ولا المروءة أن ينشغل المرء في إعمار بيوت الآخرين، بينما بيته خرب تتأكله الآفات والأمراض المادية منها والمعنوية !!

قال ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"⁽¹⁾. أي من يُعيل من الأهل والأبناء ضياعهم من الجهة الدينية والأخلاقية والتربوية، وهو ضياع آثاره . في الدنيا والآخرة . أشد بكثيرٍ من الضياع المادي المعيشي (2) !!

قال ﷺ: "خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"⁽³⁾.

والخيرية الواردة في الحديث هنا هي الخيرية الشاملة لجميع الجوانب: المادية منها والمعنوية: ونقصد بالمعنوية الجانب الإيماني والأخلاقي، جانب التعليمي النافع ..

والحديث يفيد أن من فيه خير، فخيره أول ما ينبغي أن يظهر على أهله وأبنائه، فإذا انتفى خيره عن أهله وأبنائه، فمن باب أولى أن ينتفى خيره عن أمته وعن الآخرين، ولو زعم خلاف ذلك فهو بدلالة الحديث . من الكاذبين !!

فمن لا يسعى ولا يعمل على إقامة دولة الإسلام في أهله وبيته، فهو غير صادق في مسعاه لإقامة دولة الإسلام في مجتمعه وأمته.

قال ﷺ: "من كتم علماً عن أهله، ألجمَ يومَ القيامة لجاماً من نار"⁽⁴⁾.

¹ أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم، صحيح الجامع: 273.

² كثير من الآباء يهتمون بتغذية أبنائهم بجميع أنواع و صنوف الأغذية والأطعمة .. بينما يتجاهلون تغذيتهم من الناحية الإيمانية، والثقافية .. راكبين على ما تبثه المدارس العلمانية من سموم فكرية وأخلاقية في رؤوس أبنائهم !!

³ أخرجه الحاكم في المستدرک، صحيح الجامع: 3316.

⁴ صحيح الجامع: 6517.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال علي ؓ: علموا أهليكم الخير⁽¹⁾.

وهذا كله لا يتأتى إلا بعد الشعور بالمسؤولية نحو الأهل والأبناء.

هذه هي النقطة الأولى من الجواب على السؤال الهام الوارد في مطلع هذا البحث .. لننتقل بعدها

. بإذن الله . إلى النقطة الثانية من الجواب.

ثانياً: مراقبة ومتابعة مصادر التلقي عند الأبناء.

فهم من خلال هذا الضغط الجاثم على صدورهم، والذي يُمارس من قبل المجتمع الجاهلي الذي

يعيشون فيه، يتعرضون إلى مصادر عديدة مشوهة للتلقي: منها ما يمكن أن يكتسبوه من المدارس

العلمانية المنحرفة من قيم فاسدة، وأفكارٍ باليةٍ ملحدة، وأخلاقٍ سيئةٍ .. فالمدارس المنحرفة .وهي السائدة

والغالبة⁽²⁾. عليها التعويل الأكبر في إفساد الأجيال، وتسييرهم وفق مخططات وأهداف أرباب الشرك

والإلحاد ..!

ومنها ما يكتسبه من أقران السوء . في المدرسة وغيرها من الأماكن . من عادات وسلوكيات سيئة،

وألفاظ نابية ..!

¹ أخرجه الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، صحيح الترغيب: 115.

² من هنا تأتي أهمية المدارس الإسلامية الهادفة ودورها الهام في إبطال ما تبنيه تلك المدارس المنحرفة من باطل وسوء

.. ولكن وللأسف فإن المتابع لأحوال المدارس في بلاد الغرب . التي تهتم بالجانب الديني والأخلاقي إلى حدٍ ما . يجد أن

أغلب تلك المدارس إن لم يكن جلها هي تجارية بحتة، لا يهتمها من العملية التعليمية سوى الكسب المادي وتحصيل

الأرباح الطائلة .. حيث أن منها من يفرض المبالغ الطائلة كرسوم دراسية على الطالب يعجز كثير من الآباء عن تسديدها

مما يضطرهم مرغمين على أن يضعوا أبناءهم في تلك المدارس المنحرفة الباطلة المجانية ..!!

كما يوجد مدارس لا تفرض رسوماً على رعاياها، بخلاف الطلاب الذين لا ينتمون إلى رعايا تلك الدولة .. وكأنهم ليسوا

من أبناء المسلمين الذين تجب المحافظة عليهم وعلى دينهم وأخلاقهم ..!!!

وهذا إضافة إلى كونه مخالفاً لتعاليم وأخلاق ديننا الحنيف، فإنه يزرع في نفوس أبناء المسلمين . في بلاد الغربية

والمهجر. بذور الفرقة والضغائن، في الوقت الذي يحتاجون فيه إلى التراحم والتواصل، والتكافل ..!

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

ومنها ما يكتسبه ويتلقاه من قيم وأفكار باطلة من خلال قراءاته المدرسية، أو ما يقع بين يديه من كتب ونشرات، أو مجلات تصب كلها في خانة الباطل والإفساد، والفجور والشر، وبث الشبهات، وإثارة الشهوات ..!

ومنها كذلك ملاحظة ما يمكن أن يكتسبه من وسائل الإعلام وبخاصة منها المرئية .. فإن كثير مما يُبث عن طريق التلفاز له هدف يصب في خدمة الطاغوت، وفي الترويج لألوهيته وعبادته من دون الله ﷻ !!..

فهو وسيلة الطواغيت وقوى الشر في غزو بيوت المسلمين، وغزو أخلاقهم وقيمهم الإسلامية .. وإذا كان الأمر كذلك فليس من الحكمة ولا السلامة أن يُسمح للأبناء أن يجلسوا على مدار الساعة في أيديهم "الريمون كنترول" يتنقلون بين قنوات الشر والفجور والمجون المتعددة التي تهدف إلى تدمير كل ما هو خُلُق، ودين، وفضيلة، وقيم نبيلة ..!!

ليس من السلامة أن يُسمح للمشركين من عبدة الهوى والمجون أن يبثوا رسائلهم السامة ليستقبلها أطفالنا بكل شغف من دون أن ينتبهوا لخطرهما وسمومها !!..

وكذلك الإنترنت وغيره من وسائل البث لا بد من مراقبتها وترشيدها استخدامها للانتفاع من جوانبها الإيجابية وترك جوانبها السلبية المدمرة !!..

أقول: لا بد من مراقبة مصادر التلقي هذه كلها، ومراقبة ما يكتسبه الأبناء . من معانٍ وقيم وأخلاقٍ باطلة فاسدة . من خلالها، ومعالجتها أول بأول، وقبل أن تتمكن من نفوس الأبناء وطبائعهم وأخلاقهم، فيصعب حلها وعلاجها وقتئذٍ !!..

فإن إهمال الأبناء من هذا الجانب يترتب عليه كثير من الشر إن لم يكن كل الشر، يدرك ذلك الوالد عندما يشب ولده ويفاجئه بكل جرأة بالكم الهائل من التصورات والمفاهيم الباطلة التي كانت قد تراكمت عنده منذ الصغرو مع الزمن، حتى . هذه المفاهيم الباطلة . شكلت شخصيته وأفكاره وتصوراته عن الحياة والوجود، وما بعد الوجود .. ينافح عنها بكل جرأة ووقاحة !!

فيفاجأ الأب حينئذٍ أنه أمام شخصية تختلف عن شخصية ذاك الطفل البريء الطيع الذي كان يقوده كيفما شاء ويسكته بصوت جهوري واحد !!..

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب..؟

حينها يأتي الأب ويسأل ذوي الشأن عن مشكلته مع ابنه كيف يتعامل معها أو يعالجها..؟! أقول له: قد فاتك القطار.. وقد تأخرت في إعطاء الدواء لولدك، حتى استعصت عليك وعلى الأطباء أمراضه المزمنة.. إلا من شاء الله له الهداية والشفاء، فإن الله على كل شيء قدير. لذا . حتى لا يحصل ذلك، ويقع الندم ولات حين مندم . ننصح الآباء أن يجربوا أبناءهم على أن يحدثوهم عن كل ما شاهدوه واكتسبوه من مفاهيم وقيم من مصادر التلقي الآتية لذكر، ويصبروا عليهم . من دون زجر أو إخافة للطفل بسبب ما يحدث به . وعلى أحاديثهم، ثم يقوموا بطريقة حكيمة وبسيطة تناسب مستوى الطفل بغربة ما اكتسبه في يومه من دون أن يرجئه إلى يوم الغد، فيبطل التصورات الخاطئة في نفس طفله، ويعزز لديه التصورات الصائبة النافعة .. ينبغي على الآباء أن يتوقعوا أسئلة من أبنائهم، كقولهم: لماذا خلقنا الله .. ومن خلق الله .. ولماذا هذا حلال وهذا حرام .. وأن عيسى عليه السلام هو ابن الله . كما يسمع من أقرانه وفي المدارس . وأنه صُلب .. وأن بابا نويل قادر على أن يأتي بالحلوى والمسرات للأبناء .. وغير ذلك من التساؤلات والشبهات التي سببها التلوث بالبيئة الثقافية المنحرفة المحيطة به !! والآباء يجب عليهم . من دون غضب أو انفعال قد يمنع الطفل من أن يوجه أي سؤال آخر لأبيه⁽¹⁾ . أن يصبروا على أسئلة أبنائهم، ويجيبوهم عليها بطريقة صادقة سهلة ومبسطة .. ومن عجز عن ذلك لا حرج عليه في أن يستعين بذوي الخبرة والدراية من إخوانه.

ثالثاً: توجيه الأبناء إلى مصادر التلقي الصحيحة.

¹ لكن بنفس الوقت لا ننصح الآباء أن يُعزّزوا جانب الفضول في طرح الأسئلة عند الطفل .. فيتمادى الولد فيما لا ينبغي له ولا قدرة للأب أن يضع له حداً، وبخاصة إذا شعر الولد أن ذلك يدخل السرور على والديه !! وإنما القضية ينبغي أن تكون وسطاً لا إفراط ولا تفريط .. لا ديكتاتورية وإرهاب، ولا ديمقراطية ماجنة متفلتة .. وإنما إسلامية ربانية.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

لا يكفي أن نراقب مصادر التلقي عند أبنائنا، ونقف عند حد المعالجة للقيم الفاسدة التي اكتسبوها من تلك المصادر .. لا يكفي ذلك حيث لا بد من توجيههم إلى مصادر التلقي النافعة البناءة، توجيههم إلى الجهة التي يأخذون منها القيم والمبادئ، والقوانين ..
وأعني بهذه الجهة: الكتاب والسنة التي تتضمن سيرة المصطفى ﷺ القولية والعملية .. والتي تشمل على خيرى الدنيا والآخرة، والسعادة في الدنيا والآخرة ..
توجيههم إلى العلم النافع الذي يستمد حجته من الكتاب والسنة، على ضوء فهم السلف الصالح ..

فالنبي ﷺ لم يدع شيئاً خيراً يقرب إلى الله وإلى الجنة إلا وقد بينه لأمته، كما لم يدع شراً يبعد عن الله ويقرب إلى النار إلا وقد بينه لأمته ونهاهم عنه، كما في الحديث: "إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه"⁽¹⁾.
وإذا كان الأمر كذلك فمن العبث والضلال أن نلتمس الخير والهدى من غير مشكاة النبي ﷺ، نذهب للاقتراض والاستجداء من الفجار مصاصي الدماء، قبل أن نراجع رصيدنا الضخم الوافر بكل خير، الذي يغنينا عن مد الأيدي إلى الآخرين، والاستجداء منهم حثالات الأفكار والمبادئ الساقطة !!
كان النبي ﷺ يراعي هذا الجانب مع أصحابه أيما مراعاة ليخرج منهم جيلاً فريداً يكون على مستوى هذا الدين .. على مستوى المسؤولية الضخمة التي تنتظرهم ..
ولما أتى عمرؓ بصحائف من التوراة، يريد أن يقرأها على النبي ﷺ .. غضب النبي ﷺ غضباً شديداً، حمل عمرؓ على أن يقول: أمنت بالله ورسوله .. أمنت بالله ورسوله .. أمنت بالله ورسوله .. رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً .. إلى أن سرى الغضب عن النبي ﷺ فقال: "والذي نفسي بيده لو أصبح موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتهم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين" وفي رواية: "وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلَّ له إلا أن يتبعني".

¹ السلسلة الصحيحة: 2866.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

إنها قضية بالغة الأهمية والخطورة .. قضية ممن تؤخذ القيم والمفاهيم، والمبادئ .. قضية تتعلق بالاتباع والتلقي، وهي قضية لها مساس بالعقيدة والتوحيد، وسلامة الدين .. قضية لا تُعالج على طريقة "ما بال أقوام" أو التلميح، حيث لا بد فيها من التصريح والتعيين .. لذلك كان النبي ﷺ متشدداً هذا التشدد مع عمر ؓ ليخرج منه ذلك القائد الفذ العظيم الذي لا يعرف التاريخ له . بعد أبي بكر ؓ من مثيل أو نظير ..!

وإن كان عمر هو ذاته الذي تخشاه شياطين الإنس والجن، حتى قال فيه النبي ﷺ مقولته المشهورة: "ما سلك عمر فجأً إلا وسلك الشيطان فجأً غيره". وقال فيه: "لو كان نبياً بعدي لكان عمر". كل ذلك لا يمنع من أن يُمنع عمر من أن ينشغل بقراءة أوراق من التوراة قبل أن يرتوي إلى حد التضلع من معين هدي النبي ﷺ !!..

بهذه التربية النبوية العظيمة امتاز جيل الصحابة ؓ عن الأجيال التي تلتها .. وبخاصة القرون المتأخرة والتي نحن منها.. حيث ترانا ننشغل بالعلوم والقراءات العديدة والمختلفة والتي لا يُعرف خيرها من شرها قبل أن يرتوي أو نطلع على ما جاء في الكتاب والسنة !!
نقرأ مائة كتاب لفلان وعلان من البشر قبل أن نقرأ . مرة واحدة . كتاب الله تعالى ونتدبر معانيه ومراميه ..!!

ينصرف أبناؤنا لقراءة أي شيء مما يصدر عن حثالات البشر . باسم الحرية وضرورة الاطلاع، وحب الاكتشاف . قبل أن يكونوا قد قرأوا صحيح البخاري، أو مسلم ..!

ثم بعد ذلك نتساءل عن أسباب الهزيمة النفسية والفكرية التي يعاني منها أبناؤنا ..؟!
نتساءل عن سبب الأمراض والتشوهات الفكرية الثقافية العديدة التي تصيهم في تصوراتهم وأذهانهم .. وكأننا لا نعلم أننا نحن كنا السبب في ذلك كله عندما كنا نيسر لهم الاطلاع على أي شيء ..
سوى الاطلاع على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .. وسيرة الصحابة أبطال هذه الأمة وإلى يوم القيامة ..!!

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

مثلنا ومثل الرعيل الأول من الصحابة: أن الصحابة كانوا يرتوون من رأس النبع الصافي، فيشربون الماء صافياً خالياً من الشوائب والأدران .. فسلموا من العاهات والأمراض والتشوهات .. وبذلك امتازوا على من بعدهم من الأجيال والشعوب.

أما مثلنا ومثل أجيالنا المشوهة فكرياً، والمهزومة عقدياً .. مثل من يستقي من آخر السيل، وبعد أن يكون قد شربت منه الهائم والدواب والآفات، ورتعت فيه .. فتصلهم المياه مليئة بالشوائب والجراثيم والأوساخ .. فيصابون بالمرض بل بالأمراض !!

هذا هو مثلنا ومثلهم .. ثم يأتي بعد ذلك من يقول بكل وقاحة وجرأة: الخلف أفعه وأحكم من السلف .. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ !!

ورحم الله سيد قطب حيث يقول: أرانا نتلقى نظام حياتنا وشرائعنا وقوانيننا من تلك المصادر المدخولة .. أرانا نتلقى قواعد سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا من ذلك المستنقع الآسن الذي انتهت إليه الحضارة المادية المجردة من روح الدين .. أي دين .. ثم نزعم . والله . أننا مسلمون! وهو زعم إثمه أثقل من إثم الكفر الصريح. فنحن نشهد على الإسلام بالفشل والمسخ حيث لا يشهد عليه هذه الشهادة الأثمة من لا يزعمون مثلنا أنهم مسلمون !! ا-هـ.

رابعاً: مراعاة تقديم الأولويات عند تلقين الأبناء.

حيث لا بد في عملية التلقين المشار إليها من قبل أن نراعي الأولويات والأهم فالأهم عند التلقين .. ونريد من ذلك الإشارة إلى أهمية غرس العقيدة والتوحيد في نفوس الأبناء منذ الصغر، وإعطاء ذلك الأولوية عند تزامم الأشياء التي ينبغي تقديمها وعرضها على الأبناء، والذي دعانا إلى الإشارة إلى ذلك أسباب عدة:

منها: أن تقديم التوحيد وإعطائه الأولوية .. هو منهج الأنبياء، والسلف الصالح في الدعوة إلى الله تعالى، وفي تربية الأبناء والأجيال.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

فتأمل وتدبر وصية لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه، كما ينقلها لنا القرآن الكريم، وكيف أنه كان يتسلسل مع ابنه في الوعظ والتوجيه بحسب الأهم ثم الأهم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِرْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ سورة لقمان.

تأمل هذا التسلسل في التوجيه وكيف أنه ابتداءً مع ابنه في غرس العقيدة والتوحيد .. ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لأن الشرك وراء كل داء وبلاء ..

ثم كيف كلمه . بعيداً عن أسلوب أهل الكلام وتعقيداتهم . عن عظمة علم الله تعالى وقدرته، وعن إحاطته علماً بجميع خلقه؛ حتى حبة الخردل . على صغر حجمها . تكن في صخرة أو في السماوات والأرض فإنه تعالى يحيط بها علماً ويأتي بها .. الله أكبر!!

وكأنه يقول له: لا تحسب أنك قادر على أن تغيب عن عين الله تعالى، أو أن تفلت من قدرته إذا هممت بذنب أو معصية .. فإن الله يراك .. ولن يفلت منه شيء !!

وإذا كان الأمر كذلك فهذا داعٍ منك أن لا تعصي الله في شيء ..!

ينهاه عن ارتكاب المعاصي والذنوب .. ليس عن طريق التخويف من النار وألمها الشديد، وإنما عن طريق بيان التوحيد، وبيان عظمة الخالق ﷻ .. وهو أبلغ وأزجر.

ثم ينتقل معه في التوجيه والتلقين إلى أعظم ركنٍ وفرض بعد التوحيد و﴿اقم الصلاة﴾ لماذا .. لأنها عاجلاً أم آجلاً إن الصلاة تنهى صاحبها وتزيره عن الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

الصلاة .. هي الفريضة الوحيدة التي أذن فيها النبي ﷺ ضرب الأبناء عليها . وهم أبناء عشر وليس قبل . إن لوحظ منهم التقصير في آدائها، كما في الحديث الصحيح: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُوَ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ.." (1). أي في الفراش والنوم ..

ثم بعد ذلك يوجهه إلى حمل أمانة هذا الدين إلى الآخرين (2) .. وإلى الجهاد والصبر على تحمل تبعات الدعوة إلى الله ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ وذلك يكسب الولد شعوراً بأنه شيء كبير . وهو كذلك . إنه يحمل أمانة . لا بد أن يتحرك لها . تعجز عن حملها الجبال الراسيات .. وهذا لا شك يجعله يتطلع دائماً إلى تحصيل الهمم العالية وعدم الالتفات إلى الترهات وإلى صفائر الأمور، كما يجعل حياته مصبوغة بالجد بعيداً عن الهزل والترف .. وهذا ما يناسب دعوته التي يعمل لأجلها، وفي الحديث: "إِنَّ رَبَّكَ لَيُعْجِبُ لِلشَّابِّ لَا صَبُوةَ لَهُ" (3).

ثم ينتقل به إلى الآداب والأخلاق الحميدة .. والتي بها يرقى إلى مستوى هذا الدين العظيم، وإلى مستوى أن يكون داعية إلى الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

فحق لا يُحاط بسياج من الأدب والخلق النبوي الرفيع .. تقل فاعليته، ويضعف أثره في نفوس الآخرين، بل لربما يكون سبباً في صد الآخرين عن اتباع هذا الدين والدخول فيه كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، ولكن نبينا صلوات ربي وسلامه عليه . بفضل

¹ أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم، صحيح الجامع الصغير: 586.

² وليس كما يفعل بعض الآباء . من باب الحرص الشديد والخاطئ على الأبناء . حيث تراهم يربون أبناءهم على السلبية والأنانية، وعدم البذل والعطاء .. هم يريدون منهم أن يكونوا أوادم على تعبير البعض .. لكن لا يريدونهم أن ينطلقوا للجهاد في سبيل هذا الدين .. لا يريدون لهم أن يأخذوا مكانهم الحقيقي في هذا الوجود، والذي أرادته الله لهم .. حتى لا توضع لهم نقطة سوداء في ملفاتهم عند الطواغيت !!

يحذرون أن توضع في ملفاتهم نقطة سوداء عند الطواغيت الظالمين .. ولا يحرصون أن توضع في ملفاتهم أبناءهم نقطة بيضاء عند أرحم الراحمين، وأعدل العادلين !!

³ السلسلة الصحيحة: 2843.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

الله تعالى . أتى أرفع الأخلاق وأجلها ما لم يؤته أحد من العالمين، كما شهد له بذلك ربُّ العالمين: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فهذا التسلسل في التوجيه والتلقين لم يرد ذكره في القرآن الكريم عبثاً لغير حكمة يريدنا الشارع منا !!

ومما يدل على وجوب مراعاة جانب التوحيد وإعطائه الأولوية عند التلقين، حديث جندب بن عبد الله حيث قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فزددنا به إيماناً (1).

هذا سبب من الأسباب التي تلزمننا بإعطاء التوحيد الأولوية ..

ومنها: أن التوحيد شرط لصحة الأعمال والطاعات؛ لا يقبل من المرء عمل أو طاعة إلا بعد أن يستوفي التوحيد ويحققه في نفسه اعتقاداً وقولاً وعملاً .. وهذا من لوازمه أن يسعى الآباء جادين إلى تحقيق التوحيد في نفوس أبنائهم قبل أن يبلغوا السن الذي به يجري عليهم القلم والحساب (2).

¹ صحيح سنن ابن ماجه: 52. لا يفيد الحديث إهمال القرآن الكريم أو إرجائه وعدم الاشتغال به . كما يظن البعض! . وإنما يفيد تقديم علم التوحيد المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ على بقية العلوم الشرعية التي تناولتها نصوص الكتاب والسنة.

فالتوحيد الذي لا يُستمد من الكتاب والسنة، ليس من التوحيد، ولا من العلم الذي ينبغي الالتفات له !!
² ننصح الآباء بأن يوفرُوا لأبنائهم الوسائل التربوية والتعليمية النافعة التي تعينهم على تحقيق أهدافهم التربوية والتعليمية .. ونخص من هذه المسائل بالذكر الكتاب النافع المنضبط بالشرع وأدابه.

والذي حملنا على هذا التنويه أن كثيراً من بيوت المسلمين يوجد فيها ما طاب ولذ من زينة وزخرف، وأثاث قد يكلف بالآلاف .. بينما في المقابل تخلو من وجود مكتبة صغيرة متواضعة . لا تكلف الكثير. تحتوي على بعض الكتب والمراجع النافعة للأهل ولأبناء في دينهم وعقيدتهم !!

من أجل تزيين البيوت بالزخارف والكماليات ينفقون بالآلاف . وبكل سخاء . ومن غير أدنى تردد .. بينما إن همَّ أحدهم في شراء كتاب نافع ينفع الأبناء في عقيدتهم ودينهم تراه يتردد، وينقبض وينبسط، ويشح ويحين، وترتفع حرارته وينزل ضغطه .. كل ذلك من أجل ثمن الكتاب الذي ربما لا يكلف شراؤه سوى دراهم معدودات .. وهذا كله من الشيطان ومن عند أنفسنا المريضة !!

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

فمشكلة أيما مشكلة أن يشب الولد ويدرك سن البلوغ وهو يجهل التوحيد حق الله تعالى على العباد .. لا يعرف ربه بأسمائه وصفاته، ولا حقه عليه في هذه الحياة .. فهذا الخطب العظيم قد يهون عندما يجهل المرء بعض أحكام الدين وفروعه .. بخلاف لوجهل التوحيد !
وهذا سبب وجيه حملنا على التنبيه إلى إعطاء التوحيد الأولوية عند التلقين ..

ومنها: أن عقيدة التوحيد تكسب المرء حصانة منيعة ضد أي غزو ثقافي أو فكري .. كما تكسبه مناعة على الذوبان في عادات القوم وسلوكياتهم وأخلاقياتهم المنحرفة؛ وبخاصة إن تمكنت منه جيداً عقيدة الولاء والبراء، التي تحملها على الحب في الله والبغض في الله، وعلى أن يحسن ما حسنه الله تعالى، وأن يقبح كل ما قبحه الله تعالى في شرعه.

عقيدة الولاء والبراء التي تحمل صاحبها على أن يدور مع الشرع حيث دار .. سلماً وحرماً، حباً وبغضاً، تحسناً وتقبيحاً .. وهو بذلك يكون كالنجم في السماء قد أدرك من الإيمان أوثق عراه وأعلاها .. صعب المنال أو الذوبان في عادات القوم وأخلاقياتهم الباطلة.

لكن قد يأتي السؤال: كيف نلقن أبناءنا العقيدة والتوحيد، هل هذا يضطرنا إلى أن نقرأ عليهم بعض المتون العقدية أو الكتب التي تناولت العقيدة الإسلامية تناولاً صحيحاً .. أم ماذا؟!
أقول: لا يشترط في المراحل الأولى أن يُقرأ على الأبناء متون في العقيدة (1)، تستلزم منهم الجلوس على الركب الساعات الطوال، فالأطفال كثير منهم لا يُطبق ذلك .. وهناك طرق عديدة أخرى يسيرة تناسب الأبناء، وهي سهلة على الآباء ممكن الاستعاضة بها عن قراءة الكتب أو المتون المطولة .. من هذه الوسائل والطرق:

1- استغلال مجالس التلاوة ما أمكن ذلك: وصورة ذلك أن يقف الوالد مع أبنائه عند التلاوة الجماعية على بعض الآيات القرآنية التي توضح بعض معاني التوحيد، كوقوفهم . مثلاً. على الآيات التي

¹ لكن لا ينبغي الاستهانة بهذا الجانب عندما يصل الأبناء إلى مراحل متقدمة من الفهم والطلب.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

تفيد أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وأنه لم يُصلب . كما يقول النصارى . وإنما شُبه لهم .. فيشرح الوالد معانيها ومراميها للأبناء، وبطريقة تناسبهم.

وهكذا بقية معاني التوحيد والعقيدة عندما يمرون عليها في القرآن الكريم ..

2- من خلال سرد قصص النبي ﷺ، وقصص الصحابة رضي الله عنهم، وغيرهم من أبطال التاريخ الإسلامي: فالأطفال يميلون عادةً إلى الرغبة في سماع القصص .. والوالد عليه أن يستغل ذلك، ولا يكتفي بسرد القصص من دون أن يقف على بعض المعاني العقدية الإيمانية الكثيرة التي تتخلل تلك القصص .. فيبين لهم مثلاً: من خلال قتال الوالد المؤمن لولده الكافر، وقتال الولد المؤمن للوالد الكافر كما حصل في بعض الغزوات الإسلامية .. كيف يكون الولاء في الإسلام للعقيدة والإيمان وليس للدم أو القبيلة والعشيرة، أو غير ذلك من الروابط الأخرى.

وكذلك من خلال سرد قصص الهجرة يبين مثلاً كيف أن الصحابة أثروا سلامة العقيدة والعبادة على حب الأوطان والديار؛ لأن الإنسان خُلق لعبادة الله ﷻ، وبالتالي يجب عليه أن يدور مع هذه الغاية حيثما دارت أو وجدت.

وهكذا بقية معاني التوحيد يمررها على مسامع بنيه من خلال سرد القصص الثابتة الصحيحة لأبطال هذه الأمة.

3- من خلال التعليق السريع على بعض الأحداث: فيذكر مثلاً ما حصل للمسلمين في البوسنة والهرسك من مجازر، وما يحصل الآن في الشيشان من إبادة للشعب المسلم الشيشاني .. ثم يذكر له سبب ذلك هو انتماء هذه الشعوب لهذا الدين، ولأنهم مسلمون: فيغرس في قلب ولده حب المؤمنين والتعاطف معهم، وكره الكافرين والمشركين والبراءة منهم.

وكذلك ما حصل ويحصل في فلسطين المسلمة .. فيزرع في قلبه بغض يهود، وبغض دينهم وعاداتهم.

وكذلك لو مرض الطفل .. يُبين له . وإن تناول الدواء . أن الشافي هو الله تعالى وحده، وأن هذا الدواء ما هو إلا سبب أودع الله فيه خاصية الشفاء.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

وبين له أن النافع والضار هو الله تعالى وحده .. لا يجوز الالتجاء إلى ما سواه لكشف ضررٍ، أو جلب منفعةٍ .. وبذلك يزرع في نفس ولده صفة التعلق بالله ﷻ دون سواه، وهذا من التوحيد .. وهكذا كل مناسبة أو حدث يمر لا بد للوالد من أن يعطيه التفسير العقدي الإيماني، ليتلقاها منه الأبناء ..!

4- من خلال القدوة الحسنة: ونعني بذلك أن يكون الوالد نفسه قدوة حسنة لأبنائه .. فهم يقرؤون التوحيد والعقيدة من خلال مواقف وكلمات أبيهم اليومية؛ فهو. مثلاً. يثني على شخص ما خيراً أمام أبنائه لأنه رجل صالح مؤمن مجاهد، وليس لشيءٍ آخر.. كذلك يثني على شخص آخر بالسوء لأنه كافر مشرك، وسيئ الخلق والدين، وليس لشيءٍ آخر.. فيكتسب الأولاد من خلال ذلك الميزان والضابط الذي به وعلى أساسه يقيمون الآخرين ومواقفهم. فهو إذ يتبرأ من نظامٍ معين، يتبرأ منه لأنه نظام كافر يحارب الإسلام، ويُعادي الله ورسوله .. وليس لأنه لم يؤمن له وظيفة أو عمل .. وهكذا بقية المواقف.

وحتى لا يضطرب هذا الميزان عند الأبناء ينبغي على الآباء أن ينتهوا لعباراتهم أمام أبنائهم؛ فلا يتوسعوا مثلاً في مدح كافر أو مشرك .. أو مدح بعض عادات المشركين وأفعالهم .. أو مدح بعض الأنظمة الطاغية .. فالأبناء يرددون ويؤمنون وراء آباءهم ما يقولون !

فتأمل قوله ﷺ كما في الصحيح: "فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه .."; وذلك يكون من خلال التلقين الباطل لأبنائهم بعد أن خلقهم الله تعالى على الفطرة حنفاء موحدين. أريد من هذه النقطة أن أشير إلى أن الأبناء يكتسبون كثيراً من معاني العقيدة والتوحيد من خلال أحاديث آباءهم أمامهم، ومن خلال مواقفهم العملية اليومية .. لذا عليهم أن يُراقبوا أنفسهم وكلامهم، وتصرفاتهم وبخاصة أمام أبنائهم.

5- من خلال تصحيح المواقف والكلمات الخاطئة عند الأبناء: فالأبناء من خلال نشاطاتهم اليومية لا بد أن يصدر عنهم بعض الأخطاء .. فينبه الآباء لهذه الأخطاء، وأنها تنافي كمال التوحيد. فمثلاً قد يسمع الآباء من أبنائهم مَنْ يحلف بغير الله .. فينبه أن هذا من الشرك الذي نهى الله ورسوله ﷺ عنه .. وإن كان حالفاً فليحلف بالله تعالى وحده.

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

وإن ذكر. بسبب ما يتلقاه من المدرسة وغيرها . أن بابا نويل ينفع ويقدر على أن يأتي بالسكريات والأشياء الجميلة .. يُبين له أن بابا نويل هو عبارة عن وثن، وهو خرافة صنعتها أيدي الأبحار والرهبان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن أن يُعطيه للآخرين ..

وهكذا لو شاهد الولد مشاهد من أفلام الكرتون ترد التصرف بالرياح والمطر والكون إلى أبطال الكرتون .. فهو يصحح لهم ذلك، ويبين لهم أن هذا من الشرك الذي لا تجوز مشاهدته.

وهكذا من خلال تصحيح المواقف والعبارات الخاطئة للأبناء فإنهم يكتسبون كثيراً من معاني العقيدة والتوحيد.

هذه بعض الوسائل والطرق البسيطة والسهلة . والمهمة في آنٍ واحد . التي من خلالها يقدر الآباء على توضيح العقيدة والتوحيد لأبنائهم.

خامساً: الصحبة والمصاحبة.

ونعني بذلك . إضافة إلى ما تقدم . أن الأب لا بد له من أن يتعامل مع أبنائه كصاحب وصديق لهم إضافة إلى كونه أب له عليهم حقوقه المحفوظة شرعاً، وذلك يساعد على تحقيق مطلبان هامين في عملية التربية والمحافظة على الأبناء في هذه البلاد، **أولهما**: أن الأبناء لا يجدون الحواجز التي تمنعهم من أن يُصارحوا آباءهم في كل شيء، أو يستشيروهم في كل شيء يستجد عليهم .. وهذا يمكن الآباء من معرفة جميع مشاكل الأبناء وما يُعانون منه، كما يمكنهم من توجيه أبنائهم على بصيرة في الاتجاه الصحيح والمطلوب.

إن كتمان الأبناء عن الآباء ما يحصل لهم من مشاكل ومن أمور مستجدة تحتاج لمساعدة الآخرين، تجعل الولد يلتجئ غالباً إلى أقران السوء من أصحابه يستشيروهم في أمره وفيما يطرأ عليه من مشاكل، ليجد عندهم أسوأ الآراء، وأردأ الحلول التي قد ترتد عليه بالدمار والهلاك لو عمل بها ..!

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

لا يوجد في المحيط الذي يعيشه الأبناء من يريد الخير لهم كالأبَاء الصالحين .. وهذا مدعاة لحصول علاقة طيبة من نوع آخر تسهل عملية المصارحة والتوجيه من دون عقد أو حواجز نفسية لا فائدة منها، ولا داعي لها⁽¹⁾.

ثانيهما: أن مثل هذه المصاحبة الصادقة تكسب الأبناء شعوراً صادقاً بحب وعطف وحنان الآباء عليهم !!

وهذا الشعور بمحبة الآخرين نحوهم هم بحاجة ماسة إليه في هذه البلاد .. فالولد يميل دائماً إلى من يلمس منه المحبة والعطف نحوه، ويكون مشدوداً إليه وإلى توجيهاته وتعليماته .. فإن لم يجد هذه المحبة عند الآباء بحث عن من يجد عنده هذا الشعور، ليسد حاجته في هذا الجانب !!

والمشكلة قد تكون كبيرة وخطيرة جداً عندما لا يجد الأبناء المحبة والحنان من آبائهم ثم يجدون شيئاً منه عند معلمهم من المشركين الفاسقين، أو أصحابهم من أقران السوء !!

فحينها يكون المعلم الفاسد، وقرين السوء هما المثل الأعلى عند الولد الذي منهما يتلقى كثيراً من القيم والمفاهيم، والعادات السيئة !!

وهذا الجانب لأهميته فقد عناه الإسلام اهتماماً كبيراً، كما في الحديث المتفق عليه عند الشيخين، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون الصبيان؟! فما نقبلهم !! فقال النبي ﷺ: "وأملك لك أن نزعَ الله من قلبك الرحمة".

¹ الذي ننصح به الآباء: أن تقوم علاقة بينهم وبين والأبناء تراعي تحقيق الصداقة والصحبة بينهما، كما تراعي حق الآباء على أبنائهم من احترام وطاعة وتوقير، حيث لا ينبغي أن يطغى جانب على جانب فيفسد الأمر كله. وهذا بخلاف ما عليه التربية في بلاد الغرب: حيث تجد العلاقة بين الأب وابنه كالعلاقة بين أي صديقين لا يوجد بينهما أي احترام متبادل، وكلام الأب وتوجيهاته لا قيمة لها البتة عند الابن وبخاصة إن تجاوز الولد سن السادسة عشر سنة .. أو هي علاقة قائمة على الجفاء المطبق؛ حيث يكون الأب في وادٍ، والابن في وادٍ آخر لا يدري أحدهما شيئاً عن الآخر !!

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

وعن أبي هريرة قال: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الحَسينَ بنَ عليٍّ رضي اللهُ عنهما وعنده الأقرع ابن حابس، فقال الأقرع: إِنَّ لي عَشْرَةً من الولد ما قَبَّلْتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: "من لا يرحم لا يُرحم" متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه برسول الله ﷺ من فاطمة كرم الله وجهها: كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذَ بيدها وقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخلَ عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها (1).

وعن البراء قال: دخلت مع أبي بكرٍ أولَ ما قدِمَ المدينة، فإذا عائشة ابنته مضجعة قد أصابها حُمى، فأتاها أبو بكرٍ ﷺ فقال لها: كيف أنت يا بُنَيَّةَ ؟ وقبل خدها (2).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ليدلُّعُ لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبيَّ حُمرةً لسانه، فيبهشُ إليه (3). أي يسرع إليه ..

وعن بريدة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما ثم قال: صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذَ في الخطبة (4).

وكان النبي ﷺ يمشي إلى بعض شأنه ومعه أصحابه رضي الله عنهم، فيأتي أطفال المدينة فيأخذون بأطراف ثوب النبي ﷺ .. فيمشي معهم حيثما شاءوا !!

الله أكبر .. قائد البشرية ومعلمها الأكبر على الإطلاق .. تقوده أطفال المدينة .. فيمشي معهم . رأفة بهم وحباً لهم . حيثما شاءوا !!..

¹ صحيح سنن أبي داود: 4347.

² صحيح سنن أبي داود: 4351.

³ السلسلة الصحيحة: 70.

⁴ صحيح سنن أبي داود: 981. قلت: لو فعل بعض أئمة المساجد وبخاصة منها المساجد الباكستانية . ما فعله النبي ﷺ

وهو على المنبر .. لربما أخرجهم الناس عن الملة، وأنكروا عليهم أشد الإنكار..!!

فإن قيل علام خصصت المساجد الباكستانية ..؟ **أقول:** لا أعرف مساجد تحرص على تنفير الأطفال منها . بزعم

المحافظة على الهدوء والنظافة !! كالمساجد القائم عليها الأخوة الباكستانيين !!..

كيف نربي أبناءنا في بلاد الغرب ..؟

هذه بعض أخلاق معلمنا الأكبر، نبينا العظيم محمد ﷺ .. فأين هؤلاء الذين يقتدون به، ويغترفون من هديه وأخلاقه وأدابه الرفيعة .. ثم أين هؤلاء الذين يُعرضون عن هدي وأخلاق نبينا صلوات ربي وسلامه عليه، ويقبلون على الأخلاق والثقافات المهترئة الآثمة الوافدة إلينا من بلاد الغرب وغيرها ..؟! لا يحسبون هؤلاء أنهم بخير.. أو حتى أنهم مسلمون !!..

- تنبيه:

جميع ما تقدم لا يخص تعامل الآباء مع الأبناء وحدهم بل هو يشمل الأبناء والبنات، بل إن للبنات ولتربيتهم، والإحسان إليهنَّ ميزة خاصة في الإسلام لا يُشركهنَّ فيها الأبناء ..!

قال رسول الله ﷺ: "مَنْ عَالَ ثَلَاثًا مِنْ بَنَاتٍ يَكْفِيَنَّ وَيَرْحَمَنَّ، وَيُرْفُقُ بَهُنَّ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ"⁽¹⁾. وقال ﷺ: "من عال جاريتين حتى يدركا، دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين" وضم أصابعه. مسلم. وهذه خاصية لا يُشركهنَّ فيها الأبناء .. فتدبر وتأمل يا من تعني بالأبناء وتتجاهل البنات وحقوقهنَّ عليك !!.. وبعد: اعلم أن الهادي لكل خير هو الله تعالى وحده، فمن أراد له الهداية فلا مُضِلَّ له، ولو اجتمعت على إضلاله الإنس والجن، ومن أراد له الإضلال فلا هادي له، ولو اجتمعت على هدايته الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِدَ اللَّهُ لَهُ فَهُوَ الْهُتَدِ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الكهف: 17. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر: 23.

لذا لا مناص لك يا عبد الله . إضافة إلى التزامك بما تقدم . من اللجوء دائماً إلى الله تعالى تسأله الهداية والسلامة لك ولأهلك .. فالله تعالى خير حافظٍ وهو أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1421/06/02 هـ

2000/09/01 م

¹ أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 2492.

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد: فإن إظهار الكفر من غير مبرر شرعي معتبر كفر أكبر مخرج لصاحبه من الملة، سواء أظهره وهو معتقد به ومستحسن له، أم أنه أظهره من غير ذلك، ولأي دافع أو اعتبار آخر؛ لأن الأحكام تُبنى على الظاهر وما يُظهره المرء.. وذلك يكون في أحكام الكفر والإيمان.

فالمسألة هامة جداً وجد خطيرة؛ وبخاصة إذا علمنا أن الكفر جرم عظيم لا يعدله جرم، وله تبعاته الخطيرة على صاحبه في الدنيا حيث تُجرى عليه أحكام الكفر والردة، وفي الآخرة حيث الخلود في نار جهنم أبداً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لعنةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ البقرة: 161-162. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: 48.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "اثنان موجبان" قال رجل: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئاً دخل النار" مسلم. وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: "أن تدعو لله نداً وهو خلقك" متفق عليه. أي أن تجعل لله تعالى نداً في أي خاصية من خصائصه ﷻ وهو وحده الذي خلقك الذي يستحق منك أن تعبده..

من هنا يتعين على المسلم أن يتعرف على الحالات التي أجاز فيها الشارع إظهار الكفر ليعلم المساحة التي يستطيع أن يتحرك فيها إن اضطر للحركة أو الوقوع فيها، وحتى لا يتوسع في إظهار الكفر من غير علم ولا برهان فيقع في المحذور وتحت طائلة الوعيد والعذاب.

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

والمتأمل للواقع المشاهد يجد أن المسألة . كغيرها من المسائل . قد جنح فيها كثير من الناس إلى فريقين، فريق إلى الإفراط وفريق إلى التفريط؛ فريق شدد على نفسه وعلى الآخرين فضيق واسعاً مباحاً، وفريق تساهل وتهاون فوسع ضيقاً إلى أن وقع في المحظور والحرام !!.. هذا مما حملنا أكثر على الشروع في بحث المسألة، وبيان وجهة الحق فيها من غير جنوح إلى إفراط أو تفريط إن شاء الله.

وفي هذا البحث سنجتهد . إن شاء الله . في أن نجيب على هذا السؤال الهام، والذي وردنا من أكثر من طرفٍ وأخ: ما هي الحالات التي أجاز فيها الشارع إظهار الكفر .. وغيره من المسائل والفروع ذات العلاقة بالموضوع .. راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق والقبول، إنه تعالى سميع قريب.

فأقول: أجاز الشارع ﷺ إظهار الكفر في ثلاث حالات فقط⁽¹⁾ وفق ضوابط وقيود معينة ومحددة، نذكرها على وجه التفصيل والتحقيق، وهي كالتالي:

الحالة الأولى: الإكراه.

الإكراه هو: حمل الإنسان بالقوة على فعل شيءٍ أو القول به وهو لا يرضاه لمخالفته للشرع. فمن يُكره على قول الكفر أو فعله . كأن يؤمر بالسجود للطاغوت . تحت ظروف الإكراه، ولم يجد سبيلاً لدفع هذا الإكراه إلا بالتلفظ بالكفر أو فعله جازله شرعاً أن يتلفظ بالكفر، على أن يبقى قلبه معقوداً على الإيمان واليقين.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل: 106.

ولقوله ﷺ: "إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكروها عليه"⁽²⁾.

¹ لا نقصد هنا الحالات التي يُعذَر فيها المرء بالجهل، فهذه لها موضع آخر ومباحث أخرى، وإنما أردنا هنا الحالات التي يُعذَر بها المرء لو أظهر الكفر مع علمه أن الذي يُظهره هو من الكفر.

² أخرجه أحمد، وابن ماجه، والطبراني، صحيح الجامع: 1731.

ولقصة عمار المشهورة لما أكرهه المشركون وعذبوه على النيل من جناب النبي ﷺ، وقول كلمة الكفر فقال له رسول الله ﷺ: "فكيف تجد قلبك؟" قال أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: "فإن عادوا فعد".

- تنبيهات هامة:

نذكر هنا بعض التنبيهات الضرورية على وجه الإيجاز لا التفصيل:

1- لا يُعطى الكفر إلا بعد إكراه محقق، أو يرجح فيه الظن على تحققه ونزوله بالشخص المُكْرَه، يُخشى منه الهلاك أو التلف كالقتل، أو القطع، أو الضرب المبرح الغير محتمل وغير ذلك. وقد أثر عن ابن مسعود ؓ أنه قال: ما من ذي سلطان يريد أن يُكلفني كلاماً يدرأ عني سوطاً أو سوطين إلا كنت متكلماً به".

وقد حمل بعض أهل العلم على أن السوطين بحق الصحابي ابن مسعود ؓ هي مبرحة يُخشى عليه منهما التلف لضعف ونحالة جسمه ؓ .. والله تعالى أعلم.

2- أن يكون اعتقاده سالماً من الكفر، منعقداً على الإيمان واليقين .. بحيث ولو اطمأن قلبه للكفر الذي يظهره وانعقد عليه، يكفر من فوره ويخرج من الملة لأن القلب مقر الاعتقاد لا سلطان لمخلوق على إكراهه على شيء هو لا يريده ولا يرضاه.

3- أن يُظهر من الكفر بقدر ما يدرأ عنه العذاب أو الأذى من دون أدنى زيادة .. فالاسترسال والتوسع في إظهار الكفر من غير ضرورة يوقع صاحبه بالمحذور وربما في الكفر .. فلو طلب منه مثلاً أن يشتم الدين فقط، فزاد هو على ذلك فشتم الدين والرب ﷻ، ومحمد ﷺ وجميع المسلمين .. فمثل هذا التوسع لا يُعذر صاحبه بالإكراه، لأن هذه الزيادة من الكفر أظهرها من غير إكراه ومن دون أن تُطلب منه ..!

4- إذا كان يستطيع النفاذ من الوقوع تحت ظرف الإكراه قبل وقوعه عليه بهروب أو هجرة ونحو ذلك .. ثم لا يفعل إثارةً للدعة أو الدنيا وملذاتها .. فحينئذٍ لا يُعذر بالإكراه لأنه حصل بإرادته وكان بإمكانه أن يدفعه وأن لا يقع فيه، والله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن: 16. وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء: 97-99.

فبين الله تعالى أن الذين كانوا يستطيعون الهجرة قبل أن يتعرضوا للمواقف التي أكرهوا فيها على نصرة أهل الشرك وتكثير سوادهم . في بدر. على النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين الموحدين .. أنهم لا يُعذرون بالإكراه ودعوى الاستضعاف، بخلاف المستضعفين الحقيقيين الذي كانوا . قبل أن يتعرضوا لمواقف الإكراه . لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا للخروج؛ فهؤلاء عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ويعفر لهم لو أكرهوا على إظهار الكفر.

وكذلك لو استشرف بنفسه مواطن الظالمين من الطواغيت . بعد أن سلمه الله منهم . مع علمه المسبق أنه سيتعرض لمواقف يُكره فيها على إظهار الكفر .. فإنه كذلك لو أظهر الكفر لا يُعذر بالإكراه لأنه هو الذي أَرَادَهُ وَسَعَى إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ مِنْ دُونِ أَيِّ مَبْرَرٍ أَوْ مَسْوَعٍ شَرَعِي !!

وفي ذلك تذكرة لأولئك الذين تعبوا من الهجرة . وما مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي بِلَادِ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ . شحاً بالأوطان والديار، فانهاروا ورموا بأنفسهم على عتبات الطواغيت الظالمين يستعطفونهم ويستجدون منهم السماح والعفو وغير ذلك من مواقف الخزي والذل .. فهؤلاء كلهم لا يعذرون بالإكراه لو اضطروا إلى إظهار الكفر، بعد النزول أو الارتقاء في أحضان الطاغوت وأعوانه الظالمين !!

وكذلك الذين يستشرفون المجالس النيابية التشريعية الطاغوتية بإرادتهم .. فإنهم لا يعذرون بالإكراه لو اضطرتهم الظروف إلى إظهار شيءٍ من الكفر؛ كالقسم على احترام الدستور الجاهلي، والدخول في طاعة الطاغوت الحاكم وغير ذلك .. والعياذ بالله.

5- لا يجوز للمُكْرَه أن يُزِيلَ الضَّرَرَ عَنْهُ بِضَرَرٍ يُوَازِيهِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهُ؛ كَأَنْ يُزِيلَ ضَرَرَ الْقَتْلِ عَنْهُ بِقَتْلِ

أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، لِأَنَّ نَفْسَهُ لَا تَفْضِلُ نَفْسَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

وعليه لو خير بين أن يُقتل أو يُقتل أخاه المسلم لما جاز له أن يقتل أخاه وإن قُدم عنقه للذبح والإعدام، وكذلك الذي يقع أسيراً في أقبية سجون الطواغيت لا يجوز له . مهما كان التعذيب عليه شديداً ومؤملاً . أن يشي ويدل على مكان أخيه المسلم إن علم أن اعتقاله فيه هلاكه وموته ..!

قال الشيباني في السير 245/4: ولو قالوا لأسير مسلم: اقتل لنا هذا الأسير المسلم أو لنقتلنك، لم يسعه أن يقتله لما جاء في الأثر ليس في القتل تقية، وكذلك لو أمره بربط يديه أو رجله، ولو كانت يد الذي يضرب بالسيف ضعيفة، فقليل له: أمسك بيدك على يديه، حتى نضربه وإلا قتلناك، لم يسعه أن يفعل هذا ..

ولو هرب منهم أسير فقالوا لأسير آخر يعرف مكانه: دلنا عليه لنقتله وإلا قتلناك، لم يسعه أن يدلهم عليه. انتهى.

ننبه على ذلك لأننا نلاحظ في كثير من الأحيان أن الأخ الأسير . الذي يبتلى بالسجن في أقبية الطواغيت . ما إن تنهار عليه سياط الجلادين إلا ويخبر عن أسماء إخوانه وعن أماكن وجودهم، مع علمه المسبق أن ذلك سيؤدي إلى قتلهم وتعليقهم على أعواد المشانق .. وإن سُئل تراه يُعلل ويبرر لنفسه أنه فعل ما فعل تحت ظروف الإكراه، ولكي ينجو من التعذيب ..!!

والجواب ما تقدم: أن نفسه ليست أعز ولا أغلى من نفوس إخوانه، وبالتالي لا يجوز له أن يفدي نفسه بأرواح إخوانه، ولو فعل فهو آثم .. والواجب في حقه في مثل هذه الحالة أن يصبر ويحتسب .. والله تعالى أعلم.

6- لا يجوز للمكره أن يقاتل المسلمين إن أُكْره على الخروج مع عسكر المشركين لقتال المسلمين، وإن أدى ذلك إلى قتله أو سجنه.

فإذا كان في قتال الفتنة بين المسلمين بعضهم مع بعض لا يجوز للمسلم أن يشارك القتال مع أحد الفريقين ضد الفريق الآخر، وإن أدى ذلك إلى قتله وسفك دمه، كما صح عن النبي ﷺ أنه أمر بعض أصحابه بأن يتخذوا سيفاً من خشب في قتال الفتنة .. فإذا كان الأمر كذلك بين المسلمين، فمن باب أولى للمسلم أن يعتزل القتال مع فريق أهل الشرك والإلحاد ضد أهل الإيمان والتوحيد، وإن أدى

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

ذلك إلى قتله وسجنه، وأدرج اسمه تحت مسمى العصيان العسكري، أو الخيانة العظمى للأنظمة العسكرية السائدة في زماننا!!

وهذا يستدعي تنبيه الجنود الذين يُكرهون على الجندية عند الطاغوت في بعض الجيوش الكافرة المعاصرة التي ناصبت الإسلام والمسلمين الحرب والعداء .. أنه لا يجوز لهم تحت أي ذريعة أو سبب كان طاعة رؤسائهم في تنفيذ أوامرهم التي مفادها اقتحام منازل المسلمين الموحدين لاعتقالهم ورعب أطفالهم ونسائهم، أو قتلهم وقتالهم أو غير ذلك من صنوف الأذى والاعتداء، وإن أدى ذلك إلى سجنهم أو قتلهم ..

7- أن الذي يُكره على إظهار الكفر .. الأولى والأفضل بحقه أن يصبر ويأخذ بالعزيمة ولا يظهر الكفر، وإن أدى ذلك إلى هلاكه، وبخاصة إن كان من ذوي العلم وفي موضع الأسوة والقُدوة للآخرين. كما في الحديث، عن أبي الدرداء قال: أوصاني خليلي ﷺ: "أن لا تُشرك بالله شيئاً وإن قُطعت أو حُرِّقت .."(1).

وقال ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان" منها "أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار" متفق عليه.

وكذلك ما حصل للصحابي عبد الله بن حذافة السهمي ؓ مع الطاغية ملك الروم ومما جاء في قصته أن الطاغية قال له: هل لك أن تنصّر وأشركك في ملكي وسلطاني؟! فقال له عبد الله: لو أعطيتني ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت. قال: إذاً أقتلك. قال: أنت وذاك! فأمر فصُلب، وقال للرماة: ارموه قريباً من يديه، قريباً من رجله، وهو يُعرض عليه وهو يابئ. ثم أمر به فأُنزل، ثم دعا بقدرٍ فصُبَّ فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يابئ، ثم أمر به أن يُلقى فيها. فلما ذُهبَ به بكى، فقيل له: إنه قد بكى، فظنَّ أنه جزع، فقال: ردوه، فعرض عليه النصرانية، فأبى. فقال: ما أبكاك إذاً؟ قال: أبكاني أني قلت في نفسي تُلقى الساعة في هذه القدر فتذهب، فكنت أشتي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تُلقى في الله!! قال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ قال له عبد

¹ أخرجه ابن ماجة، والبيهقي، صحيح الترغيب: 566.

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟! قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي عدو من أعداء الله، أقبل رأسه يُخلي عني وعن أسارى المسلمين، لا أبالي. فدنا منه فقبل رأسه، فدفع إليه الأسارى. فقدم بهم على عمر رضي الله عنه فأخبر عمر بخبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يُقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام عمر وقبل رأسه.

هذا الاستحسان من عمر رضي الله عنه ومن معه من الصحابة يعتبر بمثابة الإجماع. الذي لا يُعرف له مخالف. على تحسين موقف عبد الله بن حذافة، وأن الأخذ بالعزيمة الذي تمثل في موقف هذا الصحابي الجليل هو الأولى والأفضل.. والله تعالى أعلم.

الحالة الثانية: التُّقية.

التُّقية: هي إظهار الموالاة والمداراة للمشركين باللسان. خوفاً منهم على النفس والأهل. مع إضمار العداوة والبغضاء لهم في القلب (1).

وإظهار الموالاة باللسان للمشركين لا شك أن منه ما يكون من الكفر، وأن صاحبه يكفر لو أظهر ذلك من غير تقية أو خوف معتبر..

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران: 28.

قال ابن جرير الطبري في التفسير 227/3: ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تُعينوهم على مسلم بفعل.

¹ بخلاف المنافق: فإنه يضم الكفر والعداوة لأهل الإيمان في القلب، مع إظهار الإيمان والموالاة لهم باللسان.. وبالتالي لا يجوز حمل حكم ومصطلح النفاق أو المنافق على المؤمن الذي يأخذ بالتقية لمجرد مخالفة ظاهره لباطنه.. فليس كل مخالفة ظاهر للباطن هو من النفاق أو أن صاحبه منافق، فتنبه لذلك.

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

وعن السدي قال: إلا أن يتقي تقاةً؛ فهو يُظهر الولاية لهم في دينهم، والبراءة من المؤمنين.

وعن ابن عباس قال: التقاة التكلم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان.

وعنه قال: فالتقية باللسان؛ من حُمل على أمر يتكلم به وهو لله معصيةٌ، فتكلم مخافةً على

نفسه، وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا إثم عليه، إنما التقية باللسان.

وعن عكرمة في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال: ما لم يُهْرَق دم مسلم، وما لم يستحل

ماله. انتهى.

وقال ابن كثير في التفسير: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من

شرهم فله أن يتقمم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في

وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم.

وقال الثوري: قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفي عن

ابن عباس إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء، والضحاك، والربيع ابن أنس.

وقال البخاري: قال الحسن التقية إلى يوم القيامة. انتهى. أي إذا توفرت دواعيها وأسبابها ..

قلت: وأهل التقية هم المستضعفون في الأرض الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً للخروج

من دار التقية: دار الكفر والقهر والظلم، فيلجأون مضطرين للتقية كمتنفسٍ لهم وللحفاظ على أنفسهم

ووجودهم من دون أن يتعرضوا للاستئصال أو القتل .. وهم نفسهم المعنيين من قوله تعالى: ﴿إِلَّا

الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لِيَسْتَضِعُّوا حَيْلَةً وَلَا يَهْتَدُوا سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ

يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ النساء: 98-99. فالتقية لهؤلاء وليس للأقوياء الذي يستطيعون حيلةً

ويهتدون سبيلاً ..

فإن قيل: التقية هي صورة من صور الإكراه، فعلام أدرجتها كحالة ثانية من الحالات التي يجوز

فيها إظهار الكفر..؟

أقول: نعم، التقية صورة من صور الإكراه، لكنها تختلف عن الإكراه من وجهين:

أولهما: أن الإكراه يكون باللسان والعمل، بينما التقية تكون باللسان فقط كما تقدم عن أهل

العلم، فإن حُمل المرء على فعل شيء لا يرضاه بالقوة وبشكل مباشر فينتقل في هذه الحالة

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

من صورة التقية إلى صورة الإكراه ..

ثانياً: أن المساحة الزمنية والمكانية للإكراه أضيق من المساحة التي يُعمل فيها بالتقية؛ فالإكراه تكون صورته: حمل المرء بالقوة في موقف معين، وساعة معينة على فعل أو قول شيء معين هو لا يرضاه .. فإذا انتهت هذه الساعة وُرفِعَ الموقف انتهى ظرف الإكراه الذي يبرر للمرء إظهار الكفر أو ما فيه مخالفة شرعية.

بينما التقية: فساحتها الزمانية والمكانية أوسع فهي تشمل جميع المساحة الزمانية التي يقيمها المسلم مضطراً في دار التقية والظلم، وهو يلجأ إليها كلما اضطرت الظروف إلى ذلك حتى يدفع شر القوم عنه.

وقد تختلف التقية عن الإكراه كذلك أن الإكراه يكون مباشراً والعقوبة عليه فورية .. بينما التقية قد يكون عنصر الإكراه فيها غير مباشر، والعقوبة فيها ربما قد تأتي متأخرة عن الحدث إلى حين أن تجتمع لدى الظالمين جميع التقارير والأخبار الخاصة فيمن يراقبونه ويتجسسون عليه. هذه هي أوجه الاختلاف بين التقية والإكراه ..

- تنبيهات وضوابط:

1- من خلال ما تقدم نستنتج أن التقية رخصة للعاجز عن إظهار الحق في دار التقية، والعاجز عن الخروج من سلطان أهل ذلك الدار.. أما القادر على إظهار الحق أو الخروج من دار التقية والخوف لا رخصة له في التقية.

2- التقية تكون بمدارة المشركين وموالاتهم باللسان، على أن يُضمر لهم العداوة والبغضاء في القلب، وأن لا يُعينهم على مسلم في شيء ..

3- التقية تكون بقدر الحاجة التي بها يندفع أذى القوم، بحيث إذا كان أذى القوم يندفع مثلاً بخمس كلمات لا يجوز له أن يتوسع فيعطهم عشرة كلمات ..

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

4- لا يجوز للمرء في مجالسه الخاصة بعيداً عن أعين الظالمين وجواسيسهم أن يظهر لهم

الموالة، ثم يزعم أن ذلك من التقية ..!!

5- دار التقية دار ظلم ولا يستلزم بالضرورة أن يكون دار كفر وحرب، كما حصل في زمن بعض

حكام العباسيين أيام فتنة مسألة خلق القرآن التي نصرها الولاة والحكام .. حيث أن كثيراً من أهل العلم

المعتبرين سكتوا وقالوا تقيّة القرآن مخلوق ليدرؤوا عن أنفسهم السيف والقتل باستثناء الإمام أحمد

رحمه الله حيث أخذ بالعزيمة وأظهر الله الحق به وعلى يديه ..!

ومما يُروى في ذلك أن أصحاب بشر بن الحارث قالوا له حين ضرب الإمام أحمد في المحنة:

يا أبا نصر، لو أنك خرجت فقلت إني على قول أحمد بن حنبل ! قال بشر: أتريدون أن أقوم

مقام الأنبياء .. حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه.

أي أن الإمام أحمد قام مقام الأنبياء عندما أخذ بالعزيمة وصدع بالحق، وأنا لا أقدر على هذا

الموقف .. فتأمل!!

كذلك ليس كل دار كفر هو دار تقية وخوف يبرر للمسلم إظهار الكفر فيه أو ممارسة التقية،

وبخاصة دار الكفر الذي يوجد بينها وبين المسلم عهد أمان يستطيع بموجبه أن يظهر دينه، ويدعو إليه

بحرية، كما هو مشاهد في بعض البلدان الغربية ..!

وكما حصل للصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة؛ رغم أنها كانت دار كفر إلا أنها كانت بالنسبة

لهم دار أمان استطاعوا أن يظهرها فيها دينهم ودعوتهم ..!

وعليه فإن مجرد وجود المسلم في دار الكفر لا يستلزم بالضرورة أن يأخذ بالتقية من دون النظر

إلى عنصر الخوف المحيط به، واحتمال نزول الظلم بساحته .. والنظر إلى حجم هذا الظلم ونوعه.

6- مما تقدم يُعلم الفارق الكبير بين التقية المشروعة التي يقول بها أهل السنة، وبين التقية

المبتدعة التي يقول بها الشيعة الروافض، والتي بها يستحلون الكذب على أحاد وعوام المسلمين، وبخوف

وبلا خوف ..!!

الحالة الثالثة: من أجل استئصال ودفع كفر أغلظ وأشد.

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

وذلك عندما يقع خيار بين كافرين لا بد من تقديم أحدهما على الآخر، فحينها يقضي الشرع بتقديم أقلهما كفاً وضرراً لدفع أشدهما وأغلظهما كفاً وضرراً⁽¹⁾.

وصورة ذلك تتحقق عندما تُبتلى الأمة بطاغوت كفره مغلظ بعضه فوق بعض، تشتد فتنته وبلوته على البلاد والعباد، ولا مجال لاستئصاله وإراحة العباد من شره إلا بعد الانغماس في صفه وعسكره، والتظاهر بما يوهمه أنك من جنده وبطانته إلى أن تتمكن من عنقه وقتله ..

وهذه مسألة كنا نحسب أنها منتهية وواضحة لا تستحق البحث أو الجدل لوضوحها وبخاصة عند الجماعات الجهادية التي تحتاج إلى كل جزئية من جزئيات الفقه الإسلامي، لكي تستفيد منه وتستخدمه في عملية المواجهة الضخمة التي تخوضها ضد طواغيت الكفر والإلحاد في الأرض، الذين يحرسون الجاهلية المعاصرة بكل ما يملكون من قوة ووسائل !!..

¹ الكفر منه ما يكون أصغر لا يُخرج من الملة، ومن ما يكون أكبر يُخرج صاحبه من الملة، والكفر الأكبر المخرج من الملة كذلك نوعان: كفر مجرد وهو الذي لا يُضيف إلى كفره الحرب والكيد، والشتم والطعن وغير ذلك، فيكون كفره محصوراً في نفسه من دون أن يمتد أذاه وشره إلى الآخرين. وكفر مغلظ ومركب يمتد أذاه للآخرين؛ وهو الذي يضم إلى كفره كفاً آخر يجعل بعضه فوق بعض كمحاربة الله ورسوله والمؤمنين، وإضافة الطعن والسب، والهجاء، والقتل وغير ذلك من صور الكيد والمكر الذي يزيد كفره كفاً وإثمه إثماً .. فكما أن الإيمان يزداد بالطاعات، كذلك الكفر فإنه يزداد بالطغيان والظلم والكفر ..

وكذلك الردة: توجد ردة مجردة، وردة مغلظة على النحو المتقدم، ولكل واحدٍ منهما المعاملة الخاصة به التي تختلف عن الآخر في الدنيا والآخرة، وإن كان كلاهما يشتركان في صفة الخروج من الملة، والخلود في نار جهنم يوم القيامة هذا هو التقسيم الصحيح، أما تقسيم الردة إلى ردة صغرى وردة كبرى، موهماً أن من لردة ما يكون أصغر لا يُخرج صاحبه من الملة كالكفر .. فهو تقسيم باطل وغير صحيح ولم يقل به أحد من السلف، فتنبه لذلك.

قال ابن تيمية رحمه الله: ويُفرق في المرتد بين الردة المجردة فيقتل إلا أن يتوب، وبين الردة المغلظة فيقتل بلا استتابة .. وقد رأينا سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فرقت بين النوعين، فقبل توبة جماعة من المرتدين، ثم أنه أمر بقتل مقيس بن حبابة يوم الفتح من غير استتابة لما ضم إلى رده قتل المسلم وأخذ المال ولم يتب قبل القدرة عليه، وأمر بقتل العرنينين لما ضموا إلى ردهم نحواً من ذلك، وكذلك أمر بقتل ابن خطل لما ضم إلى رده السبِّ وقتل المسلم، وأمر بقتل ابن سرح لما ضم إلى رده الطعن عليه والافتراء .. انتهى.

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

ولكن بشيء من التأمل والمتابعة وجدنا أن المسألة مثار جدلٍ واختلاف عند كثير من الأخوان،
يأبى بعضهم التسليم بالمسألة بزعم مفاده أن الكفر لا يجوز إظهاره إلا في حالة الإكراه المباشر المعروفة
صورتها والمبينة في الحالة الأولى من هذا البحث ..!!

لذا وجدنا أنفسنا مضطرين للبيان وبحث المسألة بشيء من التفصيل والتدقيق .. والله تعالى
المستعان، نستلهم منه وحده السداد والتوفيق.

فأقول: لا حرج على المسلم إن دعت الضرورة إلى استئصال طاغوت وإمام كبير من أئمة الكفر
والظلم أن ينغمس في عسكره وصفوف جنده، ويتظاهر على أنه منهم، على نية استئصال الطاغوت
وإراحة الأمة من شره وكفره المغلظ، وذلك للأسباب والأدلة التالية:

أولاً: لدلالة النصوص الشرعية على جواز ذلك، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن
عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ لَعَبَ بِنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ" فقام محمد ابن
مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحبُّ أن أقتله؟ قال: "نعم"، قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: "قل"،
فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً، وإنه قد عَنَّا، وإني قد أتيتك أستسلفك،
قال: وأيضاً والله لتملُّته، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن ندعه، ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد أردنا
أن تسلفنا وسقاً أو وسقين .. إلى آخر الحديث وفيه: فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه. ثم أتوا النبيَّ
ﷺ فأخبروه.

قال ابن حجر في الفتح 392/7: وفي رواية الواقدي: "سألنا الصدقة، ونحن لا نجد ما نأكل .. قال
كعب لأبي نائلة: أخبرني ما في نفسك، ما الذي تريدون في أمره؟ قال: خذلانه والتخلي عنه، قال: سررتني".
قلت: لا شك أن هذا الكلام الذي دار بين أصحاب النبي ﷺ وبين عدو الله اليهودي كعب بن
الأشرف فيه من الكفر الظاهر، ما لا يمكن إظهاره أو التلفظ به في الظروف العادية، والذي أباح للصحابة
إظهار ما أظهره هو استئصال طاغوت اشتد أذاه لله ورسوله ﷺ ..

ومظاهر الكفر بادية في هذا الحديث من جهات عدة:

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

منها: قول محمد بن مسلمة: "سألنا الصدقة ونحن لا نجد ما نأكل .." وهذا مفاده رمي النبي ﷺ بالظلم والجور، وأنه يسأل الناس دفع الصدقات وهم لا يجدون ما يأكلون .. وهذا لا شك أنه كفر. **ومنها:** قوله: "وإنه قد عَنَّانا"; أي أتعبنا بسؤاله لنا الصدقة ونحن لا نجد ما نصدقه .. هذا المفهوم من سياق الكلام، وهذا لا شك أنه كفر لتضمنه التذمر وعدم الرضى بالنبي ﷺ وما جاءهم به من عند ربه ..

ومنها: أن هذا المفهوم من قوله "قد عَنَّانا" المتقدم الذكر هو الذي حمل كعباً على أن يقول: "وأيضاً والله لتملنَّه" أي سيأتي اليوم الذي تملون فيه النبي ودعوته بسبب هذا الظلم وهو سؤاله لكم الصدقة وأنتم لا تجدون ما تصدقونه ..

ومنها: قوله: "فلا نُحِبُّ أن ندعه ننظر إلى أي شيء يصير أمره"، أي أن وقوفنا معه قائم على اعتبار العاقبة، فإن كانت العاقبة له كنا معه وأصابنا الخير بسبب ذلك، وإن كانت العاقبة لغيره تركناه وتخلينا عنه .. فنحن ننظر إلى أي شيء يصير أمره .. وهذا لا شك أنه كفر.

ومنها: قول أبي نائلة . وكان مع محمد بن مسلمة في المهمة : "نريد خذلانه والتخلي عنه"، لا شك أنه من الكفر البواح الذي لا يحتمل تأويلاً ولا صرفاً .. ولوقيل هذا الكلام في الظروف الطبيعية لكفر صاحبه.

ومنها: قول عدو الله ورسوله كعب: "لتملنَّه .. وسررتني" هو من الطعن والاستهزاء بالرسول ﷺ الظاهر .. ومع ذلك لم ينكر عليه الصحابة، وبقوا معه وفي مجلسه إلى أن تمكنوا من تنفيذ مهمتهم فيه ..

والشاهد أن الجلوس في مجالس الكفر والاستهزاء بالدين من غير إنكار ولا إكراه ولا قيام هو كفر أكبر، ومع ذلك الصحابة فعلوه ليمكنوا من استئصال الكفر الأكبر المتمثل في الطاغية كعب بن الأشرف لعنه الله.

ومنها: أن استئذان الصحابة . رضي الله عنهم أجمعين . النبي في أن يقولوا فيه كلاماً: أي الكلام الذي يفيد الذم والتجريح الذي لا يجوز أن يُقال في الحالات الطبيعية إلا إذا أثر صاحبه الكفر على الإيمان .. وإلا فإن الكلام المباح لا يحتاج إلى استئذان !

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

وهذا المعنى يوضحه ابن حجر في الفتح حيث يقول: قوله "فأذن لي أن أقول شيئاً، قال قل .." كأن استأذنه أن يفتعل شيئاً يحتال به، ومن ثم بوب عليه المصنف "الكذب في الحرب" وقد ظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استأذنوا أن يشكوا منه ويُعيبوا رأيه ..!

وفي مرسل عكرمة: "وأذن لنا أن نصيب منك فيطمئن لنا، قال: قولوا ما شئتم!" انتهى.
وفي رواية موسى وأبي إسحاق، التي يذكرها ابن كثير في البداية والنهاية بتمامها 8/4، ومما جاء فيها: قال فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له: لم تركت الطعام والشراب؟ فقال يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا. قال: إنما عليك الجهد. قال: يا رسول الله، إنه لا بد لنا أن نقول، قال: فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حلٍّ من ذلك ..! انتهى.

قال الشيباني في السير 189/1: "فأذن لنا فلنقل، فإنه لا بد لنا منه"; أي نخدعه باستعمال المعارض، وإظهار النيل منك. انتهى.

قلت: فالحديث . بمجموع طرقه، وكما فهمه العلماء . حجة قوية في المسألة، إن تمكن من رد وجه من أوجه الاستدلال به، فإنه لا يمكن رد مجموع أوجه الاستدلال به الأنفة الذكر.. والله تعالى أعلم.

دليل آخر: وهي قصة مقتل الطاغية خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، وكان قد جمع الجموع لغزو النبي ﷺ في المدينة، وتمام الحديث كما أخرجه أحمد وغيره، عن عبد الله بن أنيس قال دعاني رسول الله ﷺ فقال: "إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني فائته فاقتله . وفي رواية: قال رسول الله ﷺ من لسفيان الهذلي يهجونى ويشتمني ويؤذيني . قال: قلت يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه قال إذا رأيته وجدت له قشعيرة قال: فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً، وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعيرة، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة فصليت وأنا أومئ برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال من الرجل؟ قلت: رجل سمع بك وجمعك لهذا الرجل، فجاءك في ذلك. قال: أجل، أنا في ذلك قال فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته ثم خرجت

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني، قال: أفلح الوجه. قلت: قتلته يا رسول الله. قال: صدقت، ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل بي بيته فأعطاني عصاً فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس .. آية بيبي وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخصرون يومئذٍ. قال: فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمت معه في كفنه، ثم دفنا جميعاً⁽¹⁾.

فتأمل قوله: "رجل سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك في ذلك؛" أي جئتك لأنصرك وأكثر سوادك في قتالك للنبي ﷺ .. وهذا لا شك أنه لفظ كفري، ولو أنه قيل في الحالات الطبيعية. لغير ضرورة استئصال هذا الطاغوت. لكان كفراً أكبر..

ثم تأمل لو تُرك هذا الطاغوت وهدفه، كم كان سيكلف الدعوة الإسلامية وهي في مهدها، وأوائل نشوئها..!؟

ومن الأدلة كذلك: أمر النبي ﷺ لنعيم بن مسعود أن يخذل عن المسلمين يوم وقعة الأحزاب .. وكان مما قاله نعيم بن مسعود لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموه عني..⁽²⁾.

فإن قيل هذه المقولة: "قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمداً.." لا تفيد الكفر، **أقول:** إن مجرد الجلوس والإقامة في مجالس الكفر والاستهزاء والطعن، والحرب على الله ورسوله .. من غير إنكار ولا قيام هو كفر، لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ النساء: 140. أي إن أبيتم إلا الجلوس معهم من غير إنكار فأنتم مثلهم في الكفر..

فكيف والصحابي ﷺ قد ضم إلى جلوسه في مجالس الكفر والحرب على الله ورسوله، مقولته الأنفة الذكر.. لاشك أن هذا من الكفر البواح لا شك فيه.

¹ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 203/6، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه، وفيه راوٍ لم يُسم وهو ابن عبد الله بن أنيس، وبقية رجاله ثقة. وانظر السلسلة الصحيحة: 2981.

² انظر البداية والنهاية: 113/4.

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

ولكن الذي برر كل ذلك هو أن نية الصحابي نعيم بن مسعود رضي الله عنه كانت أن يخذل عن المسلمين، ويفرق بين الأحزاب التي تحالفت على حرب الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية .. وهذه مهمة جليلة فوائدها عامة، تهون أمامها مثل العبارة الأنفة الذكر عنه رضي الله عنه.

قال الشيباني في السير 1/185: وإذا دخل المسلم دار الحرب بغير أمان، فأخذه المشركون فقال لهم: أنا رجل منكم، أو جئت أريد أن أقاتل معكم المسلمين، فلا بأس بأن يقتل من أحب منهم، ويأخذ من أموالهم ما شاء .. انتهى. ثم استدل بقصتي مقتل الطاغوتين: خالد بن سفيان الهذلي، وكعب بن الأشرف.. قلت: قوله أنا رجل منكم، أو جئت أريد أن أقاتل معكم المسلمين .. هو كفر، وهو مستساغ . عند الشيباني . من أجل أن يقتل منهم من أحب، وإذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى أن يكون ذلك مستساغاً وجائزاً من أجل استئصال طاغوت اشتد كفره وطغيانه وأذاه على المسلمين ..!

ثانياً: أن قواعد الشريعة الكلية جاءت بمبدأ دفع الضرر، وبارتكاب أخف الضررين ودفع أعلاهما ضرراً، وهذا يشمل جميع مسائل الدين؛ الأصول والفروع منها، ومن هذه المسائل التي يشملها مسألتنا هذه.

وصورة ذلك عندما يُخير المرء بين كفرين لا بد له من أحدهما، ولا بد له من دفع أحدهما بالآخر، فحينئذٍ الفقه والنقل والعقل كل ذلك يقول لك: أنظر أكثرهما وأغلظهما كفرًا فادفعه واستأصل شأفته بالأقل كفرًا كما هو في مسألتنا؛ فالطاغوت جائم على صدر ومقدرات الأمة يمارس جميع صور الكفر والإجرام، والقتل .. وهو بذلك لا شك أنه يمثل الكفر الأكبر المغلظ والمركب، ثم تبين أنه لا يمكنك استئصاله إلا غيلة بارتكاب بعض صور الكفر المجردة الضيقة كما ورد ذلك في قصة اغتيال الطاغوتين كعب بن الأشرف، وسفيان الهذلي .. فتفعل إن شاء الله ولا حرج، هذا إن لم يتحول هذا الفعل في حقلك إلى درجة الوجوب.

فإن أخذت الحمية بعض المتسرعين وقالوا: هذا مفاده إباحة بعض صور الكفر .. !

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

قلت: فإن عدمه يلزمك السكوت والإبقاء والمحافظة على ما هو أغلظ منه ككراً وخطراً على

العباد والبلاد ..!!

فانظر أيهما أسلم وأرضى لدينك وآخرتك ..!!؟

فإن قالوا . كما ذكر عن البعض : أن الكفر لا يُباح إلا لضرورة ملزمة، لأن المحظورات لا تُباح إلا

بالضرورات، وإزالة الطاغوت حاجة وليست ضرورة ..!!

أقول: الطاغوت الذي عطل العمل بشرع الله ﷻ، وحارب التوحيد وأهله، والذي لم يدع نوعاً

من أنواع الكفر والفجور والطعن بالدين إلا أتى بأعلاه وأوفره حظاً، فأهلك بذلك العباد والبلاد، وسامهم

سوء العذاب والذل، والفقر .. أقول الطاغوت الذي هذه بعض صفاته تكون إزالته وإراحة الأمة من

كفره وشره من قبيل الحاجيات، مثله مثل تحصيل الغسالات والثلاجات ..!!؟

إذا كانت إزالة هذا الطاغوت وأمثاله هو من الحاجيات، وليس من الضرورات، فما هو الذي

يكون . عندكم أيها الفقهاء! . من الضرورات ..!!؟

إذا كانت إزالة الطواغيت الذين يستشرفون خصائص الإلهية ويُعبدون من دون الله لا ترقى

عندكم إلى درجة الضرورة، فإنه لا يوجد عندكم شيء اسمه ضرورة ..!!

علماً أن الدين . من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ . يقوم على ركنين عظيمين: أولهما الكفر

بالطاغوت وإزالته واستئصاله وبغضه، والركن الثاني تحقيق العبودية المطلقة لله ﷻ، وهذا معنى لا إله

إلا الله الذي لأجلها خلق الله الخلق كله .. وهي غاية عظمى لا تعلوها غاية، ترخص في سبيلها كل الغايات

والمقاصد، فضلاً عن الوسائل والسبل.

أ يكون أحد ركني الدين والتوحيد . عندكم يا فقهاء الإثارة! . من الحاجيات لا يرقى إلى درجة

الضرورات ..!!؟

ثالثاً: إذا كان . كما يقول الصحابي ابن مسعود رضي الله عنه . يجوز للمرء أن يقول الكلام الذي يدرأ عنه

سوطاً أو سوطين .. فكيف لا يجوز له أن يقول الكلام الذي يدرأ عنه وعن أمته الذبح والقتل، والذل،

والقهر، والكفر المغلظ بكل ضروبه وأنواعه ..!!؟

حالات يجوز فيها إظهار الكفر

وإذا كان دفع سوط أو سوطين يُعتبر من الضرورات التي تبيح المحظورات .. فكيف لا يكون دفع القتل والمجازر الجماعية بحق المسلمين وبحق أطفالهم ونسائهم التي يقوم بها الطاغوت من الضرورات التي تُبيح المحظورات !!؟..

رابعاً: هذا الطريق سلكه الأعلام من مجاهدي الأمة ابتداء من الصحابي محمد بن مسلمة، ونعيم بن مسعود، وأبي نائلة، وعبد الله بن أنيس .. مروراً بالبطل صلاح الدين الأيوبي الذي كان وزيراً في الدولة الفاطمية العبيدية الكافرة، إلى أن تمكن من استئصال الكفر المتمثل في شعوذة العبيديين، وتغيير الدولة كلها إلى دولة إسلامية سنية مجاهدة .. انتهاء بالبطل خالد اسلامبولي ورفاقه الذين أراحوا الأمة من خائن الأمة السادات !!

والقول بخلاف ما قدمنا من لوازمه رمي هؤلاء الأبطال وغيرهم بالكفر والعياذ بالله !!..

- تنبيهات وضوابط تتعلق في هذه الحالة:

من خلال ما تقدم نستخلص النقاط التالية:

- 1- لا يجوز إظهار الكفر إلا لضرورة استئصال كفر أكبر وأغلظ .. والمتمثل في الطغاة المجرمين وكفرهم .. ولا نرى إظهار الكفر بقول أو عمل . من أجل إزالة كفرٍ مماثل له أو ما هو دونه !!..
- 2- لا يُلجأ إلى هذه الوسيلة إلا إذا انتفت جميع الوسائل التي تمكن من استئصال الطاغوت صاحب الكفر المركب والمغلظ .. أما إن توفرت وسائل وسبل أخرى لا يجوز اللجوء إلى هذه الوسيلة !!..
- 3- في حال عُمل بهذه الرخصة يجب التحري ما أمكن في عدم التلفظ أو الوقوع في الكفر .. إلا ما دعت إليه الضرورة من غير زيادة أو توسع ..
- 4- في حال قُدِر على استخدام المعاريض، وكانت تكفي لتنفيذ المهمة .. لا يجوز اللجوء إلى الترخص في إظهار الكفر أو التلفظ به، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن: 16.

5- ما يجوز في الجهاد لا يجوز في غيره من المواطن، وما يجوز للمجاهد المقاتل لا يجوز لغيره القاعد .. وهذه مسألة بينة واضحة تضافت عليها أدلة الكتاب والسنة، بحثها مستقلاً يحتاج إلى بحث وربما إلى مصنف جديد !!

وبعد، إلى هنا يكون . بفضل الله ومَنِّه وعونه . قد انتهى هذا المبحث الهام الوجيز، راجياً من الله تعالى القبول، وأن ينفع به العباد، وبخاصة منهم طلائع الأمة من المجاهدين العاملين الذين يحتاجون إلى كل جزئية من جزئيات الفقه الإسلامي، ليستفيدوا منه وهم في جهادهم ومسعاهم الجاد من أجل استئناف حياة إسلامية راشدة .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1421/06/14 هـ

2000/09/13 م

زنادقة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد: قبل أن نعرف من هم زنادقة العصر، ولماذا هم زنادقة العصر.. لا بد أولاً أن نعرف معنى الزندقة، وما هي صفات الزنديق وغاياته، وما هو حكمه في الشرع.. وبخاصة أن كثيراً من الناس يُطلقون هذه الكلمة "زنديق" من دون أن يعرفوا معناها، وربما حملوها على أناس، لا يجوز أن تقال في حقهم!!
فأقول: الزندقة كلمة فارسية معربة وأصلها "زنده كَرْد"، وحقيقتها إبطان الكفر والإلحاد، وإظهار

الكفر والإيمان معاً أو متفرقاً، بحسب ما يقتضيه الموقف، وتلزم به الحاجة، وتسمح به الفرص!!
وعليه فالزنديق: هو الذي يعتقد الكفر ويُظهره . مراراً وتكراراً . كلما سنحت له الفرصة لذلك وظن أن الساحة خالية من الأعين التي تراقبه أو تحصي له كلامه ومواقفه، فإن عُرف وأدين بالدليل القطعي وسئل عن سبب إظهاره للكفر، تراه يُسرع إلى الإنكار والجحود، ويتأول لكفره وكلامه بما يصرفه عن دلالته المكفرة صراحة، وأنه ما أراد الكفر، وما أراد إلا الإحسان والخير والتوفيق، ولكن نحن لم نفهم مراده وقصده!!

وفي المقابل تراه يُظهر أنه مسلم مؤمن يشهد بشهادة التوحيد، ويؤمن بالصلاة والزكاة وغير ذلك من أركان الدين.. ولو طلبت منه الشهادة لأتاك بها من فوره ومن دون أي تردد ليصرف عن نفسه وصف الزندقة وحكمه وتبعاته!!

فإن قيل ما الفرق بينه وبين المنافق..؟

أقول: الفرق بينه وبين المنافق أن المنافق يستتر بكفره في باطنه بينه وبين نفسه، بحيث لا تقوم البينة القاطعة الظاهرة الدالة على كفره ونفاقه، بينما الزنديق هو الذي يعتقد الكفر ويُظهره ويُعرف

به، فإذا أقيمت عليه الحجة والبينة القاطعة . التي لا مناص من الهروب منها . واستتيب من كفره، أنكر
وجحد ما ظهر منه، وأظهر خلافه الذي يدل على إسلامه وأنه مسلم ..!!

فإن قُبِلَ منه ججوده لما ظهر منه من كفر، ورُفِعَ عنه السيف .. عاد ثانيةً إلى إظهار كفره ودعوته

والحاده ..!!

- هدف الزنادقة.

للزنادقة هدف يتلخص في أنهم يقصدون إلى إفساد الإسلام والمسلمين والقضاء على صفاء الدين

في نفوسهم، وتشويشهم بإدخال ما ليس في دين الله تعالى من المعاني والأفكار الإباحية الباطلة.

فتراهم يُحلون المحظورات، ويستحلون الحرمات، ويُحرفون الآيات والنصوص الشرعية عن

دلالاتها ومراد الشارع منها، ويحملونها على مرادهم وقصدتهم الباطل الخبيث ليضلوا بذلك العباد

ويُخرجوهم من دينهم الحنيف ..!!

لا همّ لهم إلا محاربة الإسلام .. وصد الناس عنه، وهم في سبيل ذلك لا يتورعون أن يسلكوا كل

طريق أو وسيلة، وينتهكوا كل حرمة أو غاية.

ولهم علامات عدة؛ أبرزها لجوئهم إلى المتشابهات في الدين، حملات الأوجه والتفسير. لسهولة

تأويلها وتحريفها والخوض فيها . وتسليطها على المحكمات في الدين، وجعلها حكماً عليها وكأنها هي الأصل

وما سواها بالنسبة لها فرع ..!!

كما قال تعالى فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ آل عمران: 7.

وقوله: ﴿ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي ابتغاء تحريفه بما يوافق أهواءهم ومرادهم ..!

والزنادقة هم أكثر الناس اتباعاً للمتشابهات ابتغاء الفتنة والتحريف، وصد الناس عن الحق

واتباعه ..!!

- حكم الزنديق في دين الله.

حكم الزنديق في دين الله أنه يُقتل ككفراً وردة ولا يُستتاب، فالاستتابة تكون من شيء والزنديق

لا يعترف بشيء، فمما يُستتاب !؟!

والدليل على وجوب قتله قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ التوبة: 52.

قال ابن تيمية في الصارم المسلول: قال أهل التفسير ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بالقتل إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم، وهو كما قالوا، لأن العذاب على ما يبطنونه من النفاق بأيدينا لا يكون إلا القتل لكفرهم، ولو كان المنافق يجب قبول ما يظهر من التوبة بعدما ظهر نفاقه وزندقته لم يمكن أن يُترصد بهم أن يُصيبهم الله تعالى بعذابٍ من عنده أو بأيدينا؛ لأننا كلما أردنا أن نعذبهم على ما أظهروه أظهروا التوبة ..!

ولأنه لو قبلت علانيتهم دائماً مع ثبوت ضدها لم يمكن إلى الجهاد على النفاق سبيل، فإن المنافق إذا ثبت عنه أنه أظهر الكفر فلو كان إظهار الإسلام حينئذٍ ينفعه لم يمكن جهاده. انتهى.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: وهانذا قاعدة يجب التنبيه عليها لعموم الحاجة إليها وهي أن الشارع إنما قبل توبة الكافر الأصلي من كفره بالإسلام لأنه ظاهر لم يُعارضه ما هو أقوى منه فيجب العمل به لأنه مقتضى لحقن الدم والمعارض منتفٍ، فأما الزنديق فإنه قد أظهر ما يبيح دمه، فإظهاره بعد القدرة عليه . للتوبة والإسلام لا يدل على زوال ذلك الكفر المبيح لدمه دلالة قطعية ولا ظنية ..

ويا لله العجب! كيف يُقاوم دليل إظهاره للإسلام بلسانه بعد القدرة عليه أدلة زندقته وتكررها منه مرة بعد مرة، وإظهاره كل وقت للاستهانة بالإسلام والقدرح في الدين والطعن فيه في كل مجمع، مع استهانتته بحرمان الله واستخفافه بالفرائض وغير ذلك من الأدلة؟! ولا ينبغي لعالم قط أن يتوقف في قتل مثل هذا، ولا تُترك الأدلة القطعية لظاهر قد تبين عدم دلالاته وبطلانه.

وقال: ومما يد على أن توبة الزنديق بعد القدرة لا تعصم دمه، قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾. قال السلف في الآية: أو بأيدينا؛ أي بالقتل إن أظهرتم ما في قلوبكم، وهو كما قالوا؛ لأن العذاب على ما يبطنون من الكفر بأيدي المؤمنين لا يكون إلا بالقتل، فلو قبلت توبتهم بعدما ظهرت زندقته لم يكن المؤمنين أن يتربصوا بالزنادقة أن يصيبهم الله بأيديهم، لأنهم كلما أرادوا أن يُعذبوهم على ذلك أظهروا الإسلام فلم يُصابوا بأيديهم قط. انتهى.

وفي السنة، الحديث المخرج في الصحيحين من رواية علي ؓ قال: قال عمر ؓ: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. يعني حاطب بن أبي بلتعة. فقال النبي ﷺ: "إنه شهد بدرًا، وما يُدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

قال ابن تيمية رحمه الله في الحديث: دل على جواز قتل الزنديق المنافق من غير استتابة .. وقال: فدلَّ على أن ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع، إذ لم ينكر النبي ﷺ على عمر استحلال ضرب عنق المنافق، ولكن أجاب بأن هذا ليس بمنافق، ولكنه من أهل بدر المغفور لهم، فإذا أظهر النفاق الذي لا ريب أنه نفاق فهو مباح الدم. انتهى.

قلت: ومما صرف النفاق عن حاطب اعترافه وإقراره بما فعل .. فهو لم ينكر ولم يجحد عندما سُئل عما بدر منه من عمل وخطأ الذي يكمن بمراسلته لكفار قريش برسالة يخبرهم فيها عن توجه النبي ﷺ لفتح مكة .. مما رفع عنه وصف النفاق أو الزندقة: لأن من أبرز صفات المنافق الزنديق. كما تقدم. أنه يجحد ما بدر منه من أعمال أو أقوال مكفرة، رغم قيام البيعة القاطعة عليه ..!

كما في مسند الإمام أحمد أخرج بسنده عن أبي إدريس قال: أتى علي ؓ بناسٍ من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام، فسألهم فجحدوا، فقامت عليهم البيعة العدول، قال: فقتلهم ولم يستتبعهم. قال: وأتى برجل كان نصرانياً وأسلم، ثم رجع عن الإسلام قال: فسأله فأقرَّ بما كان منه فاستتابه فتركه، فقيل له كيف تستتبع هذا ولم تستتبع أولئك؟ قال: إن هذا أقرَّ بما كان منه، وإن أولئك لم يقرُّوا وجحدوا حتى قامت عليهم البيعة، فلذلك لم أستتبعهم. وفي رواية قال: أتدرون لما استتبت هذا النصراني؟ استتبعته لأنه أظهر دينه، وأما الزنادقة الذين قامت عليهم البيعة جحدوني، فإنما قتلهم لأنهم جحدوا وقامت عليهم البيعة (1).

قلت: ما دام الزنادقة جحدوا ما بدر منهم من كفر تكون استتابتهم نوعاً من العبث وضياع الأوقات من غير طائل أو فائدة؛ لأنهم يقولون لك. رغم قيام البيعة القاطعة على كفرهم. نحن ما كفرنا، ونحن مسلمون، نشهد بما تشهد، ونقول بما تقول ويقول به عامة المسلمين .. فعلام تستتبعنا، ومما تستتبعنا !!؟

¹ ذكره ابن تيمية في الصارم المسلول: 360.

من أجل ذلك يُقتلون من غير استتابة ..

قال ابن العربي في كتابه الجامع لأحكام القرآن 1/199: إن النبي ﷺ لم يستتبهم ولا نقل ذلك أحد، ولا يقول أحد إن استتابة الزنديق واجبة، وقد كان النبي ﷺ معرضاً عنهم مع علمه بهم. فهذا المتأخر من أصحاب الشافعي الذي قال: إن استتابة الزنديق جائزة، قال قولاً لم يصح لأحد.

وقال مالك رحمه الله: النفاق في عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم، فيقتل الزنديق إذا شهد عليه بها دون استتابة ..

وإنما كف رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه إذ لم يُشهد على المنافقين. انتهى.

وقال أبو حنيفة رحمه الله: اقتلوا الزنديق سراً؛ فإن توبته لا تُعرف (1).

- هل للزنديق مخرج وتوبة ..؟

لا مخرج ولا منجاة للزنديق مما هو فيه إلا بشرط وهو: أن يتوب وتكون توبته قبل القدرة عليه من قبل جند الحق؛ بحيث يأتي طواعية. صادقاً راغباً بالتوبة والإياب إلى الحق. من تلقاء نفسه من غير خوف ولا إكراه، فيعترف بما كان منه من كفر وزندقة، معلناً. على الملأ. توبته وبراءته مما كان عليه من الباطل .. فإن توبته قبل القدرة عليه، وعزمه على إصلاح ما كان قد أفسد وأساء، مع اعترافه بما كان منه من كفر وزندقة لهي علامة قوية تدل على صدق توبته وإيابه إلى الحق، ورغبته في الإصلاح ..

فمثل هذا الراجح فيه أن توبته تنفعه، وتدرأ عنه أسياف الحق، وتلزم له حقوق أخوة الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة: 34. فهذا دليل في المسألة لا بد من المصير إليه والعمل به.

قال ابن القيم في الأعلام: لو أنه قبل رفعه إلى السلطان ظهر منه من الأقوال والأعمال ما يدل على حسن الإسلام وعلى التوبة النصوحة، وتكرر ذلك منه، لم يُقتل كما قال أبو يوسف وأحمد في إحدى الروايات، وهذا التفصيل أحسن الأقوال في المسألة. انتهى.

¹ عن إكفار الملحدين: 37.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: 145-146.

قال القرطبي في التفسير: استثناء ممن نافق، ومن شرط التائب من النفاق أن يُصلح في قوله وفعله، ويعتصم بالله؛ أي يجعله ملجأ ومعاذاً، ويخلص في دينه. انتهى.

ومنه نعلم: أن النفاق ليس صفة لازمة للمرء لا يمكن الخروج أو الفكاك منه، لو أتى بالتوبة على نحو ما تقدم ..

كذلك فإن الإسلام ليس صفة لازمة للمرء لا يمكنه الخروج منه لو أتى من الأعمال أو الأقوال التي تُضاده أو تخرجه منه وتجعله من الكافرين المرتدين، أو المنافقين .. نسأل الله تعالى الثبات وحسن الختام.

- من هم زنادقة العصر..؟

بعد أن عرفنا الزنديق وصفاته، وحكمه، وغاياته، وسهل علينا تحديده ومعرفته .. يأتي السؤال الهام: من هم زنادقة العصر التي تكتوي الأمة من شرهم وفسادهم، وتنطبق عليهم الأوصاف والأحكام المتقدمة الذكر..؟؟!

وللجواب على هذا السؤال نُفيد بما يلي:

تتلخص أهم أصناف الزنادقة المعاصرين في الأصناف التالية، نذكرها مرتبة بحسب خطورتها، وتوسعها وانتشارها، وأثرها على الناس، وهي:

أولاً: العلمانيون.

العلمانية تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة والسياسة والحكم .. فصل الدين عن الحياة وما له مساس بواقع الناس المعاش والعملي ..!!

فهي لها مساس بالدين من جهة اعترافها بحرية تقديم التنسك لله تعالى، وأن الله تعالى له من هذا الكون الذي خلقه الزوايا والمعابد لمن يريد أن يقدم له فروض الصلاة والتنسك .. وما سوى ذلك .

من شؤون الحياة العامة والخاصة . فليس من خصوصيات الله ﷻ أن يتدخل فيها أو أن يُصرف إليه شيء منها .. وإنما هو من خصوصيات قيصر الطاغوت وحسب؛ والذي قد يكون . هذا القيصر . بصورة قيصر وإمبراطور .. أو حاكم متجبر .. أو حزب منفرد بالحكم .. أو سلطة أحزاب مجتمعة .. أو شعب ومن ينوب عنه في الحكم والتشريع من النواب وغيرهم، كما في الديمقراطيات المعاصرة !!..

فالله تعالى . عندهم . له الخلق، بينما قيصر الطاغوت له الأمر..!!

وهذا المعنى يعبرون عنه بمقولتهم الباطلة والواسعة الانتشار: دع ما لقيصر لقيصر .. وما لله

لله .. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كفاً وكذباً !!

صدق الله العظيم: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ

وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الأنعام: 136.

ومن أبرز خصائص العلمانية . على اختلاف مشاربها ومذاهبها . أنها تغيب فيما بين الشعوب وفي واقع حياتهم ومعاملاتهم مبدأ الولاء والبراء على أساس الانتماء إلى العقيدة أو الدين؛ فالحقوق والواجبات، وكذلك الولاء والبراء . في نظر العلمانية . تُقسم على أساس انتماآت واعتبارات أخرى غير الدين كالانتماء إلى الوطن أو الإقليم، أو الانتماء إلى ساحة القومية، أو الإنسانية، أو القبيلة والعشيرة أو غير ذلك من الروابط والشائج الوثنية الجاهلية .. المهم عندهم أن تُغيب العقيدة الدينية عن ساحة الولاء والبراء !!..

والي وعادي في الطاغوت كيفما شئت .. فلا حرج عليك، أما أن توالي وتعادي في الله تعالى فتلك

الجريمة التي لا تُغتفر في نظر العلمانية والعلمانيين !!

وعليه فكل من يغيب عقيدة الولاء والبراء على أساس الانتماء للدين والعقيدة في تعامله مع الآخرين . فرداً كان أو حزباً أو نظاماً . ويقسم الحقوق والواجبات بين الشعوب . على اختلاف مللهم ونحلهم . على أساس الانتماء للوطن أو الإقليم، أو غير ذلك من الروابط غير الدين .. فهو علماني جلد . مهما كان من أهل التعبد والتنسك، وزعم بلسانه زوراً وبهتاناً أنه من المسلمين! . وإن لم يرض لنفسه هذا الاسم، أو يعلم أنه داخل في دين العلمانية من أوسع أبوابها ومعانيها..!

فالعلماني والعلمانيون هم الذين يتبنون هذا المذهب بمبادئه وأفكاره الأنفة الذكر.. سواء علموا

بذلك أم لم يعلموا، أو سمو أنفسهم بالعلمانيين أو لم يُسموا⁽¹⁾!!..

أما لماذا هم زنادقة .. فأليك تفصيل وبيان ذلك:

من خلال ما تقدم من وصف وتعريف للعلمانية ندرك إدراكاً يقينياً . لا يصح فيه الخلاف . أن

العلمانية مذهب كفري إباضي خبيث، لا يلقي للدين أي اعتبار أو قيمة، وأن الذي يعتقد هذا المذهب

ويتبناه لا شك في كفره، وخروجه من دائرة الإسلام .. وإن زعم بلسانه أنه من المسلمين !!

وفي المقابل عندما تواجه العلماني بهذه الحقيقة الدامغة فإنه سرعان ما ينكر عليك تكفيرك

له، ويبادرك القول بأنه مسلم، وأنه يصلي، ويشهد أن لا إله إلا الله⁽²⁾!!..

فهو عندما تحتاجه وتبين له جانب الكفر الذي هو عليه يجحد وينكر أنه كافر، أو أنه صدر عنه

ما يستوجب تكفيره والحكم بردته، ويظهر لك الجانب الذي تسمح به العلمانية، وهو جانب التنسك

والتعبد من صلاة وصوم، وحج، الذي هو من نصيب الله !!..

ولو حملته على الاستنابة يسخر منك، ويقول لك أنا مسلم أكثر منك، فعلام تستتيني، ومما

تستتيني، وأنا أصلي وأصوم !!؟..

وفي المقابل إذا انفرد بأخلائه وبطانته، أو مجالسه الخاصة والعامة بعيداً عن مراقبة أهل

التوحيد له .. تراه لا يتوانى ولا يتردد في الدعوة إلى العلمانية بمبادئها ومعانيها الإباحية الكفرية الباطلة

الأنفة الذكر!!..

¹ لو تأملت حال جميع الأحزاب والأنظمة العلمانية المعاصرة . على اختلاف مبادئها ومشاربها وشعاراتها . تجد جميعها

متفقة على هذه المبادئ والأفكار المذكورة أعلاه !!..

² شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" ليست مجرد كلمات تردد على اللسان من غير امتثال لدلالاتها ومعانيها وشروطها اعتقاداً

وقولاً وعملاً، كما يصور مرجئة العصر .. فشهادة التوحيد لها شروط لا بد من استيفائها وتحقيقها حتى ينتفع بها

صاحبها في الدنيا والآخرة .. وإني لأرجو من الله تعالى أن يجعل في العمر بقية لنتمكن من بيانها في بحث مستقل، ننشره

في موقعنا على الإنترنت قريباً إن شاء الله.

وهذا هو الزنديق بعينه .. كما تقدم وصفه في مطلع هذا البحث .. ومن أجل ذلك نحكم على العلماني بأنه زنديق، يطاله وصف وحكم الزنديق الأنف الذكر.

فإن قيل: من العلمانيين من لا ينكر كفره وبرأته من الدين، ويجيبك صراحة بما يعتقد من كفر وجود، ويعلن ذلك في كل مجالسه، ولا يبالي من انتفاء وصف الإيمان عنه، فهل مثل هذا يكون زنديقاً؟
أقول: رغم أن هذه الشريحة المذكورة قليلة في المجتمعات العربية والإسلامية، لأن الجميع . على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الكفرية . يحرصون على مجاملة الإسلام والمسلمين، ومهمهم صرف وجوه الجماهير المتعاطفة مع الإسلام إليهم، واستمالة عواطفهم لأحزابهم وتجمعاتهم.. والتي لا يناسبها ولا يرضيها مثل هذه الوقاحة أو الصراحة من الكفر والجحود(1) .. هذا النفاق وغيره هو الذي حملنا على إدراجهم في قائمة الزنادقة !

أقول: هذه الشريحة المذكورة في السؤال . في حال وجودها بالفعل . ينتفي عنها وصف وحكم الزندقة، ويبقى في حقها وصف وحكم الردة .. والردة منها ما تكون مجردة بحسب نوعها وكمها وصفاتها، ومنها ما تكون مغلظة، والفرق بينهما أن صاحب الردة المجردة . رغم خروجه بالردة من الملة . تقبل توبته ويُستتاب، بينما الآخر يُقتل ولا يُستتاب، وتفصيل ذلك له موضع آخر، في مباحث أخرى(2).

ثانياً: طواغيت الحكم.

ممن يدخل في مسمى وحكم الزنديق طواغيت الحكم المعاصرين الجاثمين على صدر الأمة ومقدراتها بالحديد والنار، وذلك لأوجه:

منها: أن هؤلاء الحكام الطواغيت قد ظهر منهم الكفر البواح الصريح . من جهات عدة . ظهوراً لا يحتمل الاختلاف المستساغ في كفرهم ومروقهم من الدين ..

¹ وجدنا كثيراً من قادة الأحزاب الشيوعية الملحدة من يصلي، ويذهب إلى المساجد، ومن يُعلن أنه ليس ضد الدين، وأن من أفراد حزبهم من يصلي ويصوم .. وغير ذلك من العبارات والإعلانات التي تسترضي عنهم الجماهير المتعاطفة أو المطالبة بالعودة إلى الدين، والتي لا يمكن تجاهلها .. وهذا هو عين النفاق والزندقة !!

² انظر إن شئت مقال "حالات يجوز فيها إظهار الكفر" في موقعنا على الإنترنت.

فقد كفروا من جهة حكمهم بغير ما أنزل الله ..

وكفروا من جهة استبدالهم لشرع الله بشرائع الطاغوت، وفرضها على الشعوب بقوة الحديد والنار..

وكفروا من جهة كونهم هم أنفسهم قد تقمصوا خاصية التشريع وجعلوه حقاً خالصاً لهم من دون الله ﷻ!!

وكفروا من جهة معاداتهم الصريحة للإسلام والمسلمين، وإعلانهم الحرب على الله ورسوله، والمؤمنين الموحدين ..

وكفروا من جهة كرههم لما أنزل الله، واستحلالهم لما حرم الله ..

وكفروا من جهة دخولهم الصريح في موالاته أعداء الأمة من اليهود والنصارى، وغيرهم من ملل الكفر والإلحاد ..

وكفروا من جهة الاستهزاء والطعن بالدين، والترخيص به لشعوبهم⁽¹⁾!!..

¹ كثير من أمصار المسلمين . بفعل سياسة الطواغيت مع شعوبهم . قد تفتت فيها ظاهرة شتم الله والدين والرسول ﷺ . ولأتفه الأسباب، أو أدنى خلاف أو شجار يجري بين اثنين .. وقوانين الطواغيت لا تأخذ على أيديهم، بل ترخص لهم، وتغض الطرف عنهم لتذهب من نفوسهم قدسية الكتاب والسنة، وتعظيمهم لقدر الله ﷻ وقدر نبيه ﷺ!!.. وبعض هذه الأنظمة الطاغية ينصون على استحياء ونفاق في قوانينهم . مجرد قوانين لا يعمل بها . أن شاتم الله والرسول يُعاقب بالسجن لمدة أقصاها ثلاثة أشهر.. بينما شاتم الطاغوت الحاكم، أو أصحاب المقامات الحاكمة فإنه يُعرض لعقوبة بالسجن لمدة أدناها ثلاث سنوات، والباب مفتوح لاجتهاد القاضي وتقديراته .. فتأمل !! ومما أذكره في هذا المجال أنني كنت قد شتمت طاغوت الشام النصيري الهالك . وكان عمري وقتها لا يزيد عن الخامسة عشر سنة . وقد كتبت شتمى له على الجدران .. لأن الجدران كانت وقتها هي دفاترنا وأوراقنا، لا نملك الحرية في أن نكتب على ما سواها .. !!

وقدر الله لي أن أعرف فاعتقلت أكثر من ثلاثة أشهر في أسوأ زنازن مخابراتهم .. وقد نالني من تعذيبهم وضربهم ما لا يعلمه إلا الله .. هذا مع مراعاتهم لصغري .. وإلا فإن شتم القائد الرئيس عقوبته الإعدام، أو السجن المؤبد !! وعندما أخذت إلى محاكمهم الجائرة .. كان القاضي وهو جالس خلف منصة القضاء يشتم الخالق ﷻ بأقذع السب والشتم، ويقول لي: كيف تشتم سيادة الرئيس القائد .. كيف ..؟!؟

فقلت له: يهون عليك شتم الخالق جل جلاله .. ويعز عليك شتم المخلوق .. فأينا المجرم، وأينا أولى بالعقاب ..؟!؟

وكفروا من جهة ترويجهم للشرك والفواحش بكل ضروبها وأنواعها، ليصدوا الناس عن دين الله

تعالى !!

وكفروا من جهة تقمصهم لكثيرٍ من خصائص الإلهية والربوبية (1) !!..

كفروا من هذه الجهات وغيرها ككراً بواحاً صريحاً لا يحتمل التأويل أو الخلاف أو التوقف في

كفرهم .. ولا يتوقف في كفرهم إلا كل مرجحٍ . آثر فتاتهم الذي يُرمى له على العتبات والأبواب على مرضاة

الله تعالى وجنان الخلد ونعيمها . أعمى البصر والبصيرة، أعشى الليل والنهار .. !!

هذا وجه من الأوجه ..

ومنها: أن هؤلاء رغم طغيانهم وكفرهم المغلظ تراهم يتظاهرون بالشهادتين وقيام الصلاة أحياناً

وفي المناسبات نفاقاً وتضليلاً لشعوبهم التي تطالب بالرجوع إلى الدين !!..

ولا يترددون في المناسبات العامة أن يعلنوا أنهم مسلمون .. وربما بعضهم يزعم أن نسبه ينتهي

للسول ﷺ، ولأهل البيت، فهذا كله من مقتضيات سياسة الشعوب الضالة والتائهة التي يرضيها من

الإسلام مجرد الزعم، أو الركيعات التي تنم عن إسلام صاحبها .. وهذا وجه آخر من أوجه النفاق

والزندقة.

ومنها: أن هؤلاء الطواغيت . رغم كفرهم المغلظ . لا يقبلون من أحدٍ أن يصفهم بالكفر والمروق

من الدين، فهم قد يهون عليهم كل حكم أو إطلاق يُقال بهم إلا حكم الكفر لا يطبقون أن يسمعوه من

أحد إلا فتكوا به وأنزلوا به جم طغيانهم وجبروتهم !!

هذه بعض صور كفرهم وإجرامهم .. فتأمل !!

¹ كثير من طواغيت الحكم المعاصرين تنص دساتيرهم وقوانينهم التي يجب على شعوبهم احترامها والتحاكم إليها على

أن "الطاغوت فوق المسألة .. ولا يُسأل عما يفعل"، والذي لا يُسأل عما يفعل هو الله تعالى وحده .. فتأمل كيف

يتقمصون خصائص الإلهية وصفاته من دون أدنى خجل أو حياء !!..

فهو قد يقبل منك أن تحاوره في أي شيء .. أو يسمع منك أي شيء .. إلا مسألة أنه كافر ويجب عليه أن يتوب ويصطلح مع الله والأمة .. فهو لا يقبلها من أحد، ولو قيلت له تراه تأخذ العزة بالإثم وسرعان ما يُعلن أنه مسلم قبل المسلمين .. وهو أبو الإسلام وخادمه وحارسه .. فلا يُسمح لأحد أن يُزاد عليه أو يعلمه الدين والإسلام !!

وهذه هي الزندقة بعينها .. ولأجلها حكمنا عليهم أنهم من زنادقة العصر التي ابتليت بهم وبشرهم هذه الأمة .. يطالهم حكم الزنديق ووصفه، واسمه.

فهم توفرت فيهم جميع عناصر الزندقة: اعتقاد الكفر .. وإظهاره والدعوة إليه، مع إظهار الإسلام بحسب ما تقتضيه الحاجة والموقف .. وجحود الكفر وأنهم كفروا إذا ما استتيبوا أو نوقشوا ما هم عليه من كفرٍ ومروقٍ !!..

فهذه معايير ومقاييس الزندقة، وهذه هي عناصرها .. وأيما فرد أو جماعة تتصف بهذه المعايير والمقاييس فحكم الزندقة واسمها يطالهم مباشرة ولا بد.

فإن قيل من طواغيت العصر من لا تجتمع فيه جميع عناصر الزندقة المذكورة أعلاه .. فما يكون حكمهم حينئذٍ ..؟

أقول: لكفرهم المغلظ والمركب . والذي تقدم ذكر بعضه . فهم لا يخرجون عن أحد الوصفين والحكمين التاليين: إما الزندقة وقد علم .. وإما الردة المغلظة .. وكلاهما أسوأ من بعضهما البعض.

ثالثاً: غلاة الشيعة الروافض.

ومما يدخل في زنادقة العصر وحكمهم غلاة الشيعة الروافض كالنصيرية، والدروز، والإسماعيلية وغيرهم من الغلاة الذين عُرفوا بتأليه المخلوق، وقولهم بألوهية علي بن أبي طالب ﷺ وجحود الواجبات والفرائض الدينية، واستحلال المحرمات، وإنكار البعث والنشور، والحساب والجزاء وغير ذلك من الكفر البواح الذي يقولون به ويدعون له ..

فجعلوا للدين ونصوصه تأويلات ورموز باطنية تتفق مع طقوسهم وجحودهم وكفرهم، لذلك يُسمون أحياناً بالباطنية لاعتقادهم أن الدين له باطن يختلف عن ظاهره لم يهتد إليه أحد غيرهم !!..

وبنفس الوقت تراهم ينتسبون إلى الإسلام بتظاهرهم بالشهادتين لو طلبت منهم تقيّة من سيوف الحق أن تُسلط عليهم !!

ولو أردت أن تستتيعهم سرعان ما ينكرون كفرهم ومروقهم من الدين ويجحدون ما هو معلوم عنهم من الكفر لخاصة الناس وعامتهم .. وربما جحدوا اسم الطائفة التي ينتسبون إليها خوفاً وتقيّةً .. وينطقون بالشهادتين، ويقرون بأنهم مسلمون، لا يوجد عندهم من الكفر ما يستدعي توبتهم أو استتابتهم!!

وهؤلاء من أكثر الناس دخولاً في الزنادقة حكماً، واسماً، ووصفاً، وقد أفاض الحديث عنهم وعن معتقداتهم أهل العلم في كتب الفرق والملل والنحل ما يُغني عن التوسع في الحديث عنهم في هذا الموضوع. وهم لهم وجودهم الظاهر في كثير من الأمصار وبخاصة منها بلاد الشام كسورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن، .. فكانوا يحكم بوجودهم في تلك المنطقة الحساسة أكبر معينٍ على قيام دولة اليهود في فلسطين، ولا يزالون إلى الساعة يلعبون دور الخيانة والعمالة الذي يُملئ عليهم من أسيادهم وحلفائهم أحبار يهود !!

. مقتطفات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في زنادقة الشيعة الروافض:

قال رحمه الله في كتابه منهاج السنة: فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من باهم دخلوا . أي من باب التشيع . وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا، واستولوا بهم على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال وسفكوا الدم الحرام، وجرى على الأمة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا ما لا يعلمه إلا رب العالمين.

ودخل في الرافضة من الزنادقة المنافقين: الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم ممن لم يجترئ أن يدخل عسكر الخوارج .. وبهم . أي الرافضة . تسَّرت الزنادقة كالغالية من النصيرية وغيرهم، ومن القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم، فهم منشأ كل فتنة .. ولهذا تجد الشيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدين؛ كبني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب، ويقولون إنهم كانوا مظلومين، كما ذكر صاحب هذا الكتاب . أي منهاج الشيعة !. وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسي، ومنهم من يقول: اللهم ارض عن

أبي لؤلؤة واحشرنى معه، ومنهم من يقول فى بعض ما يفعله من محاربتهم: واثارات أبى لؤلؤة! كما يفعلونه فى الصورة التى يقدرّون فيها صورة عمر من الجبس وغير .. وأبو لؤلؤة كافر باتفاق أهل الإسلام كان مجوسياً من عباد أهل النار..

وضلت طوائف كثيرة من الإسماعيلية والنصيرية، وغيرهم من الزنادقة الملاحدة المنافقين وكان مبدأ ضلالهم تصديق الرفضية فى أكاذيبهم التى يذكرونها فى تفسير القرآن والحديث، كأئمة العبيديين عندما يقيمون مبدأ دعوتهم بالأكاذيب التى اختلقها الرفضية، ليستجيب لهم بذلك الشيعة الضلال، ثم ينقلون الرجل من القدح فى الصحابة إلى القدح فى علي، ثم فى النبي ﷺ، ثم فى الإلهية، كما رتبته لهم صاحب البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم، ولهذا كان الرفض أعظم باب ودهليز إلى الكفر والإلحاد.

والعلماء دائماً يذكرون أن الذى ابتدع الرفض كان زنديقاً ملحداً مقصوده إفساد دين الإسلام، ولهذا صار الرفض مأوى الزنادقة الملحدين من الغالية المعطلة، كالنصيرية والإسماعيلية ونحوهم .. فالذى ابتدع الرفض كان مقصوده إفساد دين الإسلام، ونقض عراه، وقلعه بعروشه آخرأ .. وهذا معروف عن ابن سبأ وأتباعه، وهو الذى ابتدع النص فى علي، وابتدع أنه معصوم، فالرفضية الإمامية هم أتباع المرتدين، وغلمان الملحدين، وورثة المنافقين، لم يكونوا أعيان المرتدين الملحدين ..!

ولهذا ما زال أهل العلم يقولون: إن الرفض من إحداث الزنادقة الملاحدة، الذين قصدوا إفساد الدين: دين الإسلام، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فإن منتهى أمرهم تكفير علي وأهل بيته، بعد أن كفروا الصحابة والجمهور!

ولهذا كان صاحب دعوى الباطنية الملاحدة رتب دعوته مراتب: أول ما يدعو المستجيب إلى التشيع، ثم إذا طمع فيه قال له: عليّ مثل الناس، ودعاه إلى القدح فى علي أيضاً، ثم إذا طمع فيه دعاه إلى القدح فى الرسول ﷺ، ثم إذا طمع فيه دعاه إلى إنكار الصانع. هكذا ترتب كتابهم الذى يسمونه "البلاغ الأكبر" و"الناموس الأعظم" وواضعه الذى أرسل به إلى القرمطي الخارج بالبحرين لما استولى على مكة، وقتلوا الحجاج، وأخذوا الحجر الأسود، واستحلوا المحارم، وأسقطوا الفرائض، وسيرتهم مشهورة عند أهل العلم .. ولهذا كانت الزنادقة الذين قصدهم إفساد الإسلام يأمرّون بإظهار التشيع، والدخول إلى مقاصدهم عن طريق الشيعة .. انتهى.

رابعاً: غلاة أهل الكلام والفلسفة.

أهل الكلم هم الذين يخوضون في الإلهيات والنبوات، والغيبيات بعيداً عن هدي الكتاب والسنة.

معتمدين في ذلك على عقولهم وأهوائهم وخيالاتهم، وظنونهم، وفلسفتهم !!..

وغلاة أهل الكلام . كما نقل أهل العلم عنهم . هم الذين بلغ بهم انحرافهم وكفرهم أن جحدوا

النبوات، والبعث، والنشور والحساب، والجنة والنار، وخاضوا بذات الله ﷻ وصفاته، فأثبتوا له

صفات لا تصح ولم تثبت، ونفوا عنه صفات ثابتة بالكتاب والسنة، مفادها إنكار وجود ذات الله

ﷻ وصفاته (1) !!

قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل

بالكلام هو العلم⁽²⁾، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام، قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة..

وعنه أيضاً أنه قال: من طلب العلم بالكلام تزندق .. اهـ. أي اعتقد عقائد أدت به إلى الزندقة.

وإلى أن يكون زنديقاً !!

وسبب كون غلاة المتكلمين والفلاسفة . ممن ينتسبون للقبلة . زنادقة، هو أنهم يأتون بالمقاييس

والصفات التي تلحق بهم وصف الزنديق وحكمه واسمه ..

فهم من جهة يعتقدون الكفر ويدعون له، ويُعرفون بذلك .. ومن جهة ينسبون أنفسهم للإسلام

وبخاصة عندما يحصل الكلام على مدى صدق انتمائهم لهذا الدين .. ومن جهة ثالثة تراهم يجحدون

كفرهم ومروقهم من الدين إذا ما رُموا بالكفر أو الزندقة، أو استتيبوا، ويدافعون عن أنفسهم أنهم على

الإسلام الصحيح، وما سواهم فهو على الباطل !!..

لأجل ذلك كله أدرجناهم في قائمة زنادقة العصر، الذين يأخذون اسم ووصف وحكم الزنديق ..

فإن قيل: هؤلاء بالنسبة لنا تاريخ .. لا داعي للاكتراث بهم، أو التحذير منهم !!..!

¹ انظر إن شئت كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول. وكتاب درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

² مراده أن من اعتقد صحة علم الكلام فهو عين الجهل، ومن اعتقد بطلان علم الكلام وعدم صحته، ولم يلتفت إليه فهو في حقه علم نافع .. انظر إن شئت تهذيبنا لشرح العقيدة الطحاوية: 21.

أقول: بل فكر هؤلاء الزنادقة من الفلاسفة هو الذي يدرس في كثير من جامعاتنا المعاصرة اليوم،

وظلابنا يتلقونه من أساتذتهم من دون أن يميزوا الحق منه من الباطل !!

إضافة إلى ذلك فإن كثيراً من الدعاة المعاصرين . على تفاوت فيما بينهم . من تأثر بعلم أهل الكلام

والفلسفة، يقول بأرائهم، ويتلفظ بمصطلحاتهم وعباراتهم .. فضلوا وأضلوا !!

لذا فقد تعين التحذير، والتنبيه، والبيان .. والله المستعان.

خامساً: غلاة الصوفية.

وهم الذين يقولون بالحلول ووحدة الوجود؛ أي أن الخالق سُبْحَانَهُ حال في خلقه متحد معه فالخلق

والخالق شيء واحد، كما يقول بعضهم عن نفسه: ما في الجبة إلا الله .. أي هو الله، والله هو..!

وكما يقول الزنديق ابن عربي في فتوحاته المكية:

فإني بالغني وأنا أساعده وأسعده

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

أي هو العبد والرب معاً، فمن منهم يعبد من ..؟!!

ويقول: فعين الخلق عين الحق فلا تنكر فإن الكون عينه

ويقول بعضهم:

تكثر الأشياء والكل واحد صفات وذات ضمناً في هوية

فأنت أنا لا بل أنا أنت وحدة منزهة عن كل غير وشركة

ومن قولهم كذلك:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

أي إن نظرت إليهم فأنت في حقيقة أمرك ترى الله فيهم؛ لأن الله قد حل بهم، وهم حلوا به،

فكلاهما شيء واحد ..!!

وهذا مما حملهم على القول بسقوط التكاليف الشرعية، وبسقوط الواجبات والفرائض الدينية

عنهم، فهم والله شيء واحد، لا حاجة لهم للعبادة .. فمن منهم يعبد الآخر...!!

كما يقول قائلهم:

العبد ربُّ والرَّبُّ عبْدٌ يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ربُّ أو قلت رب فأنيُّ يكلف

ومن غلوهم قولهم: أن للدين ونصوصه باطناً لا يعرفه إلا العارفون منهم .. فيحملهم ذلك على

تفسير الدين ونصوصه تفسيراً باطنياً أشبه بتفسيرات الباطنيين الغلاة من القرامطة وغيرهم...!!

وزعمهم كذلك أنهم يتلقون العلوم عن الله مباشرة، فلا حاجة لهم للكتاب والسنة، ولا إلى ما هو

مسود على الورق .. وإن سألت أحدهم الدليل عن شيء مما يقوله، قال لك: حدثني قلبي عن ربي...!!؟

فمصادر التلقي عندهم الوجد والكشف، والذوق .. وليس الكتاب والسنة !!

وهؤلاء لا شك في كفرهم وزندقتهم، ومروقهم من الدين ..

أما كونهم من الزنادقة . وهذا الذي يهمننا بيانه في هذا البحث . فذلك للأسباب التالية:

أولاً، فهم إضافة إلى كفرهم ومروقهم من الدين حريصون على أن يُظهروا من التنسك والتزهد

ما يدل على إسلامهم...!!

ثانياً، حرصهم على أن لا يُعرف عنهم هذا الكفر وهذه الزندقة لعامة الناس .. لأنه علم لا طاقة

لهم به .. ولا يشون به إلا للخوادم منهم الذين بلغوا درجة الوصول أو اليقين...!!

ثالثاً، إن فاتحتهم بما يصدر عنهم من كفر وزندقة جحدوا وأنكروا كل ما يُنسب إليهم من كفر..

والتجأوا إلى المراوغة والتأويل الباطني لعباراتهم وأقوالهم .. ورموك بالجهل بأنك أنت لم تفهم مرادهم

وقصدهم...!!؟

ولو حملتهم على الاستتابة من كفرهم سخرؤا منك وقالوا لك: نحن مسلمون أكثر منك، نعلم

ملا تعلم .. فمما تستتينا، ولم تستتينا...!!؟

لأجل ذلك فهم زنادقة ولجؤا الزندقة من جميع أبوابها .. يُحمل عليهم . ولا بد . وصف، واسم،

وحكم الزندقة .. ويلحق بهم تبعاته في الدنيا والآخرة.

أما عن سبب إدراجهم في زنادقة العصر، ولمّ هم من زنادقة العصر.. فهو لانتشارهم الواسع في جميع أمصار المسلمين، حتى لا تكاد تخلو بلد من البلدان إلا وفيها طريقة من طرق الصوفية، وجماعة منهم يدعون إلى شذوذاتهم وبدعهم، وخرافاتهم⁽¹⁾.

وبعد، هذه الأصناف الخمسة من الزنادقة هم أخطر وأبرز زنادقة العصر التي ابتليت بهم الأمة .. أشرنا إليهم في هذا البحث لتحذيرهم . يا عبد الله . على دينك ونفسك وأهلك، وتحذر أفكارهم، وبدعهم وشروورهم، وتحذّر الآخرين منهم ومن كفرهم.

أشرنا إليهم . إبراءً للذمة . من باب النصيح للأمة ولجميع للمؤمنين .. خاصتهم وعامتهم.

اللهم إني قد بلغت .. اللهم فاشهد.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1421/06/21 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2000/09/20 م

¹ مما يلفت النظر هذه المصاححة والعلاقة الحميمة بين فرق الصوفية . على اختلاف طرقها ومذاهبها . وبين طواغيت الحكم والإجرام .. وما ذلك إلا لأن طواغيت الحكم يرون فيهم المعين الكبير على تثبيت عروشهم وأنظمتهم الطاغية في الحكم .. فهم من جهة يصبغون على أنظمة الطواغيت الشرعية والقانونية التي يجب احترامها وعدم التعرض لها بسوء .. ومن جهة أخرى يصرفون الناس عن الاشتغال بالسياسة أو بواقعهم المنحرف الذي يحتاج للعلاج والتقويم، بحجة ضرورة الانصراف إلى التعبد والأذكار، والزهد ..!!

فالصوفية تعمل حقيقةً على تخدير الشعوب، وصرفها عن الجهاد والاجتهاد ..!

لأجل ذلك فالصوفية تلقى من طواغيت الحكم كل رعاية وعناية وحماية .. حتى أن بعض هذه الأنظمة الطاغية تجعل محاربة الصوفية هي محاربة لأنظمتها، وأركان حكمها .. لما في زعزعة الصوفية من زعزعة حقيقية لنظام الطاغوت وحكمه ..!!

فإذا عرفت ذلك لا تعجب لو سمعت عن طاغوت من الطواغيت . ملوث بدماء شعبه . يدخل في طريقة من الطرق الصوفية، ويذهب . بخشوع كخشوع إبليس . إلى شيخ الطريقة ليقبل يده ويأخذ منه وردة ..!!

فلسطين .. وكلاب الحراسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن ما يجري في فلسطين المسلمة في هذه الأيام من مجازر بحق المسلمين، واعتداءاتٍ على

المسجد الأقصى مسرى النبي ﷺ .. يؤكد على الحقائق التالية:

1- أن اليهود لا يريدون السلام، ولا يرغبون به .. ومن نادى منهم بالسلام، فهو يريد سلام الأسياد مع العبيد .. السلام الذي لا يعطي أصحاب الحق مما اغتصب منهم إلا الفتات والعظام المجردة عن لحومها وشحومها !!..

وهم كما قال تعالى عنهم في كتابه الكريم: ﴿إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ آل عمران: 75. أي ليس علينا في العرب حرجاً في ديننا لو انتهكنا حرمتهم، وغصبنا أموالهم وأرضهم !!..

ثم إذا كان أحدهم لا يؤدي إليك الدينار. وهو دينار. الذي لك عليه إلا بعد الإلحاح وتكرار المطالبة والملاحقة .. فكيف تراهم يؤدون لك . يا مسلم يا عبد الله . حقك في فلسطين .. وفلسطين فيها ما فيها من الخيرات والمقدسات !!؟..

2- أثبت اليهود أنهم لا يفهمون منطق الشجب والاستنكار .. وأنهم لا يتأثرون بذلك في شيء؛ فوراءهم الفيتو الأمريكي . الراعية للإرهاب العالمي والدولي . يتكئون عليه ضد أي قرار أو إدانة تقال فيهم .. وأنهم لا يفهمون إلا منطق القوة التي تزجرهم عن غيهم وطغيانهم وإجرامهم !!..

3- ما يجري في فلسطين .. يؤكد على حتمية الحل والخيار الجهادي، وأنه لا حلّ للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد في سبيل الله .. رضي من رضي، وخالف من خالف.

يدل على حتمية هذا الحل النصوص الشرعية العديدة الثابتة في الكتاب والسنة التي تأمر الأمة بالجهاد في سبيل الله تعالى إذا ما اعتدي على حقوقها وحرمتها .. والعقل السليم .. والواقع المعاش

والملموس .. فكلها تؤكد على حتمية هذا الخيار، وأنه ليس للأمة من خيار. إن أرادت أن تسترد الحقوق وأن تعيش بعزة وكرامة . سوى خيار الجهاد في سبيل الله.

4- هذه المظاهرات العارمة للشعوب المسلمة في جميع الأمصار التي خرجت إلى الشارع . رغم أنف الطواغيت . لتعبر عن رأيها واستنكارها لجرائم يهود، ورغبتها في مواصلة الجهاد ضد الصهاينة المغتصبين .. هو الاستفتاء الحقيقي الذي يعبر عن رغبة واختيار الأمة .. كما تدل على أن هذه التوقيعات التنازلية لأحاد الطواغيت . أو بعضهم . التي تحصل في المؤتمرات الرسمية وتحت الكواليس لا تمثل أمة ولا شعبا .. وهي لا تمثل في الحقيقة إلا أصحابها من الخونة العملاء .. !

5- هذا الموقف المتضامن الموحد لجميع المسلمين في العالم تجاه فلسطين، وتجاه ما يجري لأهلها الحقيقيين من تقتيل واعتداءات .. لهو تأكيد صريح على وجود حق ثابت لجميع المسلمين في فلسطين، لا يملك حاكم بعينه، ولا حزب، أو منظمة، أو أي جهة كانت الحق في أن تفاوض المغتصبين للحقوق بالنيابة عنهم، أو أن تحرمهم حقهم المشروع في فلسطين، وفي الدفاع عن فلسطين وأهلها، ومقدساتها ..! فلسطين . وقف إسلامي منذ أن فتحها المسلمون زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ليست ملك لعرفات الخائن .. ولا لحاكم من حكام العرب أو المسلمين .. بل هي ملك لجميع المسلمين في العالم !

6- ما يجري في فلسطين اليوم .. هو دليل من جملة الأدلة العديدة الدالة على خيانة وعمالة الحكام الطواغيت الذين يثبتون في كل مرة أنهم عبارة عن كلاب حراسة أوفياء لأمن وسلامة اليهود لا غير .. وأن وظيفتهم الأساسية من اعتلائهم سدة الحكم أن يمنعوا الشعوب من اختيار طريق الجهاد للعزة والتحرير، أو حتى أن يفكروا . مجرد تفكير . بكيفية استرداد الحقوق لأهلها من أيدي المغتصبين اليهود في فلسطين .. !!

وظيفتهم الأساسية من الحكم .. أن يشغلوا شعوبهم بالترف تارة، والمجون والفسق تارة أخرى، وفي البحث عن الكرامة والحرية ولقمة العيش تارة وتارة ...!!

فاليهود ما تجرؤوا على فعل ما يفعلونه الآن في هذه الأيام من مجازر وتقتيل، واعتداء على المسجد الأقصى؛ مسرى النبي صلى الله عليه وسلم .. إلا لعلمهم المسبق ويقينهم أن كلاب الحراسة في دول الطوق وغيرها

تحرسهم جيداً، وهي تعمل على مدار الساعة على كبح جماح الشعوب الغاضبة، وحراسة الثغور والمنافذ عبر الحدود .. واغتيال كل من يُحاول العبور للجهاد !!

لذا نقول بكل وضوح وصراحة للصهاينة المغتصبين: أنتم لم تهزموا العرب .. فضلاً عن أنكم هزمتهم المسلمين .. أنتم هزمتهم عملاءكم الخونة .. هزمتهم كلاب الحراسة الخاصة بكم في معارك وهمية هي أشبه بالمسرحيات الخيالية !!..

أنتم تنازلون الأطفال والنساء والشعب الأعزل من كل أسباب القوة المادية .. وبالتالي فإن انتصاراتكم على أطفال الحجارة لن يسجلها التاريخ لكم في عداد البطولات والأمجاد والانتصارات .. وإنما سيسجلها لكم في عداد الخسة والجبن وانعدام المروءة والرجولة !!

أنتم لم تنازلوا الأكفاء من أبناء العقيدة والتوحيد .. ويوم أن تنازلوهم . وأنتم أجبن من ذلك . سوف ترون حقيقة النزال والقتال .. وكيف أنكم تولُّنَّ الأدبار !!

7- ما يجري في فلسطين اليوم .. يؤكد كذلك أن هذه الجيوش في البلاد العربية وغيرها من البلدان التي تسمى نفسها إسلامية .. لم تُصنع لحماية الأمة من أعدائها .. لم تُصنع من أجل حماية الديار من الأخطار .. لم تُصنع من أجل رسالة أو هدف نبيل عظيم .. وإنما صُنعت من أجل حماية عروش الطواغيت من أي خطر يهددها .. صُنعت لتأديب وإذلال الشعوب كلما فكرت هذه الشعوب بالتمرد على الطواغيت والقيود الثقيلة التي قيدوا بها، أو أرادت أن تقول كلمتها بحرية في أي شيء من شؤون الأمة العامة أو الخاصة !!..

صُنعت هذه الجيوش لحماية مكاسب الطواغيت الخاصة، وحراسة سياستها العامة التي تصب في خدمة أعداء الأمة الخارجيين من اليهود والنصارى !!..

صُنعت هذه الجيوش لإذلال الأمة وقهرها .. وحرمانها من أن تعيش دينها وعقيدتها، أو أن تدافع عن حقوقها وحرمانها !!..

ما الفرق بين الجندي اليهودي في فلسطين المحتلة الذي يضرب المتظاهرين الفلسطينيين بعصاته الغليظة .. وبين الجندي العربي الذي يضرب المتظاهرين العرب في البلدان العربية الأخرى . الذين يريدون أن يعبروا عن تأييدهم لإخوانهم في فلسطين . بنفس العصاة الغليظة، وبنفس القساوة وأشد !!..

ما الفرق بين الجندي الإسرائيلي الذي يُطلق النار على المتظاهرين .. وبين الجندي العربي الذي يُطلق نفس الرصاص وأشد منه لكن على أهله وأبنائه تنفيذاً لأوامر ورغبات طواغيت الحكم الظالمين..!!؟

انظروا عدد المعتقلين العرب في سجون اليهود الصهاينة، وكيف يُعاملوا .. وعدد الشباب المسلم المعتقل في سجون كثير من الأنظمة العربية الحاكمة . كسوريا ومصر وليبيا وتونس مثلاً. وكيف يُعاملوا .. لتدركوا الفارق ومن ثم الدور الكبير الذي تلعبه هذه الأنظمة في إذلال وقهر الشعوب ..!! وهل أذل الأمة وأوصلها إلى هذا الموصل المهين إلا هذا الجندي العربي الذي رضي . مقابل راتب زهيد يُعطاه . أن يجند نفسه لخدمة الطاغوت وخدمة سياساته الظالمة ..!!

هذا الجندي الظالم الذي يُستخدم كأداة طيعة بأيدي الطواغيت .. اذهب فيذهب .. اقتل فيقتل .. اسجن فيسجن .. اجلد فيجلد .. اغتصب النساء فيغتصب .. كأنه مسلوب الإرادة لا خيار له إلا فيما يصب في خدمة وتنفيذ أوامر الطواغيت فتراه كله نشاطاً وحيوية .. وإن سألته يقول لك من غير تردد أو حياء: عبد مأمور ..!!؟

أقبح منظر يراه المواطن العربي منظر الجندي العربي وهو يرتدي ثيابه العسكرية .. فهو يذكره بالذل والهزيمة، والظلم، والطغيان، والقهر، والعبودية، وكل معاني السوء والفجور ..!! هذا الجندي .. أو الشرطي هو المعني من قوله ﷺ: "سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله"⁽¹⁾. فهم كيفما اتجهوا أو تحركوا فإنهم يتقلبون في غضب الله وسخطه، لأنهم لا يتحركون إلا فيما فيه خدمة وطاعة للطاغوت .. نعوذ بالله تعالى من غضبه وسخطه.

وعليه لا نُحايد الحق والصواب لو قلنا: أن هذه الجيوش هي جيوش كفرية باطلة لا خير فيها لشعوبها ولا لأمتها .. فقدت المبرر والشرعية من وجودها ..!

وبالتالي لا يجوز الانضمام إليها، أو تكثير سوادها، أو القتال معها .. ومن كان مجنداً فيها يجب عليه . إن استطاع . الانسحاب منها، ومن الخدمة فيها إن كان فيه بقية حياء، أو بقية رجولة أو غيره على دين، أو عرض، أو أرض ..!!

¹ أخرجه الطبراني، والحاكم، صحيح الجامع: 3666.

8- هذا القلق المتزايد لدول الغرب وبخاصة منها أمريكا تجاه الأحداث الجارية في فلسطين وتجاه تهدئة الأمور فيها، ليس هو من قبيل التعاطف الصادق مع العرب أو الفلسطينيين .. وإنما هو لأسباب: **منها:** الخوف من الصيحات المتكاثرة للشعوب المقهورة التي تنادي وتطالب بالجهاد في سبيل الله .. من أن تأخذ طريقها إلى الواقع والوجود والتنفيذ .. فيحصل ما كانوا يكرهونه ويخافونه، ويحذرونه أشد الحذر..!

ومنها: خوفهم من أن تتطور الأحداث إلى حدٍ تخرج فيه عن سيطرة كلاب الحراسة الأوفياء في المنطقة، وبخاصة في بلاد الطوق المحيطة بفلسطين .. فيتسع عليهم الخرق، ويصعب الترقيع ..! **ومنها:** أن تطور الأحداث في المنطقة قد تؤثر سلباً على صادرات البترول العربي الذي يُهب بأسعارٍ زهيدة إلى أسواق الأسياد في بلاد الغرب .. وهذا ما لا يريدونه أن يحصل أو أن يقع ..! لأجل هذه الأسباب وغيرها هم يريدون الأمور أن تهدأ، وأن تعود أطراف الخيانة والعمالة إلى طاولات المفاوضات والبيع الرخيص من جديد ..!

وبعد، فإننا نقول للعالم أجمع، وبخاصة منهم سماسرة البيع والمفاوضات: وفروا جهودكم وطاقتكم، فإن الصراع مع اليهود الصهاينة في فلسطين مستمر وسيظل مستمراً .. لن توقفه التوقيعات الخائنة الرخيصة التي لا تمثل إلا أصحابها .. ولا سيات وسجون وإرهاب كلاب الصيد والحراسة ..! هذه الأمة أمة البذل والعطاء .. لن ينضب منها الخير، ولن تحرم أرحام الأمهات فيها من أن تدفع بالأبطال المجاهدين الذين يستعملهم الله تعالى في نصرته دينه وإعلاء كلمته .. هذه الأمة قد عصمها الله تعالى من أن تجتمع على ضلالة أو خيانة .. فالخير فيها باقٍ وموجود وإلى قيام الساعة، كما في الحديث الصحيح: "لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة".

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوهم حتى يُقاتل آخرهم المسيح الدجال". مسيح الدجال إله اليهود المنتظر..!

فالصراع مع اليهود الصهاينة . يا قوم . باقٍ لن يتوقف، ولن ينتهي إلا بعد أن يُنطق الله الحجر والشجر فيقول: يا مسلم، يا عبد الله . وليس يا عربي أو يا فلسطيني . ورائي يهودي تعال فاقتله .. كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

وهذا كائن لا محالة، وما ذلك ببعيدٍ إن شاء الله .. ولتعلمنَّ نبأه ولو بعد حين.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصِرُ مَنْ يُشَاءُ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبها نصره للشعب المسلم الأعزل في فلسطين

ولأطفال الحجارة الأبطال

عبد المنعم مصطفى حليلة

1421/07/15 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2000/10/13 م

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد، من أعظم ما ابتليت به الأمة في هذا الزمان هذه الجيوش والعساكر المنتشرة في أقطارها المختلفة .. فهي ظاهرة مرضية عامة ومشكلة كبيرة، ومدار جدال واسع وكبير بين قطاع الشباب حول مدى شرعية هذه الجيوش .. ومع ذلك فالمسألة لم تخضع للدراسة والبحث والإفتاء من قبل فقهاء العصر..!!

فقد قلبت ما صُنّف في كتب النوازل وغيرها من الكتب التي تحتوي على مجموع فتاوى المعاصرين، فلم أجد كلاماً شافياً ولا غير شافٍ في المسألة، وكأن هذه الجيوش من الأمور المسلمات . كالظاهر المطهر. لا يجوز أن يُقال فيها قولاً فضلاً عن أن يُشكك بها أو تناقش أحوالها وعدالتها ويُبين حكم الله فيها..!!

قد تناول القوم كل شاردة وواردة، ولم يدعوا فرعية إلا وغاصوا فيها وتكلموا عنها، وفرعوا لها فروعاً أخرى وأجابوا عنها .. إلا هذه الجيوش الجائمة على صدر الأمة ظلماً وزوراً فلم يأتوا على ذكرها في شيء، ولم يبينوا حكم الله فيها، ولا حكم من يلتحق بها .. فهي عما يبدو. لصريح إيمانها وإسلامها . لا تستحق منهم البحث ولا البيان أو النقاش !!

تركوا المسائل الهامة العامة .. وأقبلوا . رهبة أو رغبة . على بحث مسائل يقل نفعها إذا لم يكن نفعها معدوماً ..!

وأحسنهم الذي إذا سئل عن هذه الجيوش تراه يعرض عن الإجابة، ويلوي حنكه وخصره وكأنه غير معني من السؤال ليصرف السائل عن سؤاله ومقصده ..!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

بل وجدنا من هؤلاء الفقهاء من جند نفسه وجند أبناءه في هذه الجيوش، وجعلوا من أنفسهم

وعلمهم بوقاً دعائياً يذودون به عنها .. وكأنهم في جيوش الصحابة الأوائل !!

وفي المقابل رموا كل من خالفهم أو قال قولاً مغايراً لقولهم في هذه الجيوش الظالمة بأنه من

الغلاة .. وأنه غير وطني، أو خائن للوطن والشرف العسكري !!..

والذي يهمننا من الإشارة إلى هذا التقصير والتفريط المخل أن نستحث همم الباحثين والفقهاء

على أن يؤدوا أمانة العلم الملقاة على عاتقهم، وأن يقوموا بدورهم الصحيح في بيان حال وحكم هذه

الجيوش المعاصرة، نصحاً للأمة وإبراءً للذمة .. فالعلم له ضريبة . والله تعالى سائلهم عنها . لا بد من

أدائها بسخاء وطيب نفس، وضربته بيانه وعدم كتمانها، والصدع بالحق في وجوه الطغاة الظالمين.

ضريبة العلم .. تكمن في إخلاص النصح للأمة وعدم غشها أو الكذب عليها !!

ضريبة العلم .. أن لا يوقع أهله عن رب العالمين من فتاوى وأحكام إلا فيما يرضي رب العالمين ﷻ.

ضريبة العلم .. أن يصونه أهله عن الذل والتمرغ على عتبات الطاغوت يستجدونه العطاء

والفتات !!..

ضريبة العلم .. أن لا يخشى أهله في الله لومة لائم .. فمهابة الظالمين في الحق لا يؤخر أجلاً ولا

يمنع رزقاً، كما في الحديث: "لا يمنعن رجلاً هيبته الناس أن يقول بحق إذا علمه، فإنه لا يقرب من أجلٍ

ولا يُبعد من رزقٍ" (1).

ومما يجعل الحاجة ماسة لبحث المسألة . إضافة لما تقدم . أن كثيراً من أبنائنا وشبابنا يذهبون

للجندية في هذه الجيوش الأثمة الطاغية طواعية من تلقاء أنفسهم مقابل رواتب زهيدة يُعطونها .. ظناً

منهم أنهم بذلك يفعلون خيراً، أو يكتسبون صفات المجاهد في سبيل الله، ولهم أجره وثوابه !!..

لذا فقد تعين البحث والبيان .. لهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة، متكئين على

الله تعالى، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

¹ أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 491.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

وقبل أن نبين حكم الشرع في هذه الجيوش، وحكم القائمين عليها من الطواغيت، وفيمن يلتحق بها من الجند والعسكر لا بد أولاً من توصيفها وبيان حالها ومهامها وغاياتها التي صُنعت وأُسست لأجلها..

فأقول: لم يخرج المستعمر الصليبي من بلاد المسلمين إلا بعد أن أوجد الحكام والأنظمة التي يرضى عنها وتحقق له مصالحه وأهدافه في المنطقة، وأي حاكم يأتي فيما بعد لا بد من مراعاته لمدى رضى أمريكا ودول الغرب عليه، فإن حظي على الموافقة منهم وعلى رضاهم عنه فقد اجتاز المرحلة الأصعب نحو الوصول إلى سدة الحكم واعتلاء العرش، وناله من القوم كل دعم مادي وسياسي وإعلامي(1)!!

ورضى أمريكا ودول الغرب الصليبي على أي حاكم مشروط بعدة شروط:

أولها: أن يتعهد لهم أن يقف بحزم وقوة ضد أي توجه أو عمل إسلامي راشد يستهدف استئناف حياة إسلامية على المستوى القطر أو الأمة .. وأن يُحيل بين الشعوب المقهورة وبين هدفهم هذا، وبأي طريقة من الطرق .. !!

¹ على سبيل المثال . والأمثلة كثيرة . ما حصل مؤخراً في الأردن؛ فإن العالم والناس أجمع يعلمون ويتوقعون أن يكون ولي العهد بدلاً عن الملك حسين أخوه الحسن، حيث ظل أكثر من ثلاثين سنة وهم يخاطبونه بولي العهد، والأمير المحبوب .. ولكن لما كان ولده عبد الله الحاكم الحالي مرضي عنه من قبل أمريكا واليهود والغرب الصليبي أكثر من الآخر، ويمكن من خلاله تمرير المصالح الأمريكية واليهودية والغربية أكثر من الآخر، كان لا بد من اختياره ملكاً وحاكماً على البلاد والعباد، وإخراج ولي العهد السابق كلياً من دائرة الحكم أو التأثير على القرار .. علماً أن الأول لا يحق له من ناحية دستورهم وقوانينهم أن يكون ملكاً لأن أمه إنكليزية .. ولكن لما تصطدم هذه الدساتير والقوانين . في مرحلة من المراحل . مع مصالح أمريكا والصهاينة وغيرهم من قوى الاستكبار العالمي فإنه يسهل تغيير تلك الدساتير والقوانين إلى دساتير وقوانين أكثر تلائماً وانسجاماً مع مصالحهم وأهدافهم !!

ولما علم الآخر بالموقف الأمريكي والصهيوني والغربي هذا نحوه، فما كان منه إلا أن يرضى ويُسلم للإرادة الدولية من دون أن يقول حتى كلمة اعتراض أو لماذا؛ لعلمه باللعبة الدولية، وأن أي حاكم في المنطقة لا بد أولاً من أن تتم الموافقة عليه من تلك السلطات الاستعمارية المنتفذة في العالم !!

وهو نفسه لو وافقت عليه أمريكا ودول الغرب الصليبي .. ثم أن الشعب الأردني كله قال له: أمّا نحن لا نريدك حاكماً علينا .. لما تردد لحظةً في أن يبيدهم بآلته العسكرية المعدة مسبقاً لمثل هذه الطوارئ والحالات !!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

ثانياً: أن يضمن مصالحهم الاستعمارية في المنطقة، ويعمل على حمايتها وحراستها .. وإن كان ذلك تحت عناوين براءة مستساغة للشعوب المقهورة، كشركات الاستثمار .. والحاجة إلى الخبرات والطاقت الأجنبية .. أو المصالح المشتركة .. أو ضرورة التنقيب عن البترول .. وغير ذلك من الاطلاقات التي تمرر مثل هذه المصالح الأجنبية في المنطقة !!

ثالثاً: أن يعترف بدولة إسرائيل، وبضرورة السلام مع المغتصبين المحتلين الصهاينة .. السلام الذي يُعطي أصحاب الحقوق الفُتات والعظام المجردة عن لحومها وعظامها مما اغتصب ونهب منهم .. لذلك نجد جميع حكام العرب وغيرهم يصرحون على الملأ بأن السلام مع الصهاينة المحتلين خيار استراتيجي لا محيد لهم عنه، مهما حادت عنه دولة إسرائيل واختارت الحرب والقتل والقتال، وارتكبت من المجازر بحق الشعب الفلسطيني المسلم !!..

فهو خيار استراتيجي لهم لأنه لا بقاء لعروشهم ومصالحهم الذاتية الشخصية إلا بالموافقة على هذا الخيار .. وهؤلاء الحكام لو كانوا من دعاة السلام بحق لسالموا شعوبهم أولاً، ولأخرجوا شباب الأمة الأحرار من سجونهم الظالمة التي تكتظ بالآلاف من الشباب المسلم !!..

رابعاً: أن ينهج الطريق الديمقراطي . دين الغرب . لما تحقق لهم الديمقراطية في المنطقة من مآرب ومصالح عديدة .. لكن إذا جاءت هذه الديمقراطية معارضة للنقاط الثلاثة الأنفة الذكر أو لشيء منها، فهم يسمحون له أن يتحول إلى ديكتاتوري، وإلى وحش كاسر ضد شعبه وأمتة، ولا حرج عليه في ذلك البتة⁽¹⁾ .. !!

هذه أهم الشروط التي يجب على الحاكم أن يوافق عليها لكي ترضى عنه أمريكا ودول الغرب، ولكي يحظى على موافقتهم وتأييدهم !!..

ولما كان الأمر كذلك فإن طواغيت الحكم منذ سقوط الخلافة العثمانية وإلى يومنا هذا يعملون بكل همة ونشاط على تشكيل المؤسسات الحكومية التي تعينهم على تنفيذ تلك السياسات والمصالح

¹ كما حصل ويحصل في الجزائر، وتونس، ومصر، وتركيا وغيرها من الأمصار، انظر إن شئت كتابنا "حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية".

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

المشار إليها آنفاً، ومن أهم هذه المؤسسات التي عنيت باهتمامهم المؤسسة العسكرية؛ حيث عملوا جاهدين . ومنذ زمن . على تطهيرها من العناصر النظيفة المؤمنة، وعلى تشكيل الجيوش التي تعينهم على السير في تلك السياسة المرسومة لهم من قبل أعداء الأمة من دون مواجهة أي عقبة أو مشاكل !!
الجيوش التي تسهر على أمن وسلامة الطاغوت الحاكم، وأمن وسلامة سياساته الجائرة الداخلية والخارجية !!..

الجيوش التي لا تعرف غاية ولا همماً.. سوى خدمة الطاغوت، وخدمة مآربه وأهوائه وقوانينه !!..
لذا نجد أن العناصر الفاعلة لهذه الجيوش منتقاة انتقاء غريباً جداً وفق معايير ومواصفات عديدة منها: أن تكون هذه العناصر غير متدينة .. ليس عليها سمات التدين والالتزام، ولم يُعرف عنها التدين من قبل !!

ومنها: أن تكون غير أخلاقية ومن ذوي الاهتمامات الوضيعة التافهة؛ لا هم لهم إلا كيف يُشبعوا غرائزهم ونزواتهم وبأي طريقة كانت .. ولا حديث لهم إلا ما يدور حول البطن والفرج والشهوات .. !!
ومنها: أن تكون هذه العناصر من ذوي الولاء المطلق، والطاعة العمياء للحاكم والفئة الحاكمة المتنفذة .. ينفذون الأوامر مهما كانت جائزة أو تصب في غير صالح الأمة ومن دون أدنى تلوؤ أو تردد !!..
ينفذون الأوامر ولو كان مفادها سحق الشعوب وقتلها وإذلالها وسجنها .. فمرضاة الطاغوت عندهم أعلى وأسمى من الشعوب ومن الأمة برمتها !!..

ومنها: أن لا يُعرف عنهم أنهم من ذوي الثقافات الواسعة التي تعرفهم على خفايا وحقيقة وغايات هذه الأنظمة الطاغية الحاكمة .. فكلما كان الضابط أو العسكري جاهل بدينه وعقيدته وبالسياسة الدولية وبما يدور حوله وما يُحاك من مؤامرات ضد الأمة كلما كان أكثر قرباً من الطواغيت وأسرع في الارتقاء إلى الرتب العالية !!..

ومنها: أن لا يُعرف عنهم انتماؤهم لأي تجمع أو حزب لم يحظ على الرضى التام من النظام أو الطاغوت الحاكم !!..

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

ومنها: أن لا يُعرف عنهم أنهم من ذوي الرجولة والحمية والغيرة، أو أنهم من ذوي الهمم والاهتمامات العالية .. التي قد تحملهم يوماً من الأيام على الذود عن حرمة الأمة ومقدساتها والغضب لأجلها، وعلى العصيان والتمرد على الطاعة .. والخروج عن السياسة العامة التي رُسمت لهم ولحكامهم!! وأي ضابط أو عسكري يُعرف عنه شيء خلاف ما تقدم فإنه يُعرض للمساءلة والمحاسبة، وإلى عقوبة تتراوح بين الطرد أو السجن أو الإعدام .. بحسب درجة المخالفة ونوعها، وهذا أمر معروف للجميع لا خفاء فيه، ولظهوره لا يحتاج منا إلى استدلالٍ أو برهان !!

هذه أهم المقاييس والموازن المعتبرة عند القوم التي على أساسها يتم اختيار أو قبول الأفراد في جيوشهم أو رفضهم !!

. صفات هذه الجيوش العامة.

بعد أن عرفنا طريقة القوم في انتقاء عناصر الجيش وبخاصة منها العناصر القيادية المؤثرة كالضباط وغيرهم، لا بد من أن نتعرف على أبرز صفات هذه الجيوش التي تتكون من تلك الفئة من الناس المنتقاة حسب الموازين والمعايير التي وضعها وأرادها الطاغوت لهم.

فأقول: هذه الجيوش لا تحكم بما أنزل الله وإنما تحكم بشرائع الكفر والطغيان، كما أنها لا تلتزم بصوم ولا صلاة ولا حج، وإن وجد منهم بعض الأفراد من يؤدي هذه الفرائض فهو يؤديها بطريقة فردية .. وربما بعدها قد يخضع للمراقبة والمتابعة والمساءلة.

يكثر في هذه الجيوش من يشتم الله والدين والاستهزاء والطعن بالنبي محمد ﷺ من دون أن ينكر عليهم أحد، بينما لو تجرأ منهم من تكلم بكلمة نابية أو اعترض على الطاغوت الحاكم أو من هو دونه رتبة من الفئة المتنفذة الحاكمة فإنه يسجن ويُضرب ضرباً شديداً، وربما في بعض الجيوش يكون ذلك مبرراً لقتله وإعدامه !!..

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

لا يُعظمون شعائر الله ولا يعرفون لها الوقار ولا الاحترام .. بل هي مهانة ومُزدرأة وفي كثير من البلدان تحولت فيها المساجد إلى متاحف أثرية تستقبل السائحين العراة (1) !!

يبكون الأقصى الأسير مسرى النبي ﷺ بدموع التماسيح .. وبنفس الوقت هم أنفسهم ينتهكون حرمت بيوت الله تعالى لأتفه الأسباب .. ولا يتورعون لأدنى سبب أن يدخلوا المساجد بأحذيتهم النجسة ليروعوا من فيها من المصلين الأمنين (2) !!

هذه الجيوش فيها الكافر الأصلي كالنصارى وغيرهم وكثير من الكفرة المرتدين والزنادقة الملحدين، والكثير الكثير من الفسقة المجرمين .. لا يُفرون بين مؤمن وكافر أو مرتد، فكلهم يستوون في الولاء للحاكم ولأنظمة الجيوش الطاغية .. بل الكافر المجرم في نظرهم مقدم ومفضل على المؤمن النقي ولا مجال للمقارنة بينهما !!

يُعد الولاء والبراء في شخص الحاكم .. فيوالون من يواليه، ويعادون من يُعاديه، ويُقاتلون ويُسلمون فيه وعليه !!..

إن أمرهم أطاعوه وإن كان أمره فيه كفر ومعصية لله تعالى، وإن نهاهم انتهوا وإن كان في نهيه نهي عن طاعة وعبادة لله تعالى.

وإن أمرهم بقتل وسجن العباد امتثلوا لأمره لأنه صاحب الأمر والنهي الذي يجب أن يُطاع لذاته، بغض النظر هل هؤلاء الناس يستحقون القتل والسجن أم لا !!..

¹ هذه الصفات الأنفة الذكر تتفاوت الجيوش المعاصرة فيما بينها من حيث الاتصاف بها، فليسوا كلهم سواء في هذه الصفات وبنفس الدرجة .. لكن إن عُدت صفة في جيش من الجيوش توفرت فيه الأخرى، فكل جيش له ما يميزه من شارات الطغيان والكفر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

² على سبيل المثال لا الحصر ما قام به الجيش المغوار السوري من تدمير لمساجد مدينة حماه التي يزيد تعدادها عن المائة مسجد بعضها لها امتداد تاريخي حتى العهد الأموي، في مجزرة حماه المشهورة والتي ذبحوا فيها .بآلهم العسكرية .في ليلة واحدة ما يزيد عن عشرين ألف مسلم بينهم كثير من الأطفال والنساء، لا ذنب لهم سوى أنهم يقولون ربنا الله

!!!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

عسكر هذه الجيوش كالوحوش الضارية على من يقترب بسوء من سياج الطاغوت الحاكم ومن حكمه ونظامه .. بينما تراهم على أعداء الأمة الخارجيين رحماء كلهم وداعة ولطف ورحمة ولكن بجبنٍ وذلةٍ وخسة..!!

على الشعوب المقهورة كالأسود .. بينما في الحروب مع أعداء الأمة، وعلى الجهات كالنجاج والأرانب !

أين هذه الجيوش من قضايا الأمة المصيرية .. أين هي من قضية فلسطين المسلمة ..!!؟
هاهم الصهاينة اليهود في كل يوم يقومون بمجازر ضد أهاليها وأبنائها في فلسطين .. ينتمكون الحرمات .. ويدنسون المقدسات .. ويعتدون على المسجد الأقصى .. ويفعلون كل ما يحلو لهم ويريدون، وما تملي عليهم وساوسهم الشيطانية المدونة في بروتوكولاتهم وكتهم الصهيونية، ومن دون أن يحسبوا لهذه الجيوش أدنى حساب ..!!

فما هي ردة فعل هذه الجيوش المغورة .. فإنها محصورة بنسبته ونشجب، ونأسف .. نحن لا نريد الحرب .. نحن خيارنا هو خيار العقلاء وهو السلام .. السلام مع المعتصبين الصهاينة خيار استراتيجي لا محيد عنه .. قضية فلسطين لا يُمكن أن تُحسم عن طريق القوة أو الحروب .. وغير ذلك من الاطلاقات الجبانة والذليلة والعميلة !!؟

بل بعض هذه الجيوش كالجيش المصري، والجيش الأردني وغيرها من الجيوش قد أقامت علاقات دبلوماسية على مستوى السفراء، وسلاماً صريحاً مع دولة الصهاينة اليهود وقبل أن تُسترد الحقوق لأهلها وأصحابها، أو يأخذ الحق طريقه إلى معاقبة الصهاينة المجرمين سفاكي دماء الأبرياء ..!!؟

وإذا كان الأمر كما وصفنا فإنه يحق لنا ولغيرنا أن يسأل: لمن أعدت هذه الجيوش الجرارة .. ومن أجل من ولماذا تُشترى هذه الأسلحة الفتاكة . من مقدرات الأمة . بمليارات الدولارات لتكسب في مخازنها إلى أن تتعفن وتنتهي فعاليتها .. من المعني والمراد إرهابه من هذه الجيوش الجرارة .. !!؟؟

الجواب واضح لكل ذي لبٍ وفهم: هذه الجيوش لم تُعد من أجل أعداء الأمة .. وإنما من أجل قهر الشعوب وإذلالها .. من أجل إبادة أي حركة تمرد أو عصيان على سياسة الطواغيت الحاكمين .. !!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

فهي عصاة الطاغوت الغليظة يؤدب بها من يشاء ممن يخرج عن طاعته وعبادته أو سياسته وطريقته...!!

ولا نبتعد كثيراً عن الصواب لو قلنا أن هذه الجيوش أعدت لحماية وحراسة دولة اليهود .. فهم يعملون على مدار الساعة موظفين ككلاب حراسة أوفياء يحرسون حدود دولة إسرائيل من أي هجوم أو عمل فدائي يقوم به المجاهدون الأحرار...!

والويل كل الويل لهذه الجيوش الجبانة لو استطاع مجاهد أن يتسلل من بينهم إلى دولة الصهاينة اليهود .. حيث ترى جميع القوى العميلة الخائنة تستنفر بكل قواها كالكلاب المسعورة، يتوعدون ويمهدون من كان سبباً في هذه الخروقات الإرهابية .. ليؤكدوا من جديد للصهاينة المغتصبين أننا لا نزال نعمل بوفاء وإخلاص على ثغور دولتكم ككلاب حراسة وصيد على أكمل ما يكون العمل وتكون الحراسة!! هذا بما يخص فلسطين .. أما ما يخص موقف هذه الجيوش من بقية قضايا الأمة؛ كقضية المسلمين في البوسنة والهرسك، وقضية كشمير، وقضية المسلمين في الفلبين، وقضية أفغانستان، وقضية الشيشان وما يعانیه أهل هذا البلد المسلم من ظلم وجبروت وكفر المجرمين الروس...!! فإذا أردت أن تتحدث عن المواقف المخزية لهذه الجيوش نحو هذه القضايا الهامة وغيرها فحدث ولا حرج .. فما يجري للمسلمين في تلك الديار لا يعنهم في شيء، ولا يهمهم من قريب ولا من بعيد، بل كثير من الأنظمة العربية وجيوشها تقف في صف الدول الطاغية الكافرة المعتدية ضد الشعوب المسلمة المضطهدة والمحرابة...!!

هذا كله يجعلنا نجزم أن هذه الجيوش لم تُعد لخدمة الأمة في شيء، ولا من أجل الدفاع عن الشعوب المقهورة المحرومة .. ولا من أجل رسالة أو هدف عظيم .. وإنما هي صُنعت فقط . كما تقدم . من أجل حماية الطواغيت ومكاسمهم الشخصية، وحراسة مصالح اليهود والغرب الصليبي في المنطقة...!! وعليه فإننا نقول جازمين غير مترددين ولا شاكين: أن هذه الجيوش . من دون استثناء . لصفاتها الأنفة الذكر هي جيوش باطلة كافرة، شرها يغلب على خيرها، بل لا خير فيها للأمة، لا يجوز الانضمام إليها أو الالتحاق بها اختياراً، أو تكثير سوادها في شيء، أو الدخول في مولاتها بدعاء أو أي شيء آخر ..

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

يجب جهادها وقتالها إن أبوا إلا ذلك؛ لكي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال: 39.

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن عسكر التتار، وحكم جهادهم فأجاب: فهؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام وهم جمهور العسكر. ينطقون بالشهادتين إذا طلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فهم من يُصلي إلا قليل جداً، وصوم رمضان أكثر فهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدر، وعندهم من الإسلام بعضه، وهم متفاوتون فيه، لكن الذي عليه عامتهم والذي يُقاتلون متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام أو أكثرها فإنهم أولاً يوجبون الإسلام ولا يُقاتلون من تركه، بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله، وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين.

فلا يُجاهدون الكفار ولا يُلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار، ولا ينهون أحداً من عسكرهم أن يعبد ما شاء من شمس أو قمر أو غير ذلك، بل الظاهر من سيرتهم أن المسلم عندهم بمنزلة العدل أو الرجل الصالح، والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين!..

وكذلك عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم إلا أن ينهاتهم عنها سلطانهم؛ أي لا يلتزمون تركها، وإذا نهاهم عنها أو عن غيرها أطاعوه لكونه سلطاناً لا بمجرد الدين، وعامتهم لا يلتزمون الواجبات، ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله، بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارةً وتخالف أخرى!..

وقتل هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبداً⁽¹⁾ ا-هـ.

قلت: من يقارن أوصاف جند التتار الأنفة الذكر التي ذكرها عنهم شيخ الإسلام، وبين أوصاف جند وجيوش العرب وغيرها من جيوش الأمة في هذا الزمان يجد أن جند التتار فهم من خصال الخير ما ليس في جند وعسكر العرب؛ فجند التتار يعظمون الرسول ﷺ، والمسلم عندهم أعظم من غيره،

¹ مجموع الفتاوى: 504/28.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

وللصالحين عندهم قدر .. وهذا بخلاف ما عليه كثير من جيوش العرب في هذا الزمان، إن لم يكن كلها(1)!!

ومع ذلك لصفاتهم الأخرى الأنفة الذكر يقول عنهم شيخ الإسلام: أن قتالهم واجب بإجماع المسلمين، وأن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبداً. وهذا الحكم يلحق بكل من اتصف بصفاتهم أو فعل فعلهم ولا بد .. ولحوقه بجيوش الأمة في هذا الزمان من باب أولى لاتصافهم بصفات هي أغلظ وأشد من صفات جند وعسكر التتار — الأنفة الذكر .. وقد تقدم ذكرها !!

وقال رحمه الله في الفتاوى 20/28: من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان ا-هـ.

أقول: أليس هكذا حال جيوش الأمة في هذا الزمان؛ حيث توالي وتُعادي في شخص الطاغوت الحاكم .. يوالون من والاه، ويُعادون من عاداه، بغض النظر هل يستحق شرعاً تلك الموالاتة أو المعاداة!! تُنتهك حرمة الأمة، ويُعتدى على مقدساتها، وتُقتل الأطفال والنساء، ويُشتم الله ورسوله .. فكل هذا وغيره لا يستدعي موقفاً من هذه الجيوش ولا من حكامها، ولكن لو تجرأ أحد أو أي جهة على النيل من جناب الطاغوت الحاكم بعبارة انتقاص أو طعن فإن هذه الجيوش ومعها جميع مؤسسات الحكومة

¹ إن قلت هذا التعميم فيه ظلم وتشدد .. أقول لك لكي تعرف مصداق ذلك: ادخل جميع الدول العربية وغيرها من الدول التي تسمى نفسها إسلامية بجواز سفر يُعرف عنك أنك عربي أو مسلم، ثم ادخل إليهم مرة ثانية بجواز سفر آخر يُعرف عنك أنك أمريكي أو أوروبي ثم انظر الفارق الكبير في المعاملة، والاحترام والتبجيل والتسهيلات التي تُعطاهما .. بين دخولك إليهم كمسلم، وبين دخولك إليهم كإنسان أمريكي أو أوروبي لا يُعرف لك دين .. حينئذٍ ستدرك صدق وصواب ما أثبتناه عن القوم أعلاه !!

كذلك لو أُلقيت إطلالة سريعة على السجون الموجودة في تلك الدول .. لما وجدت سجيناً واحداً اعتقل بسبب كفره وشركه أو ارتداده عن الدين وما أكثرهم في البلاد .. بينما تجد مئات المسلمين من العلماء والدعاة إلى الله تعالى تكتظ بهم السجون، ويُعاملون أسوأ معاملة ..!!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

تعلن براءها وعداءها لتلك الجهة، وتسحب سفيرها من تلك الدولة أو الجهة، وربما تحركت الجيوش واستنفرت واستعدت للقتال(1)!!..

فهذه الجيوش عندما ترضى لنفسها مثل هذه العبودية للطاغوت فهي تخرج مباشرة من كونها جيوش إسلامية تجاهد في سبيل الله إلى كونها جيوش كفرية باطلة تجاهد في سبيل الشيطان كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله.

وفي وجوب قتال الفئة الممتنعة عن أداء أمرٍ معلوم من الدين بالضرورة يقول ابن تيمية رحمه الله: فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها، حتى يكون الدين كله لله، باتفاق العلماء.

عن ديلم الحميري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: إنا بأرضٍ نعالج بها عملاً شديداً، وإنا نتخذ شراباً من القمح نتقوى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا، فقال: هل يُسكر؟ قلت: نعم. قال: فاجتنبوه. قلت: إن الناس غير تاركيه، قال: فاقتلوهم.

¹ الأمثلة على ذلك كثيرة وهي مشاهدة على مدار الساعة. ولكن نضرب مثلاً ما يحصل في هذه الأيام من مجازر وانتهاكات بحق الشعب المسلم في فلسطين، وما يحصل من اعتداءات سافرة على المقدسات وبخاصة منها مسجد الأقصى مسرى النبي ﷺ.. فكل هذه المجازر والانتهاكات السافرة لحقوق العباد والمقدسات فهي لا تستدعي مثلاً من الدولة المصرية أن تسحب سفيرها من دولة الصهاينة المحتلين!!..

ولكن لو أخطأت دولة الصهاينة وقالت في وسائل إعلامها عن حسني مبارك مثلاً: إنه حمار لا يفهم.. فقط هذه العبارة، فهي كافية لاستدعاء سفير مصر، وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وغيرها من العلاقات مع دولة الصهاينة، ولن يهدأ الحال إلا بعد أن تعتذر حكومة الصهاينة عن مقولتهم تلك بطريقة رسمية وعبر وسائل إعلامهم، وربما لا يهدأ.. كل هذا من أجل تلك المقولة التي قيلت في حق طاغوت مصر، أما أن يُباد شعب بكامله فهذا أمر فيه نظر، يستدعي من القوم إظهار المرونة بعقل متفتح وصدر منشرح!!..

وفي هذه الأيام كذلك قد طالعنا نشرات الأخبار بأن ليبيا تسحب سفيرها من لبنان اعتراضاً على حفل عشاء رسمي أقامته الحكومة اللبنانية لم يُدعى إليه سفير ليبيا.. فعدت ذلك انتقاصاً لشخص السفير، ولشخص طاغوت ليبيا مما دعى الأمر إلى هذه الحرب والمقاطعة الدبلوماسية.. فتأمل كيف تُحدد المواقف في دول الطواغيت وعلى أي أساس يُعلن الحرب أو السلم!!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

وقال: وأيما طائفة انتسبت إلى الإسلام، وامتنعت عن بعض شرائعه الظاهرة المتواترة فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين حتى يكون الدين كله لله، كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة ..

فثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أنه يُقاتل من خرج عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين ..

فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والميسر، أو عن نكاح ذات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته . التي لا عذر لأحدٍ في جحودها وتركها . التي يكفر الجاحد لوجوبها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء ا-هـ.

قلت: إذا كان قتال الطائفة الممتنعة عن أداء واجب من واجبات الدين الظاهرة واجب بأدلة الكتاب والسنة، وإجماع علماء الأمة .. فإن قتال هذه الجيوش المحاربة لله ولرسوله وللمؤمنين، والتي لا تلتزم بشيء من واجبات وأركان هذا الدين⁽¹⁾، إضافة إلى خصال الكفر الأخرى التي تتصف بها والمشار إليها آنفاً .. لا شك أنه أولى وأوجب من قتال الفئة التي تمتنع عن أداء أحاد الواجبات الدينية.

¹ إن وجد بعض الالتزام في بعض الجيوش المعاصرة هو التزام فردي، وليس التزاماً على مستوى أنظمة الجيوش يخضع لها الكبير والصغير، وهي . أي هذه الجيوش . متفاوتة فيما بينها من حيث حدة موقفها تجاه من يؤدي بعض الواجبات الدينية، فمنها من يعتبر الصلاة مثلاً تهمة تعرض صاحبها للمساءلة وربما إلى السجن والطرده من الخدمة وصاحبها يكون تحت المراقبة، وقد يُصنف أنه من الإرهابيين وهي أكثر الجيوش، ومنها من يعتبر أداء الصلاة التزاماً أخلاقياً حميداً لكن لا يأمر بها الجنود ولا يلزمون بها الجميع فمن شاء أقام الصلاة ومن شاء تركها ولا حرج عليه كالجيش الباكستاني، والجيش اليمني، والجيش السوداني، وبعض جيوش دول الخليج العربي، ومنها من يفرضها على الجند ويلزم بها الجميع كالجيش السعودي فقط كما بلغني .. والله تعالى أعلم !

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

فإن قتال المرتد أو الفئة المرتدة المارقة من الدين المحاربة لله ولرسوله وللمؤمنين أوجب بكثير من قتال الفئة الباغية التي تمتنع عن أداء بعض واجبات الدين، بل هو أوكد من قتال وجهاد الكافر الأصلي كما سيأتي بيانه معنا.

قال ابن حجر في الفتح 7/13: إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها اهـ.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم 229/12: قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، وقال وكذا لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها اهـ.

. مسائل هامة.

لاستيفاء الموضوع بحثاً وبياناً لا بد من بحث بعض المسائل الهامة ذات العلاقة بمادة البحث، والإجابة على بعض الشبهات التي تثار أحياناً هنا أو هناك.

المسألة الأولى: هل كفر هذه الجيوش يستلزم كفر كل من ينتسب إليها من العسكر والجنود ..؟!

أقول: لصفات هذه الجيوش الأنفة الذكر لا بد من اعتبارها على وجه العموم أنها جيوش وتجمعات كفيرية؛ هدفها نصره الطاغوت وإعلاء كلمته وسياسته ونظامه، لا حظ للإسلام والمسلمين فيها في شيء، ولكن هذا الحكم العام هل يستلزم منه كفر كل من ينتسب لهذه الجيوش من الجنود أو الأفراد بأعيانهم ..؟

الجواب: لا يستلزم من كفر هذه الجيوش المعاصرة كفر كل من ينتسب إليها من الجنود أو الأفراد بأعيانهم وذلك للموانع والاعتبارات التالية:

أولاً: مانع الإكراه: إذ أن كثيراً من الأفراد يُساقون إلى الخدمة العسكرية مكرهين وبالقوة، وهم كارهون لهذه الجيوش ولأربابها، ولو خيروا لما اختاروا الالتحاق بها ..

والإكراه مانع من موانع التكفير بلا خلاف لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل: 106.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

ولقوله ﷺ: "إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".

فإن قيل: هؤلاء غير مكرهين لأنهم يستطيعون الهجرة والخروج من سلطان الطاغوت .. وبالتالي

فهم غير معذورين !

أقول: لا شك أن من استطاع الهجرة أو أن يجد لنفسه مأمناً من إكراه الطواغيت .. أنه يجب

عليه الهجرة للنفاد من الوقوع تحت طائلة الإكراه .. ولكن هذا الحكم ليس من السهل والواقعية أن

نطلقه ونعممه على مئات الملايين من الناس ونلزمهم به، فمن لم يلتزمه فهو كافر .. وبخاصة أن المشكلة

كما هو ملاحظ عامة لا تخص قطراً دون قطر؛ ولا مصراً دون مصر، فمن يهاجر إلى من، ومن يستقبل

من، والكل تجب عليه الهجرة، ويُعاني من نفس المشكلة ..!!

أضف إلى ذلك المشاكل الأخرى المصطنعة في هذا الزمان التي تقيد كثيراً من حرية الحركة أو

التنقل للإنسان؛ كمشكلة وثائق السفر التي لا يمكن التحرك إلا بها، فإن حصل المرء عليها يواجه مشكلة

الحصول على فيزة البلد التي سيهاجر إليها، فإن حصل على فيزة البلد التي سيهاجر إليها تواجهه مشكلة

الحصول على إقامة رسمية تمكنه من العيش في تلك البلد .. إلى آخر القائمة الكبيرة من المشاكل التي

يُعاشها ويعرفها من قدر الله له الهجرة والضرب في الأرض في هذا الزمان.

أضف إلى هذه المشاكل وتلك، مشكلة غياب دولة الإسلام التي تكون داراً للهجرة والمهاجرين ..!

فالمسلم المهاجر في هذا الزمان يتنقل من دار كفرٍ مغلظٍ إلى دار كفرٍ آخر أقل كفرًا، ومن دار ظلم

مغلظٍ إلى دار ظلم مجرد .. فهو يتنقل من الأكثر سوءاً إلى الأقل سوءاً وليس من خيرٍ إلى ما هو أكثر منه

خيراً .. وهذا واقع لا بد من اعتباره ومراعاته عند مطالبة الناس بالهجرة، أو إصدار الأحكام عليهم إن لم

يستجيبوا لنداء الهجرة.

لأجل ذلك كله استثنى ربنا ﷺ المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً، كما

قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَّا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾ النساء: 98-99.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

من السهل عليك يا عبد الله أن تقول للناس . وأنت متكئ على أريكته تحتسي الشاي أو القهوة .
يجب عليكم أن تهجروا .. لكن إن قيل لك: إلى أين، وكيف، ومتى، ومن أين .. فسوف تجد نفسك عاجزاً
عن الإجابة عن كل هذه الأسئلة، وبخاصة إن وجه إليك هذه الأسئلة مئات الملايين من الناس !!
فليس من الفقه أن تطلق المسألة من دون النظر إلى آثارها ونتائجها، وإمكانية تحققها ومدى
واقعيته وموافقته لمقاصد الشريعة العامة السحاء ..!!

. تنبيه: لا يستفيد من هذا المانع من يذهب للجندية في هذه الجيوش كمتطوع من تلقاء نفسه
من غير إكراه، مقابل راتب زهيد من المال يُعطاه .. فمن كان كذلك فهو غير معني من كلامنا السابق، وهو
لا يُعذر بمانع الإكراه.

كما أن حديثنا عن مانع الإكراه لا يعني ولا يستلزم أن كل عناصر الجيش الغير متطوعين هم
مكرهون ومعذورون للإكراه .. !!

فقولنا بوجود عناصر مكرهة شيء . لا يعلم عددهم إلا الله تعالى . وهو ما نقوله، والقول بأن
جميع عناصر الجيش مكرهين ومعذورين بالإكراه شيء آخر وهو ما لم نقله، ونبراً إلى الله منه ومن قائله.

ثانياً: مانع الجهل والتأويل: وهو مانع معتبر عند إصدار الأحكام على الأعيان .. والجهل يمكن

أن يأتي للأفراد وعوام الناس من جهتين:

من جهة أن بعض هذه الأنظمة الطاغية تسمح بمقدار من حرية العبادة كأداء الصلاة، وصيام
رمضان وغير ذلك من الشعائر الظاهرة، وبما ليس له مساس بالسياسة العامة للجيوش وبالأهداف التي
صنعت لأجلها .. فيلبس ذلك على عوام الناس الذين يفهمون الإسلام عبارة عن شعائر تعبدية وحسب،
فيظنون بل ويعتقدون أن هذه الجيوش إسلامية بدليل أنها تسمح لهم بالصلاة والصيام وغير ذلك (1)!!

¹ لترغيب المسلمين المقيمين في أمريكا ودول الغرب في الانخراط في جيوش تلك الدول، يُعلنون في صحافتهم الرسمية أن
المسلمين في جيوشهم يُسمح لهم بالصلاة وأداء جميع الشعائر التعبدية، ويُسهلون لهم كل ما يُعينهم على ذلك، كما أن
لهم رعاية خاصة من حيث تأمين وجبات الطعام الحلال الخالية من لحم الخنزير وغير ذلك .. ولكن هل بتلك المعاملة
التي لا توجد في كثير من بلادنا وجيوشنا . تصبح تلك الجيوش جيوش إسلامية تجوز المشاركة فيها ..؟! الجواب يعرفه
القاصي والداني: بأن .. لا ..!!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

ومن جهة فإن مشايخ الإرجاء . قبهم الله من مشايخ . ينشطون في كل مكان وفي كل اتجاه وواد بما أوتوا من علم وحفظ للنصوص يصورون للناس أن هؤلاء الطواغيت مسلمون تجب طاعتهم، وبالتالي من باب أولى أن تكون جيوشهم جيوش إسلامية يجوز الانخراط والعمل فيها ..!!

تقول كلمة حق فتقال مقابلها مليون كلمة باطل، وتصدر بحثاً يجلي الحق للناس، فيصدر مقابله آلاف الكتب والأبحاث المدعومة تنصر الباطل وتدعوه له ..!!

والناس يترددون بين كلمتك وبين تلك الملايين من الكلمات الباطلة، وبين بحثك ومقالك وبين آلاف الكتب والأبحاث التي تخدم الباطل والطاغوت .. فيصعب عليهم الاختيار وتحديد المواقف، وبخاصة عندما تأتي نصرة الطغاة الأثمين من دعاة لهم باع طويل في الدعوة والإفتاء قد غرتهم الحياة الدنيا ..!! لذا فإن أثر هؤلاء على عقيدة الناس وعلى تفكيرهم وتصورهم للأشياء لا يمكن إغفاله أو الاستهانة به عند الحديث عن الجهل وأسبابه ودواعيه .. وبخاصة في المسائل المشككة المتشابهة كمسألتنا هذه !

لأجل ذلك ينبغي أن نتوقع أن عدداً كبيراً من الجنود حملهم على الخدمة في جيوش الطواغيت الجهل بحقيقة وأهداف هذه الجيوش، والفتاوى العديدة التي سمعوها من هنا وهناك التي تقول لهم: لا عليكم، فأنتم مرابطون ومجاهدون في سبيل الله ..!!

ومثل هؤلاء من السلامة والتقوى أن لا يُصدر حكم الكفر بأعيانهم قبل قيام الحجة عليهم وبيان الحق لهم .. هذا ما يقتضيه العمل بمجموع قواعد التكفير ذات العلاقة بالموضوع، وتطمئن إليه النفس .. والله تعالى أعلم.

. تنبيه: أعمال مانع العذر بالجهل والتأويل صعوداً أو هبوطاً بالنسبة لهذه الجيوش تختلف باختلاف الجيوش وأنظمتها ودرجة طغيانها .. فلا يُعقل مثلاً أن يُعذر بالجهل من يتجند في جيش يُحارب الله ورسوله والمؤمنين جهاراً نهاراً، تُمنع فيه الصلوات وأداء الشعائر، ويُعد ذلك فيها من الجرائم التي يُعاقب عليها صاحبها، وبين من يتجند في جيش يُسمح له بأداء الشعائر التعبدية بل ويُرغب بها .. فلا يستويان من حيث العذر بالجهل والتأويل؛ فالأول ساحة العذر بالجهل تضيق بحقه إن لم تنعدم لظهور كفر ذلك الجيش وأربابه ومسئوليه لأعشى الليل والنهار، وأعمى البصر والبصيرة .. بخلاف الآخر فقد تتسع بحقه ساحة العذر بالجهل للاعتبارات الأنفة الذكر أعلاه.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

كذلك يوجد فرق بين من يتجند .. ويعمل كشرطي مرور أو في مؤسسة تابعة للجيش هي أقرب ما تكون إلى الوظائف المدنية كالمستشفيات العسكرية ونحوها، وبين من يعمل كجندي في جهاز المخابرات ويقوم بمهمة ملاحقة الدعوة والدعاة إلى الله، ويكون على علم بما يُحاك لدين الله من كيد ومؤامرات .. هذا جندي وهذا جندي، ولكن لا يستويان من حيث العذر بالجهل أو التأويل؛ فالأول ساحة العذر بالجهل والتأويل تتسع بحقه أكثر من الآخر الذي يُشاهد بعينه كيف يُشتم الله ورسوله عندما يُعذبون بعض الأخوة الذين يقعون في سجونهم !!

فالآخر لا يُعذر بالجهل أو التأويل مهما كذب عليه مشايخ الإرجاء بأن الذين تعمل معهم مسلمون مؤمنون، لأن عينه التي يشاهد بها الكفر البواح هي أصدق وألزم لقيام الحجة عليه من دجل وكذب أولئك الشيوخ !!

هذا التفصيل والتفريق مهم وضروري لمن يريد أن يخوض في هذه المسائل الهامة، وهو ما يقتضيه الإنصاف والعدل الذي أمرنا أن نشهد به .. والله تعالى أعلم.

ثالثاً: الانغماس في جيوشهم كعين للمسلمين.

كذلك من انغمس في صفوفهم وجيوشهم كعين للمسلمين المجاهدين، أو على نية أن ينزل بهم النكاية وغير ذلك .. فمثل هذا لا يجوز أن يُحمل عليه حكم الكفر، أو أنه منهم، لدلالة النصوص الشرعية الدالة على جواز الانغماس في صفوف المشركين للغرض المذكور أعلاه، وفق ضوابط وشروط قد ذكرناها في بحث آخر⁽¹⁾.

فإن قيل: كيف يمكننا تحديد من كان معذوراً ممن لا يُعذر من تلك الجيوش الضخمة، ثم كيف نميزهم عند القتال ..؟!

أقول: يكفيك أن تحكم على تلك الجيوش بعمومها لا على التعيين بأنها جيوش كافرة لا شرعية لها، يجب جهادها وقتالها ..

¹ انظر بحث "حالات يجوز فيها إظهار الكفر"، وهو موجود في موقعنا على الإنترنت.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

قال ابن تيمية في الفتاوى 538/28: قد أمر النبي ﷺ المكره في قتال الفتنة بكسر سيفه، وليس له أن يُقاتل وإن قُتل، كما في صحيح مسلم عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إنها ستكون فتنٌ، ألا ثم تكون فتن، ألا ثم تكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل، ولا غنم، ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاة، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى يُنطلق بي إلى إحدى الصفيين أو إحدى الفئتين فيضربني رجل بسيفه أو بسهمه فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار".

ففي هذا الحديث أنه نهى عن القتال في الفتنة، بل أمر بما يتعذر معه القتال من الاعتزال، أو إفساد السلاح الذي يقاتل به ..

والمقصود أنه إذا كان المكره على القتال في الفتنة ليس له أن يقاتل، بل عليه إفساد سلاحه، وأن يصبر حتى يقتل مظلوماً، فكيف بالمكره على قتال المسلمين مع الطائفة الخارجة عن شرائع الإسلام، كمانعي الزكاة والمرتدين ونحوهم، فلا ريب أن هذا يجب عليه إذا أكره على الحضور أن لا يقاتل وإن قتله المسلمون، كما لو أكرهه الكفار على حضور صفهم ليقاتل المسلمين، وكما لو أكرهه رجلٌ رجلاً على قتل مسلم معصوم فإنه لا يجوز له قتله باتفاق المسلمين وإن أكرهه بالقتل ..

إلى أن قال: ونحن لا نعلم المكره، ولا نقدر على التمييز، فإذا قتلناهم بأمر الله كنا في ذلك مأجورين ومعذورين، وكانوا هم على نياتهم، فمن كان مكرهاً لا يستطيع الامتناع فإنه يُحشر على نيته يوم القيامة -هـ.

وعن ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرُونَ سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضربه فيقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾. البخاري.

قال ابن حجر في الفتح 38/13: فيه تخطئة من يقيم بين أهل المعاصي باختياره لا لقصد صحيح من إنكار عليهم مثلاً أو رجاء إنقاذ مسلم من هلكة، وأن القادر على التحول عنهم لا يعذر كما وقع للذين

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

كانوا أسلموا ومنعهم المشركون من أهلهم من الهجرة ثم كانوا يخرجون مع المشركين لا لقصد قتال المسلمين بل لإيهاهم كثرتهم في عيون المسلمين فحصلت لهم المؤاخذة بذلك -هـ-

قلت: هؤلاء المذكورين في الآية الكريمة حصلت لهم المؤاخذة لأنهم كانوا قبل أن يُكرهوا على الخروج مع جيش المشركين لقتال المسلمين قادرين على التحول والهجرة إلى دار الإسلام المتمثل يومئذ في المدينة المنورة، لذا لم يعتبر إكراههم وقت إخراجهم للقتال إكراهاً معذراً يقيل العثرات ويرفع الحرج، هذا المعنى توضحه الآية الكريمة ذاتها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَكِنَّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ...﴾ النساء: 97-98.

فلم يقبل الله عذرهم بالاستضعاف لأنهم كانوا . قبل أن يُكرهوا على الخروج مع جيش المشركين . قادرين على الهجرة والتحول إلى دار الإسلام فلم يفعلوا .. إلا المستضعفين الحقيقيين الذين كانوا قبل أن يُكرهوا على الخروج للقتال .. كانوا لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فِهَؤَلاءِ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

. خلاصة المسألة: نعيد تلخيص المسألة في النقاط التالية:

- 1- هذه الجيوش جيوش كافرة مرتدة لا شرعية لها، يجب جهادها وقتالها ..
- 2- لا يستلزم من ذلك أن يكون كل واحد في هذه الجيوش كافراً مرتدّاً، بل فيها الكافر المرتد وغير ذلك لاحتمال وجود الموانع الأنفة الذكر ..
- 3- من ثبت لنا انتفاء موانع التكفير. الثلاثة الأنفة الذكر. عنه، فهو كافر مرتد بعينه ..
- 4- ليس كل الجيوش المعاصرة سواء من حيث حجم المخالفات الشرعية والانحراف والعداء للإسلام والمسلمين .. وبالتالي فهي كذلك ليست سواء من حيث حجم الأعدار والشبهات التي تقيل عثرات أفرادها ..
- 5_ الجيوش التي يغلب فيها وجود العناصر الذين يشملهم العذر .. من السلامة والسياسة الشرعية أن لا تكون هدفاً يُقصد للمجاهدين إلا على وجه الدفاع عن النفس ..

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

6- من عُرف من الجنود أو من ذوي الرتب الصغيرة بشدة عدائه للإسلام والمسلمين، وبأذاه الشديد للمسلمين .. يُقصد بعينه ويُزال لتزول معه فتنته للعباد، ولا يتشفع له كونه جندي أو من ذوي الرتب الصغيرة، فكم من صاحب رتبة صغيرة اشتدت فتنته على العباد أكثر من أسياده وزعمائه الكبار!!

المسألة الثانية: أيهما أفضل للأمة أن تؤثر النصح لهذه الجيوش مع الصبر على أذاها، أم تبادلها

القتل والقتال .. وأيها أشد فتنة على الأمة .. ؟!

الجواب: يبدو هذا السؤال للوهلة الأولى أنه وجهاً .. وهو تساؤل يكرره قطاع كبير من الناس والجماعات، لذا نجد أنفسنا مضطرين أن نجيب عليه بشيء من التفصيل.

وألخص الجواب على هذا السؤال في النقاط التالية:

1- لا بد من أن نعتز ونقر أن طواغيت الحكم الجاثمين على صدر الأمة هم كفرة مرتدون، لا يُخلصون النصح للأمة، ولا يريدون لها أن تقوم لها قائمة !!

فهم كفرة لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله .. ولأنهم قد عطلوا العمل بالحدود والأحكام الشرعية!!
وهم كفرة لأنهم يحتكمون إلى شرائع الكفر الطاغوتية من دون شرع الله !!

وهم كفرة لأنهم هم أنفسهم يشرعون التشريع المضاهي لشرع الله تعالى .. وينسبون لأنفسهم كثيراً من خصائص وصفات الإلهية !!

وهم كفرة لأنهم حللوا الحرام وحرموا الحلال .. وما أكثر ذلك لو أردت أن تحصيه عنهم !!
وهم كفرة لأنهم يحاربون الله ورسوله والمؤمنين .. وبأساليب مختلفة ومتنوعة، منها ما يكون بالترغيب ومنها ما يكون بالترهيب !!

وهم كفرة لأنهم يصدون الناس عن دين الله تعالى، وعن التوحيد الخالص .. ويمكرون بالليل والنهار من أجل أن يتحقق لهم ذلك !!

وهم كفرة لأنهم يكرهون ما أنزل الله من الدين والتوحيد والجهاد !!
وهم كفرة لأنهم يسخرون من دين الله ومن أوليائه .. وما أكثر ذلك منهم !!
وهم كفرة لأنهم يباركون الشرك الأكبر ويقرونه ولا يُغيرونه، ولا يسمحون بتغييره !!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

وهم كفرة لأنهم داخلون حتى العظم في موالاته أعداء الأمة من اليهود والنصارى وفي خدمتهم
وخدمة مصالحتهم والذود عنهم !!

فهم لأجل هذه الأوجه وغيرها كفار مرتدون لا يشك في كفرهم إلا كل أعمى البصر والبصيرة ..
أعشى الليل والنهار!

فإن حصل جدال أو خلاف على خصلة من خصال الكفر الأنفة الذكر فإنه لا يمكن أن يحصل
خلاف على مجموع نواقض الإيمان الأنفة الذكر وتبرئة الطواغيت منها !!

وهم لأجل ذلك كذلك يجب جهادهم وقتالهم، كما في الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت
قال: "دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا،
وعُسْرنا ويُسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان".
وهؤلاء قد رأينا منهم وعليهم الكفر البواح الذي عندنا من الله فيه برهان .. لا يجوز أن يرقى إلى درجة
الشك أو الخلاف.

2- يجب الاعتراف كذلك أن هذه الجيوش المعاصرة داخله في موالاته ونصرة الطواغيت على ما
تقدم من خصال كفر متلبسين بها.

بل أن هذه الجيوش هي أداتهم في تنفيذ سياساتهم الباطلة وجميع ما تقدم عنهم من خصال
مكفرة .. هي أداتهم في قهر الشعوب وإذلالهم، واستباحة حرمتهم، وفرض الكفر على البلاد والعباد .. !!
هي عصاتهم الغليظة كلما فكرت طائفة من المؤمنين برفع الأثقال والقيود الغليظة عن صدر
الأمة لتستأنف حياتها من جديد !!

فهم من دون هذه الجيوش لا يستطيعون أن يفعلوا أو يحققوا شيئاً .. لذا فإن حكم الكفر
والردة يلحق بهذه الجيوش ولا بد⁽¹⁾، كما يلحق بها نفس الوزر والوعيد يوم القيامة الذي يلحق
بالطواغيت والكبراء، كما قال تعالى عن فرعون وجنوده: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

¹ على التفصيل المتقدم الذي يبين من يُعذر من الأفراد ممن لا يُعذر.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿القصص: 3-6.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ القصص: 8. فشمّل ﷺ الجنود مع فرعون، ووزيره هامان وعدهم جميعاً خاطئين مجرمين.

ومما يدل على دخول الجنود المستضعفين صغار الشأن مع الطواغيت المستكبرين في الأرض في الوعيد والعذاب قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سبأ: 31-33.

فتأمل هذا الحوار وهذا البراء الذي يحصل بين الجنود المستضعفين وبين الطواغيت المستكبرين، وكيف أنهم جميعاً شركاء في الكفر والعذاب !!..

فيا عبد الله هلاً تبرأت من الطواغيت ومن عسكرهم وجيوشهم قبل أن تتبرأ منهم في ذلك الموقف العصيب، يوم لا ينفك تبرؤك منهم، ولا الندم على ما فاتك من جهادهم والبراء منهم .. !

هلاً أثرت الله تعالى ورضوانه على هؤلاء الطواغيت !!..

هلاً أثرت جنانٍ عرضها كعرض السماوات والأرض، على الدراهم اليسيرة التي تُعطاها من هؤلاء

الطواغيت .. هلاً فعلت ذلك قبل أن يقع الندم ولات حين مندم؟! ..

إني لك ناصح، وعليك مشفق من عذاب يوم عظيم .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "يجيء

الرجل أخذاً بيد الرجل، فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول قتلته لتكون العزة

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

لك، فيقول: فإنها لي. ويحيى الرجل أخذاً بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلي؟ فيقول الله له: لم تقتله؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه⁽¹⁾.

واحذر من أن تكون ممن عناهم رسول الله ﷺ بقوله: "سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله"⁽²⁾. نعوذ بالله من غضبه وسخطه، ونبرأ إليه تعالى من جميع الطواغيت الأنداد ظاهراً وباطناً، اعتقاداً وقولاً وعملاً.

3- من عادة كثير من البلدان التي تحترم نفسها أن لا تتدخل جيوشها في أي صراع أو خلاف يحصل بين الشعب وشخص الحاكم، بخلاف بلادنا فإن الجيوش طرف مباشر مع الطواغيت الحاكم. فلماذا رُبيت ولهذا أنشئت. فلأدنى خلاف يحصل بين الأمة والحاكم.. فإن هذه الجيوش سرعان ما تنزل إلى الشارع وتترجل بكامل عتادها وأسلحتها لتعرض عضلاتها على الناس، وتقول لهم نحن موجودون وجاهزون لارتكاب المجازر وانتهاك الحرمات!..

إذاً هي طرف شريك ومباشر للطواغيت وجرائمه، وبخاصة منها تلك الفصائل المنتقاة التي تسمى نفسها بحراس القصور، أو حراس الثورة وغير ذلك.. فهذه وظيفتها وعملها أن تستमित في الدفاع عن القصور وساكنيها من الطواغيت المجرمين.. وإن أدى ذلك إلى دمار البلاد وإبادة الشعب بكامله!!

4- ما تقدم لا يمنع. بل هو الواجب. أن يوجه أولاً النصح لهذه الجيوش، ويبين لها وجهة الحق وتُدعى إليه.. ولكن ما حيلة الأمة إن قابلت تلك العصابات من الجيوش هذا النصح وهذه الدعوة الراشدة بالاستخفاف والاستهزاء، وأبت إلا أن ترتكب المذابح والجرائم بحق الشعب الأعزل، وتكون في صف الطواغيت تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه!..؟

ما حيلة الأمة عندما توضع بين خيارين لا ثالث لهما: إما العبودية والذل، والرضى بالكفر وشرائعه، وانتهاك الحرمات وضياع الحقوق.. وإما الدفاع عن دينها، وحرمتها، ووجودها، ومقدساتها!..؟

¹ صحيح سنن الترمذي: 3732.

² أخرجه الطبراني والحاكم، صحيح الجامع: 3666.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

لا شك أن جواب النقل والعقل يلزم الأمة بوجوب الدفاع عن دينها ومقدساتها وحرمتها ووجودها ..!

بل إن أي أمة من الأمم الأخرى التي نعايشها في هذا الزمان لو تعرضت ثوابتها إلى الاهتزاز أو الخطر، أو تمر ببعض ما تمر وتعرض له أمة الإسلام في هذا الزمان، لما اختارت إلا الخروج والقتال والدفاع عن النفس والوجود (1) !

5- يبدو للوهلة الأولى أن خيار جهاد الطواغيت وجنودهم خيار صعب ومكلف .. ولكن إن قيست تكاليفه بتكاليف وتبعات الطرق والخيارات الأخرى فإنها تعتبر أقلها كلفة، وأيسرها وأقربها طريقاً إلى النصر والتمكين والتغيير..!

كل الشعوب لها كامل الحق في أن تدافع عن نفسها وعن وجودها .. إلا المسلمين لا يحق لهم أن يدافعوا عن أنفسهم ودينهم ووجودهم .. !!

ضريبة الجهاد وتكاليفه مهما عظمت، وكيفما كانت وعلى أي وجه جاءت فهي كلها خير وبركة، فالمجاهد شأنه دائماً أن يتقلب من نصر إلى نصر، ومن عز إلى عز؛ إما عزٌ ونصر في ميادين الجهاد والقتال، وإما نصرٌ الظفر بالشهادة والفوز بالنعيم وحنان الخلد .. وكلاهما خير! أتكون تلك الأمم المتأكلة الهالكة بفسادها وكفرها وفجورها فيما حياة أكثر من أمة الخير والعطاء .. أمة الإسلام !!؟

¹ تأمل مثلاً لو تعرضت بريطانيا أو غيرها من الدول الأوروبية إلى انقلاب عسكري من قبل حفنة من الضباط، ثم ألغوا الأحزاب والحريات فيها، وغلقوا الصحف، وزجوا بالمعارضين لهم في غياهب السجون .. وأرادوها ديكتاتورية شيوعية صريحة بدلاً من الديمقراطية التي تُعد من ثوابت القوم، أترون أن الشعب سيرضخ لهم، ويقبل بهذا التغيير الطارئ المخالف لما يرونه من الثوابت .. أم أنهم سيخرجون إلى الشوارع لإسقاط هذه الحفنة من الضباط، وإن أدى الأمر إلى القتال واستخدام القوة والسلاح ..!

ثم إذا كان خيار استخدام القوة مباحاً وحلالاً لبقية الشعوب عندما تتعرض ثوابتهم للخطر أو التغيير، ويُعتبر ذلك حق مشروع لهم .. فعلام يكون ذلك محرماً وممنوعاً على أمة الإسلام .. ولو قامت بما يجب من الدفاع عن النفس وعن الثوابت والحرمت عُد ذلك عملاً إرهابياً وغير متحضر..!!؟

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

خيار الجهاد .. خيار كله ربح لا خسارة فيه أبدا⁽¹⁾ !

بينما ضريبة خيار الدعة والذل والركون إلى الظالمين باهظة الثمن والتكاليف؛ فهي ضريبة تكلف أصحابها كل ما يملكون من دينٍ وعرض، وأرض، ومال، وكرامة، وعزة ورجولة .. غير الخزي والعذاب الأليم . وهو أشد وأنكى . الذي ينتظرهم يوم القيامة!

تأمل واقع الأمة في هذا الزمان، تأمل واقع الشعوب الذين تخلوا عن الجهاد في سبيل الله تعالى وآثروا الدعة والركون إلى الظالمين .. تأمل واقعهم وكم هي الضريبة الباهظة التي يقدمونها في سبيل الطاغوت ومع ذلك فهو لا يرضى عنهم، يريد منهم المزيد والمزيد !!

تأمل هذا الذل والهوان الذي أصاب الأمة .. شردمة قليلون من عصابت يهود نصفهم من النساء يذلون ويمزمون جيوشاً . تخلت عن الإسلام والجهاد! . يتجاوز تعداد أفرادها الملايين !!

تأمل المجازر البشعة التي يرتكها الصهاينة . في هذه الأيام . بحق الشعب المسلم في فلسطين .. ثم تأمل موقف جيوش العرب والمسلمين الجبانة الذليلة والتي تكتفي بعبارات الشجب والاستنكار، والإصرار بعناد وشجاعة وعقل متفتح، على السلام والاستسلام !!

وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: 7.

وهو المراد كذلك من قوله ﷺ لعبد الله بن عباس: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك".

¹ أيما خسارة أو انتكاسة حقيقية تصيب العمل الجهادي أو الحركات الجهادية .. هي ليست بسبب اختيار طريق ومبدأ الجهاد في سبيل الله، وإنما هو بسبب من أنفسنا ومن أنفس العاملين في ميادين الجهاد، بسبب التقصير أو الانحرافات والتصورات الخاطئة التي تصيب العمل الجهادي والعاملين في ميادين الجهاد .. فحينئذ تأتي النتائج بخلاف التوقعات وبخلاف ما نرجو ونريد .. وذلك أن الله تعالى لا يُحايي أحداً من خلقه، فهو ﷻ جعل للنصر والتمكين سنناً من أخذ بها وسلك طريقها وصل وظفر، وحقق الله على يديه ما يشاء من النصر والتمكين .. وإن تنكبها ولم يلتزم بها انقلبت النتائج عليه وعلى من معه بما لا يحمد عقباه .. كما هو ملاحظ في كثير من التجارب الجهادية المعاصرة !!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

أمة تكالبت عليها الأمم من كل حدب وصوب .. الكل ينهش منها ما يريد ومن دون أن يحسب لها أدنى حساب، أو يُلقى لها أي اعتبار..!

صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم . أي تتجمع وتتكالب . كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"(1).

وقال ﷺ: "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب"(2).

وقال ﷺ: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"(3).

فأي ذل وأي عذاب هذا الذل والعذاب الذي تعيشه الأمة .. كل ذلك بسبب تخليها عن خيار ومبدأ الجهاد في سبيل الله، وركونها إلى الدنيا وكنف الطواغيت الظالمين !

وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: إن تكاليف الخروج من العبودية للطواغوت والدينونة لله وحده . مهما عظمت وشقت . أقل وأهون من تكاليف العبودية للطواغيت: إن تكاليف العبودية

للتواغيت فاحشة مهما لاح فيها من السلامة والأمن والطمأنينة على الحياة والمقام والرزق .. ! إنها تكاليف بطيئة طويلة مديدة، تكاليف في إنسانية الإنسان ذاته: فهذه الإنسانية لا توجد

والإنسان عبد للإنسان ..!

وأي عبودية شر من خضوع الإنسان لما يشرعه له إنسان ؟ وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان آخر به، ورضاه أو غضبه عليه ..؟!

وأي عبودية شر من أن يكون للإنسان خطام أو لجام يقوده منه كيف شاء إنسان ؟!

¹ أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 958.

² أخرجه الطبراني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: 2663.

³ أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 11.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

على أن الأمر لا يقف عند حد هذه المعاني الرقيقة .. إنه يهبط ويهبط حتى يكلف الناس في حكم الطاغوت أموالهم التي لا يحممها شرع ولا يحوطها سياج. كما يكلفهم أولادهم إذ ينشئهم الطاغوت كما شاء على ما شاء من التصورات والأفكار والمفاهيم والأخلاق والتقاليد والعادات فوق ما يتحكم في أرواحهم، فيذبذبهم على مذبح هواه، ويُقيم من جماجمهم وأشلائهم أعلام المجد لذاته والجاه ..!

ثم يكلفهم أعراضهم في النهاية .. حتى لا يملك أب أن يمنع فتاته من الدعارة التي يريد بها الطاغوت، سواء في صورة الغضب المباشر. كما يقع على نطاق واسع على مدار التاريخ . أو في صورة تنشئتهم على تصورات ومفاهيم تجعلهن نهياً مباحاً للشهوات تحت أي شعار، وتمهد لهنّ الدعارة والفجور تحت أي ستار⁽¹⁾ .. والذي يتصور أن ينجو بماله وعرضه وحياته وحياة أبنائه وبناته في حكم الطاغوت من دون الله، إنما يعيش في وهم، أو يفقد الإحساس بالواقع ..!

إن عبادة الطواغيت عظيمة التكاليف في النفس والعرض والمال .. ومهما تكن تكاليف العبودية لله، فهي أربح وأقوم حتى بميزان هذه الحياة، فضلاً عن وزنها في ميزان الله -هـ.

نريد مما تقدم أن نقول لهؤلاء الذين يضحمون تبعات الجهاد في سبيل الله، وينفرون الأمة منه .. وفروا عليكم جهودكم وطاقتكم .. لقد غششتم وما نصحتم .. إن ما تدعون إليه الناس من الذل والهوان والركون إلى الظالمين، وترك الجهاد .. لهو أغلظ وأشد كلفة وضريبة على البلاد والعباد .. وأن الذي فررت منه وخشيتموه على أنفسكم وقعتم في أضعاف أضعافه !!

¹ في بعض الأنظمة العربية المعاصرة تؤخذ البنت . في المرحلة الابتدائية . بالقوة بعيداً عن أهلها ولأسابيع عدة في معسكرات مختلطة يسمونها معسكرات الطلائع .. وفي مرحلة الإعدادية والثانوية يؤخذن الفتيات كذلك في معسكرات مختلطة يسمونها معسكرات اتحاد شبيبة الثورة .. يُنشئوهن على الفسق والفجور، وعبادة وتمجيد الطاغوت .. لا يملك الآباء الجرأة في أن يقولوا كلمة اعتراضٍ واحدة في ذلك، فضلاً عن أن يقدرُوا على منع بناتهم عن هذا الكفر والفجور .. فتأمل!!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

6- اعلم أن أشد فتنة على العباد والبلاد هي فتنة الشرك والكفر.. لا تعلق فتنة الكفر فتنة.. ولا ظلم الشرك ظلم.. فكل الفتن تصغروهمون أمام فتنة الشرك.. وكل فتنة تُحتمل في سبيل إزالة الفتنة الأكبر؛ ألا وهي فتنة الشرك والكفر..!

فالقِتال وإن كانت تترتب عليه بعض المشاق والآلام والفتن.. إلا أنها كلها تهون في سبيل إزالة فتنة الكفر والشرك.

فالإسلام جاء بقاعدة ذهبية عظيمة عليها مدار كثير من أحكام الشريعة، وهي: دفع الضرر الأكبر بتحمل الضرر الأصغر، ودفع أكبر المفسدتين والشريين بأقلهما مفسدة وشرًا.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال: 39. والفتنة هنا يراد بها الكفر والشرك.. فشرع الله تعالى القتال على ما يترتب عليه من آلام وزهق للأرواح من أجل أن لا يكون شرك أو كفر؛ لأن استعلاء كلمة الشرك على البلاد والعباد لهو أشد فتنة وضرراً على العباد من القتل والقتال.

كما قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة: 191. وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة: 217. أي الشرك أشد وأكبر من القتل.

قال ابن كثير في التفسير: ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل، ولهذا قال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس في قوله ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ يقول: الشرك أشد من القتل 1-هـ. قلت: وبخاصة إن كان هذا الشرك يأتي من جهة الردة والمرتدين.. فحينئذ تكون فتنته مغلظة ومركبة.

والشاهد مما تقدم: عند الحديث عن الفتنة والفتن لا بد من مراعاة ذلك، وبيان أن الشرك فتنة لا تعلوه فتنة.. وأن ما يترتب على الجهاد من قتل وقتال لا يمكن أن يوازي فتنة الكفر والشرك!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

وهؤلاء الذين يكثرون من الحديث عن الفتنة والفتن وبخاصة كلما أثير موضوع الجهاد في سبيل الله .. لا بد من أن يتنبهوا إلى أن سكوتهم عن الشرك، وتعايشهم معه من غير إنكار هو عين الفتنة، وقد وقعوا فيها من كل جهاتها !!

عندما يستهينون بالكفر والشرك الصادر عن الطغاة الآثمين، ويسكتون عنه . رهبة أو رغبة . ولا يحذرون العباد منه، يكونون بذلك ممن رضوا بالفتنة ووقعوا فيها !!

عندما يثبطون الأمة عن الجهاد بحجة اجتناب الفتنة .. يكونون بذلك قد وقعوا في الفتنة، وصاروا دعاة إلى الفتنة !!

وعليهم وعلى أمثالهم يُحمل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتِدُنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ التوبة: 49. هؤلاء استأذنوا النبي ﷺ في ترك الجهاد في سبيل الله خشية الوقوع في الفتنة، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، أي بسبب تركهم الجهاد ووقعوا في الفتنة التي زعموا الفرار منها !! هؤلاء سقطوا في الفتنة بسبب أنهم تركوا الجهاد بعد استئذان .. فكيف بالذي يترك الجهاد بلا استئذان .. كيف بمن يثبط الأمة عن الجهاد وينفر العباد عنه على أنه فتنة .. كيف بمن يستعدي الجهاد والمجاهدين .. لا شك أنه أولى بالفتنة من أولئك الذين استأذنوا النبي ﷺ. إلى هنا نكون قد انتهينا من الإجابة على المسألة الأنفة الذكر، لننظر. بإذن الله . إلى المسألة التي تليها.

المسألة الثالثة: أيهما أولى أولاً أن تنصرف الأمة إلى جهاد المرتدين الممثلين في طواغيت الحكم

وأعوانهم من الظالمين، أم إلى قتال وجهاد الكفار الأصليين، كجهاد اليهود في فلسطين ونحوهم ..؟! يُطرح هذا السؤال من جهات وأطراف عدة؛ منها من يطرحه استرشاداً وطلباً للحق، ومنها . وهم الأكثر. من يطرحونه ابتغاء الفتنة والتفريق بين المسلمين !!

تذرعوا بالجهاد في فلسطين أولاً .. فقالوا كلمة حقٍ أرادوا بها باطلاً؛ فلا هم جاهدوا في فلسطين، ولا هم جاهدوا المرتدين المتسلطين !!

ونلخص الجواب على هذا السؤال في النقاط التالية:

1- اعلم أن كفر الردة أغلظ من الكفر الأصلي من وجوه عدة، قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 534/28: قد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة: منها أن المرتد يقتل بكل حال، ولا يضرب عليه الجزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي. ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنه لا يُقتل عند أكثر أهل العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد. ومنها أن المرتد لا يرث ولا يُناكح ولا تؤكل ذبيحته بخلاف الكافر الأصلي، إلى غير ذلك من الأحكام.

وبهذا يتبين أن من كان معهم . أي التتار. ممن كان مسلم الأصل هو شر من الترك الذين كانوا كفاراً؛ فإن المسلم الأصلي إذا ارتد عن بعض شرائعه كان أسوأ حالاً ممن لم يدخل بعد في تلك الشرائع ا-هـ.

2- أما أيهما يُقدم جهادهم أولاً: الكفار الأصليون، أم المرتدون ..؟

أقول: إن أمكن جهادهما معاً فهذا أحسن وأبلغ في النكاية بالطرفين، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين أرسل جيش أسامة رضي الله عنه . الذي كان قد أعده النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته . لقتال الروم .. وبنفس الوقت أعد الكتائب وأرسلها لمواجهة حركات الردة التي حصلت وقتئذٍ لبعض قبائل العرب. أما إن حصل عجز عن مواجهة الطرفين معاً وكان لا بد من تقديم أحدهما على الآخر، فإنه يُنظر إلى أيهما أشد خطراً على الإسلام والمسلمين فيبدأ به أولاً.

فإن استويا في الخطر على الأمة قدم قتال المرتدين على الكفار الأصليين لما تقدم بيانه من أن كفر الردة أغلظ وأشد من الكفر الأصلي، ولكون المرتدين . في الغالب يكونون . ألصق العدوين وأقربهما إلى المسلمين .. والله تعالى أعلم.

3- ما يخص جهاد الصهاينة اليهود في فلسطين المسلمة هو واجب وفرض عين على كل مسلم في العالم . كل بحسب استطاعته . قدر على جهادهم والنيل منهم، لا يجوز أن يؤخر ذلك مؤخر .. وهذا لا يمنع من أن نشير . وهو ما يعلمه الجميع . أن عصابات الردة الحاكمة في بلاد الطوق وغيرها من البلاد العربية يعملون بشراسة وإخلاص ككلاب حراسة أوفياء وعلى مدار الساعة لمنع تسرب أي عمل جهادي

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

ضد الصهاينة اليهود، سواء هذا العمل كان على مستوى الجماعات أو الأفراد .. فضلاً عن أن يكون على مستوى الشعوب أو الدول!!

وهذه حقيقة جاثمة لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها عند التفكير أو العمل بجد من أجل تحرير

فلسطين كامل فلسطين من أيدي المغتصبين الصهاينة الدخلاء!!

وكل من يتجاهل هذه الحقيقة الظاهرة فهو لا يعيش الواقع، وهو كمن يريد أن يأتي البيوت من

غير أبوابها التي تفضي إليها!!

لأجل ذلك كله نؤكد على ضرورة وأهمية جهاد هذه العصابات المرتدة الحاكمة في بلاد المسلمين،

وإعطائها الأولوية في أي عمل جهادي هادف وراشد.

4- من الأزمات الفكرية والعقدية التي تعيشها كثير من الجماعات العاملة للإسلام في هذا الزمان

عقدة التفريق بين العدو الخارجي، والعدو الداخلي!!

فالعدو الخارجي يجب جهاده بكل ما يملك من أسباب القوة ويلقى عند القوم كل حماس ..

بينما العدو الداخلي . مهما اشتد كفره وعداؤه للأمة . لا يجوز جهاده ولا حتى مجرد التفكير بمقاومته

ورده عن عدوانه وإجرامه!!

فهم لا يستطيعون أن يستسيغوا وجود سوري يقاتل سورياً آخر، أو مصري يُقاتل مصرياً، أو

فلسطيني يُقاتل فلسطينياً آخر.. وإن كان هذا الآخر أكفر من اليهود والنصارى، وشره على البلاد والعباد

أشد وأغلظ من شر اليهود والنصارى!!؟

وهذه مشكلة ضخمة . لها مساس بالعقيدة والتوحيد . لا بد من تجاوزها وحلها أولاً إن أردنا لهذه

الأمة أن تمهض من كبوتها وتستأنف حياتها الإسلامية من جديد، وأن تُسترد الحقوق المغتصبة لأهلها

وأصحابها الحقيقيين.

وهي مشكلة كذلك تدل على أن كثيراً من العاملين لهذا الدين في هذا العصر لم يعرفوا بعد

حقيقة وطبيعة هذا الدين العظيم، فضلاً عن أن يرتفعوا إلى مستوى متطلبات النهوض بتبعاته وواجباته

العامّة!!

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

المسألة الرابعة: هل يستلزم من قتال عصابات الردة الحاكمة، اعتبار البلاد التي يحكمونها بلاد

ردة، والتعامل مع أهلها على أنهم مرتدون ..!!؟

الجواب: لا يستلزم من قتال عصابات الردة الحاكمة اعتبار البلاد التي يحكمونها بلاد كفروردة، كما لا يستلزم اعتبار أهالي وسكان تلك البلاد مرتدين تُجرى عليهم أحكام الردة وتبعاته .. فلا هي الديار التي يُحكم لها بالإسلام على الاطلاق التي تُطبق فيها أحكامه وشرائعه، ولا هي بالديار التي يُحكم عليها بالكفر أو الردة، وإنما هي ديار من نوع آخر لا إلى هذه ولا إلى تلك؛ حيث فيها ما يُجرى عليه أحكام الكفر والردة؛ وهم ممثلون في العصابات الحاكمة وأعدائهم الظلمة .. وفيها ما يُجرى عليه حكم الإسلام وهم عامة الناس من المسلمين.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن بلدٍ اسمها "ماردين" فيها النوعين: فيها المرتدون وهم العسكر المتسلطون، وفيها المسلمون وهم عامة أهاليها، وهي تشبه كثيراً بلاد المسلمين في هذا العصر .. هل هي بلاد كفروردة أم أنها دار إسلام وأمان .. ؟

فأجاب رحمه الله: الحمد لله، دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها .. والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه، وإلا استحبت ولم تجب. ومساعدتهم لعدو المسلمين بالأنفس والأموال محرمة عليهم، ويجب عليهم الامتناع من ذلك، بأي طريق أمكنهم، من تغيب أو تعريض أو مصانعة، فإذا لم يكن إلا بالهجرة تعينت. ولا يحل سبهم عموماً ورميهم بالنفاق، بل السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة في الكتاب والسنة، فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم.

وأما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة فيها المعنيان: ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويُقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه⁽¹⁾ ا-هـ.

¹ الفتاوى: 240/28.

مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

وبعد، إلى هنا نكون . بفضل الله ومنته . قد انتهينا مما أردنا بحثه وبيانه من مسائل هامة تتعلق بأنظمة وجيوش الأمة .. راجين من الله تعالى لهذا العمل وكل عمل القبول في الأرض وفي السماء، وأن ينفع به البلاد والعباد، وأن يجعل منه مفتاح خيرٍ مغلاقٍ شرٍ .. إنه تعالى سميع قريب .
واني لأعترف بوعورة الطريق وصعوبة المسائل التي تمت مناقشتها وبحثها في هذا المبحث الهام الموجز، ولولا إجماع كثير من أهل العلم والاختصاص عن الخوض فيها رغم الحاجة الماسة إلى بيان موقف الشرع منها، والخوف من أن يلحق بنا إثم كتمان العلم .. لما تجرأنا على الخوض في غمارها، ولا استشرفنا تحمل تبعات هذه الكلمات التي ستثير طواغيت الأرض علينا، ولرضينا بما يقوله مشايخنا وأساتذتنا ..!

هذا البحث دعوة صادقة لأصحاب الأقلام المميزة النظيفة التي لا تعبأ بلوم الطواغيت الظالمين .. إلى أن يُعنوا هذه المسائل الهامة اهتمامهم، ويُعطوها الأولوية من أعمالهم للحاجة الماسة إليها، ولقلة الأبحاث التي تناولتها ..!

هو دعوة للحوار الهادف بين أهل العلم والاختصاص عسى أن يتمخض عنهم من الخير ما ينفع الله به الأمة، مما قد خفي علينا، ولم نذكره في بحثنا هذا .. وهو لا شك أنه كثير .
ورجاؤنا منهم أن لا يترددوا في نصحننا والكتابة إلينا .. فالتقصير موجود، والزلل موجود .. وعزاؤنا أننا بذلنا جهدنا المستطاع، وأردنا من ذلك كله نصح الأمة إبراءً للذمة .. فإن أصبت فمن الله تعالى وحده، وله المنة والفضل والحمد، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1421/08/04 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2000/11/01 م

اخذز ثقافة المهزومين

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

للهزائم صور وأشكال شتى .. أشدها فتكاً وأثراً على الشعوب والأمم الهزائم الفكرية الثقافية .. الهزائم التي تصيبها في عقيدتها وهويتها .. فإذا انهزمت أمة من الأمم فكراً وثقافياً فقدت خاصية التمايز التي تميزها عن بقية الأمم والشعوب، بل فقدت عنصر المناعة الذي يصونها من جميع الأمراض وأشكال الغزو الخارجي، المادي منها والمعنوي ..!

فأي فكرة تعترضها أو تفد إليها تستسيغها، وتصفق لها، وترفع لها راياتها، وتشطحها أرضاً .. وتفقد القدرة على رفضها أو تحليلها وفحص النافع منها من الضار ..!

وكما أن للنصر والعزة والإباء أبطال وقادة ورواد .. كذلك للهزائم ومراحل الانحطاط وضياح الهوية، وفقدان الشخصية رواد وقادة وكتاب؛ لكنهم قادة وكتاب على مستوى الهزيمة التي أصابتهم وأصابت أمتهم بسبب من أنفسهم المهزومة المقهورة ..!

قادة وكتاب مشوهون لا يستطيعون أن يرقوا بأنفسهم المهزومة المقهورة إلى درجة الحقيقة المطلقة .. لذا تجد نشاطهم كله يدور حول فقه التبريرات والرخص .. فقه الاستضعاف وسقوط التكاليف .. فقه الاعتراف والتعايش مع الباطل المنتصر .. فقه الرضى بالأمر الواقع وإن كان باطلاً .. الرضى بالفتات من الحقوق المغتصبة .. على اعتبار أن القليل أفضل من لا شيء .. فهم يرضون بهذا القليل لأن البديل عندهم هو شيء واحد؛ هو لا شيء ..!!

نفوسهم أضعف من أن ترقى بهم إلى القمم والمعالي من الأهداف والغايات .. فهم فقدوا الأدوات الضرورية التي يمكن أن ترقى بهم إلى ذلك المستوى الرفيع .. لذا فهم يتحركون في السهول والسهل والحفر، وفي الأماكن التي لا تليق بذوي المروءة والنفوس الأبية أن يتواجدوا فيها ..!!

وأمة الإسلام . في هذا الزمان . أصابها الكثير مما تقدم .. أصابها كثير من شر ثقافة المهزومين بل والمتأمرين .. فقد ابتليت برجالات ودعاة، وهيئات وتكتلات مشبوهة . سمت نفسها بالإسلامية! . لو سلطت

اُخَذَ ثِقَافَةَ المَهْزُومِينَ

على أي دينٍ أو أمة من الأمم غير دين الإسلام وأمة الإسلام .. لكنت كفيلة بأن تقضي على هذا الدين وتلك الأمة بأشهر معدودات !!..

لكن الله تعالى . بفضله ومنته ورحمته . قد تكفل بحفظ هذا الدين، وبأن يُظهر كلمته على أيدي طائفة من المؤمنين ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم إلى يوم القيامة.
من أعظم وأشد ما ابتليت به أمة الإسلام .. ابتلاؤها بذوي الأقلام والثقافات المهزومة المشوهة المشبوهة .. المهزومة نفسياً وداخلياً قبل أن تُهزم في ميادين العمل والنشاطات الظاهرة !
هؤلاء وظيفتهم . التي وضعت وحددت لهم من قبل الطواغيت الظالمين الجاثمين على صدور شعوبهم بالحديد والنار. أن يلعبوا دور سحرة فرعون وهم في مرحلة الكيد والانتصار لفرعون وباطله .. في إضلال الشعوب وترويج ألوهية وربوبية الطواغيت عليهم !!..
أن يلعبوا دور المزينين المزخرفين للباطل وأفكاره لتروج على العباد والبلاد .. وكأنها من الثوابت التي لا تقبل النقاش أو التبديل !!..

ما من باطل يروج في الخارج إلا وتجد من هؤلاء المثقفين المهزومين من ينبري كبوق وداعية لهذا الباطل الغريب عن جسد الأمة وعقيدتها !!..
قالوا في الخارج عن الاشتراكية، والديمقراطية، والقومية، والوطنية .. وغيرها من الشعارات والوثنيات التي تعبد العبيد للعبيد .. فوجد من هؤلاء المهزومين من ينتصر لهذه الشعارات الدخيلة الوافدة، ويسخر لها قلمه ومقدرته على السحر والتلاعب بالألفاظ ليضلل بذلك عقول البسطاء من الناس !!..

بل ما من باطل وشنوذ يُردد في بلاد الغرب . حتى عبادة وعبدة الشيطان . إلا ووجد في هذه الأمة ومن هؤلاء المهزومين من ينتصر لتلك الشنوذات والانحرافات !!..

صدق رسول الله ﷺ: "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ حتى لو دخلوا جُحر ضبٍ لاتبعتموهم" قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: "فمن": أي من يكون غيرهم !!؟!

وقال ﷺ: "ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمَّهُ علانيةً كان في أمتي من يصنع ذلك .. !!".

وللمثقفين المهزومين دلالات وعلامات تدل عليهم، وتعرّف بهم أهمها:

1- أنهم دعاة إلى التعايش .. ليس التعايش في ظل حكم الحق ثم يكون بعد ذلك لا إكراه في الدين .. لا؛ إنما تعايش الحق مع الباطل وتحت حكمه وسياسته وسلطانه إلى أن يصعب التمييز بين الحق وراياته، وبين الباطل وراياته !!

ومن ذلك دعوتهم إلى تقارب الأديان .. وإلى تحاور الأديان .. لا لكي يظهر الحق من الباطل فيتبع .. لا؛ وإنما ليتعايش الحق مع الباطل في ثوب واحد، ولكي تختلط المبادئ والمفاهيم والقيم .. ومن دون أن يكون للحق تمايزه ووجوده المستقل .. ولتغيب الصراع . القديم منذ أن خلق الله تعالى آدم وإبليس والمستمر إلى يوم القيامة . بين الحق والباطل !!

فهم يعملون لتغيب هذا الصراع من طرف واحد فقط؛ طرف الحق وأهله وحسب .. أما طرف الباطل وأهله فهم لا سلطان لهم عليهم .. وهم يعملون ليل نهار على تزكية هذا الصراع وتقوية جانب الباطل الذي هم عليه، تحسباً لأي معركة تدور بينهم وبين الحق وأهله، ومن دون أن ينكر عليهم أحد !!

لذا نجد هؤلاء المثقفين المهزومين لا يجرون على مناقشة الداعي والسبب في أن الباطل وجيوشه كان ولا يزال يتسلح بأطور الأسلحة النووية الفتاكة وغيرها .. بينما لو ملك مسلم سكيناً أو حجراً يرمي بها عن نفسه وحرماته .. انبروا . بأقلامهم المبرية وألسنتهم المسلولة السليطة . ليرموه بالإرهاب والتطرف، والإجرام .. وأسرعوا في عقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تطالب بضرورة التعايش والتفاهم، وإجراء الحوار !!

2- ومن علاماتهم كذلك أنهم إذا تكلموا عن الجهاد في الإسلام حصروه في الجهاد الدفاعي عن عقرداره وبيته، وضد العدوان الخارجي حصراً !!

أما أن يُعقد الجهاد من أجل تحرير الشعوب من عبودية العبيد ومن سلطان وهيمنة الطواغيت التي تُحيل بين شعوبهم وبين اختيارهم للدين الحق .. فهذا . عند المثقفين المهزومين . لا يجوز .. !!

كذلك أن يُشرع الجهاد ضد حركات الردة والزندقة التي تواجه الأمة من الداخل .. فهذا أيضاً لا يجوز .. لأنهم مواطنون رسميون .. وجهادهم يتغاير مع حقوق المواطنة المعطى لهم .. ومع العقيدة الوطنية التي تكرر عقيدة الولاء والبراء على أساس الانتماء إلى الوطن والتراب !!

3- ومن علاماتهم .. أنهم دعاة إلى السلام .. وأن يكثرُوا الحديث عن السلام .. فيضعون السلام في غير موضعه الحقيقي والمشروع .. مهما ترتب على هذا السلام من تبعات ومضاعفات تؤدي إلى ضياع الحقوق المغتصبة .. واستعلاء الباطل بباطله على الحق وأهله !!

فهم لا يريدون السلام الذي دعا الله إليه وأمر به .. وإنما يريدون السلام الذي دعا إليه الطواغيت، وتداعت إليه أطراف الكفر والنفاق .. السلام الذي يعترف بشرعية المغتصب وحقه فيما اغتصب !!

4- ومن علاماتهم .. أنك تجدهم . إن فقدتهم . على العتبات .. على عتبات الطواغيت، يستجدون العطاء .. ولمسة حنان من أيدي الطواغيت الملوثة بدماء الشعوب المقهورة .. أو نظرة رضى يلقمها عليهم!! فهم يتلقون كلمات الطواغيت وكأنها نصوص منزلة؛ فيتوسعون في شرحها وتأويلها وتحليلها وبيان المراد منها .. إلى حدّ التملق والتكلف .. وبصورة لا يريد لها الطاغوت نفسه ولم يكن قد تفتن لها عندما ألقى كلماته الذهبية الوردية ..!!

لذا نجد الطواغيت يقربون هذه الشرائح من المثقفين، ويخصونهم بالعطاء والمنح والأسفار المجانية .. وكل التسهيلات التي يحتاجونها .. ما داموا يقومون بدور السحرة الذين يقنعون جماهير الناس الضالة بشرعية حكم الطواغيت .. وما داموا يعملون بإخلاص من أجل تثبيت دعائم حكم الطواغيت .. من خلال قلب الحقائق واعتماد أساليب الغش والكذب على الناس !!

لكل طاغوت عبر التاريخ وإلى يومنا هذا لا بد له من سحرة يتكئ عليهم في تمرير باطله وكفره .. وفي إضلال العباد وسحر عقولهم وأبصارهم لما فيه خدمته ومصالحته ومصالحة نظامه وعرشه .. وسحرة الطواغيت في هذا الزمان هم هؤلاء الدجالون المثقفون المهزومون ..!!

5- ومن علاماتهم .. أنهم يؤمنون . رهبة أو رغبةً . ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .. ومنهم من يقول: هذا لله وهذا لقيصر .. هذا لله وهذا للشعب والجماهير .. هذا لله وهذا للإنسان .. وما كان للشعب لا يصل إلى الله، وما كان لله يصل إلى الشعب .. ساء ما يحكمون !!

6- ومن علاماتهم .. أنهم يعبدون العقل من دون الله تعالى .. فيقدمون العقل الفاسد على النقل الصحيح، ويُعارضون النقل الصحيح بالعقل الفاسد المريض .. والسياسة الشرعية بالسياسة الوضعية..!

غرهم علم الكلام والفلسفة والمنطق الذي تربوا عليه .. فقدموه على علم الكتاب والسنة .. فخاضوا فيما لا يجوز الخوض فيه .. وسموا تحريفاتهم وشذوذاتهم . الناتجة عن خوضهم الباطل . بالتأويل والعقليات .. لتروج على عوام الناس وبسطائهم !!

7- ومن علاماتهم .. أنهم يميلون إلى الإرجاء وإلى ترك العمل، وإلى تفسير الإيمان على أنه مجرد قول أو اسم .. فمن قال لا إله إلا الله ولو مرة في العمر، أو تسمى بأسماء المسلمين وانتسب لأبوين مسلمين .. فهو مؤمن ومسلم مهما كان منه من عمل .. وهو فوق أن يُطعن بإيمانه أو إسلامه !! وهذا الذي يُفرح الطواغيت الظالمين ويثلج قلوبهم .. لأن هذا الكلام مفاده أنهم مؤمنون ومسلمون .. وأنهم مهما ظهر منهم من أعمال كفرية تنافي الإيمان والإسلام .. فهم مسلمون . لا يجوز أن يرقى إليهم الشك أو الطعن . تجب طاعتهم على الناس !!

لذا لا غرابة لو وجدت طواغيت الحكم يمدون يد العون والدعم وكل التسهيلات لدعاة الإرجاء هؤلاء .. لا لأنهم يحبونهم أو يُحبون الإسلام، لا .. بل لأنهم يُصبغون عليهم وعلى حكمهم ونظامهم الشرعية التي يجب أن تُطاع !!

فهم عصاته وأداته التي يُسكت بها الناس كلما دار حديث فيما بينهم حول جدية إيمان وإسلام طغاة الحكم الظالمين .. وكلما أثرت حوله وحول نظامه الشبهات وكثرت التساؤلات وإشارات الاستفهام .. وخاض فيه الخائضون ؟!!

هذه هي أبرز علامات المثقفين المهزومين .. حيثما تجدها أو تجد بعضها فاعلم أنك وجدت المثقفين المهزومين .. وجدت هذا الركام الهالك الذي ضل وأضل .. والذي رضي أن يبيع دينه وأخرته بدنيا غيره ..!

اخذ ثقافة المهزومين

والواجب عليك حينئذٍ يا عبد الله أن تحذرهم وتحذر كتاباتهم ومقالاتهم .. وأن تحذر الآخرين المغرورين بهم، الذين غرتهم الألقاب والرتب والأوسمة التي يغدقها الطاغوت على بطانته من المثقفين المهزومين !!

فاحذرهم وحذر الآخرين منهم ومن أمراضهم، ومن خلطتهم أو مجالستهم، أو السماع إليهم .. أو القراءة لهم .. فإنهم الجذام .. والسرطان .. والإيدز القاتل .. لا يكاد يسلم من اقترب إليهم من شبهة أو عدوى أو مرض قد يكون سبباً في القضاء عليه وهلاكه .. فيخسر دينه وديناه !!

فاحذرهم .. إنهم الوباء الذي تنمو فيه بذور النفاق والفرقة والشقاق .. !

فاحذرهم .. إن أردت النجاة والسلامة لنفسك في دينك، ودنياك، وآخرتك .. فهم كنافخ الكير بالنسبة لجليسهم .. إن لم يصله من نارهم ما يحرقه ويحرق ثيابه، فإنه يصله ولا بد من رائحتهم النتنة ما يفسد عليه حسه المرهف، وذوقه السليم .. !

﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ..﴾ .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ..﴾

فهم العدو ..!

وعليك بالعكوف على دراسة وفهم الكتاب والسنة .. ذلك النبع الأصيل الصافي العذب .. ذلك المعين الذي لا ينضب عطاؤه وخيره .. ذلك الهادي إلى كل خير في الدنيا والآخرة.

عليك بالعكوف على كل من استمد علمه وفهمه . من سلفنا الصالح . من هدي الكتاب والسنة .. هذا إن أردت النجاة ورجوت أن تكون من الفرقة الناجية يوم القيامة.

قال ﷺ: "تفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي".

ثلاث وسبعون ملة كلهم في النار .. وهي ملل المثقفين المهزومين .. إلا ملة واحدة .. وهي الملة التي تلتزم بغرس النبي ﷺ وغرس أصحابه من الدين والفهم والاستقامة.

وكلمة أخيرة إلى هؤلاء المثقفين المهزومين .. فنقول لهم: قد مر على الأمة أمثالكم الكثير الكثير من المهزومين .. فأين هم وأين أمة الإسلام .. أين باطلهم وكيدهم ومكرهم وثقافتهم المهترئة .. وأين الحق المبين .. أين هم وأين دعاة الحق والتوحيد !!

اُخَذَ ثِقَافَةَ الْمُهْرُومِينَ

قد تكفل الله بحفظ دينه .. وأن لا تجتمع أمة الإسلام على باطلٍ أو ضلالةٍ أو خيانة .. فأنتم تحاولون عبثاً .. حملكم على المواجهة والمكر سوء الظن بالله تعالى !

مثلكم كأصلع الرأس يناطح جبلاً أشمَّ جذوره في الأراضين السبع، ونهايته في السماء !!

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهئها ... فما أوهاها ولكن أوهى قرنه الوعلُ

مثلكم كمثل الكلاب التي تنبح .. وقافلة الحق تسير..!

إن كلمة الله هي العليا .. وكلمتكم . مهما زوقت وزُخرفت . هي السفلى !!

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .. ولكم ولتجمعاتكم وتكتلاتكم كلها الذل والخنوع والهوان

مهما انتفضتم بالباطل، واعتزتم بالطواغيت !!

نقول الحق ونذود عنه .. وتقولون الباطل وتذودون عنه !!

آمنا بالله واتبعنا الرسول .. وآمنتم بالطواغيت واتبعتم الشياطين !!

نجاهد في سبيل الله .. وتجاهدون في سبيل الطواغيت !!

نألم كما تألمون .. ولكن نرجو من الله ما لا ترجون !!

قتلانا في الجنة .. وقتلاكم حطب النار..!

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة
أبو بصير الطرطوسي

1421/08/25 هـ

2000/11/22 م

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله

وتعبيد العبيد للعبيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد: فإن القلوب تمرض وتموت كما تمرض الأبدان وتموت، وينتابها من الوهن والضعف كما ينتاب الأبدان، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ الأنعام: 122. أي من كان قلبه ميتاً بالكفر فأحياه الله تعالى بنور الإيمان والتوحيد، فيمشي به بين الناس على بصيرة وعلم، يدرك الأشياء على حقيقتها كمن كان قلبه ميتاً بالكفر وأثر البقاء في ظلمات الكفر والشرك فما هو بخارج منها ليمكن من رؤية النور والحق على حقيقته .. فهو لو رأى يرى كمن يرى في الظلمات بعضها فوق بعض لا يحسن التمييز بين الأشياء، ولا التفريق بين الحق والباطل، ولا بين المعروف والمنكر.. لا يستوي من كذلك ومن أحيا الله قلبه وبصيرته بالإيمان مثلاً. وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: 10. أي في قلوبهم مرض الكفر والنفاق فزادهم الله مرضاً أي كفراً ونفاقاً بسبب أنهم كانوا يكذبون الرسل وما نزل عليهم من الآيات.

وأمرض القلوب تأتي من جهتين: من جهة الشهوات، ومن جهة الشبهات.

والذي يعيننا في بحثنا هذا الأمراض التي تأتي من جهة الشهوات، وبيان أثرها على القلوب، وفي

الصد عن دين الله، وتعبيد العبيد للعبيد ..!

فأقول: الشهوات تكون مصدراً وسبباً لأمراض القلوب عندما يتم تلبية رغباتها ونزواتها عن غير

طريق الشرع، وعندما يتوسع المرء في تلبية رغباتها أكثر من القدر المشروع .. إلى أن يصبح بكليته منقاداً

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

لشهوته ونزواته، يعمل لها، تقوده ولا يقودها، لا يعرف غاية إلا كيف يشبعها ويروي ظمأها الذي لا ينطفئ.. فكلما أعطاه ما تريد من الوقود ازدادت اشتعالاً وقالت له هل من مزيد .. ولا يُملئ بطن ابن آدم إلا التراب⁽¹⁾ !

عندما تستحكم الشهوات من ابن آدم إلى هذا الحد فإنها تهلكه وترهقه، وتضعف قلبه وإيمانه بقدر تمكنها منه واستعلائها على عرش قلبه، كما أنها تُضعف عنده الإرادة . بقدر كذلك . على النهوض بالحق وتبعاته أو حتى الالتفات إليه والإنصات له .. وقد تصل به إلى حدِّ تحقق فيه العبودية لمخاليق هي أقل منه قدراً وشأناً .. وتجعله أثيراً لكثيرٍ من الأشياء لا فكاك له من الانقياد والخضوع والتذلل لها، والوقوع في عبادتها من دون الله تعالى ولو بوجه من الوجوه ..!

وإليك بعض النصوص الشرعية التي تدل على هذه المعاني الأنفة الذكر:

الدليل الأول: قال رسول الله ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد" متفق عليه.

أخرج البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: قلت لابن عباس كيف يُنزع الإيمان منه ؟ قال: هكذا . وشبك بين أصابعه ثم أخرجها . فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه.

¹ الشهوات تأتي من جهات ثلاث: من جهة الفرج والبطن، ومن جهة المال والحرص عليه، ومن جهة الرياسة والشرف وحب الشهرة والزعامة والإمارة والحرص عليها .. وهي من أشدها أثراً على الإنسان وأخلاقه ودينه، حتى أننا نجد . من أجل الرياسة والزعامة . من يُضحى بأبيه وبمصالح دينه وأمتة وإخوانه، ويدخل في موالاة الكفرة والمشركين مقابل أن يُساعدوه فيما هو عليه من الملك أو يقصد إليه من الملك والرياسة والزعامة ..!

والشيطان يأتي الإنسان من هذه الجهات الثلاثة .. فمن يأس منه من جهة شهوة البطن والفرج جاءه من جهة شهوة حب المال وكنزه وطمغيانه، ومن لم يُفلح معه من هذه الجهة ولا تلك جاءه من جهة شهوة حب الشرف والشهرة والرياسة والزعامة .. ومنهم من يأتيه من الجهات الثلاثة ويُفلح معهم من كل الجوانب والطرق .. وهؤلاء لا تسأل عن هلكتهم وقدر ضياعهم !

قال رسول الله ﷺ: "ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

أثر الشهوات في الصّد عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

وقال ابن عباس: ينزع منه نور الإيمان في الزنا، فإن زال رجع إليه الإيمان.

قال ابن حجر في الفتح 59/12: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" قيد نفي الإيمان بحالة ارتكابه

لها، ومقتضاه أنه لا يستمر بعد فراغه وهذا هو الظاهر -هـ.

قلت: وإن كنا نعتقد . كما دلت على ذلك نصوص عدة . أن هذه الذنوب الأنفة الذكر لو جاءت

منفردة من غير استحلال أو تحسين لا تُخرج صاحبها من الملة .. ولكن في الحديث دلالة رهيبه على ما

تفعله تلك الذنوب من أثر في الإيمان والاعتقاد لحظة ارتكابها ..!

ثم هي تفعل هذا الفعل في القلوب وفي الإيمان إن فعلت مرة واحدة .. فتأمل لو فعلت مرات

ومرات إلى درجة الإدمان .. كم سيكون حجم الدمار والأمراض التي ستصيب القلب والإيمان ..!؟

لا شك أنها ستصل بصاحبها إلى حدٍ لم يعد يقوى معه على القيام بالواجبات الشرعية، ولو قام

بها أو ببعضها فهو لا يقوم بها على الوجه المطلوب .. بل قد يصل به الحال إلى درجة أنه لم يعد يملك

القدرة على الإنصات للخطاب الشرعي .. ولو أنصت للخطاب الشرعي فهو لا يكاد يفقه منه شيئاً إلا ما

شاء الله(1).

¹ لو تأملت حال الناس وموقفهم من الخطاب الشرعي . قال الله قال رسوله . عندما يبلغهم تجد فريقاً منهم وقافاً عند حدود وأحكام الخطاب، ويلقي كل سمعه للخطاب ودلالاته، فيستفيد ويُفيد .. ومنهم من يستمع إلى الخطاب لكنهم أقل استجابة من الفريق الأول، وأقل استفادة وإفادة .. ومنهم من يستمع إليه وهم يلعبون لا يفقهون من دلالاته وأحكامه شيئاً، ولا يُريدون أن يفقهوا شيئاً .. وهذا التفاوت بين هذه الأصناف من الناس في التأثر بالخطاب الشرعي مرده كله إلى القلوب ودرجة ما فيها من الحياة أو المرض !

وهؤلاء قد ضرب النبي ﷺ لهم مثلاً فقال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيةً قبلت الماء فأنبتت الكلأ فأنبتت الكلاً والعُشبَ الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ورعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعانٌ لا تُمسكُ ماءً ولا تنبتُ كلاً. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" متفق عليه.

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

والأبلغ من هذا وذاك أن يصل إلى درجة لا يحب معها أن ينصت إلى الخطاب الشرعي حتى لا تتفتق عليه جراحات قلبه وأمراضه، فيدرك خطورة الواقع الذي هو عليه .. وهذا حال أكثر الذين تستحوذ عليهم الآثام والمعاصي فإنهم لا يحبون أن يذكرهم أحد بمعاني الإيمان والطهر والاستقامة فإن ذلك يُفسد عليهم متعتهم الهيمية فيما هم فيه من الانغماس بالشهوات، كما قال تعالى عن قوم لوط لما شاعت فيهم فاحشة اللواط واستحوذت عليهم: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ النمل 54-56. فذنبه عليه السلام أنه يتطهر ويأمرهم بالطهر، ولا يُشاركهم ما هم فيه من رجس .. وهذا كافٍ بأن يُفسد عليهم حياتهم الهيمية التي ترتد عليهم بالنكد والعذاب والدمار .. وحتى لا يحصل لهم ذلك حكموا عليه وعلى من آمن معه بالإبعاد والطرده والإخراج من قريته وبلدته.

فهم أمروا بإخراجه وطرده حتى لا يقع نظرهم عليه فيتذكرون تعاليمه وأوامره ونواهيته .. فينغص ذلك عليهم ما هم فيه من فجور ..!

كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله" (1)، فالمؤمن من دون أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن منظره يُذكر القوم بالله تعالى، وبقائمة طويلة من معاني الطهر والفضيلة .. لذا هم لا يُطبقون النظر إليه (2).

قلت: كذلك مفهوم المخالفة يقتضي أن النظر إلى صور الباطل على اختلاف أشكالها وأنواعها، فإنها تُذكر بما تنطوي عليه من معاني وصور باطلة .. وبالتالي فإن القلوب تتأثر سلباً من إدامة النظر إليها .. من هنا جاءت أوامر الشريعة تحض على غض الطرف عن المنكرات ..!

عودة إلى الحديث: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. فهو وإن عاد إليه إيمانه بعدما يُقلع عن الوزر فإنه لا يعود إليه سالماً كما كان قبل أن يقترف ذنبه وجرمه .. فإنه يعود إليه ضعيفاً معلولاً

¹ أخرجه المروزي، والطبراني، السلسلة الصحيحة: 1733.

² إذا عرفت ذلك فلا تعجب عندما تسمع عن تلك الدول التي تزعم الحرية. عندما تضيق ذرعا ببعض الطالبات لارتدائهن الحجاب وتصدر بحقهن قرار الفصل من المدرسة إلى أن يخلعن الحجاب، كما حصل في فرنسا وغيرها ..!

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

مصائباً بجراحات لا تلتئم إلا بعد زمن، وبعد تقديم الطاعات والصدقات، والتوبة والاستغفار فور وبعد وقوعه في الذنب والجرم ..!

والإيمان في القلب مثله في ذلك مثل أي عضوٍ من أعضاء الجسد يتعرض للمرض أو التلف؛ فلو كسرت اليد مثلاً.. فإنه من المستحيل أن ترتد إليها عافيتها كما كانت قبل الكسر إلا بعد زمن من العلاج، وبعد قيام التمارين والرياضات الضرورية لها.

الدليل الثاني: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة . وفي رواية: إذا أذنب ذنباً . نُكِّتت في قلبه نُكْتَةً سوداء، فإذا نزع واستغفر وتاب سُقِلَ قلبه، وإن عادَ زيدَ فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽¹⁾.

تأمل كيف أن الذنب الذي يرتكب على الجوارح كيف يرتد على القلب بنكته سوداء تعلوه وتبصم عليه تؤثر على عمله ووظيفته الإيمانية، فإن تكررت هذه الذنوب . من دون أن يتبعها توبة واستغفار.

شكلت طبقة سميكة من النكت السوداء قد تحيل بين القلب وبين وظيفته الإيمانية العقديّة ..! هذه الطبقة من الران تحيل بين القلب وبين فهم الخطاب الشرعي فضلاً عن الانقياد له، والالتزام بدلالاته وتوابعه .. ولو وصله الخطاب الشرعي . قال الله قال رسوله . فإنه لا يتحرك له ولا يتأثر به، فهو يصل إليه كأحرف مجردة من المعاني لا تعني له بشيء .. لذا نلاحظ عندما تُتلى عليه آيات القرآن الكريم . التي لو نزلت على الجبال لخشعت وتصدعت من خشية الله . يستمع إليها باستخفافٍ وبرودةٍ قاتلة وكأنها لا تُتلى عليه .. وذلك كله مرده إلى الران الذي يعلو قلبه!

ثم تأمل قوله ﷺ: "فإذا نزع واستغفر وتاب سُقِلَ قلبه ..": فهو لكي يثقل قلبه بالإيمان وترتد إليه عافيته، لا بد بعد أن يقلع عن الذنب من أن يستغفر ويتوب، ويصدق في ذلك ..!

وفي رواية عند مسلم: "تُعْرَضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأَيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِّتت فيه نكته سوداء، وأي قلب أنكرها نُكِّتت فيه نكته بيضاء، حتى يصير على قلبين: أبيض بمثل الصفا فلا

¹ صحيح سنن الترمذي: 2654.

أثر الشهوات في الصّدّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مريناً . أي صار كلون الرماد من الرينة . كالكوز مجخياً . أي مائلاً منكوساً . لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه".

فهو لفساد قلبه بما كسبت يده من المعاصي والذنوب .. يصل إلى درجة لم يعد يرى فيها الأشياء على حقيقتها التي هي عليه .. لم يعد يرى المعروف معروفاً، ولا المنكر منكراً إلا ما يراه هواه من ذلك؛ فالمعروف ما يراه هواه معروفاً ولو كان في دين الله تعالى منكراً، والمنكر عنده ما يراه هواه منكراً وإن كان في دين الله تعالى معروفاً .. فالتحسين والتقبيح مرده إلى هواه وما أشرب من هواه .. وليس إلى دين الله تعالى وشرعه.

والمرء إن وصلت به شهواته إلى هذا الموصل يصبح عبداً متأهلاً لهواه منقاداً له ولحكمه .. وعليه وعلى أمثاله يحمل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ الفرقان: 43. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف: 28. أي وصار أمر دينه ودنياه إلى ضياع وخراب بسبب اتباعه لهواه ..!

الدليل الثالث: قال رسول الله ﷺ: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"⁽¹⁾. أي لو فلتت الذئب الضارية الجائعة بين قطع من الغنم فما هي بأفسد لها وأشد فتكاً بها من أثر الحرص على المال، وحب الرياسة والزعامة والإمارة على دين المرء ..! فالمرء لا يزال يحرص على المال وعلى تكثيره وتجميعه إلى أن يصبح عبداً مأسوراً له، لا هم له إلا كيف يجمع المال، ويكثر رأس المال، فهو يتواجد حيث يتواجد الدرهم والدينار، ويوالي ويواد ويبش حيث يكون ويوجد الدرهم والدينار .. فهو يدور مع الدرهم حيث دار، ولاءً وبراءً⁽²⁾ .. ولو كان عنده وادٍ من ذهب لتمنى وطلب الآخر، لا حاجة سوى حب الكنز والتجميع والتكثير ..!

¹ أخرجه أحمد، والنسائي، والترمذي وقال: حسن صحيح.

² تأمل كم هم الذين يعملون كجنود أوفياء عند الطاغوت، ويستमितون في الدفاع عنه وعن نظامه .. مقابل راتب زهيد من المال يُعطاه، وكم هم مشايخ السوء الذين يجادلون عن الطواغيت والظالمين، ويضفون عليهم الشرعية .. من أجل راتب زهيد من المال يُرمى إليهم .. وكم هؤلاء الدعاة الذين يسكتون عن الحق ويؤثرون الصمت أمام الباطل الذي يروونه

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

فالمرء عندما يصل إلى هذه الحالة يصبح عبداً لماله لا لربه كما قال ﷺ: "تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار..".

وقال ﷺ: "من سعى مكائراً. أي للمال. ففي سبيل الطاغوت، وفي رواية: ففي سبيل الشيطان" (1). فهو في سبيل الطاغوت لأنه يصدّه عن العبادة وعن القيام بواجبات هذا الدين وما يمليه عليه. وكذلك شهوة الحرص على الشرف والرياسة والزعامة فهي أشد على صاحبها من شهوة الحرص على المال .. حيث نجد أن صاحبها يضحي بالمال وبكل عزيز عليه من أجل ذلك، ولو استلزم الأمر أن يدخل في تحالفات مشبوهة مع أعداء الأمة. ويقدم لهم كل ما يطلبونه منه. مقابل أن يثبتوا عرشه وحكمه، أو يُحققوا له ما يصبو إليه من الزعامة والرياسة والإمارة .. فلا يتردد في ذلك لحظة (2)!!

الدليل الرابع: قال رسول الله ﷺ: "مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن" (3).

فإن قيل: كيف يكون كعابد وثن .. وهناك نصوص عديدة تفيد أن أصحاب الكبائر يُتروكون

للمشيئة إن شاء الله عنهم، وإن شاء غفر لهم وعفا عنهم..؟!!

خوفاً على فوات الامتيازات والرواتب التي يمنحهم إياها الطاغوت .. رأيت كيف أن شهوة الحرص على المال تصد عن دين الله تعالى، وكيف توقع صاحبها في عبادة وموالة الطاغوت !!

1 السلسلة الصحيحة: 2232.

2 تأمل هذه المبالغ الطائفة التي ينفقها النائب أو الحزب في حملاته الدعائية لكي يحقق ما يصبو إليه من الزعامة والشرف .. وحتى يُقال عنه الأستاذ النائب فلان .. حيث وجدنا منهم من يجند النساء والفتيات يرسلونهن لدور الناس من أجل ذلك .. وهذا كله يحصل في بلاد المسلمين !!

بل ووجدنا من التجمعات والأحزاب الإسلامية التي تدخل في تحالفات باطلة مع أحزاب الكفر والردة في المنطقة من أجل أن يحققوا لأنفسهم شيئاً من هذه المكاسب التي تدخل كلها في شهوة حب الشرف والرياسة والزعامة .. فتأمل !!

أما إن أردت أن تتكلم عن طواغيت الحكم في ديار المسلمين فحدث عنهم ولا حرج .. حيث ما من حاكم إلا وتراه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً . من خلال معاهدات الدفاع المشترك، وغيرها من الاتفاقيات السرية الخفية . بدولة من دول الاستكبار العالمي، يقدم لها كل ما تريد وتطلب من امتيازات وسياسات كافرة تمارس في بلاده وعلى شعبه .. من أجل أن يُحافظوا على عرشه وملكه، وحكمه !!

3 أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 677.

أثر الشهوات في الصّد عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

أقول: يُحمل الحديث على وجهين وتفسيرين:

أحدهما: أنه يُراد به التخليط وبيان فداحة ذنب الإدمان على شرب الخمر؛ أم الخبائث ..!
والثاني: أنه يُطلق ويُراد به ظاهره؛ وذلك عندما يصل المدمن إلى درجة يكون فيها منقاداً بكليته للخمر، أو لغيرها من المواد المخدرة، انقياد العبد لمعبوده .. يوالي ويُعادي فيها، يُحارب ويُسلم لأجلها، لا يستطيع الفكك من سلطانها وطغيانها .. يُضحى بكل ما يملك من أجل أن يؤمن لنفسه جرعات من الخمر أو المخدرات (1) ..!

فحينئذٍ . بهذا الوصف . يكون الخمر بالنسبة لصاحبه وثن، وهو بالنسبة له كعابد وثن كما قال النبي ﷺ .. والله تعالى أعلم.

ونحو الحديث المتقدم قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة مدمن خمر" (2). ونحو التفسير المتقدم يُفسر ويُحمل هذا الحديث والله تعالى أعلم.

والذي نريده هنا من هذا الحديث والذي قبله أن يظهر للقارئ أثر الإدمان على الشهوات على دين وإيمان صاحبيها .. وكيف أنها تصده عن دين الله تعالى، وعن القيام بحق الله تعالى عليه، وكيف توصله إلى درجة أن يكون كعابد وثن !!

الدليل الخامس: قال ﷺ: "حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات" متفق عليه.

¹ نلاحظ ذلك عند مدمني المخدرات كيف يصل بهم الحال إلى درجة أنهم لا هم لهم في الحياة إلا كيف يؤمنون لأنفسهم جرعات المخدرات ولو أدى ذلك لأن يبيعوا كل ما يملكون، أو يرتكبوا جريمة القتل والقتال، وقطع الطريق ..! وقد ذكر لي أحد الأخوان أنه كان قد ابتلي بالسجن لمدة طويلة في سجون اليهود .. وكيف كان اليهود يستغلون حاجة السجناء إلى الدخان. إلى أن تمكنوا من تجنيد بعضهم كمخبرين وجواسيس على إخوانهم في السجن مقابل أن يزيدوهم بعض السجائر في اليوم عن سواهم .. هذا فيما يتعلق بالدخان، وهو أقل أثراً بكثير على صاحبه من بقية أنواع المخدرات والمفتريات، والمسكرات .. فتأمل!!

² أخرجه ابن حبان، السلسلة الصحيحة: 678.

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

الجنة مطلب الجميع، وما من أحدٍ يسمع بها وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين إلا وتمنى واستشرف أن يكون من أهلها .. ومن ذا الذي لا يتمناها وفيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، — ولا خطر على قلب بشر..؟!!

ولكن لما أحفها الله تعالى بالمكارة كالصبر على الطاعات، وبعض العبادات التي فيها نوع مشقة على النفس كالصلاة وما يتبعها من وضوء وتطهير في الأيام الباردة .. وكذلك الجهاد في سبيل الله وما يتبعه ويترتب عليه من قتل وقتال، وترك لدفع الأوطان .. وغيرها من الطاعات التي تستلزم مخالفة النفس الأمانة بالسوء .. فلما حُفت الجنة بهذه المكارة وغيرها زهد بها الناس، وأعرضوا عنها، وتمنوا غيرها ..!!

وكذلك نار جهنم . أعادنا الله منها . التي يزيد حرّ نارها على مجموع نار الدنيا سبعين ضعفاً .. ما من أحدٍ يسمع بها، وما أعد الله فيها لأهلها من المجرمين .. إلا وتعوذ بالله منها ومن شرها، وتمنى أن لا يكون من أهلها ..!

ولكن لما أحفها الله تعالى بالشهوات .. استخف بها معظم الناس، ورضوا بأن يكونوا من أهلها ووقودها ..!

هذا المعنى يوضحه حديث آخر برواية أخرى، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال: أنظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها قال: فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. قال: فأمر بها فحُفت بالمكارة فقال: فارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فرجع إليها فإذا هي قد حُفت بالمكارة فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضاً فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت ألا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحُفت بالشهوات فقال ارجع إليها فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجم منها أحد إلا دخلها"⁽¹⁾.

¹ أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

وهذا المعنى . أعني به أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله . قد أدركته شياطين الإنس والجن ، فعملوا ولا يزالون يعملون على إثارة الشهوات بكل أنواعها وفنونها في كل درب ووادٍ من أجل اصطياد الناس وجذبهم إلى باطلهم وشركهم ومجونهم ، وصدّهم عن طريق الهداية والحق !

كثير من الأنظمة الطاغية . كما في بلادنا . من ذوي البصر القصير يستخدمون سياسة البطش والتنكيل في إكراه وقهر شعوبهم على الاتجاه والسير في طريق معين دون طريق آخر .. فينجحون في جانب ويفشلون في جوانب أخرى ، وقد تترد هذه السياسة على رؤوسهم ، وتجني عليهم خلاف ما خططوا ودبروا .. ومن الأنظمة . الأكثر دهاءً . من يبتعد عن هذه السياسة؛ أعني سياسة البطش والتنكيل .. ويراهنون على نجاح سياسة إثارة جيوش من الشهوات والنزوات في وجه الحق ، ومن أجل تسيير شعوبهم في الاتجاه الذي يريدون كما هو حاصل في دول أوروبا وأمريكا ومن نحا نحوها .. فينجحون وللأسف في كثير مما خططوا له ، ولا يسلم من شرهم ومخططاتهم إلا من رحمه الله !!

وحتى ندرك هذه الحقيقة فلنتأمل هذا الكم الهائل من الشهوات والمثيرات التي تحيط بالإنسان الأوروبي ، والتي تستغرق منه كل أنفاسه ووقته ولو عاش أحدهم ألف سنة !!

تأمل هذا الكم الهائل من دور الدعارة .. تأمل هذا الكم الهائل من البارات ودور القمار والميسر .. ثم تأمل ما ينشر ويبث عبر آلاف القنوات المرئية التي لا وظيفة لها سوى تدمير الأخلاق وبث ما يثير الشهوات ويُشعل نارها ووقودها .. وكذلك هذا الكم الهائل من الفساد والإضلال الذي ينشر في مجلات القوم وجرائدهم .. أضف إليها دور السينما والمسارح .. أضف إليها الوسائل والأشرطة المسموعة والمرئية .. أضف إليها الوسائل المدمرة للأخلاق التي يتلقاها التلاميذ وهم في مقاعدهم الدراسية منذ المرحلة الابتدائية إلى ما بعد المرحلة الجامعية .. أضف إليها وسائل الترفيه والتسلية الجذابة التي ينفق عليها بالملايين والتي تناسب جميع الأعمار .. هذا الكم الهائل من المكر والكيد وغيره مما لم نذكر الذي لا يعلم كنه ونوعه إلا الله تعالى .. يُحيط بالإنسان الأوروبي الذي يجعله يسير باتجاه معين . كما خطط له السياسة والأخبار والرهبان . رغماً عن أنفه وهو راضي !!

أثر الشهوات في الصّد عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

يسير في الاتجاه الذي يريدون . رغماً عن أنفه . ثم يُخيل إليه . هذا المسكين المغفل . بعد ذلك أنه الإنسان الحر في الوجود .. وهو في حقيقته عبد مسير لآلهة عديدة . وهو يعلم أو لا يعلم . أحط منه قدرأً وشأنأً ..!

كيف يقدر هذا الإنسان الأوربي أن يلتفت إلى الحق، أو يسمع للحق، أو يقرأ عن الحق .. وهو محاط بهذا الكم الهائل من الشهوات التي تجعله يسير بخلاف الطريق الذي يحب ويريد ..! كيف يستطيع أن يختار الإسلام .. أو أن يعرف عنه شيئاً .. وهو محاط بهذا السياج الضخم من الشهوات الذي يستغرق منه كل أنفاسه وجهده، وتفكيره ..!؟

هكذا خطط له الساسة .. والأخبار والرهبان .. وراء كل شرٍ وداء .. وهكذا أرادوا له أن يكون !! قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ سبأ: 33. فهو ليس مكر الليل وحسب ثم يستريح في نهاره .. أو مكر النهار وحسب ثم يستريح في ليله .. لا، بل هو مكر الليل والنهار، مكر على مدار الساعة والوقت .. ما هو هدفه وغايته .. أن نكفر بالله تعالى ونجعل له الأنداد والشركاء من الآلهة المزيفة التي يصطنعوها بأيديهم وأهوائهم .. والتي هي أحط قدرأً وشأنأً من الإنسان ذاته !!

عندما يختار الإنسان الأوربي شيئاً .. لا يكون قد اختاره لأنه مقتنع بهذا الشيء بعيداً عن ضغط الشهوات، وضغط مكر الليل والنهار .. لا، وإنما يختاره لأن الساسة والأخبار والرهبان سيروه في اتجاه . من خلال هذا الكم الهائل من الشهوات . يلزمه في نهاية المطاف أن يختار هذا الشيء لا سواه !!! هذا المكر .. وأعني به أثر الشهوات في الصّد عن دين الله تعالى .. قد تفتن له الساسة الأغبياء في بلادنا فراحوا يستوردون بقصد من بلاد الغرب كل ما يحيي ويثير الشهوات ويقوي نارها وفتنتها .. تارة تحت زعم ضرورة الانفتاح على الحضارات والثقافات .. وتارة تحت زعم العمل بالديمقراطية التي تضمن كامل الحرية للشهوات أن تسير في الاتجاه التي تريد .. وتارة .. وتارة .. وما ذلك في حقيقته إلا من أجل أن يصدوا الناس عن دين الله تعالى، ويقتلوا فيهم إرادة النهوض بهذه الأمة لتستأنف حياتها الإسلامية من جديد .. ولكي يشغلوهم عن الالتفات إلى خيانات الطغاة الحاكمين، وعن ظلمهم وفسادهم الذي لا يمكن

أثر الشهوات في الصّدّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

أن يتم كل ذلك إلا في غفلة من الشعوب تعيش سكرة الشهوات .. تعيش همّ إشباع الشهوات التي لا يمكن أن تشبع !!

. علامات مرض القلوب بالشهوات.

فإن قيل هل لمرض القلوب بالشهوات علامات يُعرف المرض بها ..؟

أقول: نعم، لمرض القلوب بالشهوات علامات يُعرف بها، فإن وجدت وجد المرض ودلت عليه ولا

بد .. أهمها:

1- عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من علامات أمراض القلوب بالشهوات أن لا يقوى المريض على النهوض بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيصيبه في ذلك فتور عجيب، بحسب وقدر مرضه .. ثم كيف ينهض لتغيير شيء هو يأتيه، أو يأمر بشيء هو لا يأتيه؟!

قال ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" مسلم.

دل الحديث أن قوة الإيمان وعافيته في القلب تتفاوت قوة وضعفاً بحسب تعامله مع المنكر وطريقة تغييره له .. أعلاه أن ينكر المنكر باليد .. وأضعفه أن يقتصر إنكاره للمنكر على القلب وذلك أضعف الإيمان .. وليس وراء إنكار المنكر في القلب عافية ولا إيمان، كما جاء ذلك مفصلاً في حديث آخر. قال ﷺ: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" مسلم.

ليس وراء إنكار القلب وجهاده للمنكر من الإيمان ما يزن حبة خردل لأنه ليس وراء إنكار القلب من الدرجات سوى الرضى بالمنكر والاطمئنان له .. والرضى بالكفر كفر.

أثر الشهوات في الصّدّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

وهذه حالة لو وصل إليها القلب . وهي الرضى بالكفر وعدم إنكاره . يكون فيها ميتاً لا حياة فيه
البتة !!

2- استقباح المعروف، واستحسان المنكر.

ومن علاماته كذلك أنه يفسد ذوقه عليه إلى درجة أنه لم يعد يحسن التمييز بين الأشياء .. لا يحسن التمييز بين الحق والباطل .. وبين القبيح والحسن .. وبين المعروف والمنكر .. وبين الشرك والتوحيد .. فهو يرى المعروف منكراً، والمنكر معروفاً .. ويرى الحق باطلاً، والباطل حقاً .. فيستقبح الحسن، ويحسن القبيح !!

وهذه أسوأ حالة يصل إليها قلب الإنسان .. حيث بها تتعطل جميع وظائفه المعنوية التي أنبطت به .. قال ابن مسعود: هلك من لم يعرف قلبه المعروف، وينكر المنكر.

وقيل له من ميت الأحياء ؟ قال ﷺ: الذي لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من سرتة حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن"، مفهوم المخالفة يقتضي أن من لا تسره حسنته ولا تسيئه سيئته فهو ليس بمؤمن.
قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 41/7: فإن لم يكن مبغضاً لشيءٍ من المحرمات أصلاً، لم يكن معه إيمان أصلاً - هـ.

3- الإعراض عن الدواء.

قد يشعر المريض بمرضه .. وقد يعرف الدواء أو يُعرّف به .. لكنه يعجز عن تناوله؛ لأن في تناوله مخالفة الهوى والإقلاع عن الانسياق وراء الشهوات، وعما كان قد أدمن على تعاطيه .. وهذا بحد ذاته يجد في مخالفته صعوبة كبيرة لا يقوى عليها إلا من رحم الله .. فتراه لذلك يخلد إلى المرض وإلى شهواته ويستسلم لها، ويُعرض عن الدواء النافع !

ولو أردت أن تحمله على الدواء بالقوة تراه يُظهر لك إعراضاً ومقاومة لا تجدها في مريضٍ تريد أن تجري له عملية جراحية في بعض أعضاء جسده !!

4- سرعة التأثر بالفتن.

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

ومن علامات مرض القلب بالشهوات سرعة التأثر بكل ما يعترضه من فتن .. فهو . لمرض قلبه بالشهوات . لا يقوى على المقاومة لو داهمته أدنى فتنة مهما صغرت .. بل تراه يطرب ويرقص لكل فتنة تعترضه .. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ الأحزاب: 32. فهو فقط لو سمع امرأة تخضع بالقول . ولو عن غير قصد . تراه يطمع بها، وتحديثه نفسه الأمانة بالسوء في أن يقع في السوء .. فكيف لو ظهر منها ما هو فوق الخضوع بالقول .. كيف لو قالت له هيت لك .. فهو لا شك أسرع في الوقوع في الفتنة والعياذ بالله.

كيف العلاج ..؟

قد يرد سؤال: أليس لأمراض القلوب بالشهوات دواء وعلاج .. وإن كان يوجد، فأين يكمن؟؟

أقول: من نعم الله على عباده أنه تعالى ما من داء . عضويّاً كان أم معنوياً . إلا وأوجد له الدواء والعلاج الشافي والكافي، عرفه من عرفه وجهله من جهله .. إلا الموت . هازم وقاهر اللذات والشهوات . فلا دواء له يحيي صاحبه بعد أن يلقي حتفه.

والعلاج من أمراض الشهوات يكمن في النقاط التالية:

1- لا بد من مخالفة الهوى وعصيانه ابتداءً وإن وجد المريض في ذلك للوهلة الأولى صعوبة .. فإن هذه الصعوبة سرعان ما تضعف وتذهب . ليتبعها راحة وسعادة دائمتين إن شاء الله . مع وجود الإصرار على مخالفة الهوى والشهوات .. فالدواء وإن كان مرأً، ومرارته تؤذي المريض لكنها لا شيء . من حيث الأثر والزمن . قياساً لأذى الشهوات والانسياب وراءها.

فما من ذنب أو معصية تُترك لله تعالى إلا وأورثه الله مكانها في قلبه حلاوة ولذة هي أفضل وأعلى بكثير من لذة المعصية التي سرعان ما تنقلب على صاحبها إلى نقمة وعذاب ..!

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات:

40-41. فمن أراد أن يكون من أهل الجنة والنجاة لا بد له من أن ينهى نفسه عن الهوى .. والمراد به هنا الشهوات والتوسع فيها بالحرام.

أثر الشهوات في الصّدِّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

2- العمل على المزيد من التفقه بالتوحيد .. الذي يزيد إيمانه، ويزيد معرفته بربه ﷻ وبأسمائه وصفاته العليا .. فيرتد ذلك عليه شعوراً و يقيناً بعظمة الخالق ﷻ وبمراقبته الدائمة له .. وعلمه أن الله يراه حينما يقبل على المعاصي والشهوات .. وأن الله تعالى قادر عليه وهو يمارس المعاصي والشهوات .. فيندرع وينطوي على نفسه، ويستحي من ربه !..

واعلم أن المعاصي لا تمارس إلا لضعفٍ عند المرء في توحيده وإيمانه، وفي حالة يغيب فيها عن النفس اليقين بأسماء الله وصفاته .. وأن المرء كلما قوي إيمانه وتوحيده كلما قلت معاصيه، وقلت طاعته لهواه ولشهواته.

3- الإقبال على القرآن الكريم بصدق تلاوة وفهماً وعملاً .. فالقرآن فيه الدواء والشفاء لكل داء، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ فصلت: 44. وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء: 83. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: 57.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية: فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة. وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضع على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يُقاوم الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدّعتها - هـ.

4- ومما يساعد في ذلك مطالعة الكتب النافعة التي تحكي سيرة الأوائل من السلف الصالح، وتبين حالهم من الورع والزهد والتقوى .. وعلى رأسهم سيرة المصطفى ﷺ .. وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم أجمعين.

5- ومن ذلك كذلك مصاحبة وملازمة الأقران الصالحين إن وجدوا، فلا تجالس إلا صالحاً، ولا تَؤاكل إلا تقياً .. وإياك وأقران الفجور والسوء .. فكما أن الصاحب الصالح لا يدل صاحبه إلا على الخير وما فيه النفع والفائدة .. كذلك قرين السوء فإنه لا يدل صاحبه إلا على السوء والفجور والمنكر .. ولا يرى منه إلا ما يسيء ويشين .. ومثلهما كما قال ﷺ في الحديث المتفق عليه: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكبر، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن

أثر الشهوات في الصّدّ عن دين الله وتعبيد العبيد للعبيد

تجد ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة". وقال ﷺ: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال".

نسأل الله تعالى أن يحفظنا بحفظه، وأن يرحمنا برحمته .. وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1421/09/16 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2000/12/12 م

احذر الكبر .. أو أن تكونَ من المتكبرين !

احذر الكبر .. أو أن تكونَ من المتكبرين !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن الكبر داءٌ خطير واسع الانتشار قلَّ من يسلم منه ومن شره .. بل وكثير ممن هم مصابون بالكبر قد لا يعلمون أنهم مصابون بهذا الداء الخبيث .. وكثير منهم يظن أو يفسر الكبر تفسيراً خاطئاً يحصرونه في حرص الإنسان على الملابس الجميل، والمركب الهنيء، والمطعم الطيب .. ومنهم من يحصر الكبر في أشخاص الحكام أو الطواغيت، أو في أشخاص الأغنياء المترفين دون غيرهم .. وربما يكون هو من المتكبرين وهو لا يدري .. وفريق آخر يتكلف التقشف والعيش الخشن، والتواضع للمساكين وهو في حقيقته إمام من أئمة الكبر والمتكبرين .. لذا نجد من الضرورة بمكان أن نتناول هذا الموضوع الهام .
الواسع الأثر والانتشار. لنجيب فيه على بعض ما يتعلق بالكبر من مسائل وفروع وأحكام.

ما هو الكبر وما هو معناه .. وما أثره على دين وأخلاق صاحبه .. ومتى يبلغ درجة الكفر ومتى يكون دون ذلك .. وهل الكبر يمكن أن يصيب الدعاة وطلاب العلم، والعاملين للإسلام .. وهل الكبر محصور في طبقة معينة من المترفين أم أنه يمكن أن يصيب جميع شرائح الناس من العوام والفقراء .. ثم كيف ومتى يكون الإنسان متكبراً ومتى يكون غير ذلك ..؟؟

هذه المسائل وغيرها سنجتهد . إن شاء الله . في أن نجيب عليها بشيء من التفصيل والتحقيق .. راجياً من الله تعالى العون، والسداد، والتوفيق.

الكبر: هورد الحق ودفعه، وعدم قبوله .. واحتقار الخلق والاستخفاف بهم، وازدراؤهم والترفع عليهم، كما في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة من في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبَرٍ. فقال رجل: إن الرجل يُحبُّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنةً؟ فقال: إن الله

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

جميلٌ يُحِبُّ الجمال .. الكبر بطرُ الحق وغمطُ الناس "مسلم. وبطر الحق هو رده ودفعه، وغمط الناس احتقارهم والاستخفاف بهم.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره: التكبر هو رد الحق، واحتقار الخلق، وضد ذلك التواضع، فقد أمر به وأثنى على أهله، وذكر ثوابه؛ فهو قبول الحق ممن قاله، وأن لا يحتقر الخلق، بل يرى فضلهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه ا- هـ.

والحديث الأتف الذكر قد أخرج كون الرجل يحب أن يكون مظهره جميلاً نظيفاً حسناً .. من دائرة الكبر والمتكبرين.

والكبر نوعان: منه ما يكون كفراً وسبباً إلى الكفر .. ومنه ما يكون دون ذلك ولكنه كبيرة من الكبائر.

فالكبر الذي يكون كفراً وسبباً إلى الكفر هو الكبر الذي يحمل صاحبه على رد الحق أو الأمر الشرعي وعلى دفعه والإعراض عنه .. وعلى احتقار الخلق لدينهم وإسلامهم .. وعلى أنهم ليسوا على شيء! فمن وقع في هذا النوع من الكبر فقد وقع في الكفر البواح المخرج من الملة، وهو المعني من قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكْ أَيْتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الزمر: 59. وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ البقرة: 87. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: 173. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأُذُنُونَ * قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: 111-114. فالذي حملهم على رد الدعوة وعدم الدخول في الدين الحق أنه يوجد من أتباع هذا الدين: الضعفاء والفقراء والمساكين الذين أطلقوا عليهم وصف الأراذل الذين لا يستحقون أن يكونوا من جلساء المستكبرين .. أو يجمع بينهما دين أو حتى مكان !!

والمستكبر كفرة ككفر إبليس وفرعون اللذين حملهما الكبر على الكفر ورد الحق .. وهو قرين لهما في الكفر والكبر والعناد كما قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: 34. وقال عن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ القصص: 39. ومن صفات فرعون الطاغوتية استخفافه بالعباد كما قال تعالى عنه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ﴾ الزخرف: 54.

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

وفي قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر" قال ابن الأثير في النهاية: يعني كبر الكفر والشرك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. ألا ترى أنه قابله في نقيضه بالإيمان فقال: "لا يدخل النار من في قلبه مثل ذلك من الإيمان" أراد دخول تأييداً - هـ.

أما الكبر الذي هو دون الكفر ويكون كبيرة من الكبائر .. هو الكبر الذي يحمل صاحبه على رد الحق في الأمور المعيشية الدنيوية التي لا علاقة لها مباشرة بالحق الشرعي من تحليل أو تحريم أو غير ذلك من الأحكام .. كما يحمله على احتقار الخلق لا لدينهم وإسلامهم وإنما لميزة يراها في نفسه دون الآخرين !!..

فهذا النوع من الكبر يدخل في معنى ومسمى الكبر، وهو خطير جداً على دين وأخلاق صاحبه، وهو يريد إلى الكبر الأكبر .. لكن لا يرقى به إلى درجة الكفر الأكبر الذي يخرج من الملة، كما في الحديث عن سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: "كل بيمينك". قال: لا أستطيع ! قال ﷺ: "لا استطعت" ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه. مسلم. أي ما قدر أن يرفع يده إلى فيه.

والشاهد أن هذا الرجل رغم أنه امتنع عن الأكل باليمين كبراً، لكنه تستر بالعجز وعدم الاستطاعة .. فإنه لم يكفر بذلك، ولم يحمله النبي ﷺ على التوبة والدخول في الإسلام من جديد.

ونحو ذلك أن تأمر من بجوارك في الصلاة بأن يتراص ويتساوى مع الصف .. فيمتنع كبراً واستخفافاً بمن يأمره .. أو تحضه على إحياء بعض السنن والشرائع في الصلاة وغيرها .. تراه يلوي عنقه كأن لم يسمع وما حمله على ذلك إلا الكبر والاستخفاف بمن يأمره أو يذكره .. ولو سألته عن سبب ذلك لأجابك بالجواب الشائع على السنة كثير من الناس: هذا يريد أن يشغلنا معه بالنوافل والفروع .. تاركاً الأهم والفرائض والأصول .. وكأنه لم يبق من الدين إلا هذا الذي يذكرنا به !!

ومن ذلك أن تتوجه بالنصح الصادق للآخرين، لا تريد من وراء ذلك إلا الخير لهم .. فيفسرون نصحك على أنك تريد أن تصنع من نفسك عليهم أستاذاً ومعلماً .. أو أنك أصغر منهم قدراً وشأناً فكيف تتجاسر على أن تتوجه إليهم بالنصح .. فيصدهم ذلك عن الإصغاء إلى الحق أو قبوله .. وما حملهم على ذلك إلا نوع كبر في نفوسهم !

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

فهذا النوع من الكبر ونحوه رغم خطورته على صاحبه إلا أنه لا يرقى به إلى درجة الكفر الأكبر..
والله تعالى أعلم.

خلاصة القول: أن الكبر يُطلق ويُراد منه أحياناً الكفر الأكبر وذلك عندما يكون الكبر مطلقاً
عاماً .. وأحياناً يُطلق ويراد بعضه وجزءاً منه .. وهذا منه ما يكفر ومنه ما يكون دون ذلك بحسب ما
وقع فيه من الكبر أو الرد.

وعليه فنقول: كل كافر. مهما كان عمله أو وضعه . بلغته الحجة الرسالية فقابلها بالرد والإعراض
فهو متكبر .. ولا يلزم من ذلك أن يكون كل متكبر كافراً لورود التفصيل الأنف الذكر.

. عاقبة الكبر والمتكبرين.

للكبر عواقب سيئة جداً على صاحبه في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا فإنه يصد صاحبه عن اتباع
الحق والهدى، وعن الإصغاء إليه بقلبٍ مفتوح .. ويركسه في حمأة ظلام الكفر، والضلال، والجهل ..
فيجعل حياة صاحبه أبداً ضنكاً فوق ضنك.

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه:

124. والإعراض عن الذكر والعلم والهدى . كما تقدم . من أخص ما يدخل في معنى الكبر، ومن أبرز
سمات المتكبرين.

وقال تعالى: ﴿سَاءَ صِرْفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا

بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ الأعراف: 146. أي أن
الله تعالى يصرف المتكبرين عن الانتفاع من الآيات القرآنية والآيات الكونية والنفسية؛ لأن كبرهم يحرمهم
من الانتفاع بها، فهو لا يجعلهم يرون الحق حقاً .. فهم لورأوا الآيات الباهرات لا يؤمنون بها لكبرهم
الذي يمنعهم من الإصغاء إلى الحق .. وكذلك لورأوا سبيل الحق والرشاد لا يتخذوه سبيلاً، وإنما يتخذون
سبيل الغي والضلال والعذاب والجهل والعمى سبيلاً .. وما ذلك إلا لكبرهم وترفعهم عن الحق وأهله.

هذا في الدنيا أما في الآخرة فمثواهم جهنم وبئس المصير كما قال تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ النحل: 29. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿الزمر: 60﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: 60. وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ الأحقاف: 20. وغيرها كثير من الآيات التي تدل على أن الخزي والعذاب يوم القيامة للمستكبرين.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا أخبركم بأهل النار: كل عتُلٍّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ" متفق عليه.

قال النووي: العُتْلُ: الغليظُ الجافي. والجَوَاطِ: الجموعُ المنوعُ، وقيل: الضخم المختالُ في مشيته ا- هـ.

وقوله: "الجموع المنوع" أي الذي يعمل على جمع الأموال من طرق شتى، ثم يمنعها من أن تأخذ طريقها في سُبُل الخير والإنفاق.

وقال ﷺ: "احتجت الجنة والنار فقالت النار: فيّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضُعاءُ الناس ومساكينهم ف قضى الله بينهما؛ إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشياء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشياء، ولكليكما عليّ ملؤها" مسلم.

وقال ﷺ: "لا يزال الرجل يذهبُ بنفسه حتى يُكتب في الجبارين فيُصيبه ما أصابهم" (1).
وقوله: "يذهبُ بنفسه" أي لا يزال الرجل يُعجب بنفسه ويتمادي في الإعجاب إلى أن يرتفع على العباد ويتكبر عليهم .. فيصيبه حينئذٍ ما يُصيب الجبابرة المتكبرين !

وقال ﷺ: "إنه ليأتي الرجلُ السمينُ العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة" متفق عليه. وذلك لتكبره وتعاضمه بنفسه، واستعلائه على الخلق ..!

نعوذ بالله من الكبر ومن المتكبرين .. ومن خصالهم وصفاتهم وأخلاقهم .. وما يؤولون إليه من خزي وعذاب.

¹ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

هذا بعض ما ورد في جزاء المتكبرين وما يستحقونه من خزي وعذاب في الدنيا والآخرة .. لننظر.
إتماماً للبحث والفائدة . في بعض أصناف المتكبرين الذين نعايشهم، وفيمن يدخل منهم في الكبر دخولاً كلياً، ومن يدخل منهم دخولاً جزئياً .. لنحذّرهم أو نُحذّرهم .. أو نحذّر أن نكون منهم . أو فينا بعض خصالهم . ونحن ندري أو لا ندري .. والله المستعان.

. أصناف المتكبرين.

1- كبر طواغيت الحكم: للكبر. كما تقدم . مقياس وموازن يُعرف بها وهي: رد الحق .. واحتقار الخلق؛ فأیما امرئٍ يتلبس بهذين الوصفين فهو متكبر وعلى قدر تمثل هذين الوصفين به يكون الكبر فيه .. وطواغيت الحكم الذين نعاشرهم في هذا الزمان هم من أكثر الناس دخولاً بهذين الوصفين؛ فهم . لو تأملت حالهم وحياتهم . من أكثر الناس رداً للحق بل ومحاربة له ولأهله .. ومن أمرهم بالحق أو دعاهم إليه فمصيره عندهم بين القتل أو السجن أو النفي خارج البلاد .. يظهر ذلك بوضوح في تعاملهم مع شرع الله تعالى وفي ردهم للحكم بما أنزل الله، واستهانتهم به، واستبداله بشرائع الجاهلية التي مصدرها إما من عند أهوائهم وأنفسهم، أو من بلاد الكفر في الشرق أو الغرب ..!

أما وصفهم من جهة احتقارهم للخلق واستخفافهم بالعباد فحدث عن ذلك ولا حرج .. فكم هم الذين يُقتلون وتنتهك حرمتهم . في ظل هذه الأنظمة الطاغية . من غير جرم أو ذنب اقترفوه .. !
أدخل إلى أقبية سجونهم وزنازينهم ثم أنظر كم هم يحتقرون . بل ويقتلون . آدمية وإنسانية الإنسان ..!

أنظر إلى الآلاف المؤلفة من الشباب الذين رُجوا في غياهب سجون الطواغيت .. لا ذنب لهم سوى أنهم قالوا كلمة لا تروق للطاغوت .. أو أنهم رفضوا أن يقبلوا حياة النذل والعبودية للطواغيت ..!

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

أنظر إلى أحكامهم ومحاكمهم العرفية الميدانية التي تفقد الحد الأدنى من العدل الذي ينبغي أن

يُعطاه المتهم قبل أن يصدر في حقه الحكم بالإعدام أو السجن المؤبد⁽¹⁾ ..!

أنظر كيف يتعاملون مع شعوبهم على أنهم عبيد مملوكين لأيمانهم . بعد أن خلقهم الله تعالى

أحراراً . لا يملكون الحرية في العيش الكريم .. أو حتى الحركة والسفر إلا بحدود ما يسمح به الطاغوت ..

أو يمن به عليهم⁽²⁾ !!

ثم أن هؤلاء الطواغيت كلهم يمارسون سياسة الاحتقار لشعوبهم التي كان يمارسها فرعون من

قبلهم بحق شعبه ..!

كلهم يقولون . بلسان الحال والقيـل . ما كان يقوله سلفهم الأول فرعون لشعبه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ

إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ فهو حصر الرشاد والفهم الصحيح فيما يراه هو وحده دون

سائر الناس من شعبه .. وهذا فيه قمة الاحتقار والاستخفاف بالشعوب وبعقولهم ..!!

¹ أنظر على سبيل المثال كتاب "تدمر .. شاهد ومشهود" الذي ابتلي صاحبه بالسجن في سجن تدمر في سورية لأكثر من

عشر سنوات .. كيف يروي قصص أعواد المشانق التي كانت تنصب يومياً أمام أبواب المهاجع في ساحة السجن .. وكيف

كان يخضع انتقاء الشباب للإعدام إلى أهواء ومزاج الزبانية الجلادين ..

وغير ذلك من روايات الإهانة والقتل لأدمية الإنسان التي كانت تمارس في حق المساجين .. والتي لا يمكن أن نتصورها

على الهائم والحيوانات .. هذا مثال صارخ على احتقار الخلق .. وما أكثر الأمثلة الصارخة على احتقار العباد في بلاد

العرب والمسلمين !!

² من الكلمات والعبارات التي كان يرددها طاغوت من طواغيت العرب الهالكين "الإنسان أعلى ما نملك .."; أي هو كما

يملك الأشياء .. ويحق له التصرف بها كيفما يشاء .. كذلك يملك الإنسان .. يملك شعبه ويحق له أن يتصرف به كيفما

يشاء .. إلا أن الإنسان أعلى شيء عنده مما يملك ..!!

والمضحك المبكي أن شعبه الذي رُوض على العبودية والذل .. سطر هذه العبارة . متباهياً بها . بماء من ذهب .. وكتبوها

على جدران الشوارع .. وفي كل مكان من البلاد .. فتأمل !!

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

هذه بعض صور احتقار طواغيت الحكم للخلق .. لم نرد منها الاستقصاء أو الحصر وإنما مجرد التمثيل لبيان مدى دخول هؤلاء الطواغيت الظالمين الجائمين على صدر الأمة .. في الكبر دخولاً كلياً معنى واسماً وحكماً.

2- كبر الجنود والأتباع: كذلك جنود الطواغيت وأتباعهم من العسكر وغيرهم يدخلون دخولاً

كلياً في الكبر لأنهم هم أداتهم المباشرة في رد الحق .. واحتقار الخلق .. بل هم أنفسهم يمارسون رد الحق .. واحتقار الخلق وتعذيبهم .. وهل أذل الأمة وسامها صنوف القهر والعذاب إلا هذا الجندي المتطوع لخدمة الطاغوت وسياسته المتستر وراء بزته العسكرية الخضراء باسم تحرير الوطن .. والدفاع عن الوطن .. ومقدسات الوطن .. وحرمات الوطن .. وما ضيع الوطن والأوطان إلا هؤلاء الجبناء !!

لذلك نجد أن الله تعالى شملهم في امتهان الكبر والاستكبار في الأرض مع الطاغية فرعون في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ القصص: 39. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ المؤمنون: 45-46. وملاهم هم حاشيته وجنده، وكل من دخل في طاعته وموالاته .. فهؤلاء كلهم داخلون في الكبر والاستكبار في الأرض.

3- كبر الفقراء: من خلال ما تقدم قد علمنا أن الكبر لا دخل له بغنى الإنسان أو فقره .. فلا

يلزم من كل غني أن يكون متكبراً، كما لا يلزم من كل فقير أن لا يكون متكبراً .. وإنما الكبر وصف وحال حيثما حل ووجد هذا الوصف والحال وجد الكبر وتحقق عند صاحبه بغض النظر عن مستواه الاجتماعي أو الاقتصادي.

فإن قيل: هل من الممكن أن يكون الفقير العائل متكبراً .. وما هي صور وأشكال تكبره واستعلائه

وهو لا يملك قوت يومه !؟

أقول: نعم، من الممكن للفقير أن يكون متكبراً أو فيه بعض خصال الكبر .. بحسب رده للحق ..

واستعلائه على الخلق، أو احتقاره لهم .. وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

القيامة ولا يُزكهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر"مسلم.
والعائل هو الفقير.

فإن قيل علام حُص الفقير المستكبر بهذا الوعيد المخيف دون الغني المستكبر، أو غيره من شرائح

الناس؟!..!

أقول: لأن الأصل في الفقير أن ينكسر للخلق لحاجته إليهم .. ولأنه لا يملك شيئاً يترفع به على العباد، أو يحتقر به الخلق .. فإن هو أتى بالكبر وهو بهذا الحال الذي لا يملك فيه الأسباب التي تستدعي الكبر والبطر عند ذوي النفوس المريضة .. فإنه يدل على خبث مركب في نفسه، وعظم سوء طويته وأخلاقه .. لذلك خصه الله تعالى بهذا الوعيد المخيف .. والله تعالى أعلم.

ثم إذا كان يُظهر الكبر وهو فقيراً محتاجاً للآخرين والآخرين لا يحتاجونه .. فكيف به لو صار غنياً ذا جاهٍ أو رياسة ومنصب .. والناس يحتاجونه وهو لا يحتاجهم .. لا شك أنه سيظهر من الكبر أضعاف ما عند غيره وأقرانه من المتكبرين !!

وصور الكبر عند الفقير عديدة: منها أن يحقر النعمة التي تُساق إليه .. أو يحقر المعروف وصاحبه الذي أسداه إليه .. أو يحقر العباد ويرفع عليهم بما لم يُعط وليس عنده، فيكون بذلك كلابس ثوبي زور .. أو يحقر الحق أو جانباً منه عندما يطالب به .. ومن ذلك ترفعه على طلب العلم ومجالس العلم ..! ومنها أن يحقر المسلمين بعبارات الطعن والتجريح، والاستخفاف .. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر المسلم"مسلم.

4- كبر الدعاة وطلاب العلم !

لعله يُقال: قد فهمنا أن الكبر قد يقع فيه ما ذكرت من أصناف .. أما أن يقع فيه الدعاة إلى الله

.. وطلاب العلم .. فهذا لا يمكن أن نفهمه؟!..!

أقول: نعم، من الممكن أن يقع الدعاة وكذلك طلاب العلم في الكبر أو في بعض ما يدخل فيه ..

ويظهر ذلك من وجوه عدة، منها: أن ينظر الداعية إلى نفسه على أنه شيء كبير .. فهو لا يقبل الحق لو

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

جاءه ممن هم دونه علماً .. ولعله يرد الحق لإعجابه بنفسه، وأنه فوق أن يُعقب عليه من قبل صغار طلاب العلم، أو آحاد المسلمين .. ويضيق صدره لأدنى نصح أو نقد .. فهذا من الكبر وضروبه!

ومنها: أن يقول قولاً .. ثم يظهر له أنه خلاف الحق المسطور في الكتاب والسنة .. فيتعاضم عليه أن يرجع إلى الحق .. فيحمله ذلك على أن يتمادى في باطله وخطأه .. حتى لا يقال فلان قد تراجع عما كان يقول .. فهذا من الكبر وضروبه!!

ومنها: أن ينظر لنفسه بعين الإعجاب، وعلى أنه ألم بالعلم من جميع أطرافه .. وأنه يفوق أقرانه والآخرين من أهل العلم فهماً وعلماً والتزاماً .. فيحمله ذلك على التعالي عليهم !!

ومنها: أن لا يُنصف الحق من نفسه .. إعجاباً واستعظماً لأمر نفسه .. !!

ومنها: أن يجد في نفسه غضاظة وصعوبة في أن يقول أخطأت وأصاب فلان !!

ومنها: أن يرد الحق عصبية لمذهبه، أو حزبه، أو شيخه .. فلا يقبل الحق إلا إذا جاء عن طريق حزبه، أو شيخه، أو مذهبه، أو الجهة التي يرتضيها .. فهذا من الكبر!!

ومنها: أن ينعدم عند الداعية مبدأ الشورى .. فلا يستشير الآخرين استخفافاً بأرائهم وأفهامهم وعقولهم .. فلو تكلم متكلم لا يجوز أن يكون هذا المتكلم إلا هو .. ولو خطب خطيب لا يجوز أن يكون هذا الخطيب إلا هو .. فهذا ضرب من ضروب الكبر والتعالي على الخلق والعباد !!

ومنها: أن لا ينصف الدعاة الآخرين بما فيهم من الحق أو الخير .. فإذا جاء على ذكركم مرّ عليهم بالطعن والغمز واللمز .. ليظهر للسامعين على أنه الأعلم والأفهم والأفقه .. وهذا من التعالي والكبر⁽¹⁾!!

¹ من الأشياء التي تلفت نظري ظاهرة قديمة حديثة: وهي أن من الإخوان عندما يتوجه بالخطاب لإخوانه أو بعض الدعاة والشيخ .. تراه يتورع .كبراً! . أن يلقي عليهم السلام كاملاً .. أو أن يتوجه إليهم بالدعاء كأن يقول حفظهم الله ونحو ذلك .. لظنه أن ذلك يُنقص من قدره أو قيمته العلمية .. وهو لو ذكرهم أو خاطبهم لاكتفى بقوله إلى أبي فلان أو إلى فلان .. فيشج على إخوانه بما يستحقونه من السلام والدعاء .. وهو نفسه لو ابتلي بمخاطبة الكفار والمنافقين تراه يتوجه إليهم . بكل تواضع . بعبارات الثناء والتفخيم والتبجيل والسيادة .. !!

وكان قد أنكر علي بعضهم قولي عن شيخ وعالم خدم السنة طيلة حياته بالقول والعمل .. حفظه الله .. أو رحمه الله ونحو ذلك .. وقد عدوا ذلك من خواش العقيدة والإيمان .. وبخاصة أننا نختلف مع الشيخ في بعض المسائل في مسمى الإيمان وما يدخل فيه .. !!

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

ومنها: أن يستحقر العباد وبخاصة منهم طلاب العلم .. ويرميهم بأنهم أغرار .. أو جهال .. وغير ذلك

من عبارات الطعن والتجريح .. وما حمله على ذلك إلا الكبر والحسد وحب التعالي على العباد !!

ومنها: أن يعتبر نفسه على أنه من الصقور الذي يسكن أعالي الجبال .. وما سواه عبارة عن

فئران وجرذان مسالمون يسكنون السهول والوديان يسهل عليه الانقضاض عليهم وقت يشاء .. فهذا من

الكبر والاستعلاء بغير حق !!

فمن الناس من لو سألتهم عن آحاد أو بعض المسلمين .. لأجابك بقوله: هذا عبارة عن صرصور

.. أو حشرة .. أو فأرة .. أو عبارة عن مجموعة جرذان .. وبخاصة إذا كان يوجد بينه وبينهم نوع خلاف ..

وهذا عين احتقار الخلق الذي يدخل في معنى الكبر !!

وأعرف منهم من يحمل قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا﴾ على عباد الله وخلقهم ..

فليتق هؤلاء الله ربهم !!

ومنها: أن ينظر للآخرين بعين الاحتقار والترفع لكونه استطاع أن يحيي شعيرة من شعائر الإسلام

.. غيره لم يستطع ولم يتمكن من القيام بها !!..

فهو قد منَّ الله عليه بجهد أيام من العمر .. فينظر للآخرين على أنه أعلى منهم درجة .. ويجب أن

يتعاملوا معه على أنه كذلك !!..

وهي فرصة لأن أقول لهؤلاء: خلافنا مع الشيخ .رحمه الله وعفا عنه .في مسألة أو مسائل .. لا يجوز أن ينسينا فضله .

أو نجحد جانب الحق والخير .وهو كبير جداً .الذي عنده .. وبخاصة أننا نعلم جميعاً أن الشيخ قضى حياته كلها ولم

يمد يده قط .كغيره ! . إلى الطواغيت الظالمين .. مع حرص الآخرين على ذلك .. وأن كتبه على كثرتها لم يذكر فيها كلمة

ثناء واحدة على طاغوت .. وهذا مما ينبغي أن يُذكر عن الشيخ عند تقييمه أو الحديث عنه !

ثم **ثانياً:** نحن مأمورون شرعاً ودينياً بتوقير العلماء .. والدعاء لهم وحبهم .. والثناء عليهم بما فهم من خير وفضل ..

والتأويل لهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً .. وهذا كله لا يمنع من إنصاف الحق منهم لو خالفوه .

أما **ثالثاً:** فلعل بعضكم لو توجه بالخطاب والحديث إلى بعض الفساق والظالمين والمجرمين .. لخاطبهم بعبارات

التفخيم والتبجيل والسيادة وغير ذلك .. وما أكثر ما نلاحظ ذلك .. أفترون هذا جائزاً مستساغاً .. وقولي عن شيخ وعالم

خدم السنة . بالقول والعمل . لأكثر من خمسين سنة .. حفظه الله .. أو رحمه الله .. لا يجوز وهو من خوادش العقيدة

والإيمان .. !!!?

احذر الكبر .. أو أن تكون من المتكبرين !

والآخر مطيل للحيته فينتابه شعور بأنه أفضل من الذين هم أقصر منه لحية .. ولو نظر إليهم

ينظر إليهم بعين الازدراء والترفع .. فهو لذلك أفضل وأرفع منهم .. وهكذا يجب أن يتعاملوا معه !!

وأخر يرتدي ثوباً .. فينظر بازدراء وترفع على كل من يرتدي البنطال، وأنه أفضل منهم .. وعلى

أنهم أقل منه درجة .. وهكذا ينبغي أن يتعاملوا معه !!

وهذا حج والآخر لم يحج .. وهذا اعتمر والآخر لم يعتمر .. وهذا أحيا سنة والآخر مقصر فيها ..

فيتكبر هذا على ذاك ويتعاضم عليه ويترفع .. ناسياً أن ما آتاه الله من فضل وخير .. مرده كله له ﷻ !

فهذه الصور وما تقدم كلها تدخل في معنى الكبر، وبعضها أصرح من بعض .. وصاحبها يطاله

الوزر والإثم بقدر ما يصدر عنه من كبر وترفع على عباد الله !

فعلى الدعاة جميعاً أن يتقوا الله في أنفسهم وفي إخوانهم، وفيما يحملونه من أمانة العلم ..

وليراقبوا أنفسهم ومواقفهم وسلوكياتهم .. فكل منا أدري بنفسه .. وأدري بما يحوجها وما ينبغي أن يزول

عنها .. وكل منا بحاجة إلى أن يقف مع نفسه وقفة صادقة، فيحاسبها قبل أن تُحاسب .. ويسأل الله

تعالى السلامة من أمراض الكبر والغل والحسد.

هذا ما أردت ذكره وبيانه في هذا المبحث الوجيز، راجياً لنفسي ولجميع إخواني .. وعامة

المسلمين أن يحفظنا الله تعالى من داء الكبر ومن أسبابه .. وما يُفضي أو يقرب إليه .. وما يترتب

عليه من آثار وخيمة لا تُحمد عقبها في الدنيا وفي الآخرة .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1421/10/04 هـ

2000/12/30 م

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنه قد جاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد: فإن كثيراً من الناس - على اختلاف مقاصدهم ونواياهم - يتساءلون: لماذا خيار الجهاد في سبيل الله، وليس دونه ..؟!؟

والذين يسألون هذا السؤال هم أصناف ثلاثة:

1- فريق منهم يطرح هذا السؤال استرشاداً وطلباً للحق ليلتزموه .. وهؤلاء لا حرج عليهم إن شاء الله.

2- وفريق آخر يطرح هذا السؤال مشككاً في جدوى هذا الطريق ونتائجه .. مظهراً نوع شفقة على المسلمين وعلى حرمتهم، على اعتبار أن هذا الطريق من لوازمه الوقوع في الفتنة — ألا في الفتنة سقطوا — وتعريض المسلمين لأن تسفك دماؤهم وتنتهك حرمتهم .. وكذلك تعريض الأوطان للدمار والخراب .. لذلك فهم في المقابل لا يترددون في أن يطرحوا نظرياتهم وبدائلهم - التي هي من عند أهوائهم وأنفسهم - عن هذا الطريق؛ طريق الجهاد في سبيل الله!

3- وفريق ثالث خبثت طويته، وساء مقصده .. يطرحون هذا السؤال من قبيل الطعن والاستخفاف بمبدأ الجهاد .. وعلى أنه خيار إرهابي غير متحضر لا يناسب زماننا المعاصر .. ويتمثل هذا الفريق في موقف المنافقين والعلمانيين على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم الباطلة ..!

وهذا الفريق العلماني الكافر — بحكم الوسائل المتاحة له — قد ترك أثره الكبير على تفكير ومعنويات كثير من المثقفين الإسلاميين .. مما حدا بالآخرين أن يقفوا موقف المدافع عن مبدأ الجهاد

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

في سبيل الله وبطريقة مشوهة وغير لائقة؛ وكأن الجهاد تهمة مشينة تحتاج إلى من يدافع عنها .. أو يوجد لها المبررات والمسوغات!

فهم تارة يطرحون مبدأ الجهاد ويحصرونه في معنى الدفاع عن الأوطان .. والأوطان التي تُغزى تحديداً من عدو خارجي .. أما الأوطان التي تُغزى من الأعداء الداخليين — الذين يكونون في الغالب هم أشد عداوة للأمة والأوطان من الأعداء الخارجيين، ومن مسيلمة الكذاب أيام الصديق ﷺ . لا يجوز أن يُعمل بالجهاد مع هؤلاء الصنف من الأعداء ..!

وتارة يحصرونه في جهاد الكلمة أو النفس .. وتارة في التنقل بين المساجد والمبیت فيها على طريقة إخواننا التبليغيين .. وتارة .. وتارة .. فتوسعت الهوة بين هذا الدين العظيم كما أوحاه الله تعالى على عبده ونبيه محمد ﷺ .. وبين مستوى الالتزام به من قبل كثير من الناس في زماننا المعاصر .. فانعكس ذلك على الأمة سلباً وذاً وهواناً، وضياعا ..!

لأجل ذلك كله نجد لزاماً في أن نجيب عن هذا السؤال الهام والكبير بشيء من التفصيل والبيان: لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .. مستلهماً من الله تعالى وحده السداد والعون والتوفيق.

فأقول: لا خيار للأمة . إن أرادت أن تحيي، وتسترد عافيتها، وتستأنف حياتها الإسلامية من جديد - إلا خيار وطريق الجهاد في سبيل الله وفق ما أمر الله تعالى وشرع .. رضي من رضي وسخط من سخط؛ وذلك لأسباب عدة نذكر أهمها في النقاط التالية:

أولاً: لأن الله تعالى أمرنا بالجهاد .. فارتضاه لنا طريقاً إلى العزة والنصر والتمكين .. فهو قدر هذه الأمة، لا فكاك لها منه، أو التنكب عنه .. فليس للمؤمن — وهو يُسمى مؤمناً — أن يرتضي لنفسه ولأمتة شيئاً بخلاف ما ارتضاه الله تعالى لعباده إلا إذا أثر الكفر على الإيمان، والخروج عن مسمى الإيمان اسماً وحكماً.

والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصَر في هذا الموضوع، نذكر منها قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 216.

فقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ أي فرض .. وهو كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ البقرة: 183. من حيث دلالة الوجوب .. فكما أن الصيام فرض وكتب على المؤمنين كذلك القتال والجهاد في سبيل الله فهو فرض وكتب على المؤمنين.

والأمة عندما تستقبل الأمر بالقتال والجهاد كما تستقبل الأمر بالصيام .. وتستعد وتفرح للأول كما تستعد وتفرح للثاني .. فحينئذٍ استبشروا بالفتح وبنصر من الله قريب.

ومما يستغرب له، ويشدد له العجب .. أن الأمة لا تقبل من أحد . أياً كان وصفه أو كانت مكانته – أن يجادلها في شرعية ووجوب ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ بينما نراها لا تحرك ساكناً، ولا تبدي اعتراضاً عندما ينبري من ذوي النفوس المريضة المشبوهة من يشكك في شرعية ووجوب ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ علماً أن كلا الآيتين لهما نفس الدلالة من حيث الأمر والوجوب ..؟!

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأنفال: 39.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التوبة: 38-39.

وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التوبة: 41.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: 111.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وهذا بيع قد تم لا يجوز لمؤمن — ما دام مؤمناً — أن يتخلف عنه وعن تبعاته .. أو يتنكر له .. وقوله تعالى: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من صيغ العموم التي تفيد جميع المؤمنين من دون استثناء .. فمن أراد أن يخرج عن عقده وما تم بيعه فهو بذلك يخرج عن كونه من المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وهم قد رضوا بالبيع مقابل جنة عرضها السماوات والأرض.

وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التوبة: 29.

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: 36.

وغيرها كثير من الآيات التي تفيد وجوب الجهاد في سبيل الله .. وأنه المنهج الحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده لا مناص لهم من تنكبه أو التفلت منه ومن تبعاته إلا وهم مرتكبون الوزر والإثم، حاكمين على أنفسهم بالذل والهوان والضياع والعذاب !..

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ مئات الأحاديث التي تحض على الجهاد، وتأمربه، وتلزم به الأمة .. وتحذر من تركه أو الغفلة عنه إلى ما سواه من الطرق الأخرى الملتوية عن الصراط المستقيم، من تلك الأحاديث النبوية، قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله" البخاري.

وقال ﷺ: "بُعِثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصغار على من خالف أمري" [1].

وقال ﷺ: "واعلموا أن الجنة تحت ظللال السيوف" البخاري.

وقال ﷺ: "من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق" مسلم.

¹ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 2831.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وقال ﷺ: "من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة"[1].

فالمؤمن لا يجوز له إلا أن يكون واحداً من ثلاث: إما أن يكون غازياً في سبيل الله، وإما أن يخلف غازياً في أهله بالخير، وإما أن يجهز غازياً في سبيل الله .. فإن لم يكن واحداً من هؤلاء فلينتظر قارعة تنزل بساحته . لا يعلم ماهيتها وحجمها إلا الله . قبل يوم القيامة !!

وقال ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يومٍ فيما سواه من المنازل"[2].

وقال ﷺ: "الغدوة والروحة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها" متفق عليه.

وقال ﷺ: "من اغبرت قدماه في سبيل الله فهو حرام على النار"[3].

قلت: كيف بمن يعلو الغبارُ وجهه .. ويُلامس شغاف قلبه .. إنها الجنان والدرجات العلا وربّ

الكعبة؟!!

وقال ﷺ: "عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به

الهمَّ والغمَّ"[4].

وعن سلمة بن نفيل الكندي، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله،

أذال الناس الخيل – أي استخفوا بها وتركوها – ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب

أوزارها ! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: "كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون

على الحق ويُزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل

معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[5].

¹ صحيح سنن أبي داود: 2185.

² صحيح سنن النسائي: 2971.

³ صحيح سنن النسائي: 2919.

⁴ أخرجه الحاكم وغيره، السلسلة الصحيحة: 1941.

⁵ صحيح سنن النسائي: 3333.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وقال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لو ددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل" مسلم.

وقال ﷺ: "ولأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل الوبر والمدر"[1].

هذا قليل من كثير مما ثبت عن سيد الخلق وإمام المجاهدين ﷺ في الحض على الجهاد في سبيل الله والترغيب به .. ولو طالبنا المخالفون بأن نأتيهم بألف دليل ودليل من الكتاب والسنة على مشروعية هذا الطريق المبارك لسهل علينا - بإذن الله - أن نأتيهم بما طلبوا .. ولكن لو طالبناهم بدليل واحد - من الكتاب أو السنة - على مشروعية ما هم عليه من الطرق والمناهج المنحرفة لعجزوا أن يأتونا بذلك .. ولرايتهم يلوون أعناقهم ويلتجئون إلى المتشابهات والعموميات وليس لهم فيما أدنى حجة أو دليل !!

ثم نقول لهؤلاء المخالفين إن قدرتم على تحريف نص أو نصين عن ظاهرهما ودلالتهما.. فأني لكم بتأويل وتحريف آلاف النصوص الشرعية التي تحض وتأمر بالجهاد في سبيل الله ..؟!!

كذلك كيف يليق بكم - وأنتم تظهرون حرصكم على نصره هذا الدين - أن تصرفوا نظركم عن هذه النصوص على كثرتها، وتجعلوها وراءكم ظهرياً وكأنها لم تكن، والله تعالى — بكبريائه وعظمته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى - يخاطبكم بها وكل المؤمنين .. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ البقرة: 216. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة: 54. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً﴾ النساء: 71. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ انَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة: 38. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: 123. أستم من الذين آمنوا الذين تعنمهم هذه الآيات وغيرها .. أستم من الذين آمنوا الذين يخاطبهم الله تعالى ..؟!!

¹ صحيح سنن النسائي: 2955.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

ثانياً: لأن في الجهاد حياة .. حياة حقيقية لمعاني العزة والكرامة .. حياة حقيقية لإنسانية وأدمية الإنسان .. حياة حقيقية لحرمت الإنسان من الانتهاك أو أن تكون عرضة لأطماع وأحقاد الوحوش الأدمية الفاجرة !!

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: 24. أي لما فيه سبب حياتكم الحقيقية .. حياة القلوب والأبدان معاً، ومما دعانا إليه النبي ﷺ الجهاد في سبيل الله.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال ابن الزبير: أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم -هـ.

وقال ابن إسحاق، وابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينهم ويُعلمهم .. -هـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: 179. أي حياة حقيقية آمنة وسالمة من الإجرام والاعتداءات على حرمت وحقوق الإنسان .. والقصاص جزئية تدخل في معنى الجهاد في سبيل الله.

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال: 39. والفتنة كل ما يُضاد الحياة الحقيقية السوية الخالية من الفتن والخراب والفساد .. والشرك .. فإذا استؤصلت الفتنة من المجتمعات .. تحققت الحياة الحقيقية التي ملؤها الخير والسلامة للجميع .. والفتنة . بخاصة إذا كانت ممتنعة بقوة السلاح . لا يمكن استئصالها إلا بالجهاد والقتال كما أمر الله تعالى.

وقال تعالى لما أمر بالجهاد والقتال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ البقرة: 216. وفي سورة التوبة: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التوبة: 41. والخيرية هنا تشمل خيري الدنيا والآخرة .. تشمل الحياة الحقيقية التي ينبغي أن يعيشها الإنسان .. وإن كانت هذه الحقيقة الساطعة . بسبب من عند أنفسنا — قد لا نعلمها بادئ ذي بدء، فإن الله تعالى يعلمها، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 216.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره، قال ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا - أي اقترعوا - على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً". أي إن أخذوا على أيدي أهل الباطل والفساد والشرب بالجهاد والإنكار .. نجوا، ونجوا جميعاً، ونجت معهم البلاد والمجتمعات من الغرق والضياح .. من كل ما يدخل في معاني الهلاك .. وكل من ينجو من مطلق الهلاك تحققت له ولا بد الحياة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

وإذا كان في الجهاد حياة حقيقية فإن من لوازم تركه العذاب والحياة الضنك وتحقيق الموت الحقيقي للبلاد والعباد .. موت حقيقي لمعاني الحرية والعزة والكرامة ..! ما قيمة الأجساد إذا كانت تدب على الأرض .. وجميع الحرمات ومعاني إنسانية الإنسان تنتهك وتُقتل ..؟!

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

طه:124. ومن الذكر المنزل في القرآن الكريم الجهاد في سبيل الله ..

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ التوبة: 39. والعذاب هنا يشمل عذابي الدنيا

والآخرة .. عذاب الدنيا لما يترتب على ترك الجهاد وتسليم الأعناق والحرمات لرحمة الطواغيت .. وعذاب الآخرة بسبب عصيان أمر الله تعالى بجهاد الطواغيت الظالمين.

مصدق ذلك في السنة قوله ﷺ: "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب"[1].

وقال ﷺ: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله

عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"[2]. أي ترجعوا عما كان سبباً في ذلِّكم .. وهو ترك الانشغال

¹ أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 2663.

² أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 11.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

بما تقدم ذكره في الحديث عن الجهاد في سبيل الله .. فسمى الله تعالى الجهاد بالدين .. فمن ترك الجهاد فقد ترك الدين .. ومن رجع إلى الجهاد رجع إلى الدين!

وقد تقدم قوله ﷺ: "من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة

قبل يوم القيامة". قارعة .. الله أعلم بحجمها ونوعها ..!

وقال ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم – أي تجتمع وتتكالب – كما تداعى الأكلة إلى قصعتها،

فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"[1].

صدق رسول الله ﷺ .. فأى هوان وأي ذلّ تعيشه أمة الإسلام في هذا الزمان بسبب تركها للجهاد

.. فحيثما التفت وتوجهت تجد معالم ذلك الذل والهوان بادية على وجوه وحياة الناس .. إلا في بقاع قليلة من الأرض شرع بها الجهاد في سبيل الله، أبى أهلها الضيم والذل والهوان، والركون إلى الطواغيت الظالمين!

فإن قيل كيف يكون في الجهاد حياة ويترتب عليه ما يترتب من القتل والقتال وحصول

الجراحات وغير ذلك من الآلام ..؟!

أقول: نعم، رغم ما ذكر فإن في الجهاد حياة وذلك من وجهين:

أولهما: من حيث تقليل نسبة الخسائر التي يمكن أن تصيب الأنفس والأموال والحرمان .. فإذا

كان في الجهاد تقتل بعض الأنفس، وتتحقق بعض الخسائر أو الجراحات .. فإن ضريبة ترك الجهاد في سبيل الله، والخلود إلى الأرض والذل .. هي أضعاف أضعاف ما يمكن أن يتحصل بسبب الجهاد .. فيكون في الجهاد حياة للفارق بين ما يُعد ضريبة للجهاد وبين ما هو ضريبة لترك الجهاد والركون إلى الأرض وحب الدنيا .. وهو فارق ضخم جداً!

¹ أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 958.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

ولتوضيح الصورة أكثر نضرب المثال التالي: في حال أثرت الشعوب الجهاد يُقتل منها مثلاً عشرة أنفس .. وفي حال أثرت ترك الجهاد .. يُقتل منها مائة نفس .. فيكون في اختيارها لطريق الجهاد حياة حقيقية لتسعين نفس – كان موتها محقق في حال ترك الجهاد – وهو الفارق بين ضريبة وتبعات الجهاد وبين ضريبة ترك الجهاد .. وهذا مثال ضربناه لتقريب الصورة إليك يمكنك القياس عليه عند الحديث عن الحرمات التي يمكن أن تنتهك في مواطن الجهاد .. والحرمات التي تنتهك في مواطن الاستسلام والركون إلى الأرض وترك الجهاد^[1].

أما ثانياً: ففي الجهاد حياة لمعانٍ لا تقل قيمة عن الأنفس والأرواح .. حياة لمعاني الحرية، والعزة، والكرامة، والشرف .. لا طعم للحياة من دونها .. ولا قيمة للأجساد التي تدب على الأرض من دونها .. وهذه معاني لا تُستجدي من الآخرين .. ولا يمكن أن تحي وتتحقق من دون الجهاد في سبيل الله!
فالجهاد حياة حقيقية من هذا الوجه .. فتفطن لذلك !

وهو - أي الجهاد - إضافة إلى جميع ما تقدم مؤداه إلى حياة الخلود والنعيم في الجنان قبل يوم القيامة، وبعد قيامها كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آل عمران: 170.169.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة: 154.

ثالثاً: لأن الجهاد في سبيل الله هو الدعوة الصادقة والوسيلة الحقيقية لتحقيق السلام في الأرض .. وبيان ذلك أن الله تعالى فطر الخلق على سنة ثابتة ماضية — لا يمكن لأحدٍ مهما أوتي من قوة أو نفوذ أن يلغيها أو يغيرها . لا تتغير ولا تتبدل إلى يوم القيامة؛ وهي سنة التدافع بين الحق

¹ كان من قبل يكفي جندي واحد من جنود الطاغية بشار الأسد أن يذل ويرعب قرية بكاملها، وينتهك حرمت أهلها، ومن دون أدنى مقاومة، وبعد أن نفض أهل الشام الذل عن أنفسهم، وشرعوا بالجهاد في سبيل الله .. أصبح جيش الطاغوت بكامله يعجز عن دخول أكثر من 60% من الأراضي السورية .. وتحرير بقية المدن والقرى من هيمنة وحكم الطاغوت قائم ومستمر، بإذن الله.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وأهله من جهة وبين الباطل وأهله من جهة أخرى .. فالباطل — منذ أن وجد — بكل تجمعاته وتكتلاته يعمل جاهداً على استئصال الحق من الوجود وبسط نفوذه عليه، وتحقيق السلام في الأرض على طريقته الباطلة الظالمة .. وكذلك الحق بكل تجمعاته لا يألو جهداً في تحجيم الباطل وكسر شوخته .. وفرض السلام في الأرض على طريقته العادلة.

فلو قُدر للباطل أن يبسط نفوذه على بقعة من بقاع الأرض فهل تراه قادراً على تحقيق السلام العادل فيها .. أو أن ينصف الحق وأهله من نفسه؟!

الجواب: لا .. لماذا ؟

ذلك لسببين، أولهما: لا يوجد للباطل قانون عادل ثابت يُلزم به أهله وأتباعه في السخط والرضى .. في القوة والضعف .. في السلم والحرب .. الذي يمنعهم من التماذي في ظلم العباد والمخالفين .. مما يحملهم على أن يشرعوا لأنفسهم وللآخرين القوانين التي تلي نزواتهم وأهواءهم، وأحقادهم .. والتي مؤداها إلى ظلم الآخرين وهضم حقوقهم ووجودهم .. فهم — أي أهل الباطل — لا يتورعون في أن يصدروا القوانين أو يغيروا بها — وقت يشاءون — لما يخدم مصالحهم ومآربهم الخاصة وإن أدى ذلك إلى هضم وسحق الشعوب الأخرى!

ولو وجدوا في مرحلة من المراحل أن قوانينهم — التي هي من عند أنفسهم وأهوائهم — لا تلي رغباتهم، وأطماعهم، وأحقادهم .. فالأخبار والرهبان من دهاقنة الساسة جاهزون لسن القوانين التي ترقى إلى درجة تلبية الرغبات والأطماع والأحقاد .. والتي سرعان ما تتحول قوانينهم الجائرة إلى مستوى القانونية أو الشرعية الدولية التي يجب على الشعوب المقهورة المسلوقة الحقوق أن تحتكم إليها وترضى بها وبتبعاتها .. والويل كل الويل لمن يخالفها أو يعترض عليها^[1]!

¹ لتعرف حقيقة ذلك تأمل القوانين الجائرة الصادرة عن الأمم المتحدة، التي وراءها قوى الاستكبار العالمي أمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب الصليبي .. كيف تبيح للمغتصب الظالم بأن يغتصب حقوق الآخرين كما هو حاصل في فلسطين .. وفي الشيشان .. وفي أفغانستان .. وفي العراق .. وفي سوريا .. وفي كشمير وغيرها من البلدان والأمصار .. كل ذلك يمرر بعد أن تصدر القوانين . وما أسهل إصدارها على مصاصي الدماء من الأخبار والرهبان . التي تبيح هذا

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

فالباطل الذي لا يملك الميزان الثابت العادل .. لا يمكن، بل لا يسمح للأخريين أن يتعاملوا معه

بسلام ومن غير بغير صدام .. وبالتالي فهو غير مؤهل بأن يحقق السلام العادل في الوجود!

السبب الثاني: فقد تضافرت أدلة النصوص الشرعية وكذلك أدلة الواقع المعيش على أن

الباطل بكل تجمعاته ومذاهبه لا يمكن أن يرضى عن الحق وأهله، أو أن تهدأ مطاردته وملاحقته لهم ..

إلا بأحد خيارين: إما أن يرتد الحق عن حقه ليدخل في دين الباطل ومذاهبه .. وإما خيار القتل

والتشريد والاستئصال إن قدروا على ذلك!

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

البقرة: 217. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يفيد الاستمرار والمواصلة على القتال ما داموا قادرين على

ذلك .. والغرض من هذا القتال أن يردوا أهل الحق عن حقهم ودينهم ليدخلوهم في باطلهم ودينهم ..!

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى

قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ التوبة: 8. أي إن علا سلطانهم على أهل الحق لا يُراعون فيهم حرمة القرابة،

ولا حرمة ما بينهم من العهود والمواثيق، ولا يمنعهم عن سفك الدم الحرام أو انتهاك الحرمات شيء من

ذلك .. ومن كان كذلك لا يمكن أن يحقق السلام، أو أن يكون مؤهلاً لتحقيق السلام مع الآخرين ..!

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة: 120. فلن الواردة في

الآية الكريمة تفيد نفي الحاضر والمستقبل .. أي مهما حاول أهل الحق أن يسترضوا اليهود والنصارى

عنهم فلن يُفلحوا إلا بشرط واحد: وهو اتباع ملتهم والدخول في دينهم وباطلهم ..!

والآية تفيد كذلك أن رضى اليهود والنصارى عن المسلم مؤشر صريح على انحراف المسلم عن

جادة الحق والصواب إلى الباطل الذي هم عليه .. فحيثما يظهر رضى القوم عن المسلم فعليه أن يتهم

نفسه، وأن يُراجع دينه، وينظر أين هو من الحق!

الاغتصاب .. وهذه الانتهاكات .. لتصبح فيما بعد هي الحق الذي لا يجوز التعقيب عليه .. وخلافها من الحق هو الباطل

الذي يُعد الهمس به من الإرهاب!

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ إبراهيم:

13. فقله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ يفيد الاستغراق؛ أي جميع الذين كفروا على مدار الزمن وإلى يوم القيامة يقولون للرسول وأتباعهم المؤمنين ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ .. ومن كان هذا وصفه وديدنه فأنى له أن يحقق السلام في الأرض؟!!

ونحو ذلك قوله تعالى عن فتية أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف: 20. وغيرها كثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تفيد هذا المعنى. وفي الحديث فقد أخرج البخاري وغيره أن النبي ﷺ لما أخبر ورقة بن نوفل خبر ما رأى من الوحي، قال له ورقة: هذا الناموس - أي جبريل عليه السلام - الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً - أي شاباً قوياً - ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟! فقال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

هذه أدلة النصوص الشرعية .. أما أدلة الواقع الملموس والمشاهد فحدث عنها ولا حرج؛ فما أكثر تلك الديار وأولئك الشعوب التي تنتهك حرمتهم صباح مساء بسبب أنهم لم يدخلوا في طاعة القوم أو في دينهم ..؟!!

فانظر ماذا حصل ويحصل في فلسطين .. وماذا حصل في البوسنة والهرسك .. وفي كوسوفو .. وماذا حصل في هذه الأيام في سوريا .. وفي الشيشان .. وفي الفلبين .. وفي أندونيسيا .. وفي الصين .. وفي كشمير .. وفي أفغانستان .. وفي العراق .. وفي السودان .. وفي أرتيريا .. وفي لبنان .. وفي الصومال .. وغيرها كثير من البلدان ..!

ما يحصل في تلك الديار وغيرها من ممارسات وتصفيات وحصارات، ومؤامرات .. وانتهاكات للحقوق والحرمات .. لهو أكبر دليل على أن القوم لا يُحسنون صنعة السلام .. إلا سلام الأسياد مع العبيد .. العبيد الذين لا يحق لهم - في قوانين الأسياد - إلا أن يمتحنوا صنعة الركوع والسجود والطاعة للأسياد ولقوانينهم ..!

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

هذا هو سلام الباطل .. فسلامه غدر وحرب وقتل وقتال .. وهضم ونصب للحقوق والحريات .. ومن كان كذلك فهو غير مؤهل لرعاية عملية السلام .. ولا لبسط وتحقيق السلام .. لأنهم هم أنفسهم يفقدون السلام .. وفاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه للآخرين!

إذا كان هذا هو سلام الباطل .. فهل الحق قادر على تحقيق السلام العادل .. وهل هو قادر على إنصاف الآخرين . ولو كانوا من أهل الباطل . من نفسه .. أو يحقق لهم الأمن والسلام؟!!

الجواب: نعم .. لماذا؟

لأن الحق يملك القانون العادل الثابت الذي يُعرفه ما له وما عليه .. القانون الذي يلتزمه في السر والعلن .. في السخط والرضى .. في السلم والحرب .. وليس له أن يخرج قيد أنملة عن هذا القانون إلا إذا أثار أن يخرج عن كونه ووصفه بأنه الحق أو من أهل الحق!

هذا القانون هو "حكم الله تعالى" الذي لا يتغير ولا يتبدل، والذي لا يُحاي مخلوقاً على حساب مخلوق .. فكل الناس أمامه سواء .. الغالب والمغلوب .. الضعيف والقوي .. السيد والوضيع لا فرق بينهم أمام حكم الله .. فلكل له وعليه .. وعلى الجميع أن يلتزموا بما لهم وما عليهم .. بحسب ما يقضي الله تعالى في حكمه وشرعه!

وهذا من أكبر العوامل التي تعين على تحقيق السلام في الأرض .. إذ أن الآخرين يعرفون قبل أن يدخلوا في السلم مع الحق وأهله ما لهم وما عليهم .. إنهم جميعاً أمام قانون واحد لا يمكن أن يتغير ولا أن يتبدل بحسب الأهواء والمصالح .. فهو لا يخضع لمزاج السلاطين أو الحكام ولا لسياساتهم .. كما لا يجوز أن يخضع لرغبات ونزوات الشعوب المنتصرة الغالبة .. كما هو الحال عند الباطل وأهله!

فهم عندما يدخلون في سلم الحق لن يكونوا عبيداً للعبيد .. ولا خاضعين لسلطة العبيد كما هو الحال عندما ينتصر الباطل في موقعة من المواقع .. وإنما هم في حقيقة أمرهم داخلون في الطاعة

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

العامة لله ﷻ .. وفي العبودية العامة للخالق ﷻ .. وفي السلم العام الذي شرعه الله تعالى للعباد .. وهذه عبودية تشريف لا انتقاص فيها من قدر المخلوق أو العباد^[1].

من قوانين الحق التي يلتزم بها المسلمون حكماً ومحكومين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: 1. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ النحل: 91. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ النحل: 95. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: 34. فهي نصوص تلاحق ضمير وأخلاق المؤمن أينما ذهب أو حل وأقام .. تمنعه من أن يفكر - مجرد التفكير - في الغدر أو الخيانة أو نقض العهد مهما كانت تكاليف وتبعات الالتزام بالعهد أو العقد الذي يعطيه المؤمن للآخرين^[2].

¹ العبادات نوعان: عباد شرعية دينية أو عبادة خاصة .. وهذه عبادة لا إكراه فيها إن أبى الإنسان الكافر أن يدخل فيها .. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين ..﴾: أي لا إكراه على الدخول في العبادات الشرعية الدينية .. وعبادة كونية قدرية أو عبادة عامة: وهي عبادة الدخول في الطاعة العامة لحكم الله ﷻ .. والانقياد العام لسلطة شرع الله ﷻ .. وهذه عبادة لا مناص لأحد من العباد أن يتخلف عنها أو لا يدخل فيها .. فإن أبوا إلا القتال قوتلوا عليها .. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي حتى تكون الطاعة والخضوع كله لله وحده .. وليس لسلطان، أو شعب منتصر .. فإن أتوا بالعبادة العامة والطاعة العامة لحكم الله تعالى وسلطانه .. فليدخلوا بعدها في العبادات الدينية الخاصة التي يشاءون .. وحسابهم على الله.

² مما يذكره لنا التاريخ: أن أبا عبيدة بن الجراح ﷻ كان قد صالح نصارى الروم على مدينة دمشق، وكان خالد بن الوليد لم يعلم بصالح وعهد أبي عبيدة مع نصارى الروم .. فافتتح دمشق عنوة من جهة الباب الشرقي للمدينة .. ولما ذكر النصارى ذلك لعبيدة رد إليهم المدينة بكاملها. التي هي دمشق! .وفاء بالعهد وبالكلمة التي أعطها لهم !..

تأمل .. أهكذا هم الصهاينة اليهود اليوم . ووراءهم أمريكا والغرب الصليبي . في تعاملهم مع العقود والعهد التي يعطونها للآخرين .. كم هي العقود والعهد التي يبرمونها اليوم .. وفي اليوم الثاني يغدرون بها لأدنى مصلحة يمكن أن يفقدونها من وراء هذا العقد أو العهد، فأني لهؤلاء أن يكونوا دعاة بحق للسلام أو أنهم كفاً لأن يكونوا رعاة بحق للسلام؟!!

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

ثم تأمل انسحاب الصهاينة اليهود الصوري من أراضي لا حق لهم فيها في فلسطين .. كيف يكون بالشبر والفتر .. ولو انسحبوا شبراً، استولوا بعده متراً ليبنوا عليه مستوطناتهم .. وذلك كله بعد العهود الكثيرة الكاذبة والمتراكمة عليهم منذ عقود قد أعطوها للآخرين !!

وقد تقدم معنا حديث السفينة، وفيه قوله ﷺ: "فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"؛ أي إن تركوا لأهل الباطل الحرية في قيادة السفينة والمجتمعات، أو أن يفرضوا سلامهم الباطل كما يحلو لهم فقد هلكوا جميعاً: الصالحين والطارحين .. وغرقت بهم السفينة، وهلكت البلاد!

وإن أخذوا على أيديهم – بالجهاد والقتال – ومنعوهم عن فسادهم وطغيانهم، وفرضوا سلامهم العادل .. نجوا جميعاً: الصالحين والطارحين معاً .. ونجت معهم السفينة والمجتمعات من الغرق في أحوال الشرك والفساد، والدمار ..!

والذي يهمننا من ألفاظ الحديث في هذا الموضوع قوله ﷺ "نجوا ونجوا جميعاً" الذي يفيد حرص الحق على تحقيق النجاة والسلامة لأهل الباطل كذلك .. وهذا مالا يمكن أن نجده أو نشعر به عند أهل الباطل نحو الحق وأهله ..!

وقال ﷺ: "من آمن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافراً"^[1]. وقال ﷺ: "من قتل نفساً معاهدة بغير حلها، حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها"^[2].

هذه هي أخلاق الحق التي تلزم كل مسلم ولو كان في أدغال إفريقيا أو الفلبين .. فهو يكفيه بأن يسمع بهذا الحديث أو نحوه ليكون له رادعاً وزاجراً يردعه من أن يمس أو يصيب الكافر الذمي أو المعاهد المؤمن بأذى أو سوء ..!

وبعد، فإنه يحق لنا أن نسأل: أهكذا هم أهل الباطل — بكل تجمعاتهم ومذاهبهم — عندما يتعاملون مع المسلمين وبخاصة إن ظهروا عليهم بنوع قوة أو سلطة ..؟!

¹ أخرجه النسائي، وابن ماجه، وأحمد، السلسلة الصحيحة: 440.

² صحيح سنن النسائي: 4423.

لماذا الجهاد في سبيل الله..؟

الجواب: تجده في المجازر الجماعية بحق الشيوخ والأطفال والنساء التي ارتكبت في البوسنة والهرسك .. وفي الشيشان .. وفي العراق .. وفي أفغانستان من قبل .. وأخيراً في سوريا .. تجده في المقابر الجماعية للأحياء .. تجده في حرق المسلمين وهم يتعبدون في مساجدهم كما حصل في مالوكو إندونيسيا .. وغيرها من البقاع!

تجد الجواب في البيوت المهدامة على أهلها وأصحابها الأبرياء!..؟

راجع تاريخ فتوحات الإسلام كلها .. هل تعرف مرة أن الإسلام اضطر - فضلاً عن أن يجبر - أهل

البلاد بأن يخرجوا من ديارهم بالآلاف أو الملايين!..

بينما نجد صهاينة اليهود لما غزوا فلسطين شردوا ملايين المسلمين من أبنائها وأسكنوهم في

العراء وفي المخيمات .. ثم بعد ذلك قسّموا الناس بين نازح ولاجئ، ولكل منهما درجة؟!..

كذلك لما غزت روسيا من قبل أفغانستان .. وكذلك لما غزت الشيشان .. وكذلك الصرب لما

غزوا البوسنة والهرسك .. أجبروا المسلمين من أهل البلد على الهجرة والخروج من ديارهم وبيوتهم ..

وذلك بعد أن ارتكبوا بحقهم المجازر التي لا يمكن أن يتصورها عقل آدمي!..

وفي سوريا .. هذا القتل والتهجير الجماعي للملايين من أبنائها .. كل ذلك يحصل في زمن

الديمقراطية .. وزمن الإنسانية، وحقوق الإنسان .. ومحاربة العنصرية .. وعلى مرأى ومسمع ومباركة

من جميع محافل الباطل ومؤسساته ودوله!

كل ذلك يجعلنا نجزم ونؤكد بأن الباطل لا يمكن له أن يحقق السلام العادل في الوجود لأنه لا

يملك الخصائص النفسية والأخلاقية التي تمكنه من ذلك، بخلاف الحق فإنه يملك جميع مقومات

وخصائص تحقيق السلام العادل في الأرض كل الأرض .. وبالتالي هو الذي يجب أن يُرشح لقيادة ورعاية

عملية السلام، وعلى طريقته الخاصة به .. وليس على طريقة أحدٍ غيره.

ولما كان الباطل لا يسمح للحق أن يقود ويرعى عملية السلام .. أو يحقق السلام العادل على

طريقته الشرعية الربانية .. لزم على الحق وأهله أن يجاهدوا الباطل وأهله ويزيلوا من أمامهم العقبات

الكثيرة التي ينثرها الباطل في طريقهم والتي تحيل بينهم وبين تحقيق السلام!

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

لذا فإن كل من يريد السلام بحق نقول له: أقرب طريق لتحقيق السلام العادل هو الجهاد في سبيل الله .. وأي طريق آخر يُسلك غير طريق الجهاد فهو طريق لا يوصل للسلام ولا يمكن أن يحقق السلام، وهو مضيعة للأوقات والأعمار من غير طائل ولا فائدة .. وليس من ورائه إلا تأخير عملية السلام .. وإطالة أمد الحروب والظلم والشقاء والحرمان!

فكل من يتنكب طريق الجهاد – بقصد أو غير قصد – فهو لا يعمل للسلام .. ولا يريد للسلام أن تقوم له قائمة .. وإنما يريد أن يطيل أمد الحروب والشقاء والظلم والحرمان .. يريد أن يطيل عمر طغيان الباطل .. يريد أن يكرس سلام الباطل الذي هو ليس بسلام .. وإن زعم ملء شذقيه أنه من دعاة وأنصار السلام !!

وعليه، وبناءً على ما تقدم، نقول جازمين: إن أقرب الناس للسلام، وأصدقهم دعوة إلى السلام هم المجاهدون في سبيل الله الذين يُقاتلون في سبيل الله .. وأكثر الناس بعداً وعداءً للسلام هم أكثرهم عداءً لمبدأ الجهاد في سبيل الله !!

رابعاً: لأن الغايات العامة للإسلام لا يمكن أن تتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله.

فمن دواعي الشروع في طريق الجهاد كذلك أن الغايات العظمى الكلية للإسلام لا يمكن أن تتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله.

ومن أجل وأعظم غايات الإسلام نشر التوحيد وبسط نفوذه .. واستئصال الشرك وتحجيم نفوذه .. والعمل على أطر العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. ومن جور الأديان والشرك إلى عدل الإسلام والتوحيد .. وهذه مهمة جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: 36.

وقد تقدمت الإشارة إلى حرص الباطل الشديد على منع الحق من أن يبسط نفوذه أو أن ينشر ما لديه من الخير والهداية، وهو لا يتردد في زرع العقبات والأشواك في طريقه، التي تعيق بين رسالته وهدفه وبين الناس .. وقد ذكرنا — فيما تقدم — الأدلة على ذلك من النصوص الشرعية، وكذلك أدلة

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

الواقع التي تثبت أن الباطل لا يهدأ له بال ولا تقر له عين إلا بعد أن يرد الحق عن حقه أو يُزيله عن الوجود والحياة إن استطاع !!

وهذا واقع ظاهر لا خفاء فيه .. لا ينبغي أن نطيل الجدل حوله لنثبت صحته !!

الشاهد مما تقدم: أن الإسلام لا بد له من أن يؤدي رسالته، وهو وجد لذلك .. وأن القائمين على نصرته هذا الدين الحنيف لا بد لهم من أن يعملوا جادين ومخلصين لنصرة هذا الدين ونشر تعاليمه بين الناس كل الناس، وليس لهم خيار غير ذلك .. وهذا من لوازمه إزالة كل العقبات والأشواك التي يفتريها الباطل في طريق الحق .. ومادة ذلك كله الجهاد في سبيل الله.

فالباطل بكل جيوشه وتجمعاته .. ليس ذلك الخصم السهل البسيط المسكين — كما يصور البعض — الذي يمكن أن تحسم معه المعركة أو المشاكل من خلال الوعظ أو مجرد الكلمة بعيداً عن قوة السيف والحديد .. والذين يرون غير ذلك فهؤلاء لم يقرأوا القرآن بعد .. ولم يقرأوا التاريخ ولا الواقع كذلك .. وهم على قلوبهم وأبصارهم غشاوة!

لأجل ذلك نجد أن الله تعالى قد أنزل القرآن الكريم؛ وهو الحق المطلق .. وأنزل معه الحديد فيه بأس شديد ليحمي به هذا الحق .. ويسهل له رسالته في الوجود.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد: 25.

فالحق لا بد له من حديد يحميه ويرد عنه سهام شياطين الإنس والجن .. فحق بلا حديد سهل المنال .. وسهل أن تنتهك حرماته .. وسهل أن يُمنع من تحقيق أهدافه ورسالته .. وهو عرضة للسخرية والاستهانة من كل مارق أو كافر معاند!

فالذي لا يرى الجهاد .. ولا يدعو للجهاد .. ولا يأمر بالجهاد .. فهو - بقصد أو غير قصد - يُريد أن ينزل بالحق كل أنواع الأذى المتقدمة الذكر أعلاه .. ولا يريد للحق أن تقوم له قائمة عز مشرفة!

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

تأمل عدد نسخ القرآن الكريم التي تطبع في العالم سنوياً، فهي تتجاوز مئات الملايين .. بل ما من بيت إلا وفيه عدة نسخ من القرآن الكريم .. ولكن لما تخلى الناس عن الحديد وخلت بيوتهم من الحديد .. ضعف أثر القرآن في الوجود، وفي الحياة!

وفي الأثر عن عثمان رضي الله عنه، قال: إن الله ليزع . أي ليردع . بالسلطان ما لا يزع بالقرآن!

خلاصة القول: أن القرآن والحديد رسالتان متوازيتان تسييران جنباً إلى جنب .. لا مضاء لأحدهما إلا بالآخر .. وهما للحق كالجنحين للطائر لا يمكن له الطيران والعلو في السماء إلا بهما معاً .. فإن أصيب في أحد جناحيه خرَّ إلى الأرض ووقع .. ولا بد له من أن يقع!
فحديد من غير قرآن؛ ظلم، واستعلاء في الأرض بغير حق .. وقرآن من غير حديد، ضعف، وهوان .. والحق كما يأبى الظلم، والاستعلاء في الأرض بغير حق، كذلك يأبى الضعف والهوان.

خامساً: ثم بعد كل ذلك لأن الجهاد في سبيل الله عبادة عظيمة .. التفريط بها تفريط بباب عظيم من أبواب الجنة .. تفريط بالدرجات العُلا .. والخصال الفريدة .. التي لا يمكن أن تتأتى للقاعدين من غير جهاد .. مهما أتوا من ضروب العبادات الأخرى .. لندع نصوص الكتاب والسنة تحدثنا عن كل ذلك:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: 95.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: "لا أجده ! .. هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟" قال: ومن يستطيع ذلك؟! البخاري.

وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله .." البخاري.

وقال ﷺ: "لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها" البخاري.

وقال ﷺ: "لغدوة أو روحه في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب" البخاري.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وقال ﷺ: "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" البخاري.

وقال ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها .." البخاري. هذا رباط يوم في سبيل الله .. فكيف بجهاد يوم في سبيل الله .. أو جهاد أيام .. أو جهاد أشهر .. أو جهاد العمر .. الله أكبر .. إنها الجنان والدرجات ورب الكعبة!

وقال ﷺ: "تضمّن الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أُرجه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم؛ لونه لون دمٍ وريحه مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل" مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا سعيد من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً وجبت له الجنة" فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، ففعل ثم قال: "وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض!" قال وما هي يا رسول الله ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله" مسلم.

وقال ﷺ: "أبواب الجنة تحت ظلال السيوف" مسلم. فهو ليس باب واحد بل هي أبواب كلها تحت ظلال السيوف والجهاد ..!

قال النووي: قال العلماء معناه أن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها .. ا- هـ.

وقال ﷺ: "رباط يومٍ وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان" مسلم.

وقال ﷺ: "كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر"[1].

وقال ﷺ: "من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار" البخاري.

¹ صحيح سنن الترمذي: 1322.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وقال ﷺ: "لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم"[1].

وقال ﷺ: "للشهيد عند الله ستُّ خصال: يُغفر له في أول دفعة، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشَفَّع في سبعين من أقاربه"[2]. فهي ليست خصلة واحدة بل ست خصال بعضها يفضل ويعلو بعض .. أكرم وأعظم بها من خصال، لا يُعطاهما إلا الشهيد!

وقال ﷺ: "عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم". وقد تقدم.

وقال ﷺ: "إن السيوف مفاتيح الجنة"[3].

وقال ﷺ: "ألا أنبئكم بليلةٍ أفضل من ليلة القدر؟ حارس الحرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله"[4]. وحارس الحرس هو الحارس الذي يحرس في الخطوط الأمامية المتاخمة للعدو .. فيكون بذلك حارساً للحرس الذين يحرسون في الخطوط الخلفية من موقع العدو .. والله تعالى أعلم.

وقال ﷺ: "إن الله ﷻ ليدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزُخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب. وتأتي الملائكة فيسجدون، فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب ﷻ: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[5].

هذا غيض من فيض مما ثبت في فضل الجهاد .. وما للمجاهدين من أجر، ومثوبة، وكرامة لا يؤتاها غيرهم .. وهو باعث عظيم على السير في هذا الطريق المبارك العظيم لا يفرط به إلا كل خائب خاسر!

¹ صحيح سنن الترمذي: 1333.

² صحيح سنن الترمذي: 1358.

³ أخرجه ابن أبي شيبة، السلسلة الصحيحة: 2672.

⁴ أخرجه الحاكم وغيره، السلسلة الصحيحة: 2811.

⁵ أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب وغيره، السلسلة الصحيحة: 2556.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

وهو كذلك - أي الجهاد في سبيل الله - عبادة يظهر فيها مدى صدق حب العبد لربه ﷺ .. ومدى صدق انتمائه لهذا الدين .. فبالجهاد تُعرف الرجال، وتُعرف حقيقة معادن الناس، ومن منهم الصادق في زعمه للإيمان ومن منهم الكاذب .. فالمؤمن الصادق في إيمانه وحبه لربه ﷺ هو الذي يقتحم المخاطر ولا يتردد في أن يرمي بنفسه في مواطن الجهاد والخوف في سبيل الله .. أما أصحاب القلوب المريضة بالنفاق وغيرهم هم الذين يبحثون عن الأعذار والذرائع الكاذبة لكي يتخلفوا عن مواطن الجهاد في سبيل الله ..!

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَزِيدُونَ﴾ التوبة: 44-45.

قال ابن تيمية في الفتاوى: 438/28: فهذا إخبار من الله أن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد وإنما يستأذنه الذين لا يؤمنون، فكيف بالتارك من غير استئذان ..؟! -هـ- قلت: فكيف بمن يثبط الأمة عن الجهاد، ويؤثم المجاهدين ويجرمهم لجهادهم ..؟! كيف بمن يُعطل الجهاد كلياً، ويصد عنه الأمة لتأويلات باطلة فاسدة مبعثها الخور، والجبن والإرجاف ..؟! -هـ-

كيف بمن يستبدل الجهاد في سبيل الله بطرق بدعية باطلة .. ويحسنها ويفضلها عليه ..؟! كيف بمن يكره الجهاد والمجاهدين — صفوة هذه الأمة — ويعاديهم، ويحرض الناس على أذاهم والنيل منهم ومن جهادهم .. حسداً من عند أنفسهم؟! -هـ-

لا شك أن هؤلاء أولى بالنفاق من أولئك الذين يتركون الجهاد بعد استئذان ..! قال ﷺ: "من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق" مسلم. هذا فيمن لم يحدث نفسه بالجهاد بصدق وإخلاص .. فكيف بمن تقدم ذكرهم، وذكرت أوصافهم وخصالهم المشينة .. لا شك أنهم أولى بالنفاق وبشعب النفاق! من علامات الولاية والاصطفاء المتابعة .. والجهاد في سبيل الله .. فمن أتى بالمتابعة للشريعة والسنة من دون الجهاد في سبيل الله لا يكون ولياً من أولياء الله .. ومن أتى بالجهاد من دون المتابعة

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

للسريعة والسنة لا يكون ولياً من أولياء الله .. ولتحقيق الولاية كاملة لا بد من المتابعة والجهاد في سبيل الله معاً.

قال ابن تيمية رحمه الله: قد جعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيل الله؛ وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، وفي دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان ا- هـ.

عجباً لأولئك الذين يريدون أن يربوا شباب الأمة بعيداً عن مواطن وساحات الجهاد .. يربونهم في صالات التنظير المكيفة بعيداً عن واقع الحياة، وآلام الأمة .. ثم هم يتوقعون بعد ذلك أن يرتفع هؤلاء الشباب إلى مستوى مسؤوليات ومبادئ هذا الدين العظيم .. أو أن يكونوا يوماً من الأيام أكفاءً لتحمل مسؤولياتهم الضخمة نحو هذا الدين .. أو أن يكونوا من أولياء الله الربانيين؟! هؤلاء يحلمون .. أو أنهم لم يقرؤوا كلمات هذا الدين .. ولو قرؤوها فهم لم يقرؤوها على مراد الله ورسوله ..!

أمة الإسلام أمة كتب الله عليها أن تكون أمة جهاد وبذل وعطاء .. أمة لا تعرف الدعة أو الميوعة أو الهزل أو الركون للدنيا والمتاع .. أمة لا تعرف إلا الجد في جميع أمورها .. لأنها أمة رسالة ودين تتوقف عليها نجات البشرية جمعاء!

لأجل ذلك كله نقول - ما قلناه في أول هذه المقالة - لا خيار للأمة إلا خيار الجهاد .. ولا عزلها إلا بالجهاد .. ولا نجات لها إلا بالجهاد .. ولا طريق لها تسلكه إلا طريق الجهاد .. فهل أنتم موقنون .. فهل أنتم مؤمنون؟!

اللهم إني قد بلغت .. اللهم فاشهد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا وقائدنا ونبيينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1421/10/24 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2001/01/19 م

فصلُ الكلامِ

في مسألةِ الخروجِ على الحكامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد، فإن مسألة الخروج على الحكام وموقف الإسلام منها .. هي من جملة المسائل الهامة التي ذهب فيها كثير من الناس إلى مذهبين وفريقيين: مذهب الإفراط والغلو الذي يميل إلى القول بالخروج على الحكام لمجرد وقوعهم في أدنى مخالفة للشرع .. ويتمثل هذا الموقف في الخوارج ومن دخل في دائرتهم ممن تأثر بهم وبمنهجهم، وجنح إلى الغلو..!

وفريق آخر على نقيض الفريق الأول جنحوا إلى التفريط والجفاء في المسألة .. إلى حدٍّ أنهم لا يرون الخروج على طواغيت الكفر والردة .. ويتأولون لهم بتأويلات أهل الإرجاء والتجهم .. ويقيسون حالهم على حال حكام بني أمية والعباسيين!

وبين هذا الفريق وذاك .. فريق ثالث وسط التزم في المسألة جادة الحق والصواب المنصوص عليه في الكتاب والسنة من غير جنوح إلى إفراط ولا تفريط .. والمتمثل في موقف أهل السنة والجماعة. والذي يعنينا في هذا البحث هو بيان موقف الفريق الثالث .. فريق أهل السنة والجماعة .. من هذه المسألة الهامة .. الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة .. والذي نعتقد وندين به، ونراه صواباً وحقاً.

وهذا يعني أنني سألتزم . إن شاء الله . في كل ما أثبتته وأقرره في هذا البحث الهام بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة .. وما هو راجح من أقوال علماء سلف الأمة.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

وعليه **فأقول**: إن الحكام أربعة أصناف: حاكم كافر، وحاكم مسلم، وحاكم مسلم فاسق، وحاكم

مسلم فاسق شديد الفسق والفجور والظلم.

ولكل صنف من هؤلاء الحكام حكمه المختلف عن الآخر.. وإليك بيان ذلك بشيء من التفصيل:

1- الحاكم الكافر.

الحاكم الكافر سواء كان كفره من جهة الردة أو كان كفره كفراً أصلياً ثم تسلط على بلاد المسلمين

.. يجب على المسلمين . بالنص والإجماع . أن يخرجوا عليه بالقوة إلى أن يقلوه ويستبدلوه بحاكم مسلم

عدل .. يحكم البلاد والعباد، بالإسلام وشرائعه.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ النساء: 141. ومن السبيل للكافر على

المؤمنين أن يكون حاكماً أمراً عليهم .. يحكمهم بأهوائه وقوانينه وشرائعه!

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ الشعراء: 151-

152. ولا مسرف أغلظ إسرافاً وإفساداً في الأرض من إسراف وإفساد طواغيت الكفر والردة الذين

يحكمون الأمة بشرائع الكفر والفساد!..

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

خَاسِرِينَ﴾ آل عمران: 149. والحاكم لا يكون حاكماً إلا ليطاع فيما يحكم ويأمر.. والله تعالى يبين بوضوح

أن طاعة الذين كفروا من عواقبه الارتداد عن الدين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ

مُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: 121.

وفي الحديث المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت قال: "دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فيما أخذ علينا

أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويُسرننا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله،

إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان".

دل الحديث . دلالة صريحة . على أن الحاكم لا يُنازع فيما هو عليه من شؤون الحكم والولاية إلا

أن نرى منه كفراً بواحاً . لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً . لنا فيه دليل صريح على كفره من الكتاب والسنة ..

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

فإن وجد ذلك .. وتحقق فيه ذلك الكفر الصريح .. فلا سمع له ولا طاعة .. وقد تعينت منازعته على الحكم والولاية، والخروج عليه بقوة السيف ولا بد.

قال ابن حجر في الفتح 7/13: إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها ا- هـ.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم 229/12: قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، وقال وكذا لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها ا- هـ.

قلت: قوله "وكذا لو ترك إقامة الصلاة والدعاء لها" هو إشارة إلى قوله ﷺ في صحيح مسلم: "ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلّم، ولكن من رضي وتابع"، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلوا".

وفي رواية عند مسلم كذلك: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة".
فالحديث أفاد أن الحاكم إذا ترك الصلاة، وترك الأمر بها .. كفر .. وتعين الخروج عليه، ومنازحته بالسيف.

فإن قيل: وإن لم يقدر المسلمون على الخروج عليه .. فما العمل ؟

أقول: في مثل هذه الحالة يتعين على المسلمين ثلاثة أشياء:

أولاً: أن يعدوا العدة . المادية والمعنوية . قدر الاستطاعة التي تمكنهم من الخروج عليه، ومن إزالته .. وإراحة الأمة منه ومن شره وكفره.

كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: 60.

قال سيد . رحمه الله . في الظلال 1543/3: فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها.

وقال: فهي حدود الطاقة إلى أقصاها .. بحيث لا تقعد العصبية المسلمة عن سبب من أسباب

القوة يدخل في طاقتها ا- هـ.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

فالعجز عن الخروج عليه لا يبرر القعود عن الإعداد المقدر عليه .. فالميسور لا يسقط بالمعسور، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾¹ التغابن: 16.

وفي الحديث المتفق عليه قال ﷺ: "وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم".

قال العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام 5/2: من كلف بشيء من الطاعات فقدر على بعضه وعجز عن بعضه فإنه يأتي بما قدر عليه، ويسقط عنه ما عجز عنه ا- هـ.

وقال ابن تيمية في الفتاوى 259/28: يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز؛ فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ا- هـ.

ثانياً: أن يعتزلوه .. ويعتزلوا العمل معه أو عنده .. وأن يعتزلوا أي عمل من شأنه أن يقوي من سلطانه ونفوذه على البلاد والعباد.

قال رسول الله ﷺ: "يليكم عمالٌ من بعدي؛ يقولون ما يعلمون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك دهرًا، ثم يليكم عمال من بعدي يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم، ووازهم، وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء"⁽¹⁾.

وقال ﷺ: "ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منهم فلا يكون عريفًا، ولا شرطياً، ولا جابياً، ولا خازناً"⁽²⁾.

وقال ﷺ: "اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارِدٍ عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه، وهو وارِدٌ عليّ الحوض"⁽³⁾.

¹ أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 457.

² أخرجه ابن حبان، السلسلة الصحيحة: 360.

³ صحيح سنن الترمذي: 1843.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

وقال ﷺ: "سيكون أمراء تعرفون وتنكرون، فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم، ومن خالطهم هلك"⁽¹⁾. وغيرها كثير من الأحاديث التي تحض على اعتزل العمل عن الطواغيت الظالمين .. وعلى اجتنابهم.

فإن قيل: الأحاديث الأنفة الذكر خاصة بأمراء الجور ..؟

أقول: أن تحمل على أئمة الكفر والطغيان من باب أولى وأؤكد .. والله تعالى أعلم.

ثالثاً: أن لا يعترفوا طواعية بشرعيته وشرعية حكمه ونظامه .. ومن ذلك أن لا يضيفوا عليه العبارات التي تفيد الاعتراف بشرعيته كحاكم على البلاد والعباد؛ كأن يخاطبوه بقولهم له: سيادة الرئيس .. أو جلالة الملك .. أو غير ذلك من ألقاب التفخيم والتعظيم التي تفيد الاعتراف به وبحكمه ونظامه ..! فإن الأمة لو اجتمعت على ذلك واتفقت عليه . ولا بد لها من أن تتفق عليه . فإن ذلك مما يعجل من زواله وزوال حكمه عن البلاد والعباد ..!

ومن وجه آخر فإن الاعتراف بشرعيته وشرعية حكمه .. هو اعتراف بشرعية الكفر .. ودليل على الرضى به .. والرضى بالكفر كفر بلا خلاف .. فهو من هذا الوجه مزلق عقدي خطير ينبغي الحذر من الوقوع فيه .. وما أكثر من يقع فيه!

قال ﷺ: "لا تقولوا للمنافق سيدنا؛ فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم ﷻ"⁽²⁾. وفي رواية: "إذا قال الرجل للمنافق: يا سيد، فقد أغضب ربه تبارك وتعالى".

أي إن تقاعستم التقاعس الذي يؤدي بكم إلى أن يكون المنافق سيداً عليكم .. فقد أسخطتم ربكم ﷻ ..!

¹ أخرجه الطبراني، صحيح الجامع: 3661.

² أخرجه أبو داود، وأحمد وغيرهما، السلسلة الصحيحة: 371.

فصلُ الكلامِ في مسألةِ الخروجِ على الحكامِ

قلت: هذا في المنافق الذي يظهر الإسلام .. فكيف بالمسلمين إذا تقاعسوا عن الجهاد إلى أن يمكنوا الكافر المرتد من أن يكون حاكماً وسيداً عليهم .. لا شك أنهم أولى في الدخول في سخط الله ﷻ! وإذا كان قول المرء للمنافق يا سيد .. هو مدعاة لغضب الرب تبارك وتعالى عليه، فكيف به إذا خاطب طواغيت الكفر والردة. كما هو حاصل عند كثير من الناس. بعبارات التفخيم، والتبجيل، والثناء، والولاء ..!!

. شبهة الوقوع في الفتنة:

من الشبه التي يثيرها وينثرها المرجفون في طريق جهاد طواغيت الحكم والردة .. قولهم بأن الخروج عليهم مؤداه إلى الفتنة .. وإلى سفك الدماء .. وإلى القتل والقتال .. وإلى تعطيل كثير من المصالح .. إلى نهاية قائمة الشكاوى والاعتراضات المعروفة ..!

فهم ما أن يسمعوا كلمة "الخروج على الحكام" إلا وتراهم يسارعون إلى التحذير والقول: فتنة .. فتنة .. الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها!!

وهذه شبهة واهية ساقطة نرد عليها من أوجه:

منها: أن الفتنة الحقيقية تكمن في ترك الجهاد، وفي التنكب عن مجاهدة طواغيت الكفر والردة .. وأن تارك الجهاد المعتذر عنه هو الأولى بالوقوع في الفتنة، كما في الحديث عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يا جُدّ . جد بن قيس . هل لك في جِلاَد بني الأصفر؟" قال جُدّ: أوتأذن لي يا رسول الله؛ فإنني رجل أحب النساء، وإنني أخشى إن أنا رأيت بنات بني الأصفر أن أفتن؟! فقال رسول الله ﷺ . وهو معرض عنه : "قد أذنت لك". فعند ذلك أنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾⁽¹⁾.

قلت: هؤلاء وقعوا في الفتنة بعد الاستئذان وبعد أن أذن لهم .. فما يكون القول فيمن يترك الجهاد من غير استئذان .. ومن غير أن يؤذن له .. لا شك أنه أولى في الوقوع في الفتنة!

¹ السلسلة الصحيحة: 2988.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

ومنها: أن فتنة الكفر والشرك المتمثل في كفر الحاكم ونظامه لا تعلوه فتنة .. وشره لا يعلوه شر .. وضرره لا يعلوه ضرر .. ومصالحة إزالته لا تعلوه مصلحة .. وفي سبيل إزالته يهون كل ضرر وتهون كل فتنة.

فهو بالنص والإجماع أكبر الكبائر .. وأعظم الذنوب ظلماً .. وهو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى إلا بتوبة صاحبه منه قبل أن يموت .. فإن مات على الشرك أدخل نار جهنم خالداً فيها أبداً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: 13. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: 48.

ومن أجل استئصاله شرع الله تعالى الجهاد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله خالصاً لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال: 39.

ولما وقع بنو إسرائيل في الشرك وعبادة العجل، أمرهم الله تعالى بأن يقتلوا أنفسهم .. فقتل الموحدون منهم المشركين الذين عبدوا العجل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ البقرة: 54.

لذا مهما عظمت محنة القتل والقتال فإنه يهون أما فتنة وفساد الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة: 191. وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة: 217. أي فتنة الكفر والشرك أشد وأكبر من القتل والقتال وما يترتب عليه من جراحات وآلام.

قال ابن كثير في التفسير: ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به، والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل، ولهذا قال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ قال أبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع بن أنس في قوله ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ يقول: الشرك أشد من القتل ا- هـ.

ومنها: أن ضريبة القعود عن جهاد هؤلاء الطواغيت الظالمين لهي أعظم بكثير من ضريبة جهادهم والخروج عليهم .. وذلك بشهادة النصوص الشرعية الناطقة بالحق المطلق .. وبشهادة الواقع المصدق لتلك النصوص.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

أما شهادة النصوص . إضافة لما تقدم . قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التوبة: 39.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب"⁽¹⁾. وقال ﷺ: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم الزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"⁽²⁾.

وقال ﷺ: "من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة"⁽³⁾.

وقال ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم . أي تجتمع وتتكالب . كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"⁽⁴⁾.

هذه شهادة النصوص الشرعية .. أما شهادة الواقع فحدث عن ذلك ولا حرج؛ فالشعوب عندما تركز للطواغيت الظالمين وتتخلى عن جهادهم والأخذ على أيديهم .. تقدم لهم كل ما تملك من غالٍ ونفيس .. تقدم الدين، والعرض، والولد، والأرض، والمال، والعزة والكرامة .. وكل ما تملك من نفيس .. والطاغوت يريد منهم المزيد والمزيد .. ولن يرضى أو يقنع إلا بعد أن تنخلع . يا مسلم . من كل ما تملك وتدخل في عبوديته وطاعته بكل ما تعني العبودية والطاعة العمياء من معنى!

هذه ضريبة الركون إلى الأرض .. والتخلي عن جهاد الطواغيت .. أما ضريبة الجهاد مهما عظمت فهي إما نصر .. وإما شهادة .. وكلاهما فوز وعز وكرامة .. لو كنتم تعلمون!

¹ أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 2663.

² أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 11.

³ صحيح سنن أبي داود: 2185.

⁴ أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 958.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

فإن قيل . وقد قيل . أنظر النتائج السيئة في بعض الأمصار التي حصل فيها جهاد .. وخروج على طواغيت الحكم .. والمفاسد التي حصلت للبلاد والعباد هناك .. فكيف نوفق بين ذلك وبين كلامك المتقدم؟!

أقول: كثير من المفاسد المشار إليها في تلك الأمصار .. ليس مردها إلى مبدأ الجهاد في سبيل الله، أو إلى مبدأ الخروج على طواغيت الحكم والكفر. كما يصور البعض! . وإنما مردها إلى أنفسنا الأمانة بالسوء .. وألخص مجمل الأسباب التي تؤدي إلى الانتكاسات التي وقعت فيها بعض الحركات الجهادية المعاصرة .. في النقاط التالية:

1- الاستعجال في العمل قبل استيفاء الإعداد المطلوب .. ومن تعجل شيئاً قبل أوانه عُوقب بحرمانه!

2- توسيع دائرة العمل أكثر من طاقات وإمكانيات المجاهدين .. فتشتت طاقاتهم وقدراتهم على جهات عدة ومتنوعة بدلاً من أن تحصر في الجهة الأهم!..

3- سوء تقدير قوى الجاهلية المعاصرة، والمحيطه بهم .. والتعامل معها بروح توكلية!

4- المفاهيم والتصورات الخاطئة التي تطرأ على العمل الجهادي .. فتؤدي به إلى الانحراف والزيغ والضلال!

5- السلوكيات الخاطئة .. وبخاصة إن كانت هذه السلوكيات ناتجة عن أصول ومفاهيم باطلة كأصول الخوارج الغلاة!..

6- التحالفات المشبوهة مع جهات مشبوهة، وملغومة . وبعضها جهات كافرة مرتدة . على مبدأ عدو عدوي صديقي .. فيرتد ذلك سلباً على نتائج العمل الجهادي برمته، وبخاصة في مرحلة قطف الثمار!

7- عدم ارتقاء الجماعة العاملة . قيادة وأفراداً . في كثير من الأحيان إلى مستوى أخلاق ومبادئ الإسلام .. إلى مستوى الجهاد في سبيل الله .. إلى المستوى الذي يتنزل بسببه نصر الله على عباده المجاهدين!

8- تنكب جمهور المسلمين عن نصرة المجاهدين ومعاونتهم .. والاكتفاء بموقف المتفرج اللامبالي .. ويعود ذلك لأسباب عديدة: منها جهلهم بطبيعة المعركة .. وبصفة العدو .. ومنها الجهل بالأحكام

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

الإسلامية وما يتوجب عليهم شرعاً .. ومنها الخوف .. ومنها إرجاف المرجفين وبخاصة منهم مشايخ السوء الذين آثروا الارتقاء في أحضان الطواغيت والوقوف في صفهم .. وأثرهم الكبير على عوام الناس .. ومنها الخلافات الفقهية السائدة بين الجماعات والأطراف على ترتيب الأولويات .. فيتقدم فريق .. ويتأخر فريق .. لتأتي النتائج في الخانة السيئة التي لا نحب ولا نريد .. ومنها اقتناع فريق من العاملين بمبدأ الاكتفاء بالمراقبة والانتظار ليرى لمن سترجح الكفة، ومن سيظهر على الآخر .. وهو يكون في النهاية دائماً مع المنتصر . ليشارك في الغنائم وقطف الثمار. ولو كان المنتصر هو الطاغوت المرتد !!..

هذه مجمل الأسباب التي تؤدي . غالباً . إلى فشل بعض الحركات الجهادية المعاصرة .. وإلى الآثار والممارسات السلبية الخاطئة التي نراها في واقعنا الحاضر .. والتي لا نرضاها ولا يقرها عقل ولا دين !!
وعليه من الظلم والتجني أن نحمل تبعات أخطائنا وانحرافاتنا، وتقصيرنا .. إلى مبدأ الجهاد في سبيل الله .. ونقول هذه آثار وتبعات الجهاد .. ولا نقول هذه آثار وتبعات أخطائنا، وأهوائنا، وانحرافاتنا عن المنهج الرباني الصحيح .. والأمراض المتنوعة التي تعشعش في أنفسنا الأمانة بالسوء !!
قال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْنَا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: 165.

. **شبهة ثانية:** وهي قولهم أن خيار الخروج على الحكام بالقوة . وإن كانوا كفاراً مرتدين . هو خيار غير متحضر ولا إنساني .. ويمكن الاستعاضة عنه بطرق متحضرة أخرى كطريق الديمقراطية .. أو الانتخابات وصناديق الاقتراع .. أو المظاهرات السلمية ونحوها.. وهذا قول أصبحنا نسمعه من كثير ممن يتصدرون العمل لهذا الدين !!

وعلى هذه الشبهة الباطلة أجيب في النقاط التالية:

أولاً: هذا القول هو قول كفري؛ لأن معناه أن الطريق الشرعي الذي أمر الله تعالى به .. وهو الجهاد والخروج على طواغيت الكفر والردة .. هو طريق غير متحضر ولا راقٍ، وهناك طرق أخرى أكثر تحضراً ورقياً، ونفعاً منه .. هذا معنى كلامهم .. وهذا عين الكفر لتضمنه الطعن بالله ﷻ، وتفضيل شرع ومناهج المخلوق على شرع الله تعالى !!..

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

ثانياً: هذا الطرح غير واقعي وهو أقرب ما يكون إلى الخيال .. وبخاصة إن كان البديل عن هذا

الحاكم أو النظام الكافر الحاكم .. هو الإسلام!

فإن القوم يستमितون في القتل والقتال .. ولا يتورعون أن يسلكوا كل طريق مهما كان مشيناً

وخسيساً .. مقابل أن يصدوا المسلمين عن مشروعهم الإسلامي .. وعن غايتهم في أطر العباد من عبادة

العباد إلى عبادة رب العباد..!

هذه آيات الله تنطق بذلك: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ البقرة:

217. ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ التوبة: 8. ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا

النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة: 120.

وهذا هو الواقع المشاهد .. آتوني قطراً من أقطار المسلمين استطاع فيه المسلمون أن يستأنفوا

حياتهم الإسلامية على مستوى الحاكم والمحكوم .. على مستوى السياسة الداخلية والخارجية .. عن

طريق صناديق الاقتراع أو غيرها من الطرق الملتوية المذكورة أعلاه ..!؟!

ألم تتحول ديمقراطيتهم إلى ديكتاتورية صريحة .. وتنزل دباباتهم إلى الشوارع . بمباركة الأمم

المتحدة ودول الاستكبار والظلم في العالم . لمجرد أن ينتابهم هاجس اقتراب الإسلام من سدة الحكم ..!؟!

ثالثاً: هذا الخيار .. خيار الخروج على الحاكم بالقوة .. هو خيار جميع الشعوب والأمم عندما

تتعرض ثوابتها للخطر أو التغيير والتبديل من قبل حفنة من المتسلقين الانقلابيين ..!

تصوروا لو أن أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا، أو غيرها من الدول .. حصل فيها انقلاب عسكري من

قبل حفنة من العسكريين .. ثم قصدوا إلى تغيير الثوابت العامة التي تقوم عليها تلك الدول .. وبنفس

الوقت لم يسمعوا لخطاب العقل أو الجماهير .. أو خطاب صناديق الاقتراع .. فلم يتنازلوا عن حكمهم

.. ولم يُبقوا للشعوب خيار سوى المقاومة .. ماذا سيحصل في تلك الدول .. أتراهم سيستسلمون لواقع

وحكم هذه الحفنة أم أنهم سيقاومون ولو بقوة السلاح..!؟!

فإنه من البديهي على شعوب تلك الدول أن يخرجوا بقوة السلاح على هؤلاء المعتدين على ثوابتهم

ومبادئهم العامة .. إلى أن تعود الأمور إلى نصابها ومجراها الصحيح والمعتاد ..!!

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

والسؤال: إذا كان هذا مباحاً لهم ولشعوبهم .. وحقاً من حقوقهم .. فعلام هو محرم علينا نحن المسلمون عندما يُعتدى على ديننا، وعلى أوطاننا، وعلى ثوابتنا الكلية التي لا تنهض الأمة . بل ولا توجد إلا بها ..!!؟

وعلام عندما تأخذ تلك الشعوب بهذا الحق .. هو تقدم وتحضر .. وواجب وطني وإنساني إلى آخر قائمة المدائح .. وإذا أخذ به المسلمون هو إرهاب وتخلف، وعمل غير إنساني وغير متحضر .. إلى آخر قائمة الطعن والتجريح!!؟

2- الحاكم المسلم العدل.

ما تقدم من كلام وتفصيل هو خاص بالحاكم الكافر ذي الكفر البواح .. أما الحديث عن الحاكم المسلم العدل وكيفية التعامل معه فهي صورة أخرى تختلف اختلافاً كلياً عما تقدم ذكره وبيانه، وعليه **فأقول:** الحاكم المسلم العدل هو الحاكم الذي يحكم البلاد والعباد التي يسترعيه الله أمرها . في جميع شؤون ومناحي الحياة . بالإسلام .. وبشرائع الإسلام .. ويكون على مستوى الالتزام الشخصي مقيماً لواجبات وأركان الدين، ومجتنباً لكبائر الإثم والذنوب.

فالحاكم الذي هذه هي صفته، وهذا هو حاله تجب طاعته بالمعروف .. في المنشط والمكروه .. وتجب مناصرته، ومؤازرته، ومناصحته، ظاهراً وباطناً .. كما يجب توقيره واحترامه .. والدفاع عنه .. والتماس الرفق في نصحه ما وجد إلى ذلك سبيلاً .. كما يحرم غشه، أو الغدر به، أو التشهير به .. أو التعرض له ولنظامه بسوء القول أو بشيء مما يشين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: 59.

وقوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هم . على الراجح من أقوال المفسرين . العلماء والأمرء.

وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ يفيد حصر الطاعة للأمرء الذين هم منكم؛ أي من أهل دينكم، وملتكم، وعقيدتكم .. ومن كان غير ذلك فهو ليس ﴿مِنْكُمْ﴾ ولا تجب عليكم طاعته.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن أمر عليكم عبد مجدع . أي مقطوع الأطراف . يقودكم بكتاب الله ، فاسمعوا له وأطيعوا" مسلم.

وقال ﷺ: "من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية(1)" مسلم.

وقال ﷺ: "إن السامع المطيع لا حجة عليه، وإن السامع العاصي لا حجة له"(2).

وقال ﷺ: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية .." مسلم.

وقال ﷺ: "لكل غادرٍ لواءٌ يوم القيامة يُرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادرٌ أعظم غدرًا من أمير عامة" مسلم. أي من غدرَ بأمير عامة وهو الخليفة المسلم.

وقال ﷺ: "الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم" مسلم.

وقال ﷺ: "ثلاثة لا يغل عليهم قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم"(3).

وقال ﷺ: "من أراد أن ينصح لذي سلطانٍ فلا يُبده علانيةً، ولكن ليأخذ بيده فيخلوبه، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه"(4).

وقال ﷺ: "لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب"(5).

¹ مات ميتة جاهلية: أي مات كما يموت الجاهلي في جاهليته حيث لا يعرف إماماً ولا يلتزم بطاعة .. وليس المراد أنه يموت كافراً كما يموت الجاهلي على الكفر .. كما يظن البعض .. فتنبه لذلك!

² أخرجه أحمد، وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 1056.

³ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 1086.

⁴ أخرجه أحمد، والحاكم، وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 1096.

⁵ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ في التخریج: 1015.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

وقال ﷺ: "من أهان سلطان الله، أهانه الله" (1).

وقال ﷺ: "من أجل سلطان الله، أجله الله يوم القيامة" (2).

وقال ﷺ: "خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله ﷻ .. منها" من دخل على إمامه يريد

تعزيره وتوقيره" (3). وغيرها كثير من النصوص التي تلزم بطاعة الإمام المسلم بالمعروف، وبتوقيره ونصحه،

وعدم الغدر به، أو التعرض له بشيء مما يشين.

. طاعة مقيدة لا مطلقة:

فإن قيل: هل طاعة الإمام أو الحاكم المسلم طاعة مطلقة أم أنها طاعة مقيدة ..؟

الجواب على ذلك: أنها طاعة مقيدة بالمعروف، وبما فيه طاعة لله تعالى، وطاعة لرسوله ﷺ.

فإن أمر بمعصية أو باطل فلا طاعة له.

قال رسول الله ﷺ: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا

أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" متفق عليه.

وقال ﷺ: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف" متفق عليه.

وقال ﷺ: "من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه" (4).

وقال ﷺ: "طاعة الإمام حقٌّ على المرء المسلم، ما لم يأمر بمعصية الله ﷻ فإذا أمر بمعصية الله

فلا طاعة له" (5).

وقال ﷺ: "لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق" (6).

¹ أخرجه الترمذي، وابن أبي عاصم في السنة، وحسنه الشيخ في التخریج: 1018.

² أخرجه الطبراني وغيره، صحيح الجامع الصغير: 5951.

³ أخرجه أحمد، وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ في التخریج: 1021.

⁴ أخرجه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، السلسلة الصحيحة: 2324.

⁵ السلسلة الصحيحة: 752.

⁶ مشكاة المصابيح، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 3696.

فصلُ الكلامِ في مسألةِ الخروجِ على الحكامِ

والعلة المانعة من طاعته طاعة مطلقة أنه . وكل ما عدا النبي ﷺ . يخطئ ويصيب، يؤخذ منه ويُرد عليه .. وبالتالي لا تجوز متابعتة أو طاعته فيما أخطأ وخالف فيه الحق.

ومن جهة أخرى فإن المطاع لذاته طاعة مطلقة هو الله تعالى وحده، وما سواه لا يُطاع لذاته، وإنما يُطاع له وفيه ﷻ فيما أصاب فيه الحق .. وأيما امرئٍ يُطاع لذاته فقد اتخذ نداءً لله ﷻ .. وعُبد من دونه ﷻ .. وشُبه بأخص خصائص الله تعالى وصفاته.

وهذا بخلاف جميع الأنظمة الوضعية الحاكمة في الأرض .. الديكتاتورية والديمقراطية سواء .. لأن جميع الأنظمة الأرضية تلزم الناس بطاعة الحاكم المشرع وما يصدر عنه من قوانين وتشريعات . بغض النظر عن موافقته للحق أو مخالفته .. وصوابه أو خطئه . سواء كان هذا الحاكم المشرع يتمثل في شخص الحاكم .. أم في مجموع أعضاء مجلس النواب الذين توكل إليهم مهمة الحكم والتشريع !!
أي أن جميع الأنظمة الأرضية . على اختلاف أشكالها وأسمائها وراياتها . تكرر عبودية العبيد للعبيد .. من جهة طاعة العبيد طاعة مطلقة لما يشرعه لهم العبيد .. مهما تظاهرت هذه الأنظمة بالحرية .. أو زعمت أنها تناضل من أجل حرية الإنسان !!

. حكم الباغي الخارج عليه:

فإن طاواعت الإنسان نفسه على الخروج عليه، ومزاحمته على الحكم والولاية .. تعين على الأمة منعه، فإن أبى القتال على ذلك قوتل هو ومن معه، كما في الحديث: "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمره قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر يُنازعه فاضربوا عنق الآخر" مسلم.

وقال ﷺ: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" مسلم.

وقال ﷺ: "من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحدٍ يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" مسلم.

وقال ﷺ: "إنه ستكون هنأت وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع . أي مجتمعة على رجل واحد . فاضربوه بالسيف كائناً من كان" مسلم.

فإن قيل: على أي وجه أو وصف يُقاتل هؤلاء الخارجون ..؟

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

أقول: إن كان خروجهم على الحاكم المسلم لشبهة دينية . كشبهة الخوارج لما خرجوا على علي بن

أبي طالب عليه السلام . قوتلوا على أنهم بغاة معتدون !!

وإن كان قتالهم له وخروجهم عليه لمجرد شهوة حب الرياسة والتسلط على مقاليد الحكم

والولاية، قوتلوا على أنهم مفسدون شأنهم شأن قاطعي الطريق .. والله تعالى أعلم.

وإن كان قتالهم له وخروجهم عليه لدينه وإسلامه، وما هو عليه من استقامة والتزام وتطبيق

لأحكام الشريعة .. قوتلوا على أنهم زنادقة مرتدون، كقتال أبي بكر الصديق عليه السلام ومن معه من الصحابة

لمسيلمة الكذاب ومن معه من المرتدين.

. **تنبيه:** قد درج بعض الشيوخ المعاصرين . رهبة أو رغبة . أن يحملوا هذه النصوص والأحكام

ذات العلاقة بالحاكم المسلم العدل على الحاكم الكافر .. وعلى طواغيت الحكم والردة المعاصرين ..

الذين يجب جهادهم وقتالهم والخروج عليهم بالنص والإجماع كما تقدم الحديث عن الحاكم الكافر..!

فيرهبون بذلك عوام المسلمين .. ويصورون لهم أن من يفكر . فضلاً عن الذي يعمل ويسعى . في

الخروج على طواغيت الحكم هؤلاء قد وقع . ولا بد! . تحت طائلة الأحكام الآتفة الذكر .. وتحت طائلة

مخالفة النصوص الشرعية العديدة ذات العلاقة بالحاكم المسلم العدل .. وقد تقدم ذكر بعضها!

ومنهم من لا يتورع أن يقيس حال هؤلاء الطواغيت على علي بن أبي طالب عليه السلام .. ومن يخرج عليهم

على الخوارج الذين خرجوا على علي عليه السلام !!

وهذا من الغش والتضليل، والكذب على الله وعلى رسوله .. وعلى كل مسلم غيور على دين الله

وعلى حرماته أن يحتاط لدينه ونفسه، وإخوانه، وأمته من دجل وتضليل هؤلاء الشيوخ .. مهما اتسع

صيتهم، أو ضرب اسمهم أطراف الأرض!

3- الحاكم المسلم الفاسق.

الحاكم المسلم الفاسق: هو الحاكم الذي يحكم بالإسلام وشرائعه .. ويختلف عن الحاكم المسلم

العدل أنه تظهر منه بعض المخالفات الشرعية على مستوى السلوك الشخصي أو العام التي تدخله في

دائرة الفسوق الذي هو دون الكفر الأكبر.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

والأصل في الحاكم الفاسق أن لا يولى طواعية واختياراً له من قبل الأمة، لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: 124.

قال القرطبي في التفسير 108/2: قال ابن عباس: سأل إبراهيم عليه السلام أن يجعل من ذريته إمام؛

فأعلمه الله أن في ذريته من يعصي فقال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

قال القرطبي: استدل جماعة من العلماء بهذه الآية على أن الإمام يكون من أهل العدل

والإحسان والفضل مع القوة على القيام بذلك، وهو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا ينازعوا الأمر أهله، فأما أهل

الفسوق والجور والظلم فليسوا له بأهل لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وقال 270/1: لا خلاف بين الأمة أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق .. ا- هـ.

ولكن لو تغلب وقهر الأمة على الحكم والولاية، أو طرأ عليه الفسوق بعد أن ولي من قبل الأمة

هل يُنازع من قبل الأمة ويُخرج عليه بقوة السيف ..؟

أقول: الراجح أنه لا يُنازع على الولاية والحكم؛ درءاً لحصول المفسد والأضرار المترتبة على

الخروج والتي هي أشد وأعلى من الصبر عليه مع ما يُظهر من فسوق أو مخالفات .. هذا ما دلت عليه

نصوص الشريعة، واستقرت عليه عقيدة أهل السنة والجماعة.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من

فارق الجماعة شبراً فمات إلامات ميتة جاهلية" متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون بعدي أثره وأموراً

تنكرونها" قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: "أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم" البخاري.

قال ابن حجر في الفتح 7/13: قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو

جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج

عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا

من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، يل تحب مجاهدته لمن قدر

عليها ا- هـ.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

وعن حذيفة بن اليمان قال له النبي ﷺ: "تسمع وتطيع للأمر، وإن ضُربَ ظهرك وأُخذ مالك، فاسمع وأطع" مسلم.

وعن سلمة بن يزيد الجعفي، أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم" مسلم.

وقال ﷺ: "ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا يزعنَّ يداً من طاعة" مسلم.

ومن حديث النبي ﷺ لحذيفة بن اليمان ؓ قال: "تكون هدنة على دخن، ثم تكون دعاة ضلالة، قال: فإن رأيت يوماً خليفَةً في الأرض فالزمه، وإن نهك جسمك وأخذ مالك، فإن لم تره فاهرب في الأرض؛ ولو أن تموت وأنت عاض بجذل شجرة" (1).

وعن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: "اسمع وأطع في عُسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك" (2).

وعن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: "يُنصب لكل غادرٍ لواءٌ يوم القيامة"، وأنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يُبايع رجلٌ على بيع الله ورسوله ثم يُصَب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه" البخاري.

قال ابن حجر في الفتح: وفي هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه، وأنه لا ينخلع في الفسق ا- هـ.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم 229/12: وأما الخروج عليهم . أي الأئمة . وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه

¹ أخرجه أبو داود، وأحمد، السلسلة الصحيحة: 791.

² أخرجه أحمد، وابن حبان، وابن أبي عاصم في السنة. وصححه الشيخ ناصر في التخرج: 1074.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

لا ينعزل السلطان بالفسق. وقال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر من بقائه ا- هـ.

وقال ابن تيمية في الفتاوى 472/14: لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه؛ ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات، وترك واجب أعظم مما يحصل بفعل المنكر والذنوب .. والأئمة لا يُقاتلون بمجرد الفسق وإن كان الواحد المقدور قد يُقتل لبعض أنواع الفسق؛ كالزنا وغيره، فليس كلما جاز فيه القتل، جاز أن يُقاتل الأئمة لفعالهم إياه؛ إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر- هـ.

قلت: وعدم الخروج عليه لا يمنع من أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، والصدع بالحق في بلاطه وحضرته كلما دعت الحاجة والضرورة لذلك .. فهذا شيء . وقد أمر الله ورسوله به . والخروج عليه بالقوة شيء آخر.

قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتتهوننَّ عن المنكر، وليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم"(1).

وقال ﷺ: "لا يمنعن رجلاً هيبته الناس أن يقول بحقِّ إذا علمه، فإنه لا يقرب من أجل ولا يُبعد من رزق"(2).

وقال ﷺ: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله"(3).

وقال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حقٍ عند سلطان جائر"(4).

وقال ﷺ: "أحب الجهاد إلى الله كلمة حقٍ تُقال لإمام جائر"(5).

وعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائمٍ متفق عليه.

¹ صحيح سنن الترمذي: 1762.

² أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 168.

³ أخرجه الحاكم، السلسلة الصحيحة: 491.

⁴ أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 491.

⁵ أخرجه أحمد، والطبراني، صحيح الجامع: 168.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

وغيرها كثير من النصوص الشرعية التي تحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدع بالحق في وجوه أئمة الجور .. والتي قد تمثلت في واقع حياة سلفنا الصالح ومواقفهم المشرفة الجريئة المخلصة مع أئمة وسلاطين الجور⁽¹⁾.

إذاً ليست هي طاعة سلبية .. من غير أمر بالمعروف، ولا نهى عن المنكر، أو صدع بالحق في وجوه الظالمين .. كما يصور البعض .. بل هي طاعة مرشدة حكيمة إيجابية من غير خنوع ولا ذل ولا خضوع للباطل .. أو خوف من سطوة الظالمين!

4- الحاكم المسلم الفاسق الظالم الشديد الفسق والظلم والفجور.

وهو يختلف عن الحاكم المسلم الفاسق أنه شديد الفسق والظلم والفجور، وهو كما قال النبي

ﷺ: "إن شرَّ الرعاء الحُطمة" مسلم. أي شديد الظلم والبطش بالرعية ..!

إلا أن فسقه وظلمه وفجوره وبطشه لا يبلغ به درجة الكفر الذي يخرج من الملة .. فهذا . على

الراجع . يختلف حكمه عن الحاكم الفاسق السابق الذكر، ذي الفسق المجرد.

فأقول: في مثل هذه الحالة عندما تبلى الأمة بحاكم هذا هو حاله ووصفه .. فإنه يتعين خلعه

من قبل الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد، فإن أبي الانخلاع إلا بالقتال نُظر في ذلك فإن كان القتال

والخروج عليه أقل ضرراً وفساداً مما يصدر عنه من ظلم وفجور وفساد تعين الخروج عليه ولا بد، وإن

كان غير ذلك . أو كان العكس . أمسك عن الخروج عليه عملاً بالأحاديث العامة الأنفة الذكر التي تأمر

بالكف عن الخروج على أئمة الجور والفسق.

فإن قيل: قد عرفنا النصوص التي تمنع من الخروج على أئمة الجور .. فما هو الدليل الذي

يرخص الخروج عليهم في حال تلبسوا بالظلم المغلظ كما تقدم ..؟

أقول: هذا سؤال هام جوابه ألخصه في النقاط التالية:

1- من الأدلة التي تلزم بالخروج على هذا النوع من الحكام عموم الأدلة والنصوص التي تلزم

بتغيير المنكر .. وبأطر الظالمين إلى الحق .. أيّاً كانوا هؤلاء الظالمين.

¹ أنظر كتاب "الإسلام بين العلماء والحكام" لكاتبه عبد العزيز البدرى، فقد جمع فيه طائفة عزيزة من المواقف النبيلة

الجريئة لعلمائنا الأبرار مع سلاطين الجور في زمانهم ..!

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها في غير موضعها: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾، وإنما سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب". وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدر ون على أن يُغيروا، ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب"⁽¹⁾.

2- العمل بالقواعد الفقهية التي تفيد: بأنه لا ضرر ولا ضرار.. وأن الضرر يُزال.. وإزالة الضرر الأكبر بالضرر الأصغر.. وتقديم أقل المفسدين لدفع أكبرهما مفسدة وضرراً.. فهذه القواعد وغيرها المستنبطة من نصوص الشريعة كلها تلزم الأمة بخيار الخروج على هذا النوع من الحكام وفق الضوابط والشرط المذكور.

3- منع أهل العلم من الخروج على أئمة الفسق والفجور هو من قبيل دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى.. وتقديم أقل الضررين.

ومسألتنا هذه تختلف تماماً عما قالوه أهل العلم في ذوي الفسق أو الجور المجرد: حيث أن الضرر الأصغر والمفسدة الصغرى هنا تكمن في الخروج عليه قياساً للمفاسد الكبرى المترتبة من جراء بقاءه على سدة الحكم والرئاسة.

لذا نجد في مثل هذه الحالة أن كثيراً من أهل العلم يصرحون بوجوب الخروج على الحاكم المقدر عليه.

قال ابن حجر في الفتح 11/13: نقل ابن التين عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر. وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلّفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه ا- هـ.

¹ صحيح سنن أبي داود: 3644.

فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام

وقد تقدم كلام ابن تيمية وهو قوله: "وإن كان الواحد المقذور قد يُقتل لبعض أنواع الفسق؛ كالزنا..": فاشترط القدرة .. ومن القدرة على إزالة المنكر أن لا تؤدي إزالته إلى منكرٍ أشد وأكبر منه. وهذا الفقه مستفاد من قوله ﷺ في الحديث المتقدم "ثم يقدر على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب" فاشترط النبي ﷺ للتغيير القدرة .. وعلق العقاب والعذاب على التخلي عن تغيير المنكر مع وجود القدرة على ذلك !..

قال الإمام الجويني في أصول الاعتقاد: إذا جار الوالي وظهر ظلمه وغشمه، ولم يرعو عما زجر عن سوء صنيعه فأهل الحل والعقد التواطؤ على درئه ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب ا-هـ. قلت: وهذا محمول على أن يكون الخروج وشهر السلاح عليه أقل فتنة وفساداً مما يظهره من فساد وفجور .. وتقدير ذلك لأهل الحل والعقد من علماء ومجاهدي الأمة.

قال الشيخ محمد رشيد رضا في كتاب "الخلافة": قد تقدم التحقيق في المسألة ونصوص المحققين فيها: وملخصه أن أهل الحل والعقد يجب عليهم مقاومة الظلم والجور والإنكار على أهله بالفعل وإزالة سلطانهم الجائر ولو بالقتال إذا ثبت عندهم أن المصلحة في ذلك هي الراجحة والمفسدة هي المرجوحة ا-هـ. **فإن قيل:** قد تقدم في كلامكم عن الحاكم المسلم العدل .. وما يجب على الأمة نحوه من توقيير وإكرام وغير ذلك .. فهل هذا يُحمل على أئمة الفسق والجور؟!

أقول: ما قيل هناك عن الحاكم المسلم العدل لا يقال في أئمة الجور، والبطش، والفسق؛ فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" قالوا: قلنا يا رسول الله أفلا ننايذهم عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة .." مسلم.

فنهاهم النبي ﷺ عن الخروج عليهم ومنايذتهم بالسيف .. ولم ينههم عن لعنهم وبغضهم .. بل عد لعن المؤمنين لهم علامة على أنهم من شرار الأئمة والولاة!

وقد نقل أبو يعلى في "الأحكام السلطانية" ص20، عن الإمام أحمد رحمه الله قوله في المأمون: وأي

بلاء كان أكبر من الذي كان أحدث عدو الله وعدو الإسلام من إماتة للسنة !..؟!

وكان إذا ذكر المأمون يقول: كان لا مأمون .. ا-هـ.

وكذلك ثبت عن كثير من السلف شتمهم للحجاج ووصفهم له بالطاغية .. وهذا كله يدل على أنه لا يجوز إنزال سلاطين الجور والفسوق منزلة الولاة الصالحين العدول .. وما يجب لهم من التوقير والاحترام، والإكرام .. والله تعالى أعلم.

فإن قيل: علام لم تقل في الحاكم الفاسق ما قلته في الحاكم الشديد الفسق والفجور والظلم .. من حيث وجوب الخروج عليه بالقوة إذا أمنت الفتنة الأكبر .. وكان الخروج عليه هو الأقل ضرراً ..؟! **أقول:** الذي منعنا من القول بذلك .. أن افتراض حصول ذلك هو أمر نظري وخيالي وغير واقعي .. حيث لا يمكن أن نتصور خروجاً على الحاكم المسلم الفاسق من ذوي الفسق المجرد المحتمل بالقوة .. ثم يكون هذا الخروج . وما يترتب عليه من نتائج . أقل فتنة وضرر مما يُظهره من فسق مجرد محتمل!! قال الجويني في "غياث الأمم" ص102: لو كان الفسق المتفق عليه يوجب انحلال الإمام أو يُخلعه لكان الكلام يتطرق إلى جميع أفعاله وأقواله على تفنن أطواره وأحواله، ولما خلا زمن عن خوض خائضين في فسقه المقتضي خلعه، ولتجرب الناس أبدأً في مطرد الأوقات على افتراق وشتات في النفي والإثبات، ولما استتبت صفوة الطاعة للإمام في ساعة.

إلى أن قال: وقد قررنا أن في الذهاب إلى خلعه أو انحلاله بكل عثرة رفض الإمامة ونقضها، واستئصال فائدتها ورفع عائدتها، وإسقاط الثقة بها، واستحاث الناس على سلّ الأيدي عن ربة الطاعة

ا- هـ

تنبيه هام: للأهمية نعيد التذكير بما كنا قد ذكرناه من قبل، **فأقول:** إن النصوص ذات العلاقة بالولاة وما يجب لهم، وما يجب عليهم .. وكيف يُعامل كل صنف منهم .. هي كثيرة جداً، وهي أكثر من أن تحصر في هذا المبحث الوجيز.

وإن الفقه والإنصاف يقتديان من الباحث طالب الحق أن يُنزل كل نص في موضعه ومنزله الذي أرادته الشارع .. ويفسره على مراد الله ورسوله .. فلا يحمل ما قيل في الحاكم المسلم العدل على الحاكم الكافر .. ولا يحمل ما قيل في الحاكم الفاسق على ما يمكن أن يقال في الحاكم الشديد الفسق والفجور والظلم !!

فصلُ الكلامِ في مسألةِ الخروجِ على الحكامِ

كما أن الذين يريدون أن يتصدوا للبحث أو الإفتاء في هذه المسألة الهامة الشائكة .. لا بد لهم من أن يحيطوا بمجموع النصوص ذات العلاقة بالمسألة . وبأقوال أهل العلم فيها . ويعملوها جنباً إلى جنب .. بعضها مع بعض .. من دون أن يضربوا النصوص بعضها مع بعض، أو يُعارضوا بعضها مع بعض .. أو يُظهروا . بسبب قصورهم وفهمهم الخاطئ . اضطراب النصوص وتناقضها .. كما هو ملاحظ عند كثير من الشيوخ والباحثين المعاصرين الذين تصدوا للحديث والإفتاء في هذه المسألة الهامة !!
وأكثر الذين أخطأوا ووقعوا في الإفراط أو التفريط في هذه المسألة .. هو بسبب إعمالهم لنصوص دون نصوص .. وأخذهم بنصوص دون نصوص .. وعلمهم بنصوص دون نصوص .. فوقعوا فيما هم فيه من الغلو والإفراط .. أو الجفاء والتفريط .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.
إلى هنا ينتهي هذا التنبيه، وبانتهائه تنتهي مسائل هذا المبحث الهام الوجيز .. راجياً من الله تعالى القبول، وأن يتفع به البلاد والعباد، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/01/18هـ

أبو بصير الطرطوسي

2001/04/11م

حكم الجاسوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد:

فاعلم أن من يتجسس على عورات المسلمين، وأحوالهم الخاصة . وبخاصة منهم المجاهدين! . لينقلها إلى أعدائهم من الكفرة المجرمين؛ سواء كان كفرهم كفراً أصلياً أم كان كفر ردة .. فهو كافر مثلهم، وموالم لهم الموالة الكبرى التي تخرجه من دائرة الإسلام، يُقتل كفراً ولا بد.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة: 8-9.

ومن خداعهم للمؤمنين أن يتظاهروا بالإسلام، وأن يقولوا عن أنفسهم بأنهم مؤمنون، ثم هم يتجسسون عليهم لصالح أعدائهم من الطواغيت وغيرهم من الكافرين المجرمين.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الحجرات: 12.

والتجسس من حيث دوافعه نوعان: نوع خاص يكون الدافع عليه الفضول وحب الاطلاع على عورات الآخرين، ليتلذذ الجاسوس . في مجالسه الخاصة والعامة . بالخوض في الحديث عن أعراض الناس وعوراتهم ويتباهى بأنه يملك الدليل والبيينة على صدق دعواه وقوله .. لذا جاء عقب النهي عن التجسس النهي عن الغيبة: لأن الغيبة نتيجة حتمية للتجسس، فكل من تجسس لا بد له من أن يقع في غيبة الآخرين.

ونوع عام يكون دافعه نقل المعلومات ورفع التقارير إلى الطواغيت الظالمين وغيرهم من الكفرة والمشركين .. وهذا من الموالاتة .. وهو أشد أنواع التجسس جرماً، وهو من الكفر الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة ولا بد.

والنهي عن التجسس الوارد في الآية يشمل النوعين: الخاص والعام .. والعام أولى بالنهي من الخاص .. فتنبه لذلك.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً" البخاري.

وقال ﷺ: "من أكل بمسلمٍ أكلةً فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسي ثوباً برجل مسلم فإن الله ﷻ يكسوه من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام رياءٍ وسمعة فإن الله يقوم مقام رياء وسمعة يوم القيامة"⁽¹⁾.

فيه تحذير وترهيب لأولئك الذين يكتبون التقارير عن المسلمين الموحدين ليرفعوها إلى الطواغيت الظالمين، ويشنون عليهم، وعلى أماكنهم، وتحركاتهم .. مقابل مبلغ زهيد . يتقوتون به أو يلبسون . يرميه الطاغوت إليهم على كل تقرير يكتبونه عن المسلمين .. وما أكثر أصحاب النفوس الضعيفة هؤلاء في بلادنا، الذين باعوا دينهم وآخرتهم بدنيا غيرهم!!

وقال ﷺ: "من استمع إلى حديث قوم وهم يفرون منه، صُبَّ في أذنيه الأناك"⁽²⁾. والأناك هو الرصاص الأبيض المذاب .. وهذا فيمن يستمع على وجه الفضول والتطفل .. فكيف بمن يستمع على وجه التجسس لصالح أعداء المسلمين من الكافرين والمشركين ..!!

وقال ﷺ: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته"⁽³⁾.

¹ صحيح الأدب المفرد: 179. وانظر صحيح سنن أبي داود: 4084.

² صحيح الأدب المفرد: 883.

³ صحيح سنن أبي داود: 4083.

قلت: من تتبع عورات المسلمين وتجسس عليهم لصالح الطواغيت الكافرين .. هو أولى بالنفاق، وانتفاء الإيمان من قلبه.

فالتجسس على عورات المسلمين وخصوصياتهم لصالح أعدائهم من المشركين المجرمين لا يمكن أن يمتنها إلا كل منافق خسيس عريق في النفاق والخداع!..

وقال ﷺ: "من حمى مؤمناً من منافقٍ بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيءٍ يُريد شينَه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال"⁽¹⁾.

هذا فيمن يرمي مسلماً بشيءٍ يريد شينه به .. فكيف بمن يرمي مسلماً بشيءٍ يريد به قتله أو سجنه في سجون الطواغيت الظالمين!..!

وعن سلمة بن الأكوع قال: أتى النبي ﷺ عين من المشركين وهو في سفر فجلس عند أصحابه، ثم انسل، فقال ﷺ: "اطلبوه فاقتلوه" قال: فسبقتهم إليه فقتلته، وأخذت سلبه، فنفلي إياه. متفق عليه.

وكذلك فقد أمر النبي ﷺ بقتل المرأة التي حملت كتاب حاطب إلى كفار قريش عام الفتح، ومن دون أن تُستتاب.

كما في الحديث عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم فتح مكة، أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، وامرأتين⁽²⁾.

من هاتين المرأتين هذه المرأة التي حملت رسالة حاطب إلى كفار قريش، واسمها سارة.

قال الإمام سحنون: إذا كاتب المسلم أهل الحرب قتل ولم يُستتب، وماله لورثته.

وفي المستخرجة قال ابن القاسم في الجاسوس: يُقتل ولا تُعرف لهذا توبة، هو كالزنديق⁽³⁾.

¹ صحيح سنن أبي داود: 4086.

² صحيح سنن النسائي: 3791.

³ بواسطة كتاب أفضية الرسول ﷺ، لمحمد بن فرج، ص 191.

وقال ابن تيمية في الفتاوى 109/28: ذهب مالك وطائفة من أصحاب أحمد إلى جواز قتل

الجاسوس ا- هـ.

قلت: وقتله يكون على الكفر والارتداد .. وليس على شيء آخر، والله تعالى أعلم.

. شبهة ورد.

لعل قائلاً يقول: إن حاطب بن أبي بلتعة قد كاتب كفار قريش، وأطلعهم على سرزحف النبي ﷺ

ومن معه من جند الإسلام لفتح مكة .. وهذا

من التجسس والموالاتة .. ومع ذلك فإن النبي ﷺ لم يكفره، ولم يأمر بقتله .. فكيف نوفق بين

ذلك، وبين ما تقدم ذكره ..؟

أقول: الذي فعله حاطب بن أبي بلتعة ﷺ هو من الكفر، لكن حاطباً لم يكفر لاعتبارات وموانع

عدة منعت من لحوق الكفر به، سنأتي على بيانها إن شاء الله.

أما أن الذي فعله حاطب هو من الكفر والنفاق الأكبر؛ ذلك لقول عمر بن الخطاب ﷺ فيه أمام

حضرة النبي ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما: "يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين .. دعني أضرب

عنق هذا المنافق . وفي رواية . فإنه قد كفر .. إنه قد نافق .. نكث وظاهر أعدائك عليك!"

والنبي ﷺ يسمعه ولم ينكر عليه أن هذا الذي فعله حاطب يُعد من الموالاتة للمشركين، والكفر

والنفاق الذي تُقطع عليه الأعناق .. ولكن الذي أنكره على عمر ﷺ حمل حكم النفاق والكفر على حاطب

.. وذلك لاعتبارات تمنع من لحوق هذا الحكم بحاطب ..!

أما أن حاطباً لم يكفر، ولم يقع في النفاق فهو للاعتبارات التالية:

1- أنه كان متأولاً في فعله .. لم يكن يعلم . أو يظن . أن هذا الذي فعله يمكن أن يرقى إلى درجة

الكفر والخروج من الإسلام .. أو أنه يضر في إيمانه .. ولم يكن يقصد به الغش والغدر برسول الله ﷺ ..

لذلك نجده يجيب . من فوره . لما سأله النبي ﷺ عن السبب الذي حمله على كتابة الرسالة إلى كفار

قريش: "يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرئاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك

من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن

أخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي .. وما فعلت كفوياً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام . وفي رواية . ما غيرت ولا بدلت .. أما أني لم أفعله غشاً يا رسول الله ولا نفاقاً .. ما كفرتُ ولا ازددتُ للإسلام إلا حياً!"!

فقال النبي ﷺ: "قد صدقكم .. لا تقولوا له إلا خيراً .. إنه قد شهد بديراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم ..!

قال ابن حجر في الفتح 503/8: وعذر حاطب ما ذكره؛ فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه ا- هـ.

قلت: والتأويل مانع من موانع لحوق الكفر بالمعين .. فتنبه لذلك.

2- علم النبي ﷺ . عن طريق الوحي . بسلامة قصد وباطن حاطب، لذلك قال ﷺ: "قد صدقكم"،

وهذه ليست لأحد بعد الرسول ﷺ .. لذلك نجد عمر . وليس له إلا ذلك . قد تعامل مع حاطب على اعتبار ظاهره .. وما يدل عليه ظاهره من نكوث، وموالاتة، وكفر ونفاق .. فقال عباراته الأنفة الذكر!

فإن قيل: الأحكام تبني على الظاهر .. فعلام هنا قد تعامل النبي ﷺ مع باطن وقصد حاطب ..؟

أقول: فيما يخص إقامة الحدود .. وإنزال التعزير والعقوبات بالمخالفين لم يكن النبي ﷺ يفعل

ذلك إلا ما يدل عليه ظاهر الحال الذي يستوجب الحد أو العقوبة .. وإن كان يعلم ﷺ أن بواطن الأمور وخفاياها هي بخلاف هذا الظاهر، كتعامله مع المنافقين على اعتبار ظاهرهم رغم علمه ﷺ بنفاقهم وكفرهم في الباطن.

قال ابن تيمية في الصارم 356: فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يُقيم الحدود بعلمه، ولا بخبر

الواحد، ولا بمجرد الوحي، ولا بالدلائل والشواهد، حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار .. ا- هـ.

أما فيما يتعلق بإقالة العثرات التي كان يقع فيها بعض أصحابه ﷺ .. فكان ﷺ يراعي سلامة

الباطن والقصد الذي يطلعه عليه الوحي ما وجد إلى ذلك سبيلاً .. لحيته للعدو وإقالة العثرات؛ وبخاصة

إن جاءت هذه العثرات من أصحابه الكرام الذين لهم سابقة بلاء وجهاد في سبيل الله ..!

ولأن مراعاة سلامة الباطن في هذا الجانب هو لصالح الإنسان المخطئ بخلاف جانب المؤاخذة

والمحاسبة ففيه تبرير وتعذيب للمخالف .. لذا لم يمضه النبي ﷺ إلا ببينة ظاهرة تستدعي ذلك.

ودليلنا على ذلك موقفه ﷺ من حاطب .. ونحوه ذلك الرجل من الأنصار الذي قال للنبي ﷺ . كما في صحيح البخاري : "أراك تحابي ابن عمك ..!!" وذلك لما حكم النبي ﷺ للزبير بأن يسقي أرضه، ثم يرسل الماء إلى أرض جاره الأنصاري ..!

قلت: قول الأنصاري للنبي ﷺ "أراك تحابي ابن عمك !" هو كفر أكبر .. وطعن بحكم النبي ﷺ .. والذي حمل النبي ﷺ على إقالة عثرته علمه ﷺ بسلامة قصده وباطنه، وأن الذي صدر منه هو عبارة عن فلتة وزلة .. وهذه ليست لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ.

قال ابن العربي في الأحكام 267/5: كل من اتهم رسول الله ﷺ في الحكم فهو كافر، لكن الأنصاري زل زلة فأعرض عنه النبي ﷺ وأقال عثرته لعلمه بصحة يقينه، وأنها كانت فلتة، وليست لأحدٍ بعد النبي ﷺ - ١ هـ.

وهذا الذي قيل في موقف النبي ﷺ من هذا الأنصاري يُقال أيضاً في موقفه ﷺ من حاطب بن أبي بلتعة .. والله تعالى أعلم.

فإن قيل: هل لأحد بعد النبي ﷺ أن يقيل عثرات ترقى إلى درجة الكفر بناءً على سلامة قصد وباطن أصحابها ..؟

أقول: لا .. لانقطاع الوحي .. وهذا الذي يقصده عمر بن الخطاب ؓ من قوله: "إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم؛ فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء، الله يُحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة".

لذا نقول: من أظهر لنا الكفر البواح . من غير مانعٍ شرعيٍ معتبر. أظهرنا له التكفير ولا بد. وقوله ﷺ: "كانوا يؤخذون بالوحي" يريد في جانب إقالة العثرات .. وليس في جانب تطبيق الحدود وإنزال العقوبات .. فتنبه لذلك.

3- ومن علامات صدق حاطب ؓ أنه صدق النبي ﷺ لما سأله .. ولم يوارى عليه ما فعل .. مما دل على سلامة باطنه وقصده .. وبراءته من النفاق .. بخلاف المرأة فإنها أنكرت وكذبت لما سئلت عن الكتاب، فقالت: "ما معي من كتاب" فزاد ذلك من جرمها وكفرها ..!

ولو كان حاطب منافقاً لكذب الحديث .. لأن من خصال المنافق أنه إذا حدث كذب .. ولكن لما صدق في الحديث .. دل على صدق إيمانه وباطنه وأنه ليس منافقاً .. وكان لذلك أثراً ظاهراً في منجاته وإقالة عثرته، كما في الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي: "فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة".

ومن حديث كعب بن مالك في قصة تخلفه عن الغزو مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، يقول: يا رسول الله إنما أنجاني الله بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت .. والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتُهُ فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد، فقال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

بينما أنزل الله في الثلاثة الذين صدقوا الحديث . منهم كعب من مالك . قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: 119-117.

فتأمل كيف أن الصدق أنجاهم، وأقال عثرتهم .. وكيف أن الكذب أوردى أولئك الذين كذبوا الأعداء، وأوبق آخرتهم !!

وهذا ينبغي أن يكون معتبراً عند الحديث عن حاطب بن أبي بلتعة .. وعن الأسباب التي أقالته عثرته.

4- إن مما أعان على إقالة عثرة حاطب كذلك أنه من أهل بدر .. وبدر حسنة عظيمة تذهب السيئات .. وتقل العثرات .. وتستدعي تحسين الظن بأهلها .. وتوسيع دائرة التأويل لهم لو عثروا أو زلوا !!

لذلك نجد أن النبي ﷺ قد تذكر له حسنة بدر. وما أدراك ما حسنة بدر. فقال ﷺ: "إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

وفي صحيح مسلم: "إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد . إن شاء الله . ممن شهد بديراً والحديبية".

وحاطب قد جمع بين الخيرين .. فقد شهد بديراً والحديبية معاً !!

نستفيد من ذلك أن المرء كلما كبرت وكثرت حسناته .. وكانت له سابقة بلاء في الله .. كلما ينبغي

أن تتوسع بحقه ساحة التأويل وإقالة العثرات .. عند ورود الشبهات، وحصول الكبوات .. والله تعالى أعلم.

5- أن فعل الوشاية الذي أقدم عليه حاطب لم يكن فعلاً ملازماً له .. فهو لم يفعل ذلك إلا

مرة واحدة في حياته، ولأسباب تقدم ذكرها .. وهذا بخلاف ما عليه الجاسوس فإن التجسس صفة لازمة له على مدار الوقت .. لا هم له إلا كيف يتحصل على المعلومات لكي يرسلها إلى موفديه أو من يتعامل معهم !!

فهناك فرق بين من يقع في الخطأ مرة .. وبين من يقع في الخطأ مراراً من حيث دلالته على صفة

وحقيقة فاعله.

لذا من الخطأ الفادح أن يُحمل على حاطب حكم ووصف الجاسوس الأتف الذكر .. والله تعالى

أعلم.

وبعد، لأجل هذه الأسباب مجتمعة أفدنا في أول حديثنا أن فعل حاطب يُعتبر من الكفر، ومن

الموالاتة الكبرى، إلا أن حاطباً لم يكفر بعينه .. ولا يجوز أن يُحمل عليه حكم الكفر، والله تعالى أعلم.

كلمة أخيرة: إلى أولئك الذين هان عليهم دينهم، وسهل عليهم التجسس على المسلمين لصالح

الطواغيت باسم الدين، متذرعين بفتاوى بعض المضللين المشبوهين ممن ظاهرهم العلم .. مقابل مبلغ

زهيد يعطونه على كل تقرير يكتبونه إلى مخابرات الطواغيت .. لا يحسب هؤلاء أنهم على خير، أو أنهم

على شيء .. وليتذكروا أن لهم يوماً سيسألون فيه عما يفعلون .. وينتصف الله تعالى منهم لعباده

المظلومين.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من أعان ظالماً بباطل ليدحض بباطله حقاً فقد برئ من ذمة

الله ﷻ وذمة رسوله" (1).

¹ أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 1020.

فكيف بمن يعين الطواغيت الظالمين على اعتقال المسلمين الموحدين وقتلهم، وانتهاك حرمتهم..؟!

فكم من تقرير ظالم كتبه مخبر حقير أدى إلى اعتقال عشرات من الشباب المسلم الموحدين. لعشرات السنين. في أقبية وزنازين الطواغيت .. إن لم يكن سبباً في قتلهم وإعدامهم ..! وفي صحيح مسلم وغيره: "المؤمن من آمنه المسلمون على أنفسهم وأموالهم .. والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

فالذي لا يأمنه المسلمون على أنفسهم .. ولا يسلمون من شريده ولسانه .. فهو بنص الحديث ليس من المؤمنين ولا المسلمين.

فاتق الله يا عبد الله .. واحذر أن تكون ممن يتجسسون لصالح الطواغيت الظالمين .. أو يجادلون عنهم .. أو يُقاتلون دونهم .. فتهلك وتخسر دنياك وآخرتك.

اللهم إنا قد بلغنا ونصحنا .. فاشهد.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/03/06 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2001/05/28 م

ملاحظة: هذا المقال مقتطع من كتابنا "أعمال تُخرج صاحبها من الملة" يسر الله تعالى

إتمامه، ونشره.

قاعدة من قواعد التكفير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القاعدة:

"كلُّ مانعٍ من موانعِ التَّكْفِيرِ مانعٌ من موانعِ لِحوقِ الوعيدِ بالمعيَّنِ، وليس كلُّ مانعٍ من

موانعِ لِحوقِ الوعيدِ بالمعيَّنِ مانعاً من موانعِ التَّكْفِيرِ".

الشرح: قد أفدنا من قبل أن القاعدة لا تكون قاعدة إلا لدلالة أصول ونصوص الشريعة على

كل جزئية من جزئياتها .. ومن حق الباحث أو القارئ ألا يعتمد القاعدة كقاعدة شرعية . وبخاصة إن

كان لها مساس بالعقائد والأصول . إلا بعد معرفة الأدلة الشرعية الدالة عليها، والملزمة بها .. وهذا يلزمنا

بالضرورة ببيان الأدلة الشرعية الدالة على صحة هذه القاعدة الأنفة الذكر أعلاه.

فأقول: قولنا أن كل مانعٍ من موانعِ التكفير مانعٌ من موانعِ لِحوقِ الوعيدِ والعذابِ بالمعيَّنِ في

الدنيا والآخرة، فهو للأصول والأدلة التالية:

1- الجهل: فقد تضافت الأدلة على أن من يقع في الكفر عن جهل معجز لا يمكن له دفعه فإنه

يمنع عنه لِحوقِ الوعيدِ والعذابِ في الدنيا والآخرة، إلى أن تقوم عليه الحجة الشرعية التي تدفع عنه

الجهل المعجز فيما قد خالف فيه؛ أي تدفع عنه العجز عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ الإسراء: 15.

ولقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ

عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: 165.

ولقوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: 286.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن: 16.

وفي الحديث عن الأسود بن سريع، عن النبي ﷺ قال: "أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا

يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول ربّ لقد جاء الإسلام وما

أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما

الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول" [1].

قلت: وهؤلاء الأصناف الأربعة كلهم يجمعهم الجهل المعجز عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالفوا فيه، وإن كان لكل صنف منهم سببه المختلف عن الآخر الذي أوقعه بالجهل المعجز عن إدراك مراد الشارع.

وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ. وهم حديثو عهد بكفر. بأن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط فقال لهم النبي ﷺ: "الله أكبر، قلت والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ في كتابه القيم "تيسير العزيز الحميد": فيها . أي هذه الحادثة من الدلالات . أن معنى الإله هو المعبود، وأن من أراد أن يفعل الشرك جهلاً فنهي عن ذلك فانتهى لا يكفر..!- هـ.

قلت: فجعلهم الناتج عن حادثة عهدهم بالكفر. وهو جهل معجز. منع من لحوق وعيد الكفر بهم رغم وقوعهم به ..!

ونحو ذلك قول معاوية بن الحكم السلمي للنبي ﷺ: إنا قومٌ حديث عهد بجاهلية، وقد جاءنا الله بالإسلام، ومنا رجال يأتون الكهان ؟ قال النبي ﷺ: "لا تأتهم" [2].

علماً أنه قد صح عن النبي ﷺ قوله فيمن يأتي الكهان فقال: "من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد" وفي رواية: "فقد برئ مما أنزل على محمد".

والشاهد أن هذا الوعيد الشديد الوارد في الحديث لم يُحمل عليهم لكونهم يأتون الكهان بسبب جهلهم المعجز الناتج عن حادثة عهدهم بالجاهلية .. ولم يقل له النبي ﷺ: أنت وقومك كفار.. قد برئت منكم الذمة .. وإنما اكتفى بتعليمه وقيام الحجة عليه فقال له: "لا تأتهم".

¹ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع الصغير: 881.

² صحيح سنن أبي داود: 823.

وكذلك لما جاء عدي بن حاتم النبي ﷺ مسلماً وفي عنقه صليب من ذهب . وكان حديث عهد بالكفر. فاكتفى النبي ﷺ بقوله له: "يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك"، ولم يلحق به حكم الكفر به لتعليق الصليب في عنقه .. أو يلزمه بالتوبة ودخول الإسلام من جديد .. وذلك لجهله الناتج عن حداثة عهده بالكفر.

والأدلة على العذر بالجهل المعجز كثيرة ليس غرضنا هنا استقصاؤها وبسطها فهذا له موضع آخر من أبحاثنا .. وإنما أردنا هنا فقط التدليل على صحة الجزء الأول من القاعدة القائل: أن المانع من التكفير مانع من لحوق الوعيد والعذاب بالمعين.

2- التأييل: ومن موانع التكفير التي تمنع من لحوق الوعيد بالمعين التأييل المعتبر والمستساع

شرعاً؛ فمن وقع في المخالفة الشرعية لتأييل معتبر منع عنه لحوق الوعيد^[1].

مثال ذلك ما حصل للصحابي البديري قدامة بن مظعون ؓ عندما تأول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: 93. فأحل لنفسه شرب الخمر .. على اعتبار أنه من الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. وبالتالي لا جناح عليه لو شرب الخمر .. فأحل بذلك شرب الخمر، وهذا كفر .. ولكن لما كان الحامل على وقوعه في هذا الكفر التأييل والفهم الخاطئ للآية مُنع عنه لحوق الكفر به .. وأجمع الصحابة على استتابته وإلزامه الحجة أولاً فإن أصر على الاستحلال بعد ذلك قتل كفوفاً وردة على أنه قد غير وبدل، واستحل ما حرم الله.

وكان من شأنه أنه ندم على ذنبه وخطأه ندماً شديداً، فأرسل إليه عمر ؓ فقال له: ما أدري أيُّ

ذنبك أعظم، استحلالك المحرم أولاً أم يأسك من رحمة الله ثانياً؟!

¹ التأييل منه ما يُسقط عن المرء الوعيد في الدنيا والآخرة، ومنه ما يمنع عنه الكفر دون سواه من أنواع الوعيد والعقاب، ومنه ما يمنع عنه مطلق الوعيد الكفر وغيره .. كما أنه ليس كل تأويل يلزم بالضرورة أن يقبل عثرات صاحبه، أو يمنع عنه لحوق الوعيد .. وذلك بحسب نوعية التأييل وقوته، واستساغته شرعاً وعقلاً ولغةً .. فتنبه لذلك.

ونحو ذلك خطأ حاطب بن أبي بلتعة البديري عندما راسل قريشاً يخبرهم بتوجهه النبي ﷺ لفتح مكة .. وهذا الفعل يُعد من الموالات التي فيها مظاهر المشركين على المسلمين .. ولكن لما فعل حاطب ذلك متأولاً ظاناً أن ذلك لا يضره في إيمانه وإسلامه .. وكان صادقاً في تأويله وأنه لم يفعلها ردة ولا كفراً .. أقال النبي ﷺ عثرته، ومنع أن يُحمل عليه حكم الكفر أو النفاق الذي أطلقه عليه عمر رضي الله عنه .. واستأذن النبي ﷺ . لأجل ذلك . بقتله!

قال ابن حجر في الفتح 503/8: وعذر حاطب ما ذكره؛ فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه ا- هـ. وكذلك لما تأول الصحابي عدي بن حاتم رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾. فقتل في رجله خيطين أسود وأبيض، وهو لا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له، إلى أن بين له رسول الله ﷺ فقال له: "إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل"، ولم يعنفه على تأويله الخاطئ، ولم يؤثمه، وما طلب منه أن يعيد صومه، علماً أن سحوره كان يمتد به إلى ما بعد ظهور الفجر الصادق ..!

فشاهدنا مما تقدم أن نقول: أن التأويل المعتبر شرعاً المستساغ لغة كما هو مانع من موانع التكفير، فهو كذلك مانع من موانع لحوق الوعيد والإثم والحرَج بالمعِين.

3- الإكراه: كذلك الإكراه فإنه مانع من موانع لحوق الكفر بالمعِين، وهو كذلك مانع من موانع لحوق الوعيد والحرَج والإثم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ آل عمران: 28. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ" [1].

4- الخطأ المنافي للقصد والعمد: كذلك من يقع في الكفر خطأ وزلة، على غير وجه القصد أو العمد فإنه يمنع عن صاحبه الكفر ومطلق الوعيد أو الإثم، كالذي أيس من راحلته، ولما وجدها قائمة عند رأسه فقال من شدة الفرح: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح". فهذا النوع من الخطأ لا يؤاخذ به المرء لأنه لم يردده، ولم يصدر عنه على وجه القصد أو العمد.

¹ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 1731.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا﴾ الأحزاب: 5.

إلى هنا نكون قد أثبتنا بالدليل صحة الشرط الأول من القاعدة الذي يقول: "كل مانع من موانع

التكفير مانع من موانع لحوق الوعيد بالمعين".

وبقي أن نثبت صحة الشرط الثاني من القاعدة الذي يقول: "وليس كل مانع من موانع لحوق

الوعيد بالمعين مانعاً من موانع التكفير".

وإليك بيان ذلك بشيء من التفصيل:

1- الحسنات: فالحسنات يذهبن السيئات .. وتمنع من لحوق الوعيد بالمعين، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود: 114.

ولقوله ﷺ: "وأتبع السيئة الحسنة تمحها".

وعن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه علي، قال وحضرت

الصلاة، فصلى مع رسول الله ﷺ فلما قضى الصلاة قال يا رسول الله إني أصبت حداً فأقم في كتاب الله،

قال: "هل حضرت الصلاة معنا؟" قال: نعم، قال ﷺ: "قد غفر لك".

وفي رواية: "أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنست الوضوء؟" قال: بلى يا رسول

الله، قال: "ثم شهدت الصلاة معنا؟" فقال: نعم يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: فإن الله قد غفر لك

حدك أو ذنبك" مسلم.

وقال ﷺ: "ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقوم في صلاته، فيعلم ما يقول إلا انفتل وهو

كيوم ولدته أمه" [1].

وقال ﷺ: "إن الصلوات الخمس يذهبن بالذنوب كما يذهب الماء الدرن" [2].

وقال ﷺ: "الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله" مسلم.

¹ صحيح الترغيب والترهيب: 547.

² أخرجه أحمد، صحيح الجامع: 1668.

قاعدة من قواعد التكفير

وقال ﷺ: "بينما كلب يُطيف بُرْكِيَّةَ . بئر . كاد يقتله العطش، إذا رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت فوقها . خفها . فاستقت له به، ففُغِرَ لها" متفق عليه.

وغيرها كثير من النصوص والأحاديث التي تفيد أن الحسنات تكفرن السيئات، وتمنع عن المعين لحوق وعيد السيئات به.

ولكن هل تمنع عنه لحوق وعيد الكفر به لو وقع في الكفر البواح ..؟

الجواب: أن الحسنات مهما عظمت لا يمكن أن تمنع عن صاحبها الكفر لو وقع فيه .. وبطاله وعيد الكفر وأثاره في الدنيا والآخرة ولا بد.

فالحسنات تكفر السيئات التي هي دون الكفر والشرك .. أما الكفر والشرك لا طاقة لها به، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ المائدة: 72. ولقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر: 65. ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: 88. ولقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ الفرقان: 23.

فإن قيل: بما في ذلك حسنة التوحيد ..؟!

أقول: بما في ذلك حسنة التوحيد .. إلا إذا اقتضى وجود التوحيد انتفاء الشرك والكفر .. فحينئذ لا شك أن التوحيد ينفع صاحبه وينجيه، أما أن يُفترض اجتماع حسنة التوحيد وسيئة الشرك في قلب امرئٍ واحد .. فالتوحيد هنا لا ينفع صاحبه، ووجوده وعدمه سواء، ومن وجه آخر فإن افتراض وجودهما معاً هو ضرب من التناقض، والقول بالشيء وضده معاً!

قال ﷺ: "لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئٍ"[1].

وقال ﷺ: "قال الله تعالى: يا ابن آدم! مهما عبدتني ورجوتني ولم تُشرك بي شيئاً غفرتُ لك على ما كان منك . أي من عمل . وإن استقبلتني بملء السماء والأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بملءهن من المغفرة، وأغفر لك ولا أبالي"[2].

¹ السلسلة الصحيحة: 1050.

² أخرجه الطبراني، صحيح الجامع: 4341.

وقال ﷺ: "ثنتان موجبتان" قال رجل: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئاً دخل النار" مسلم.

ولكن الذي يمكن قوله هنا: أن الحسنات العظيمة قد تتشفع لصاحبها عند ورود الكفر المتشابه المحتمل .. وحصول العثرات والكبوات التي لا ترقى إلى درجة الكفر البواح .. وتحملنا على تحسين الظن والتأويل له، كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة لما كاتب كفار قريش .. فإن مما تشفع له وأقال عثرته حسنة بدر العظيمة، حيث فيه وبسببه قال النبي ﷺ: "إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" البخاري.

2- البلاء: كذلك البلاء فإنه يكفر السيئات، ويمنع من لحوق الوعيد بالمعين، كما في الحديث المتفق عليه: "ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا نصبٍ، ولا غمٍّ، ولا همٍّ، ولا حزنٍ حتى الشوكة يُشاكها إلا كَفَّرَ من خطاياها".

وقال ﷺ: "إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثمَّ صَبَّرَه على ذلك، حتى يُبَلِّغَه المنزلة التي سبقت من الله تعالى".

وكذلك قوله ﷺ: "ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه، إلا كَفَّرَ اللهُ عنه من سيئاته".

وقال ﷺ: "إن الله تعالى يقول: إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً، فحمدني وصبر على ما ابتليته به، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا". وغيرها كثير من الأحاديث الصحيحة التي تفيد أن البلاء يحط عن صاحبه السيئات، ويمنع عنه وعيدها.

ولكن هل يحط عن صاحبه سيئة الكفر، ويمنع عنه لحوق وعيده وما يترتب عليه من آثار في الدنيا والآخرة ..؟

الجواب: لا .. لأن البلاء مهما عظم وكبر لا يمكن أن يحط عن صاحبه سيئة الكفر، أو يمنع عنه وعيده وآثاره .. للأدلة الأتفة الذكر الدالة على أن الشرك يحبط جميع العمل، ويمحق جميع الحسنات. فالصبر على البلاء مانع من موانع لحوق الوعيد بالمعين فيما هو دون الكفر أو الشرك الكبر.

ولكن يمكن أن نقول ما قلناه من قبل: أن المرء المبتلى في الله .. الذي يُعرف عنه جلادة وصبر على البلاء في سبيل نصرة الحق .. فمثل هذا تقال عثراته .. كما ينبغي أن يُتوسع بحقه التأويل .. وساحة الأعدار .. لو عثر أو وقع في كفر متشابه أو محتمل من وجه أو أوجه ومن أوجه أخرى لا يحتمل ذلك.

3- الشفاعة: ومن موانع لحوق الوعيد بالمعين شفاعته الشافعين له يوم القيامة ..

ولكن هل يمكن أن تمنع عنه وعيد الكفر والشرك .. لو كان من أهل الكفر والشرك ؟
الجواب: لا .. لأن شفاعته الشافعين لا تدرك إلا من وافته المنية على التوحيد .. أما من تدركه المنية على الكفر والشرك .. ليس له شفيع .. ولا تنفعه شفاعته الشافعين.

كما قال تعالى عن المشركين: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدثر: 48. وقال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا

مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الشعراء: 100-101.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "أعطيت الشفاعة وهي نائلة من لا يُشرك بالله شيئاً".

وقال ﷺ: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من نفسه" البخاري.

وقال ﷺ: "فإني أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة".

وممن يشفع يوم القيامة بإذن الله غير الأنبياء والمرسلين: الملائكة، والشهداء، وغيرهم من عباد

الله الصالحين ..

خلاصة القول: أن الشفاعة تمنع لحوق الوعيد بالمعين ما دام هذا الوعيد دون الكفر والشرك

.. فإن وقع في الكفر والشرك لا تنفعه شفاعته الشافعين في شيء.

4- التوبة والاستغفار: فإن التوبة تجب ما قبلها .. وتمنع من لحوق الوعيد بالمعين، كما قال

تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ مريم: 60. وقال تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: 160. وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الأنفال: 33.

فإن قيل: فإن التوبة تجب ما قبلها بما في ذلك الكفر والشرك .. وتمنع عنه لحوق وعيده؛ فمن

تاب من الكفر كمن لا ذنب له ..؟

أقول: التوبة تمنع عنه ثبوت الكفر وعيده بالمعين بعد التوبة، ولا تمنع عنه لحوق الكفر وعيده

قبل التوبة .. أي أن التوبة تزيل الكفر بعد لحوقه بالمعين وليس قبل لحوقه .. لذا أدرجناه كمانع من موانع لحوق الوعيد، وليس كمانع من موانع لحوق التكفير، والله تعالى أعلم.

5- إضافة لما تقدم توجد موانع أخرى تمنع من لحوق الوعيد بالمعين: منها دعاء المؤمنين

واستغفارهم له بعد مماته .. ومنها ما يُهدى إليه . بعد مماته . من صدقة، أو حج، أو عمرة ونحو ذلك .. ومنها عذاب القبر .. وهذه كلها وردت فيها نصوص صريحة صحيحة كمانعة من موانع لحوق الوعيد بالمعين .. لكنها لا تصح كمانع من موانع لحوق التكفير وعيده.

كما في الحديث عن عبد الله بن عمرو، أن العاص بن وائل أوصى أن يُعتق عنه مائة رقبة، فأعتق

ابنه هشام خمسين رقبة، فأراد ابنه عمرو أن يعتق عنه الخمسين الباقية، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ فأتى النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "لو كان مسلماً، فأعتقتم عنه، أو تصدقتم عنه، أو حججتم عنه،

بلغه ذلك"^[1]. أما كونه قد مات على الكفر والشرك فإنه لا ينتفع بشيء من ذلك !!

خلاصة ما تقدم: كل هذا التفصيل المتقدم لكي نثبت صحة القاعدة الأنفة الذكر التي تقول:

"كلُّ مانعٍ من موانع التكفير مانعٌ من موانع لحوق الوعيد بالمعين، وليس كلُّ مانعٍ من موانع لحوق الوعيد بالمعين مانعاً من موانع التكفير".

والحمد لله الذي تتم بفضلته الطيبات الصالحات

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/03/11 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2001/06/02 م

¹ صحيح سنن أبي داود: 2507.

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد.

فقد تناها إلى مسامعنا وأبصارنا ما تناقلته وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ما حصل مؤخراً في أمريكا من تدمير لبعض منشآتها العسكرية والاقتصادية .. وقد خاض الخائضون بين مؤيد ومعارض .. وكثير منهم حكّم الهوى والعاطفة لجبن أو لارتباط بجهات حكومية مشبوهة تحتم عليهم أن يُطلقوا تصريحاتهم وأحكامهم في اتجاه معين وفق ما ترتضيه بعض الجهات أو الهيئات الرسمية الحكومية .. فضلوا وأضلوا .. وأساءوا من حيث يعلمون أو لا يعلمون .. مما حملنا على الشعور بضرورة تسجيل بعض الملاحظات حول ما حدث .. إنصافاً للحق .. وإبطالاً للباطل ولو كره المنافقون الكافرون .. والله تعالى وحده حسبنا ونعم الوكيل.

وألخص هذه الملاحظات في النقاط التالية:

1- إلى ساعة كتابة هذه الكلمات كل ما صدر عن مكاتب التحقيق الأمريكية لا يفيد أن من قاموا بتلك العمليات هم مسلمون .. أو من الجماعات الإسلامية .. وأن كل ما قيل إنما هو من قبيل الظن والتخريص، والاشتباه .. والظن والاشتباه لا يُغني من اليقين والحق شيئاً، بدليل أن كثيراً ممن اشتبه بهم، وكثر كلام الإعلام عليهم .. لم يبقوا في الحجز للتحقيق معهم سوى سويغات .. لإدراك الجهات الأمنية المختصة ببراءتهم!

إضافة إلى ذلك فإن الجهة الإسلامية التي يُشار إليها بأصابع الاتهام؛ وهي حركة الطالبان .. فقد أعلنوا أكثر من مرة إدانتهم لذلك العمل .. وأنهم براء منه .. وكذلك الشيخ أسامة المتهم الأول في هذه القضية .. أعلن أكثر من مرة أنه لم يكن له أدنى ضلوع أو مشاركة فيما حصل .. وأن ظروف إقامته في أفغانستان لا تمكنه من القيام بمثل هذا العمل.

الذي نريده من هذه الحقائق الأنفة الذكر .. أننا لسنا مضطرين . كمسلمين . للبحث أو الخوض في مدى شرعية تلك الأعمال التي حصلت في أمريكا أو عدم شرعيتها .. إذ أن الأمر لا يعني ولا يخص

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ !؟

المسلمين من هذا الوجه .. وبالتالي فلسنا مسؤولين أو ملزمين شرعاً وعقلاً للبحث في شرعية أعمال يقوم بها أناس مجهولي الحال والهوية .. كما أننا نجهد غايات ومقاصد وظروف من قاموا بذلك العمل!!
فالحكم الشرعي لكي يكون صائباً لا بد أولاً من الإحاطة بجميع جوانب وفروع المسألة ذات العلاقة .. وإلى حين ثبوت ضلوع طرف إسلامي بعينه في ذلك الحدث .. ومعرفة جميع أبعاد ما حصل ..
فحينئذٍ يكون التأصيل العلمي الشرعي له مبرراته ومسوغاته .. وذلك أن الفتوى يلزمها أمران: معرفة النصوص الشرعية ذات العلاقة بالفتوى أو المسألة .. ومعرفة واقع المسألة على وجه التدقيق والتحقيق التي تُحمل عليها تلك النصوص .. والله تعالى أعلم.

ومن جهة فإننا لا نعمل كموظفين في دائرة الإفتاء الأمريكي .. لكي نسرع إلى إصدار الفتاوى لكل نازلة تنزل في المجتمع أو الدولة الأمريكية ..!!

2- لا بد من الاعتراف أن أمريكا .. دولة محاربة معادية للإسلام والمسلمين .. بل هي الدولة الكبرى التي ترعى عمليات قتل، وحصار، وتجويع الشعوب الإسلامية .. وما من جريمة إرهابية تحصل بحق المسلمين هنا أو هناك إلا وتجد البصمات والدعم الأمريكي من ورائها ..!
فها هي فلسطين ومنذ أكثر من خمسين عاماً تعاني من وطأة وإرهاب الاحتلال الصهيوني اليهودي .. يقتلون أبناء المسلمين .. ويهدمون بيوتهم .. ويصادرون أراضيهم وممتلكاتهم ويستحلون حرمتهم ومقدساتهم .. تحت مرأى ومسمع .. بل ودعم أمريكا ..!
كم هي المجازر الجماعية الإرهابية التي قامت بها عصابات يهود بحق المسلمين الفلسطينيين ..
بأسلحة ودعم وتأييد أمريكي ..!

مجزرة صبرا وشاتيلا .. وقتل المسلمين وهم في المسجد الإبراهيمي وهم ركعاً وسجداً .. على أيدي عصابات يهود .. أليس هذا من الإرهاب ..!!؟

أين كانت أمريكا .. والعالم الذي يتباكى على عتبات الإرهاب .. من كل ذلك .. لماذا لم تحصل ذات الحملة على الإرهاب الحاصلة اليوم .. ولماذا لم تُعبأ الشعوب والأمم على محاربة الإرهاب كما هي تُعبأ اليوم !؟

حربٌ على الإرهاب .. أم حربٌ على الإسلام؟!

الجواب يعرفه الجميع: وهو أن ضحايا صبرا وشاتيلا .. من المسلمين الفلسطينيين .. بينما ضحايا

اليوم هم من الأمريكيين النصارى!!..

كم من مرة يدان الإرهاب اليهودي الإسرائيلي من قبل المجتمع الدولي .. ويقف الفيتو الأمريكي

حائلاً دون أن يوجه إلى ربائهم من اليهود أدنى نقد أو إدانة فضلاً عن أن تنزل بهم العقوبات التي تنزل

بغيرهم لأدنى مخالفة .. وأحياناً بلا مخالفة!!

هذا الحصار الضارب على رقاب الشعب العراقي المسلم منذ أكثر من عشر سنوات .. أليس من

الإرهاب الذي ترعاه وتحميه أمريكا وحلفاؤها!..

قتل مليون طفل من أبناء الشعب المسلم العراقي جوعاً ومرضاً بسبب ذلك الحصار الجائر الذي

ترعاه وتفرضه أمريكا .. أليس من الإرهاب ..؟!..

كم من مرة يقتل الأمريكان أطفال ونساء العراق .. براجمات صواريخهم وطائراتهم .. ومن دون

أن يُقدموا أدنى اعتذار .. أليس هذا من الإرهاب ..؟!..

تدمير مصانع الأدوية في السودان وقتل الأبرياء .. بصواريخ أمريكية عابرة للقارات .. وعلى أيدي

الجنود الأمريكيين .. أليس هذا من الإرهاب ..؟!..

قتل شعب بكامله في الشيشان .. على مرأى ومسمع ورضى من الأمريكان .. أليس هذا من

الإرهاب ..؟!..

المقابر الجماعية التي حصلت لعشرات الآلاف من المسلمين في البوسنة والهرسك .. أليس هذا

من الإرهاب ..؟!..

هذا الحصار الظالم على أفغانستان .. وشعب أفغانستان المسلم .. ليقتل يوماً مئات الأطفال

جوعاً .. والذي ترعاه وتفرضه أمريكا .. أليس هذا من الإرهاب ..؟!..

هذا الدعم الأمريكي المباشر لجرائم الهندوس عبدة البقر في حق مسلمي كشمير .. أليس من

الإرهاب ..؟!..

قتل المئات من المسلمين .. وحرق المساجد على من فيها من المصلين .. في جزر مولاكو في إندونيسيا

.. على مرأى ومسمع ودعم من العالم الغربي والأمريكي المتحضر .. أليس من الإرهاب ..؟!..

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ؟!

من الذي يدعم الأنظمة الطاغية الدكتاتورية العميلة المنتشرة في بلاد العرب والمسلمين .. التي

تقهر وترهب شعوبها بفنون من التعذيب والقتل والتنكيل .. أليس أمريكا راعية الإرهاب العالمي ..!!؟

عندما قتل الطاغية الهالك النصيري حافظ الأسد . عميل اليهود والأمريكان . أكثر من عشرين

ألف من أهالي مدينة حماه وفي يوم واحد .. أليس هذا من الإرهاب .. أين كانت أمريكا يومئذٍ وحملتها هذه

ضد الإرهاب ..!!؟

من الذي ألقى القنابل النووية الذرية .. التي أبادت شعباً بكامله في اليابان وغيرها .. والتي لا تزال

آثارها السيئة باقية على الناس إلى الساعة .. أليست أمريكا التي تتزعم اليوم الحرب على الإرهاب ..

زعمت ..!!؟

هذه الجرائم الإرهابية وغيرها الكثير الكثير .. لماذا لم نسمع صوتاً لأمريكا وحلفائها من قوى الكفر

والنفاق .. ينددون ويتوعدون فيه الإرهاب .. والإرهابيين الحقيقيين؟!

الجواب ما قلناه من قبل: هو أن الضحايا كانوا من المسلمين .. الدم المسفوك كان دماً إسلامياً

رخيصاً لا يستحق من أمريكا والمجتمع الغربي الصليبي المتحضر بيان تنديد للفاعلين .. فضلاً عن أن

يشنوا لأجله الحروب كحالهم اليوم!!

ولو صدقت أمريكا . ولن تصدق . بأنها ستحارب الإرهاب .. ومن يدعم الإرهاب .. أو يأوي الإرهاب

.. لحاربت نفسها بنفسها .. لأنها هي أم الإرهاب .. وراعية الإرهاب المنظم الدولي في العالم .. المتمثل .

بالدرجة الأولى . في رعايتها وحمايتها للإرهاب اليهودي الصهيوني في فلسطين، وغير فلسطين ..!!؟

وهاهي اليوم تُعلن أمريكا وبكل وضوح عن عزمها ورغبتها في إلغاء العمل بالقانون الذي يحرم

الاغتيالات الشخصية .. لاحتياجها إلى الاغتيالات في حملتها الصليبية ضد الإسلام والمسلمين .. أليس

هذا من الإرهاب المنظم .. أم أنه يجوز لها مالا يجوز لغيرها !!؟

هذا وغيره يجعلنا نجزم بأن أمريكا دولة إرهابية محاربة للإسلام والمسلمين أينما كانوا .. بكل ما

تعني كلمة المحاربة والإرهاب من معنى.

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ؟!

وبالتالي فإن أمريكا . بتاريخها الحافل في الإرهاب .. وفي نصرته الإرهاب .. وإيواء إرهاب الصهاينة اليهود والدفاع عنهم . هي السبب والمسؤولة الأولى لما حصل لها في هذه الأيام .. فجنت على نفسها بنفسها .. وعاقبها الله تعالى من جنس أعمالها بحق الآخرين!

3- فإن قيل أمريكا ليست دولة محاربة .. وإنما هي دولة معاهدة .. تربطها عهود ومواثيق مع المسلمين ..؟!!!

أقول: أي عهد وهي ترعى الإرهاب العالمي .. وتشن الحرب تلوى الأخرى على الإسلام والمسلمين ..؟! أي عهد وهي ترعى وتحمي وتدرّب عصابات الصهاينة اليهود في أراضيها .. على اغتيال وقتل وإرهاب المسلمين في فلسطين ..؟!!

أمريكا لا يوجد بينها وبين أي مسلم عهد .. إلا مسلم دخل طواعية أراضي أمريكا معاهداً مستأمناً .. فهذا العهد لا يلزم إلا شخص المعاهد المستأمن فقط .. فهو لا يلزم مجموع الأمة .. أو أحداً غيره من المسلمين .. لأن أمريكا في حرب صريحة مع الأمة كل الأمة ..!

ثم هذا الفرد المستأمن .. يتعرض للأذى في نفسه وعرضه .. مما يقلل من قيمة هذا العهد الذي بينه وبينهم ..!

فكم من مسلم .. ومسلمة .. اعتدي عليهم في أمريكا .. وفي بلاد الغرب المتحضر .. لمجرد أن سمعوا من الإعلام الذي يهيمن عليه عصابات صهيون .. بأن هذه العمليات وراءها نفر من المسلمين ..؟! كم من امرأة اعتدي على حجابها وشرفها في الشارع .. من قبل هذا الإنسان الأمريكي .. أو الغربي المتحضر .. فهل هذا من الوفاء بالعهد والأمان ..؟!!!

عشرات الآلاف من المسلمين في أمريكا .. وغيرها من بلاد الغرب .. إلى الساعة هم حبيسي بيوتهم لا يستطيعون الخروج من منازلهم خشية الاعتداء عليهم وعلى نساءهم .. فهل هذا من الوفاء بالعهد والأمان ..؟!!

وكان آخر ما تناها إلى مسامعي حول هذا الأمر: أن رجلاً خليجياً يمشي في شوارع لندن وبجواره زوجته المتحجبة .. فقام أحد المتحضرين الحاقدين من أبناء البلد .. وكان بيده زجاجة خمر فكسرها وطعن بها وجه ذلك المسلم الخليجي .. فهل هذا من الوفاء بالعهد والأمان ..؟!!

حربٌ على الإرهاب .. أم حربٌ على الإسلام؟!

قد لفت نظري معلق غربي صليبي .. وهو يتهمكم على الثياب المهترئة التي يرتديها الإنسان الأفغاني

التي توحى . على حسب قول هذا المعلق . أنه إنسان متخلف يعيش في القرون الوسطى ..!!

ولنا أن نسأل: رغم هذا الحصار الشديد الظالم على أفغانستان وعلى شعب أفغانستان الذي

ترعاه وتفرضه أمريكا وحلفائها من دول الغرب .. هل يستطيع أحد أن يثبت أن أحداً من الأمريكيين أو

الغربيين العاملين هناك في مجالات الإغاثة وغيرها .. قد تعرض للأذى من قبل آحاد الناس من الأفغان

.. رغم أن السلاح متوفر للجميع .. ولا يصعب على أحد تأمينه ..؟!

ما الذي منع هذا الأفغاني الفقير ذي الثياب الرثة أن يعتدي على الإنسان الأوربي الغني .. رغم

ظلم الآخر له ظلماً حقيقياً .. واعتداء الآخر عليه وعلى بلاده وأهله، وقوت يومه اعتداء حقيقياً ..؟!

إنه دينه وعقيدته وثقافته التي تعرفه أن للمستأمن حق يجب أن يُعطاه وإن كان عدواً ..؟!

أيهما أكثر تحضراً ورقياً هذا الإنسان الأمريكي أو الغربي ذي الثياب الفخمة الجميلة .. الذي يغدر

بالعهد .. ويعتدي على حرمت ونساء المستأمنين .. أم ذلك المسلم الفقير ذي الثياب المهترئة الرثة .. الذي

يُنصف الظالم المعتدي من نفسه؟!

وما قلناه عن أفغانستان وشعب أفغانستان، نقوله عن العراق وشعب العراق .. وعن فلسطين

.. وشعب فلسطين ..!

فرغم أن أمريكا وراء جرائم اليهود في فلسطين .. وعلى مدار أكثر من خمسين عاماً .. فهل يعرف

أحد أن الفلسطينيين المسلمين قاموا بالتعرض بالأذى لأمريكي واحد أو أوربي زائر مستأمن ..؟!

أنظر الفارق الكبير بين معاملة الأمريكيين والأوربيين السيئة لمسلمي أهل الخليج المستأمنين في

بلاد الغرب في هذه الأيام .. وبين معاملة أهل الخليج للأمريكيين والأوربيين الموجودين في بلاد الخليج ..؟!

الذي نريد قوله: أن الرقي والتقدم وكذلك التخلف لا يمكن أن يُقاس بحسب جمال الثياب

وغلائها .. أو بحسب الغنى وكثرة المتاع والاستهلاك للأشياء .. وإنما بالأخلاق والقيم العليا التي يتحلّى بها

شعب دون الآخر .. وتحكم شعباً دون الآخر!

ونريد القول كذلك: أن هذا المسلم المعاهد المستأمن في أمريكا وبلاد الغرب الذي يتعرض لصنوف

من الأذى والإهانات .. مما يجعلنا نشك بقيمة هذا العهد أو الأمان وبمدى فعاليته وقوته .. أو شرعيته!

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ؟!

4- يجب العلم أن هذه الحملة التي تقودها أمريكا ضد الإرهاب هي في حقيقتها حملة صريحة ضد

الإسلام والمسلمين تحت ذريعة حرب الإرهاب والإرهابيين، دل على ذلك أمران:

أولهما: التصريحات الرسمية للمسؤولين الأمريكيين والغربيين: فهاهو الرئيس الأمريكي جورج

بوش يعلنها بكل صراحة ووضوح . كما تناقلت ذلك وسائل الإعلام . بأنها حرب صليبية ضد الإرهاب ..

ستكون طويلة الأمد .. وأن أمريكا غضبت .. ولويل كل الويل لمن تغضب عليه أمريكا وتتسخطه !!..

وكان أمريكا هي الرب الذي إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء .. وهذا عين الكفر .. والطغيان ..

وذروة التكبر والفساد في الأرض .. وما كان كذلك لن يدوم .. وهو أقرب ما يكون إلى الزوال والدمار بإذن

الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا

تَدْمِيرًا﴾.

وكذلك رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير يعلنها صراحة حيث يقول: يجب على الغرب أن يخوض

حرباً ضد الإرهاب ..؟!

لماذا الغرب الصليبي .. لماذا لا يكون الغرب والشرق ..؟!

مما دل أنه يقصد الغرب الصليبي ضد الشرق المسلم مبعث الإرهاب الحقيقي في نظرهم!

دل على ذلك التصريحات المتكررة للمسؤولين الأمريكيين بأن الحرب ضد الإرهاب قد يطال ستين

دولة .. من دول الشرق الإسلامي ..؟!

ثانياً: هذا التبييت المسبق لضرب أفغانستان .. وقبل أن تنتهي أو حتى تبدأ التحقيقات .. فما إن

حصل ما حصل إلا وعبارات الوعيد والتهديد تتوجه مباشرة إلى أفغانستان .. تلك الدولة التي تعمل

بصدق على إحياء المشروع الإسلامي الشامل لجميع جوانب الحياة .. واستئناف حياة إسلامية في ربوع

البلاد .. ولعل هذا مما جعلها الهدف الأول للضربات الأمريكية والغربية..!

وإلا كيف يُفسر هذا الحرص الشديد على إبادة شعب بكامله بجميع مرافق حياته .. من أجل

شخصٍ واحدٍ . كما زعموا! . لم تثبت حتى الساعة إدانته فيما حصل ..؟!

لا يمكن تفسير ذلك إلا أنه حقد صليبي .. وأنها حرب صليبية شعواء على الإسلام والمسلمين ..

يرتبون لها منذ أمد!

حرب على الإرهاب .. أم حرب على الإسلام؟!

الهدف الأمريكي ليس أسامة الموجود في أفغانستان .. وإنما الإسلام .. والتجربة الإسلامية برمتها الموجودة في أفغانستان !!

وتسليم أسامة للسلطات الأمريكية . كما صرح بذلك الأمريكان أنفسهم . لا تنهي المشكلة .. ولا ينهيها إلا القضاء الكامل على الدولة الإسلامية الناشئة في أفغانستان !!

5- هذا الحدث الذي حصل في أمريكا يُعتبر فتنة لكثير من أبناء الأمة .. يُعرف فيه الحق وأهله من الباطل وأهله .. يُعرف فيه المنافق من المؤمن .. ويميز فيه الخبيث من الطيب، كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.

فهاهي دول الشقاق والنفاق كلها ومن دون استثناء تتسارع في الإعلان عن تأييدها الكامل لأمريكا في حربها ضد الإرهاب .. أي ضد الإسلام!

فدولة السعودية . دولة العقيدة والتوحيد كما زعموا !. تعلن بكل وضوح وقوفها الكامل مع أعداء الأمة ضد الأمة .. وتأييدها الكامل لأمريكا فيما تقوم به من حرب للإسلام والمسلمين .. باسم حرب الإرهاب .. زعموا!

وكذلك إيران .. تلك الدولة التي كانت تنادي في كل مناسبة "الموت لأمريكا .. الموت لأمريكا" فلما أمات الله أمريكا .. وأنزل بها سخطه .. صلوا عليها صلاة الغائب .. ووقفوا دقيقة صمت .. مما جعلنا نجزم أن شعارات التنديد بأمريكا التي كانوا يرفعونها ما هي إلا من قبيل الاستهلاك المحلي .. وتضليل الشعوب .. من أجل ترويح عقاندهم ومذاهبهم الباطلة الضالة بين أبناء الأمة ..!

وهم لم يكتفوا بذلك وحسب .. بل ما إن شعروا باقتراب ضرب أمريكا والغرب لأفغانستان .. إلا وقاموا بإغلاق حدود إيران مع أفغانستان حتى لا يُعطوا فرصة لامرأة أو طفل أو شيخ كبير للنفاذ من نيران الضربات الأمريكية .. وما ذلك إلا لأن الشعب الأفغاني شعب مسلم سني لا ينتمي إلى مذهب الرافضة الاثني عشرية الذي تنتمي إليه إيران ..!

هل كانت إيران ستقف هذا الموقف السلبي لو كانت حركة طالبان حركة شيعية ..؟!

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ ؟!

وكذلك القذافي ذلك الطاغية الظالم .. الذي كان دائماً يضحك على شعبه وأمته .. ويتظاهر بأنه ضد أمريكا وظلم أمريكا .. فهاهو يبيع لأمریکا بأن تنتقم لنفسها بالطريقة التي تشاء .. ويأمر شعبه . الذي حاصرته أمريكا لأكثر من عشر سنوات! . بأن يتبرع بدمه لأمریکا !!..
ومثله عرفات .. عميل اليهود والأمريكان .. الذي يحرص في هذه الأيام على إخماد وإيقاف الانتفاضة . نزولاً عند رغبة الصهاينة والأمريكان . ليتفرغ العالم المتآمر على الإسلام . بأقل حرج . للقتال على جبهة أفغانستان !!..

هذا على المستوى الرسمي .. أمّا على المستوى الشخصي فحدث ولا حرج:

فهاهو القرضاوي الذي كان يطالب الأمة بأن تقاطع البضائع الأمريكية .. وأن تمسك عن شراء البيبسي والكوكولا . يوم أن كان الحديث عن ذلك سهلاً . من باب إضعاف وزعزعة الاقتصاد الأمريكي .. فلما ضرب الله اقتصاد أمريكا .. واضطرب اقتصادها .. فإذا هو يناشد الأمة بأن تتبرع بدمها لأمریکا !!
وكذلك الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى السعودي .. فقد هالنا البيان الذي صدر عنه .. وإليك بعض مقاله .. ويا ليتته ما قال!

قال: "فصار الناس إثر ذلك . أي إثر انهيار العمارة . كأنما القيامة قامت وكأن الفرع فزع قيام الساعة .. وكأنما قامت قيام الساعة!!" -أ- هـ.

أقول: قوله هذا فيه استهانة واستخفاف بيوم القيامة .. وبما وصف الله تعالى هول ذلك اليوم

العظيم !!..

أنشبهه يا "اللحيدان" انهيار عمارة .. بقيام الساعة .. وما أدراك ما قيام الساعة: ﴿يَوْمَ تَرُومُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

اتق الله يا اللحيدان .. هذه اللغة لا تناسب مكانتك ووظيفتك .. وهي تذكرنا بلغة أهل الشارع

من عوام الناس الذين اعتادوا أن يقولوا لأي أمر مفاجئ: كأن القيامة قامت .. والعياذ بالله!!

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ !؟

ثم قال: "ومما أثير عما قد يُقال أو تردد في بعض وسائل الإعلام عن الشعب الأمريكي وما قد يكون ينظر للمسلمين المتواجدين في أمريكا من أصل أمريكي أو من وافدين إليها من العرب أو غيرهم، وهل هذا مما يُقبل عقلاً؟

ذكرت وأذكر هنا أنه لا يتوقع أن الشعب الأمريكي الذي يقول عن نفسه أنه من أبرز حماة الديمقراطية، وحامل لواء العدل، لا يُعقل أن ينظر إلى مواطنهم أو ضيوفهم من العرب والمسلمين ومن غير المسلمين من العرب أيضاً لا يمكن أن ينظر لهم الشعب الأمريكي مع ما هو فيه من مناعة وما يفترض فهم العقل، ومعرفة التجانس، وتذكر ما قد حدث في أيام المحن لا يمكن أن ينظر إلى غير المسيء بنظرة للمسيء؛ فإنه لا يستوي المجرم مع غير المجرم، ولا يحمل مسالم موالي ذنب وجريرة معتد ظالم" - هـ.

نراك معجباً بأمريكا ونظامها وشعبها كثيراً .. يا اللحيان !!

نراك معجباً بالديمقراطية الأمريكية .. وبالشعب الأمريكي أبرز حماة الديمقراطية كما قلت ..!!؟

نراك معجباً بالعدالة الأمريكية التي تنزه شعبها عن ظلم الآخرين ..!!؟

كل هذا الظلم الذي ترعاه أمريكا بحق الشعوب المستضعفة من المسلمين .. الذي يعرفه القاصي والداني .. الجاهل والعالم .. لم تر منه شيئاً باللحيان .. حتى تصف أمريكا وشعبها بالعدل والعقل .. وغير ذلك من عبارات الإطراء والمديح ..!!؟

ثم على أمريكا العادلة أن تميز بين المسالم الموالي .. وبين المذنب المعتدي .. كما قال اللحيان ..!

والسؤال الذي نوجهه للحيان: هل يجوز عندك للمسلم أن يكون موالياً لأمريكا راعية الكفر

والإرهاب العالميين ..!!؟

لم يبق لك إلا أن تطالب المجتمع السعودي ليقبلي بالنموذج الأمريكي حامي حامي الديمقراطية،

والعدل، والعقل ..!!

حقاً أنك قاضي .. ولكنك قاضي على الطريقة السعودية .. وفق ما يمليه عليك حكام آل سعود ..

وليس على الطريقة الإسلامية وفق ما يأمرك به الله تعالى .. فقضاؤك يميل مع أهواء ورغبات السياسة

المتنفذين . وهذا شرط عما يبدو لكي تكون رئيس مجلس القضاء الأعلى! . وليس مع الحق الذي يفترض

منك أن تنصره وتنصفه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

6- فإذا عرفنا ما تقدم فاعلم أنه لا يجوز لأحد من المسلمين أن يدخل في موالة ونصرة أمريكا أو غيرها من ملل الكفر على أي طرف إسلامي .. تحت أي زعم أو ذريعة كانت .. ومن يفعل ذلك فهو منهم كافر خارج من الملة .. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ فهذا لا يمكن أن يكون .. ولا يمكن أن يجتمع إيمان واتخاذهم أولياء في قلب امرئ .. لذا أجمع أهل العلم على أن مظاهره المشركين على المسلمين من الكفر الأكبر، كما نقل ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغيره من أهل العلم.

7- يجب على جميع المسلمين . وكل بحسب طاقته واستطاعته . أن يمدوا يد العون والغوث، والنصرة إلى أي طرف إسلامي تعتدي عليه أمريكا وحلفاؤها ..!

وهذا واجب شرعي لا مناص للمسلم أن يتفلت منه .. أويتنكب عنه، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "المسلمون يد على من سواهم، يرد مُشدُّهم . أي قويمهم . على مُضعفهم".

وقال ﷺ: "المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لما يصيب أهل الإيمان، كما يألم الرأس لما يصيب الجسد".

حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلامِ؟!

وقال ﷺ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

وقال ﷺ: "المؤمنون كرجل واحدٍ إذا اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله".

وقال ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه .." أي لا يُسلمه للظلم والقهر والعدوان!..

هذا نداء النبي ﷺ لك يا عبد الله يا مسلم .. فلا تلتفت عنه إلى نداءات أهل النفاق والشقاق والإرجاف . مهما تظاهروا لك بالعلم أو الحكمة .. واتسع صيبتهم وذكرهم في الأمصار . ممن أشربوا في قلوبهم حب الطاغوت .. فهلك وتخسر دنياك وآخرتك، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبها صبراً واحتساباً

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/06/30 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2001/09/18 م

لماذا هذه المماطلة في تحديد معنى ومفهوم الإرهاب ..؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإرهاب ليس ذلك المصطلح المعقد التي تعجز اللغات عن استيعابه وتحديد معناه، ومفهومه،

وأوجه دلالاته ..!

لماذا إذاً هذه المماطلة في الاتفاق على تحديد مفهوم هذا المصطلح رغم وجود الضرورة الملحة

لذلك .. ووجود الأطراف العديدة التي تطالب بذلك .. حتى لا يؤخذ الصالح بالطالح .. والمحق بالمبطل ..

والمشروع بغيره؟!

إصدار قوانين محاربة الإرهاب .. وتجفيف مصادر دعم الإرهاب .. لم يستغرق سوى سويغات

قلائل كما حصل اليوم في مجلس الأمن .. بينما تحديد معنى ومفهوم الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب ..

وأن تُجفف مصادر دعمه .. قد مضى على المطالبة بتحديدته أكثر من عشر سنوات .. وإلى الساعة لم

يُحدد .. لماذا؟!

الذي نراه أن الأسباب التي حملت القوم على هذه المماطلة المتعمدة .. يمكن إيجازها

في النقاط التالية:

1- خشية أن يستفيد المسلمون من تحديد مفهوم الإرهاب .. بحيث يصبح كل ما هو خارج إطار

معنى الإرهاب المتفق عليه .. هو مباح فعله .. وفاعله لا يمكن أن يُدرج أو يُلاحق على أنه من الإرهابيين ..

وهذا مالا يريدونه .. ويحذرون منه أشد الحذر!

2- خشية أن يستفيد من هذا التحديد لمفهوم الإرهاب حركات التحرر في العالم .. وما أكثرها . في

جهادهم ونضالهم للتحرر من هيمنة وطغيان واستعباد المستعمر المحتل .. وهذا مالا يريدونه!

3- تحديد مفهوم الإرهاب .. والاتفاق عليه دولياً .. يمنع كثيراً من الدول الطاغية أن تمارس

الإرهاب بكل ضروبه وأبعاده بحق الشعوب المستضعفة .. وبخاصة منها أمريكا ورببتها دولة الصهاينة

اليهود .. وهذا مالا يريدونه!

لماذا هذه الممطاطلة في تحديد معنى ومفهوم الإرهاب ..؟!

فتغييب تحديد معنى الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب .. يُسهل لقوى الاستكبار الطاغية في الأرض . على نطاق واسع . في أن تتدخل في شؤون البلاد والعباد .. وأن تمارس الإرهاب على أوسع نطاق .. باسم محاربة الإرهاب!

4- تحديد مفهوم الإرهاب .. والاتفاق عليه دولياً .. يلزم بالضرورة إدانة عدد لا بأس به من الدول .. والطواغيت الحاكمين الذين يمارسون الإرهاب بكل أبعاده .. وعلى رأس هذه الدول أمريكا وربيبتها دولة الصهاينة اليهود ..!

فهم لو فعلوا .. وحددوا طبيعة الإرهاب الذي ينبغي أن يُدان ويُحارب، لأدانوا أنفسهم، وحاربوا أنفسهم بأنفسهم .. لو صدقوا!

فنحن نتحداهم أن يُخرجوا لنا تعريفاً للإرهاب .. يتفقون عليه .. من دون أن يكونوا هم أول المتلبسين به قبل غيرهم .. ومن دون أن يكونوا قد اقترفوه ومارسوه . في أقبح صوره وأشكاله . قبل غيرهم ..!

5- تحديد مفهوم الإرهاب .. قد يُظهر جهاد ومقاومة الشعب الفلسطيني ضد الصهاينة اليهود على أنه جهاد مشروع لا يندرج تحت مفهوم الإرهاب .. وهذا يكون اعترافاً ضمناً منهم بأن دولة بني صهيون دولة غازية محتلة .. وهي غير قانونية ولا شرعية .. تستحق الجهاد والمقاومة .. وهذا مالا يريدون أن يقعوا فيه..!

لأجل ذلك هم لا يريدون تحديد مفهوم الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب .. ليبقى ما هو محرم على غيرهم مباح لهم .. وليبقى شعار محاربة الإرهاب .. شعاراً مطاطاً يمكّن القوم من التدخل في شؤون الآخرين كلما لاح لهم أهمية ذلك بالنسبة لأمنهم ومصالحهم الذاتية .. وكل ذلك يتم باسم محاربة الإرهاب والإرهابيين .. زعموا!!

قد هالني تعليق القوم على حدث مفاده أن رجلاً اقتحم مجلس النواب السويسري وقتل منه أربعة عشر نائباً .. وجرح العديد منهم، فقالوا: هذا ليس عملاً إرهابياً .. ولا يرتبط بالإرهاب .. ومر الحدث وكأنه لم يكن .. لماذا ..؟!

لماذا هذه الممطاطلة في تحديد معنى ومفهوم الإرهاب .. ؟!

الجواب: لأن الفاعل سويسري .. ولم يكن مسلماً .. ولا شك أنه لو كان مسلماً لحمل هو وجميع

المسلمين في الأرض وزر الإرهاب .. والعمل بالإرهاب .. فتأمل!!

كل ذلك يجعلنا نضع عشرات إشارات الاستفهام على طبيعة ونوعية ذلك الإرهاب الذي يجيشون

الجيوش .. ويعبئون الشعوب لمحاربتة واستئصاله .. وتجفيف مصادر دعمه؟!

ويجعلنا نجزم . كذلك . أن هذا التنادي إلى مصادرة وتجفيف مصادر دعم الإرهاب .. ما هو في

حقيقته إلا دعوة إلى تجفيف مصادر دعم الفقراء والمساكين المشردين في الخيام .. ضحايا الإرهاب الدولي

الذي تزعمه أمريكا ورببتها دولة عصابات بني صهيون !!

ولو صدقوا في إيقاف دعم الإرهاب .. لأوقفوا أمريكا عن دعم عصابات بني صهيون الإرهابية

المحتلة لأرض فلسطين .. التي تقدم لها في كل عام دعماً بمليارات الدولارات تُجبي كضرائب من الشعب

الأمريكي المغفل .. هذا غير المعونات العسكرية المتطورة التي تقدمها لتلك العصابات الصهيونية الموجودة

على أرض فلسطين .. لتقتل بها الأطفال والنساء .. وغيرهم من الشعب الأعزل!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/07/12هـ

أبو بصير الطرطوسي

2001/09/29م

الإرهاب

معناه وواقعه من منظور إسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثُر في هذه الأيام إثر الحملة الأمريكية على ما يُسمونه بالإرهاب .. استخدام الناس لكلمة الإرهاب .. وتنديدهم بالإرهاب والإرهابيين .. ورمي كل فريق لكل فريق لا يروق له بالإرهاب وممارسة الإرهاب .. رجاء تغريب المجتمع الدولي للانتقام منه !!

فراجت هذه الكلمة بين الخاصة . وفي جميع وسائل إعلامهم المختلفة . قبل العامة من الناس .. وكثير منهم يطلقها ولا يعرف معناها .. فيضعها في غير موضعها .. ويحملها من الأوصاف والمعاني مالا تحتمل .. حتى أصبحت هذه الكلمة . في عرف كثير من الناس . علماً على كل مسبةٍ أو وصف مشين .. وذريعةً لشن الحروب وانتهاك الحرمات .. وتحجيم الحريات .. وممارسة الإرهاب على أوسع نطاق!!

والأخطر من ذلك كله أن يُعلن الحرب على الإرهاب .. ويُعلن الاتفاق على محاربة الإرهاب قبل أن يُحدد هذا الإرهاب الذي يُريدون محاربته .. مما يجعل تحديد ساحة الحرب ضد الإرهاب خاضع لأهواء ورغبات ومصالح الساسة المتنفذين .. فيوسعونها متى شاءوا وحيث ينبغي التضييق .. ويُضيقونها متى شاءوا وحيث ينبغي التوسيع .. فيدخلون من شاءوا في ساحة الإرهاب .. وإن لم يكن على الحقيقة إرهابياً .. ويُخرجون من شاءوا من دائرة الإرهاب وإن كان على الحقيقة إرهابياً مجرماً ملطخاً بدماء الأبرياء من الأطفال والنساء !!

ثم إن الاتفاق على محاربة الإرهاب قبل الاتفاق على تحديد معنى وصفة الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب .. يكون ذريعة لكل فريق أو طرف أن يُعلن الحرب . متى شاء! . على الفريق أو الطرف الآخر باسم محاربة الإرهاب .. وحق الدفاع عن النفس ضد الإرهاب الذي تم التوقيع والاتفاق على محاربته في أروقة الأمم المتحدة .. ومجالس أمنها !!

وعتبي على بني قومي أنهم جُرؤوا إلى حلف الحرب على الإرهاب .. والتوقيع على محاربة الإرهاب .. قبل أن يتفقوا مع الآخرين على معنى وصفة الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب .. مما يجعلهم يوماً من الأيام هدفاً لسهام وقنابل القوم .. تحت اسم محاربة الإرهاب الذي وقعوا . بأنفسهم! . على وجوب محاربتة .. ولا أرى ذلك اليوم ببعيد!!

من هنا جاءت الضرورة الملحة للبحث في معنى وصفة الإرهاب: فما هو الإرهاب .. وما هي أسبابه ودوافعه .. ومن هم الإرهابيون .. وكيف يُمارس الإرهاب في واقعنا المعاصر .. وهل هو صفة عامة لاصقة بجميع الدول والحكومات .. أم أنه صفة خاصة لاصقة ببعض الجماعات والأفراد .. وهل للإرهاب وجه حسن ومشروع .. أم أنه كله مستقبح ومردود .. وهل يجوز للمرء أن يصف نفسه بأنه إرهابي أو غير إرهابي .. وهل هذه الكلمة تعني الذم مطلقاً ..؟!

هذه المسائل وغيرها من المسائل الهامة ذات العلاقة بالموضوع سنجهده . إن شاء الله . أن نجيب عليها في هذا المبحث الوجيز بشيء من التفصيل .. والله المستعان.

. معنى كلمة الإرهاب ومشتقاتها:

قال ابن منظور في كتابه "لسان العرب": زَهَبَ، بالكسر، يَزْهَبُ زَهْبَةً وَزُهْبًا بِالضَّمِّ، وَزَهَبًا بِالْتَحْرِيكِ؛ أَي خَافَ. وَزَهَبَ الشَّيْءُ زَهْبًا وَزَهْبَةً: خَافَهُ.

وفي حديث الدعاء: "رغبة ورهبة إليك"، الرهبة: الخوف والفرع.

وترهب غيره: إذا توعدده. وأرهبه ورهبه واسترهبه: أخافه وفرّعه -هـ.

وفي "النهاية" لابن الأثير: الرَّهْبَةُ: الخوف والفرع. وفي حديث يهزبن حكيم: "إني لأسمع الرأهبة" هي

الحالة التي تُرهب: أي تُفزع وتُخوف. وفي رواية: "أسمعك راهباً" أي خائفاً.

والرهبانِيَّة: منسوبة إلى الرَّهْبَانَةِ، وفيه "لا رهبانِيَّة في الإسلام" هي من رهبنة النصارى، وأصلها من

الرَّهْبَةُ: الخوف؛ كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها والزهد فيها، والعزلة عن أهلها،

وتعمد مشاقها، حتى إنَّ منهم من كان يخصي نفسه، ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع

التعذيب، فنفاها النبي ﷺ عن الإسلام، ونهى المسلمين عنها -هـ.

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

وإليك الآن معنى كلمة الإرهاب كما وردت في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ لأنفال: 60.

قال ابن كثير في التفسير: قوله «ترهبون» أي تخوفون «به عدو الله وعدوكم» أي من الكافرين

ا- هـ.

وقال تعالى في سحرة موسى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: 116.

قال ابن الجوزي في زاد المسير: «واستزهبوهم» أي: خوفوهم. وقال الزجاج: استدعوا رهبتهم حتى رهيم الناس ا- هـ. أي خافهم الناس.

وقال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحشر: 13.

قال ابن كثير في التفسير: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» أي يخافون منكم أكثر من

خوفهم من الله ا- هـ.

نستخلص مما تقدم أن الإرهاب يعني: الخوف .. والفرع، والإرهابي: هو الذي يحدث الخوف

والفرع عند الآخرين.

وعليه فكل من أحدث الخوف والفرع عند الآخرين ممن يريد إخافتهم فهو إرهابي، وقد مارس

بحقهم الإرهاب، وهو يكون بذلك متلبساً بالإرهاب، ومتصفاً به .. سواء تسمى إرهابياً أم لم يتسمى ..

وسواء اعترف بذلك أم لم يعترف.

هذا المعنى المتقدم للإرهاب لا يختلف عما تقرره اللغات الأخرى لمعنى هذه الكلمة، فقد جاء

في "المورد" عن معنى الإرهاب: terror رعب، دُعر، هول، كل ما يوقع الرعب في النفوس. و terrorism إرهاب،

ذعر ناشئ عن الإرهاب. و terrorist الإرهابي. و terrorize يُرهب، يُرَوِّع، يُكرهه على أمرٍ بالإرهاب. و terror-stricken

مُرَوِّع، مذعور.

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

وفي قاموس أكسفورد "Oxford Dictionary": جاء في معنى terrorist: noun person using organized violence to secure political ends. أي الإرهابي هو بخاصة الشخص الذي يستعمل العنف المنظم لضمان نهاية سياسة.

وهذه زيادة في توصيف الإرهابي .. سنستفيد منها عند الحديث عن واقع الإرهاب .. وكيف يُمارس من قبل قوى الظلم والاستكبار في واقعنا المعاصر!

فإن قيل: عرفنا معنى الإرهاب وصفته .. فما هو الوجه المستحسن المشروع منه .. وما هو الوجه المستقبح المذموم منه؟

الجواب: من خلال ما تقدم من تعريف للإرهاب ندرك أن الإرهاب منه ما يكون محموداً ومستحسناً ومشروعاً، ومنه ما يكون مستقبحاً وغير مشروع.

الإرهاب المستحسن المشروع: أما الإرهاب المستحسن المشروع هو الإرهاب الذي يحدث الخوف والفرع عند أهل الباطل والإجرام الذي يردعهم ويمنعهم عن إجرامهم واعتدائهم .. فيرهبهم قبل أن تتجاسر نفوسهم على الاعتداء .. ويمنعهم من التمادي في الاعتداء إن وقع منهم الاعتداء، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾. أي تخوفون بهذه القوة أعداء الله وأعداءكم من الكافرين المجرمين .. فيخافونكم فلا يتجاسرون على الاعتداء عليكم.

والإرهاب في هذا الموضع له فوائد عدة إضافة إلى كونه يمنع العدو ويخوفه من الاعتداء، منها: أنه يوفر على الأمة وعلى الطائفة المؤمنة المنصورة حروباً كثيرة .. إذ يكبح جماح العدو ويحقق عنده الهزيمة .. والنصر عليه .. من دون أن تُشن معه الحروب .. وتُزهق الأنفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ الأحزاب: 26. فهم هُزموا بالرعب .. ووقعوا بالأسر .. وتحت حد القتل والسيوف .. بما أصابهم الله تعالى من خوف ورعب .. إذ الخائف المرعوب لا يصلح للقتال في ميادين المنابذة والقتال !!

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ الحشر: 2. فهم يخربون بيوتهم بأيديهم .. بما تحقق عندهم من الهزيمة النفسية والمادية بسبب ما قذف في قلوبهم من الخوف والرعب .. ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتْنَةَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ كما في صحيح البخاري وغيره أنه قال: "نصرت بالرعب شهراً، يُرعب مني العدو مسيرة شهر". أي نصرت بخوف العدو مني قبل أن أواجهه بمسيرة شهر .. حيث كان العدو يُصاب بالرعب والخوف لمجرد علمه أن جيش النبي ﷺ متوجه إليه .. وبمسيرة شهر كامل .. فهذا إرهاب للعدو .. لكنه إرهاب محمود ومشكور ومطلوب .. إذ لولاه لتجرأ الأعداء على الاعتداء فانتهكوا حرمت العباد والبلاد ..!

ونحو ذلك القصاص الشرعي؛ فإن فيه إرهاب لذوي النفوس الخبيثة والضعيفة فيزجرها ويردعها عن الإقدام على ارتكاب الجريمة .. وإنزال الأضرار بالآخرين .. فيتحقق بذلك الحياة الآمنة لجميع الناس .. كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: 179.

فإن قيل كيف يكون في القصاص حياة والقاتل . بغير حق . يُقتل ويفقد حياته، والسارق تُقطع يده وغير ذلك ..؟!

أقول: عندما يُقام الحد على قاتل النفس بغير حق فيُقتل .. فإن في ذلك إرهاب وتخويف لكل من تحدثه نفسه بارتكاب جريمة القتل .. فينردع وينكشم على نفسه خوفاً من القصاص وإرهاباً منه .. فيُكتب بذلك الحياة لعشرات الأنفس التي كان من الممكن أن تُقتل لولا وجود إرهاب القصاص .. فبذلك يكون القصاص فيه حياة للناس، والله تعالى أعلم.

وكذلك قصاص قطع يد السارق .. فإنه يُرهب كل من تحدثه نفسه بالسرقة والاعتداء على أموال

الآخرين .. فيمتنع .. فيكتب بذلك الحفاظ على أموال وحرمت الآخرين ..!

الإرهابُ "معناه وواقفه من منظور إسلامي"

وكذلك حد الحراية، وقاطع الطريق وغيرها من الحدود .. فإن فيها حياة حقيقية لمن تأملها .. لما تتضمنه من إرهاب رادع لذوي النفوس المريضة والضعيفة .. الذين تسول لهم أنفسهم الأمانة بالسوء بالاعتداء على حرمان الآخرين بغير وجه حق!

هذا هو الوجه الحسن والمشروع للإرهاب .. وهو إرهاب تمارسه جميع الدول والشعوب .. على مر العصور والأزمان وإلى يومنا هذا .. وإلى أن تقوم الساعة!

فما من دولة إلا ولها جيشها وعتادها التي ترهب به أعداءها .. فتخوفه به من التجرؤ على الاعتداء على حدودها، وحرمانها، ومصالحها ..!

هذا التسابق للدول على التسلح .. وعلى اقتناء وشراء الأسلحة المتطورة المتقدمة أولاً بأول .. لإرهاب بعضها البعض .. وإرهاب كل دولة أعداءها من الدول الأخرى .. هو عين الإرهاب .. بمفهومه المتقدم!

اختراع الأسلحة الذرية والنوية الفتاكة .. والتسابق على اقتنائها .. هو عين الإرهاب .. بل ويدخل فيه كل معاني الإرهاب؛ المدموم منها والممدوح .. وما أكثر الدول . التي تتزعم في هذه الأيام محاربة الإرهاب . الواقعة في هذا النوع من الإرهاب!

هذا الاستعراض العسكري السنوي لكل دولة .. فتظهر قوتها وعتادها العسكري على مرأى ومسامع الناس .. هو إرهاب .. وهو من قبيل إرهاب وإخافة أعداء تلك الدولة الداخليين المعارضين . إن وجدوا . والخارجيين سواء ..!

قانون العقوبات التي تسنه الدول لمجتمعاتها . بغض النظر عن فاعليته وصوابه . هو من قبيل الإرهاب .. وإخافة الناس .. ومنعهم من الاعتداء ..!

الشاهد مما تقدم أن هذا النوع من الإرهاب .. تمارسه جميع الدول والمجتمعات .. المتقدمة والمتخلفة منها سواء .. وهو إرهاب ممدوح ومشروع للجميع لا يمكن أن يُدرج تحت طائلة الإرهاب المدموم .. كما لا يُمكن أن يُقال أن هذا النوع من الإرهاب مسموح لجهة معينة دون أخرى .. أو دولة معينة دون أخرى!

ومن الإرهاب المستحسن المشروع كذلك جهاد وقاتل العدو المحتل لبلاد الآخرين .. وإرهابه بالقتال وغير ذلك إلى أن يخرج مذموماً مدحوراً .. وهذا لا خلاف على وجوبه وشرعيته .. حتى في قوانين الأمم المتحدة .. ومجالس أمنها .. التي تنص على أن لكل دولة أو شعب أو فرد معتدى عليه .. له كامل الحق في الدفاع عن نفسه .. وطرد المعتدي الغازي لبلاده !..

مع التنبيه إلى أن هذه القوانين التي تدين المعتدي الغازي سرعان ما تنقلب وتنعكس . على مذهب الأمم المتحدة التي يهيمن عليها النفوذ الأمريكي . لصالح الغازي المعتدي .. حيث يُصبح اعتداء الغازي المعتدي مشروعاً وحقاً من حقوقه .. ومقاومة الشعب المعتدى عليه . وبخاصة إن كان من المسلمين . لذلك العدوان هو باطل .. ويُصنف على أنه من الإرهاب المذموم الذي يجب أن يُحارب .. كما هو حاصل تماماً في فلسطين المحتلة من قبل الصهاينة اليهود .. وغيرها من بلاد المسلمين!

ومنها: أي من فوائد هذا النوع من الإرهاب كذلك إضافة لما تقدم .. تحقيق الأمن والأمان للبلاد والعباد .. فلا يخاف أحد على نفسه ولا على أهله أو ماله .. لخوف المجرمين ودخولهم في جحورهم، وانكماشهم عن فعل الإجرام لعلمهم المسبق بما يمكن أن ينزل بهم لو أقدموا على فعل شيء من ذلك !.. هذه بعض أوجه الإرهاب المستحسن المشروع .. فما هو الإرهاب المذموم المستقبح .. وما هي صوره وأشكاله .. وكيف يُمارس في واقعنا المعاصر..؟

الإرهاب المستقبح المذموم والغير مشروع: هو وضع الإرهاب في غير موضعه، ولغرض

يراد منه إحقاق الباطل، وإبطال الحق⁽¹⁾.

¹ قد يرد اعتراض يقول: من الذي يُحدد الإرهاب المستحسن المشروع من الإرهاب المستقبح الغير مشروع .. فما يمكن أن تراه موضعاً مناسباً للإرهاب قد يراه غيرك موضعاً غير مناسب .. وما تراه أنت حقاً قد يراه غيرك باطلاً .. فكيف يمكن الاتفاق على مثل هذه التقسيمات والتحديدات .. ولمن الحكم فيها؟!
الجواب: نقول بكل وضوح وبساطة أن الحكم في هذه المسائل وغيرها من المسائل .. وكل ما يمكن أن يحصل فيه نزاع بين الناس هو لله تعالى وحده .. وليس للأمم المتحدة، ولا لغيرها من الهيئات والتجمعات .. وذلك لأسباب عدة منها: أن الله تعالى أمر عباده بأن يحتكموا إليه ﷻ وإلى ما شرعه من شرائع وأحكام على لسان أنبيائه ورسله صلوات الله

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

فقصده قتل الأنفس بغير حق .. وقطع السبيل على الأمنيين والمستأمنين، والاعتداء على حرمتهم

.. هو إجرام ومن الإرهاب المذموم الغير مشروع !!

ومنه قصد إرهاب الأطفال والنساء والشيوخ .. وغيرهم ممن لا تجوز إخافتهم .. بأي نوع من أنواع

الإرهاب أو الترويع .. فهو إرهاب مستقبح مذموم وغير مشروع !!

ومنه الإسراف في القتل والانتقام والثأر .. ليطال الأبرياء الأمنيين .. ومن لا دخل لهم في الأمر ..

فهذا إرهاب مذموم ومستقبح شرعاً وعقلاً .. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ الإسراء: 33.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام: 164. وهذه الآية الكريمة قد تكررت في عدة مواضع

من القرآن الكريم؛ كما في سورة الإسراء، آية (15). وسورة فاطر، آية (18). وسورة الزمر، آية (7).

وسورة النجم، آية (38). وما ذلك إلا للتوكيد على أهمية هذا المبدأ العظيم .. وهو أن المرء لا يؤخذ

بجريرة وذنب غيره.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يؤخذ الرجل بجريرة أخيه، ولا بجريرة أبيه"

ومنها: أن حكم الله تعالى هو العدل المطلق الذي لا يحايي مخلوقاً .. بخلاف المخلوق فإنه .

مهما اجتهد . لا بد له أن يقع في المحاباة وتحت طائلة الهوى، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر: 20.

ومنها: أن حكم الله تعالى هو الأقرب للعقول السليمة، والفطر السوية، والأنفس المجردة عن

التعصب والحقد .. وبالتالي أن ترضى به.

تعالى عليهم، ولا مناص لهم من التنكب عن ذلك ما داموا يؤمنون بالله ورسوله؛ فالمسألة من هذا الوجه لها بعد عقدي

وإيماني كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الأنعام: 57.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: 40.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ النساء: 59.

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

لذلك قلنا ونقول: أن هذه المسائل وغيرها من المسائل يجب أن تُرد لحكم الله تعالى وحده ..
وليس لأحد سواه.

فإن قيل: مشكلة الإرهاب عالمية .. وهذا المنطق المتقدم لا يمكن أن تخاطب به غير المسلمين؟!

أقول: إن كان حكم الله تعالى العليم الحكيم لا يمكن أن نجمع عليه الجميع .. فمن باب أولى أن لا يتحقق هذا الاجتماع على حكم مخلوق ضعيف جاهل .. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 216.

ثم إن أبي الآخرون إلا التخبط في أهوائهم وتقسيماتهم، وعدم المتابعة .. يكفي أن تكون هذه المشكلة . مشكلة الإرهاب . محسومة وواضحة المعالم .. عند أكثر من مليار ونصف المليار مسلم . أخيه". فضلاً أن يؤخذ شعب بكامله بجريرة شخص معين .. كما هو حاصل في شريعة الأمم المتحدة .. التي تمثل شريعة الإنسان الأوروبي القوي!

ومن الإرهاب المذموم كذلك إرهاب الناس إلى حدٍ يمنعهم من ممارسة حقوقهم الأساسية .. أو المطالبة بها .. كما هو حال كثير من الأنظمة السياسية الحاكمة في هذا العصر! ومنه إكراه الناس وحملهم على المسير في اتجاه معين .. واختيار معين .. بواسطة الإرهاب والتخويف، والتجويع .. وترويع كل من يخالف أو يعارض ..!

ومنه اتباع سياسة "الغايات تبرر الوسائل" .. فمن أجل غايات وضيعة قد تكون مادية .. وذات طابع أناني وشخصي وضيق .. يعتدون على حرمة العباد والبلاد .. وشعوب بكاملها .. بصنوف من الترويع والتخويف والتجويع والإرهاب .. فهذا كذلك من الإرهاب المذموم المستقبح والغير مشروع ..! فهذا وجميع ما تقدم يدخل دخولاً كلياً في الإرهاب المذموم والمستقبح شرعاً وعقلاً .. وإليك الآن بعض صور هذا النوع من الإرهاب .. ومشاهده وأدلته .. كما نعايشه ونراه في واقعنا المعاصر .. عسى أن تقترب وتتضح إليك صورة هذا الإرهاب المذموم أكثر فأكثر:

نبتدئ بالحصار الأمريكي . ومعها المجتمع الدولي المتحضر . الجائر الذي كان سبباً مباشراً .
حسب إحصائيات الأمم المتحدة ذاتها . في قتل أكثر من مليون ونصف المليون طفل عراقي .. تحت
طائلة الجوع والمرض !..

زعموا . وقد كذبوا! . أنهم يريدون من هذا الحصار والطوق الشائك الملفوف على أعناق شعب
العراق المسلم .. تأديب ومعاقبة صدام وحزبه .. وهاهي تمر أكثر من عشر سنوات عجاف على شعب
العراق .. وصدام وحزبه يزداد في كل يوم عافية وسمنة .. بينما شعب العراق وأطفال العراق ..
يزدادون يوماً بعد يوم موتاً وهلاكاً ومرضاً وفقراً !..

قتل مليون ونصف المليون طفل .. أكثرهم أعمارهم دون السنة الخامسة .. تحضر ورتقي
ومشروع .. مادام القاتل هو الإنسان الأمريكي أو الأوربي الراقى والمتحضر !..

أين الجهة القوية والمسؤولة التي تقول لأمريكا . التي تشن في هذه الأيام حرباً على الإرهاب
زعمت! . أنت بقتلك لهؤلاء الأطفال تمارسين قمة الإرهاب المذموم والمستقبح شرعاً وعقلاً !..?
كم من مرة تنقل لنا وسائل الإعلام عن قصص الطائرات الأمريكية والبريطانية للعراق ثم
تكون ضحايا ذلك القصف . المركز والنظيف! . من الأطفال والنساء والشيوخ .. ومن دون أن يقدموا
أدنى اعتذار لشعب وأطفال ونساء العراق !..?
وعن جرائم وإرهاب عصابات بني صهيون في فلسطين .. حدث ولا حرج .. فإن اليهود الصهاينة

ومنذ احتلالهم لأرض فلسطين وإلى الساعة يمارسون أقبح الجرائم الإرهابية البشعة بحق الشيوخ
والأطفال والنساء .. وغيرهم من المدنيين !..

فتاريخهم حافل بالجرائم وممارسة أقبح أنواع وصور الإرهاب .. وإليك هذا النذر القليل من
جرائمهم الإرهابية بحق الشعب الفلسطيني المسلم الأعزل:

1- مجزرة بلدة الشيخ بتاريخ 1947/12/31 م ، حيث كان ضحاياها أكثر من (600) شخصاً:

أكثرهم من النساء والأطفال والشيوخ !..

2- مجزرة قرية سعسع الجليل .. وقد دمروا فيها أكثر من عشرين منزلاً .. غير الذي قتلوه من

أهل القرية المدنيين .. وكان ذلك بتاريخ 1948/2/14 م !..

- 3- مذبحه قرية أبو كبير .. وكان ضحاياها بالعشرات من المدنيين .. وكان ذلك بتاريخ 1948/3/31 م.
- 4- مجزرة دار ياسين الشهيرة بتاريخ 1948/4/10 م، حيث يزيد ضحاياها عن (360) شخصاً .. أكثرهم من النساء والأطفال والشيخوخة !!
- 5- مذبحه قرية أبو شوشة بتاريخ 1948/5/14 م، وضحاياها يزيدون عن الخمسين شخصاً!!
- 6- مجزرة اللد بتاريخ 1948/7/11 م، وضحاياها يزيدون عن (426) شخصاً من المدنيين .. أكثرهم من الأطفال والشيخوخة والنساء !!
- 7- مذبحه قرية عيليون بتاريخ 1948/10/30 م ... وكان ضحاياها بالعشرات!
- 8- مجزرة البعنة، ودير الأسد بتاريخ 1948/10/30 م ... وكان ضحاياها بالعشرات!
- 9- مجزرة قرية قبية بتاريخ 1953/10/14 .. وقد دمر فيها عشرات المنازل .. وكان ضحاياها أكثر من (67) شخصاً !!
- 10- مذبحه قرية قلقيلية بتاريخ 1956/10/10 م ... وكان ضحاياها بالعشرات !
- 11- مجزرة قرية كفر قاسم بتاريخ 1956/10/29 م .. وكان ضحاياها بالعشرات !
- 12- مذبحه مخيم خان يونس جنوب قطاع غزة بتاريخ بتاريخ 1956/11/3 م، وكان ضحاياها يزيدون عن (250) شخصاً !!
- 13- مذبحه مخيمي صبرا وشاتيلا بتاريخ 1982/9/18 .. التي كان بطلها أرئيل شارون رئيس الوزراء الحالي لدولة الصهاينة اليهود .. وكان ضحايا هذه المجزرة يزيدون عن (3500) شخصاً أكثرهم من الأطفال والنساء والشيخوخة !!
- هذا قليل من كثير .. فمجازر بني صهيون بحق المدنيين الفلسطينيين يصعب حصرها في هذه الأوراق .. فهم في كل يوم يُضيفون إلى سجلهم الإرهابي والإجرامي مجزرة ومذبحه جديدة بحق شعب وأطفال فلسطين .. وما أخبار الدرة .. والطفلة إيمان .. وسياسة الاغتيالات لشركائهم في السلام والاستسلام .. وغيرهم .. عن مسامع العالم ببعيد !!

الإرهابُ "معناه وواقفه من منظور إسلامي"

يمارسون قمة العنف والإرهاب المسلح والمنظم ليكرهوا الشعب الفلسطيني على خيار الهجرة

.. وترك الأرض .. وافتراش مخيمات النذل والضياع !!..

هذا الإرهاب وغيره .. كله يُمارس على مرأى ومسمع من العالم .. من دون أن يقولوا فيه كلمة

شجب أو استنكار .. أو أن يصفوه بمجرد كلمة إرهاب .. وذلك كله لأن أمريكا هي التي ترعاه وتدعمه

وتموله وتؤيده !!..

يكفي لكي تعلم مدى تحمل أمريكا لتبعات إجرام وإرهاب عصابات بني صهيون .. أن تعلم أن

أمريكا في كل عام تقطع من خزينة شعبيها ما يزيد عن ثلاث مليارات دولار أمريكي تقدمها كمساعدات

نقدية .. غير المساعدات العسكرية المتطورة التي تقدمها أمريكا لعصابات بني صهيون .. لكي تمارس

بهذه الآلة العسكرية الضخمة والمتطورة سياستها الإرهابية بحق الشعب الفلسطيني الأعزل !!..

هذا كله في عرف الأمم المتحدة .. والمجتمع الدولي .. ليس دعماً للإرهاب .. ولا إيواً للإرهاب

.. بينما الجمعيات الخيرية الإسلامية التي تنشط في تأمين بعض حاجيات من شردهم الإرهاب في

المخيمات وعلى حدود الدول الأخرى .. هو دعم للإرهاب .. يجب أن يُصادر .. وأن تُجفف ينابيعه ..

ويوقف العمل به !!؟..

أما في أفغانستان وما يُمارس بحق الشعب المسلم الأفغاني من إرهاب دولي ومنظم فحدث

عنه ولا حرج .. فالقائمة طويلة .. نجتزئ منها التالي:

. هذا الحصار المضروب منذ سنوات . وإلى الساعة . على أفغانستان وشعب أفغانستان .. التي

كانت من ضحاياه تجويع شعب بكامله .. وبخاصة منهم الأطفال والنساء والشيوخ .. هو قمة الإرهاب

المستقبح الذي يمارسه المجتمع الدولي . بقيادة أمريكا . باسم محاربة الإرهاب .. زعموا!

. هذا العرض العسكري الضخم للقوات الأمريكية الذي تقدم قصف أفغانستان .. والذي

أدى إلى إرعاب وإخافة الناس .. فهاجر من جراء ذلك أكثر من مليون شخص أفغاني أكثرهم من

المستضعفين من النساء والأطفال .. فتركوا ديارهم ومنازلهم ليفترشوا الأرض ويلتحفوا السماء ..

على حدود دولة باكستان .. أليس هذا من الإرهاب !!؟..

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

هذا القصف الطائش للقوات الأمريكية والبريطانية على أفغانستان .. بأحدث وأخطر الأسلحة .. ليطال المئات من الأطفال والنساء والشيوخ .. وغيرهم من المدنيين .. أليس هذا من الإرهاب !!؟..

متى كانت مطاردة شخص بعينه .. مبرراً لإبادة وتشريد، وتجويع شعب بكامله ..؟! إذا كان المرء لا يجوز أن يؤخذ بجريمة غيره .. فكيف يجوز أن يؤخذ شعب بكامله بجريمة شخص معين ..؟!..

متى كان الخلاف مع شخص مبرراً لانتهاك حرمت بلاد بكاملها ..؟! لا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن الشريعة السائدة في هذا الزمان هي العدالة الأمريكية .. وشريعة الأمم المتحدة على الإسلام والمسلمين ..؟!..

إنه من الغرابة حقاً التي تستدعي السخرية .. أن تسمي أمريكا حملتها العسكرية الإرهابية هذه على شعب ومسلمي أفغانستان بـ"عملية الحرية الراسخة" ..؟! أي حرية هذه التي تريدها أمريكا .. من إبادة وقتل شعب بكامله ..؟!..

أي حرية هذه التي تريدها أمريكا .. وهي تقسم . بالقوة وإرهاب السلاح . العالم إلى فريقين لا ثالث لهما .. فريق معها .. وفريق عليها .. وهو الفريق الذي لا يطاوعها على حربها ضد الإرهاب .. زعمت!

فكل دولة أو شعب لا يطاوعها ولا يدخل في مولاتها في حربها الظالمة ضد شعب أفغانستان .. فهو شعب إرهابي .. ونظامه نظام إرهابي .. ستطاله الحرب والنيران الأمريكية في حملتها ضد الإرهاب ..!

أي حرية هذه التي تريدها أمريكا .. وهي تكتم الأفواه .. وترهب الإعلام من نقدها ونقد إرهابها وطغيانها .. كما حصل مؤخراً في موقفها من قناة الجزيرة وغيرها من القنوات .. إلى أن وصل بها الموصول أن تلزم وكالات الأنباء بأن ينشروا كذا؛ وهو كل ما يصب في صالحها .. وأن لا ينشروا كذا؛ وهو كل ما يصب في صالح عدوها ..؟!..

فأي إرهاب للشعوب يعلو هذا الإرهاب .. وأي كبت للحرقات يفوق هذا الكبت !!؟

أي حرية هذه التي تنشدها أمريكا .. وهي تقتلع نظاماً سياسياً . بوسائل العنف والتدمير والتأمر . ارتضاه . باعتراف الجميع . أكثر من 95 % من مجموع الناس .. لتستبدله بنظام عميل لها .. لا يمثل إلا نفسه؟!!

ألم يأت في تعريف الإرهابي . كما تقدم في قاموسهم؛ قاموس أكسفورد . بأن الإرهابي هو: "بخاصة الشخص الذي يستعمل العنف المنظم لضمان نهاية سياسية" .. وهذا الذي تفعله أمريكا وحلفاؤها الآن بحق شعب أفغانستان والنظام السياسي الذي يمثله ..!

فأمريكا إضافة إلى نشاطها العسكري العنيف والمكثف لإسقاط دولة ونظام طالبان .. فهي . والمجتمع الدولي معها . تمد قوى المعارضة في الشمال التي تمثل الفئة الأقل في أفغانستان بجميع وسائل الدعم المادي والعسكري والسياسي والإعلامي .. من أجل الوصول إلى نهاية سياسية معينة ألا وهي إسقاط دولة طالبان الحرة التي تمثل الأكثرية .. واستبدالها بدولة تمثلها المعارضة المنبوذة الخائنة العميلة .. وتكون موالية لأمريكا والغرب .. وهذا هو الإرهاب .. والإرهابي كما اتفقوا هم أنفسهم على تسميته بذلك .. وفي قواميسهم ..!

فإن قيل: كيف عرفت أن المعارضة الشمالية لا تمثل الأكثرية .. وهي منبوذة من قبل شعب

أفغانستان ..؟

أقول: الجواب على ذلك سهل .. يدركه كل منصف .. ولعل أبرز ما يجعلنا نجزم بذلك أن هذه الآلاف والملايين التي اضطرت للهجرة إلى دولة باكستان لم يتوجه أحد منهم إلى المناطق الشمالية التي تستولي عليها قوى المعارضة الخائنة العميلة .. مع علمهم المسبق أن هذه المناطق لن تقصفها القوات الأمريكية .. ولن يتعرض سكانها للقصف أو أي ضرر .. وأن المعونات الدولية تخصصها بالعطايا مالا تخص غيرها من المناطق .. ومع ذلك فهم آثروا القل .. والجوع .. والموت على حدود باكستان ولا أن يذهب أحد منهم إلى مناطق تلك المعارضة المشبوهة الخائنة في شمال أفغانستان ..!

ومن صور الإرهاب المستقبح كذلك .. هو ما رآه العالم من إرهاب فظيع بحق الشعب المسلم

في الشيشان .. وفي البوسنة والهرسك .. وفي كشمير .. وفي كوسوفو .. وفي جزر الملوك الأندونيسية ..

حيث المجازر والمقابر الجماعية لا تزال إلى الساعة شاهدة على إجرام وإرهاب القوم .. والتي حصلت

ولا تزال إلى الساعة تحصل .. على مرأى ومسمع من المجتمع الدولي المتحضر .. بل ومباركته !!..

ولو أردنا أن نقف عند مجازر القوم بحق المدنيين والمستضعفين .. مجزرة مجزرة .. وذكر

تفاصيل كل مجزرة لطال بنا المقام .. واحتاج ذلك منا إلى مجلدات !!..

وغرضنا هنا التمثيل لتقريب صورة الإرهاب المستقبح شرعاً وعقلاً .. والإرهابي المجرم الذي

يستحق العقاب .. وليس الاستقصاء أو الإحصاء .. فهذا مجاله الأبحاث الإحصائية وهي متوفرة . في

مكتبة الأمم المتحدة! . لمن يريدتها !!..

خلاصة ما تقدم: من خلال ما تقدم ندرك أن الإرهاب منه ما يكون مذموماً ومستقبحاً ..

ومنه ما يكون ممدوحاً ومشروعاً بحسب التفصيل المتقدم.

وبالتالي لا يستحسن أن يُطلق المرء على نفسه بأنه إرهابي . كما يفعل ذلك بعض الشباب

المتحمس من قبيل ردة الفعل مما يُشاهده من ازدواجية في المعايير والتقييم في توصيف ومحاربة

الإرهاب . أو غير إرهابي من دون أن يُشير إلى نوع الإرهاب الذي يثبتته لنفسه، ونوع الإرهاب الذي ينفيه

عن نفسه .. وبخاصة أننا في هذه الأيام نعيش حملة شعواء على الإرهاب .. مزيفة المعنى والمضمون

.. والوسائل والأهداف .. مما جعل هذه الكلمة في أذهان كثير من الناس تعني السب والقبح والإجرام،

والاعتداء على حرمة الأمنين .. وهذا لا بد من اعتباره عند الانتساب لهذه الكلمة .. والله تعالى أعلم.

. المجتمع الدولي والإرهاب:

قد أصدرت الأمم المتحدة عدة قوانين . وفي فترة زمنية وجيزة قياسية . تعلن فيها الحرب على

الإرهاب .. والإرهابيين .. ومن دون أن تحدد صفة ونوعية وشكل هذا الإرهاب الذي تريد محاربته ..

وتلزم الدول التوقيع على محاربته .. وهذا يشكل فراغاً قانونياً كبيراً وخلاً حقيقياً في محاربة

واستئصال الإرهاب الحقيقي المذموم !!..

نراهم يصدرون عشرات القوانين . وبطريقة عصبية .. وحالة نفسية مضطربة غير متزنة في

سويغات عدة . تدين الإرهاب .. وتلاحق الإرهاب .. وتجفف مصادر الإرهاب .. ومن دون أن يحددوا

صفة وهوية هذا الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب أو أن تُجفف ينابيعه ومصادر دعمه .. علماً أنه قد مضى على المطالبة بتعريف محدد للإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب منذ أكثر من عشر سنوات ومن جهات عدة .. ولكن إلى الساعة لم يفعلوا ذلك .. لماذا!؟!

هذا سؤال هام قد أجبت عليه في مقال آخر .. أعيد هنا تلخيص الإجابة عليه في

النقاط التالية:

- 1- تعريف الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب، وتحديد معالمه وصفته .. يجعل كل ما هو خارج هذا التعريف والتوصيف ليس إرهاباً .. والمتحرك في تلك المساحة التي هي خارج ذلك التوصيف والتعريف . وبخاصة إن كان إسلامياً . لم يعد من الممكن أن يُلاحق على أنه إرهابي .. وأن ما يقوم به من أعمال كذلك لا يمكن أن تُصنّف على أنها أعمال إرهابية .. وهذا مالا يريدونه أن يقع أو يكون! ..
- 2- هذا التحديد لمعاني الإرهاب الذي ينبغي محاربتة .. قد تستفيد منه حركات التحرر في العالم . وما أكثرها . في جهادهم ونضالهم لتحرر من هيمنة وطغيان واستعباد المستعمر المحتل .. بحيث أنها تتحرك خارج إطار الإرهاب المتفق على إدانته .. وهذا مالا يريدونه أن يقع أو يكون! ..
- 3- تحديد مفهوم الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب والاتفاق عليه .. يمنع كثيراً من الدول الطاغية أن تمارس ما تشاء من صور الإرهاب بحق الشعوب المستضعفة .. وقت تشاء .. وبخاصة منها أمريكا راعية الإرهاب العالمي .. ورببتها دولة الصهاينة اليهود .. وهذا مالا يريدونه أن يقع أو يكون! ..

فتغييب تحديد معنى الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب .. يُسهل لقوى الاستكبار والظلم في الأرض . على نطاق واسع . في أن تتدخل في شؤون البلاد والعباد .. وأن تمارس الإرهاب على أوسع نطاق .. باسم محاربة الإرهاب .. ومطاردة الإرهابيين! ..

كما أن تغييب تحديد معنى الإرهاب .. يجعل من هذا المصطلح معنى مطاطاً خاضعاً لأهواء ورغبات الساسة المتنفذين .. فيدخلون من شاءوا . ووقت يشاءون . في الإرهاب .. وتحت طائلة ملاحقة

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

الإرهاب .. وإن لم يكن على الحقيقة إرهابياً .. ويخرجون من شاءوا من دائرة الإرهاب .. وإن كان إرهابياً مجرماً على الحقيقة والتحقيق!

4- تحديد مفهوم ومعنى الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب ويُحاصر .. قد يُظهر جهاد ومقاومة الشعب الفلسطيني ضد الصهاينة اليهود على أنه جهاد مشروع لا يندرج تحت مفهوم الإرهاب .. وهذا يعني اعترافاً ضمنياً بأن دولة الصهاينة اليهود دولة محتلة ومغتصبة لحقوق الآخرين، لا شرعية لها .. تستحق المقاومة والجهاد .. إلى أن يتحقق الجلاء .. وهذا مالا يريدونه أن يقع أو أن يكون شيئاً منه ..!

5- تحديد مفهوم الإرهاب .. والاتفاق عليه دولياً .. يلزم بالضرورة إدانة الدول الطاغية المتلبسة . كمّاً ونوعاً . بجميع ضروب الإرهاب .. وعلى رأس تلك الدول أمريكا ورببتها دولة الصهاينة اليهود ..!

فهم لو فعلوا .. وحددوا طبيعة الإرهاب الذي ينبغي أن يُدان ويُحارب، لأدانوا أنفسهم بأنفسهم .. وحاربوا أنفسهم بأنفسهم لو صدقوا !

فنحن نتحداهم أن يُخرجوا لنا تعريفاً للإرهاب يتفقون عليه .. من دون أن يرتد عليهم ويكونوا هم أول المتلبسين به قبل غيرهم .. ومن دون أن يكونوا هم قد اقترفوه ومارسوه . في أقبح صوره وأشكاله . قبل غيرهم ..!

فلو قالوا الإرهاب هو قتل المدنيين وترويعهم .. فهم أول من قتل المدنيين وروعوهم .. كما هو حاصل في أماكن عدة تقدمت الإشارة إليها!

ولو قالوا الإرهاب قتل وترويع الأطفال .. فهم أول من قتل وروع الأطفال .. وأكبر شاهد على ذلك أطفال العراق .. وأفغانستان .. وفلسطين .. والشيشان .. والبوسنة والهرسك .. وما أطول القائمة!

ولو قالوا الإرهاب هو إلقاء القنابل النووية التي تؤدي إلى قتل وترويع الأبرياء .. فهم أول من ألقوا القنابل النووية على هروشيما .. وفي أماكن عدة غيرها..!

وهاهم اليوم يروضون العالم لتقبل استخدام الأسلحة النووية ضد أفغانستان .. وضد شعب وأطفال أفغانستان .. من خلال ربطهم مرض "الجمرة الخبيثة" بأسامة بن لادن .. وبالقاعدة .. ليقولوا للناس قد اعتدي على أمريكا بالأسلحة الكيماوية .. وبالتالي من حقها . كما تنص على ذلك الأمم المتحدة! . أن ترد على الاعتداء بالمثل وبنفس السلاح .. وهذا كله سيكون في حال عجزت أمريكا وحلفاؤها من تحقيق أهدافهم القريبة والبعيدة في أفغانستان من خلال استخدام أسلحتهم المتطورة الجوية والبحرية والبرية ..!

ولو قالوا الإرهاب هو استخدام العنف لضمان نهاية سياسية معينة .. فهم أول من سلك ويسلك هذا الطريق .. فدعمهم لعصابات بني صهيون عن طريق العنف المسلح من أجل إقامة دولتهم في فلسطين .. وكذلك دعم حركات التمرد الإرهابية في جنوب السودان ضد حكومة السودان .. ودعم المعارضة العراقية وتدريبها على السلاح لتمارس عمليات الاغتيال والتفجير في العراق .. وأخيراً دعم الشريعة القليلة المعارضة في شمال أفغانستان بقوة السلاح .. وتشجيعهم على قتل أبناء بلدهم ودينهم .. كل ذلك شاهد عليهم وعلى إرهابهم وإجرامهم .. وأنهم أول من سلك هذا الطريق .. وأول من سنّه وشجع عليه!

ولو قالوا الإرهاب هو الاغتيالات السياسية .. فهم أول من فعل ذلك ويفعلوه ..! فكيفما فسروا الإرهاب .. سيجدون أنفسهم أنهم أول المدانين بهذا الإرهاب .. وأن سهامهم المسمومة سترتد إلى نحورهم وصدورهم .. لذا نجزم أنهم لن يتفقوا على تعريف محدد للإرهاب يلتزمون به .. ليبقى ما هو محرم على غيرهم مباح لهم .. وليبقى شعار محاربة الإرهاب هو الشعار المناسب والمطاط الذي يسمح لهم بالتدخل في شؤون الآخرين كلما لاح لهم أهمية ذلك بالنسبة لأنهم ومصالحهم الذاتية ..!

ويجعلنا نجزم كذلك أن هذا التنادي المحموم إلى مصادرة وتجفيف مصادر دعم الإرهاب .. ما هو في حقيقته إلا دعوة لتجفيف مصادر دعم الفقراء والمساكين المشردين في الخيام .. الذين شردهم الإرهاب الدولي المنظم الذي تزعمه أمريكا ورببتها دولة عصابات بني صهيون ..!

جميع الأرصدة البنكية التي تمت مصادرتها وتجميدها هي تابعة لجمعيات وجهات خيرية إسلامية .. لم نسمع أنهم جمدوا أو صادروا حساباً واحداً تابعاً لجهة نصرانية .. أو يهودية .. أو مجوسية وثنية .. أو علمانية .. مما يجعلنا نضع عشرات إشارات الاستفهام حول غايات هذه الحملة المسعورة على الأنشطة الخيرية الإسلامية ذات الطابع الإنساني .. باسم مصادرة وتجفيف دعم الإرهاب .. زعموا؟!!!

ولو صدقوا في إيقاف ودعم الإرهاب .. لأوقفوا أمريكا عن دعم عصابات بني صهيون الإرهابية المحتلة لأرض فلسطين .. التي تقدم لها في كل عام أكثر من ثلاثة مليارات دولار تُجبي وتُقتطع كضرائب من الشعب الأمريكي المغفل .. هذا غير المعونات العسكرية المتطورة التي تقدمها لها كهبة لتقتل بها الشعب الفلسطيني الأعزل!..

قالوا: قد نصت قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على التأكيد الراسخ للفرد أو الجماعة في الدفاع عن النفس، كما هو معترف به في ميثاق الأمم المتحدة، وكما هو مؤكد في القرار [2001 /1362](1).

نقول لهم بكل وضوح وصراحة أن الإنسان في كثير من البلدان وبخاصة منها العربية والتي تسمي نفسها بأنها إسلامية قد تسلطت عليها أنظمة فاشية طاغية خائنة عميلة لا تقيم للإنسان وزناً .. فقد قتلوا فيه كل معاني العزة والحرية والكرامة .. واعتدوا على جميع حرمانه وحقوقه بكل ما تعني كلمة الاعتداء من معنى .. ومع كل ذلك فقد كرموا الأفواه ولم يسمحوا للإنسان أن يقول للجلاد مجرد قف . ولو للحظة . عن جلدي .. وعن اغتصاب حقيقي!..

أفتونا يا أمها الأمم المتحدة . ولا نظنكم أهلاً للإفتاء . ماذا يفعل هذا الإنسان .. إن دافع عن نفسه، وعن حرمانه .. وأزاح السكينة عن رقبتة ورقبة أطفاله قلتم عنه إرهابي .. وطاردموه وحاصرتموه .. وقطعتم عليه سبل العيش والرزق .. وقلتم عنه قد استخدم العنف في رد الاعتداء

¹ انظر نص قرار مجلس الأمن المنشور في جريدة "الشرق الأوسط" في عددها الصادر بـ 2001/9/30.

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

.. وإن سكت واستكان ضاعت الحقوق كلها .. وانتهكت الحرمات .. وقلتم عنه من حقه أن يُدافع عن نفسه..!!؟

فنحن . وهذا لسان حال آلاف بل وملايين الناس ممن يعيشون في الشرق الأوسط . في حيرة من أمرنا .. فنحن بين نارين .. بين نارسياط الجلادين الإرهابيين .. وبين نارقوانين الإرهاب الصادرة عن الأمم المتحدة التي لم تحسن التمييز بين الظالم والمظلوم .. وبين المعتدي والمعتدى عليه .. والتي جاءت لتلبي حاجيات أمريكا وحلفائها في فترة زمنية معينة فقط !؟

ثم هل الإنسان الأوربي لو تم الاعتداء على حقوقه .. وحرياته .. وخصوصياته .. وحرماته بالصورة التي يُعتدى فيها على الإنسان العربي المسلم .. ثم هو يدافع عن نفسه .. كنتم ستصنفونه وتطاردونه وتحاصرونه على أنه إرهابي ..!!؟

القضية لا تُحسم ولا تُعالج بإصدار القوانين ضد الإرهاب .. والإكثار منها .. وإرغام الأطراف . من غير اقتناع . على التوقيع عليها .. بقدر ما تكون هذه القوانين تتسم بالعدل والإنصاف والواقعية .. وتعالج أسباب الإرهاب قبل أن تطارد وتقطف ثماره ونتائجه ..!

الأسباب الداعية لظهور الإرهاب ..!

لا ينبغي والمجتمع الدولي منهمك في مطاردة الإرهاب ومحاصرته أن نغفل عن الأسباب الأساسية التي تحمل الإنسان على الوقوع في الإرهاب بشقه المدموم .. هذا إذا كنا جادين في معالجة الإرهاب واستئصاله من جذوره.

وللإرهاب . على مستوى الأفراد أو الجماعات . أسباب عدة أبرزها:

1- طغيان وفساد الأنظمة الحاكمة المتسلطة على رقاب العباد بالحديد والنار .. في كثير من البلاد .. التي تقتل في الإنسان إنسانيته وكرامته .. وتعتدي على جميع حقوقه وحرماته .. فيتحول

هذا الإنسان بفعل ذلك الاضطهاد . رغماً عن أنفه . من إنسان وديع لطيف حسن العشرة .. إلى برميل من البارود .. وإلى قنبلة موقوتة تنفجر وقت أن تسنح له الفرصة بذلك .. منتقماً لحقوقه وحرماته المنتهكة .. وبطريقة قد يترتب عليها وقوع الإرهاب المحظور الذي لا يقره عقل ولا شرع! وهنا لا نريد أن نسلط الضوء على ما يجوز وما لا يجوز من تلك الأعمال فهذا له موضع آخر .. ومباحث أخرى .. ولكن نريد أن نسلط الضوء على السبب . الذي قل من يتنبه إليه . الذي أدى لوقوع مثل هذا الإرهاب المحظور ..!

السبب هو طغيان وجبروت وإرهاب الطاغوت الحاكم ونظامه .. الذي حول هذا الإنسان بفعل ظلمه واضطهاده إلى برميل من البارود .. وإلى قنبلة موقوتة يمكن أن تنفجر في أي وقت، وفي أي مكان! كيف لا تريدون أن يتحول هذا الطفل في شبابه إلى برميل من البارود والمتفجرات .. وهو يرى أباه يُهان ويُضرب .. ويُساق إلى سجون الظالمين بغير حق .. وأمه تهان كرامتها وعفتها .. ومنزله يدمر ويهدم عليه وعلى إخوانه وأخواته ..!!

كثير من الناس والإعلاميين ينظرون إلى ذات الحدث .. وما يترتب عليه من آثار قد تكون غير مرضية .. لا يقرها شرع ولا عقل .. من دون النظر إلى السبب الذي حمل هذا الإنسان وغيره إلى الوصول لهذه النتيجة .. وهذا خطأ في التصور والعلاج!

على سبيل المثال مصر .. فقد تناها إلى مسامعنا عن بعض الأعمال الغير مشروعة التي يمكن أن تُصنف في خانة العمل الإرهابي المذموم والغير مشروع .. ولكن لننظر في المقابل السياسة الطاغية الظالمة الغاشمة التي ينتهجها النظام المصري الحاكم بحق شعبه .. والتي قد تكون سبباً رئيسياً وكبيراً وراء تلك الأحداث أو الأعمال ..!

حرب شعواء لدين العباد .. السجون مليئة بالأبرياء .. وبصفوة الأمة من الشباب .. الداخل إليها مفقود، والخارج منها مولود .. الناس يؤخذون بالشبهات والظنون .. ممارسة جميع فنون التعذيب والإهانة والقهر والإذلال بحق العباد .. وانتهاك العرض والحرمات .. وبعد عشر سنوات من القهر والتعذيب والإذلال في سجون الطاغوت .. يقولون للسجين أخرج قد تبين لنا أنك بريء ..!!

هذا واقع ويحصل منه الكثير الكثير في مجتمعاتنا .. ولست أنا الوحيد الذي أشير إليه .. بل هناك كتاب ليسوا على ملتنا يقررون ما تقدم ذكره عن سياسة طاغوت مصر وغيره .. فقد نشرت قناة الجزيرة في موقعها على الإنترنت بتاريخ 2001/10/12م، تحت عنوان "هجوم أمريكي على مصر والسعودية": وجهت دوائر بحثية وإعلامية في الولايات المتحدة انتقادات شديدة اللهجة إلى كل من مصر والسعودية، واتهمت البلدين بالمسؤولية غير المباشرة عن بروز ما تسميه بالتطرف والإرهاب، وبررت ذلك بسيادة ما تصفه النظام الاستبدادي في البلدين .. وقال مارتن إنديك سفير الولايات المتحدة السابق في إسرائيل، والمسؤول بوزارة الخارجية الأمريكية: هذه النظم فضلت التعامل مع مشكلة حرية التعبير عن الرأي السياسي في بلدانها عن طريق توجيه المعارضة ضدنا.

وأفادت صحيفة "واشنطن بوست" في عددها الصادر أمس بأن الحكومات العربية التي تدعي تأييد الحملة الأمريكية .. هي أكبر سبب للتطرف والإرهاب.

وقالت الصحيفة في افتتاحيتها إن مصر مثال واضح، فنظامها الاستبدادي مستند سياسياً ومفلس معنوياً .. "أ- هـ.

ثم بعد ذلك نسمع حسني مبارك يتبجح بكل وقاحة بأنه سوف يُحارب الإرهاب .. ويُطارد الإرهابيين .. ويُطالب دول الغرب . باسم محاربة الإرهاب . بأن يُسلموه بعض الأفراد من شعبه الذين نجاهم الله من ظلمه وطغيانه .. يُطالب بإعادتهم وتسليمهم ليمارس عليهم دور الجزار والجلاد معاً .. وفاته أنه هو ونظامه الفاشي أكبر إرهابي وأكبر سبب للإرهاب في بلده .. بل وفي العالم، وهو الذي ينبغي أن يُحاكم . لو وجد العدل . قبل المستضعفين الذين نجوا من طغيانه وناره!

وما قلناه عن النظام المصري نقوله عن النظام الطائفي الدموي في سوريا، وعن النظام الليبي، وعن النظام التونسي، وعن النظام الأردني .. وعن النظام الجزائري .. وغيرها من الأنظمة الفاشية الظالمة.

وشاهدنا مما تقدم أنه عند الحديث عن الإرهاب وأسبابه وطرق علاجه .. لا ينبغي أن نغفل عن سياسة هذه الأنظمة المتسلطة .. وعن كيفية التخلص منها .. ومن طغيانها التي تعتبر أكبر سبب لظاهرة الإرهاب !!

لكن الغريب في الأمر أن هذه الأنظمة الطاغية .. رغم فسادها وطغيانها ودكتاتوريتها .. وممارستها لجميع أنواع الإرهاب بحق شعوبها .. ورغم كونها سبباً رئيسياً لظاهرة الإرهاب في العالم .. فإننا نجد أمريكا ودول الغرب يدعمونها ويؤيدونها ويباركونها !!..

فعلى سبيل المثال رغم ما ذكرناه وما هو معروف عن النظام المصري من طغيان وإرهاب بحق شعبه .. فإن أمريكا تتبرع سنوياً للنظام المصري . وليس للشعب المصري . ما يُعادل 2,2 مليار دولار أمريكي، لِيُنْفِقَ هذا المبلغ على الجلادين، وعصابات الأمن والمخابرات التابعة للنظام! وكذلك لما تم تنصيب بشار الأسد رئيساً وبطريقة مخالفة لجميع القوانين والدساتير، والأعراف .. بما في ذلك الدستور السوري ذاته .. ورغم ما لهذا النظام الطائفي من سجل ضخم في إرهاب وتقتيل شعبه .. حيث قتل في يوم واحد ما يزيد عن عشرين ألف شخص من المدنيين في مدينة حماه؛ أكثرهم من النساء والأطفال والشيوخ .. غير المساجد والكنائس التي تم تدميرها في ذلك اليوم المشهود .. ومع ذلك ورغم السجل الإرهابي الضخم لهذا النظام .. ذهب كل من وزير خارجية بريطانيا، ووزيرة خارجية أمريكا آنذاك ليباركان النظام الجديد ورئيسه .. ويعربان عن تأييد بلديهما للنظام الجديد!!

والسؤال: كيف يزعمون محاربة الإرهاب .. وهم في نفس الوقت يؤيدون ويدعمون الأنظمة الإرهابية .. والأكثر طغياناً ودموية بحق شعوبهم !!؟

قالوا: صدام حسين إرهابي .. قلنا: صدقتم .. لكن ما الفرق بينه وبين حسني مبارك، وحافظ الأسد، والقذافي، وزين العابدين وغيرهم من حكام وطواغيت العرب ..!!؟

فلماذا صدام إرهابي .. وهؤلاء ليسوا بإرهابيين .. أم أن المسألة خاضعة للهوى وللسياسة بحسب المصالح والمكاسب .. وبحسب الخدمات التي يقدمها كل حاكم!!؟

يقول "مارتن إنديك" المذكور أعلاه والمسؤول بوزارة الخارجية الأمريكية: "إن خطأ واشنطن الوحيد في الشرق الأوسط هو دعم نظم فشلت على نحو مستمر في تلبية الاحتياجات الأساسية لشعوبها!"

قلت: لا مانع لوأشطن أن تدعم هذه الأنظمة الإرهابية الطاغية المتسلطة على رقاب الشعوب بالحديد والنار.. ما دامت هذه الأنظمة تسير وفق مخططات السياسة الأمريكية .. وتحقق لها أهدافها في المنطقة .. فالغايات تبرر الوسائل عند الساسة الأمريكيين!

2- **تكميم الأفواه .. وكبت الحريات الأساسية والضرورية للإنسان ..** كما هو حاصل في كثير من الأنظمة العربية الحاكمة .. فإنه في الغالب يولد عند الإنسان ردة فعل قد لا تُحمد عقباه .. حيث قد تنتهي بصاحبها في النهاية إلى أن يقع في الإرهاب المحظور ..! فالذي يُمنع من التعبير عما في نفسه بحرية .. قد يلتجئ إلى وسائل عديدة سرية يُعبر من خلالها عن نفسه ومشاعره .. والذي يُمنع من الكتابة على الورق قد يكتب تحت جناح الليل على الجدران!

كثير من الشعوب المقهورة ترى الباطل أمام أعينها .. لكن لا تستطيع أن تقول له شيئاً .. ولا تملك الجرأة . بحكم طغيان وإرهاب الطاغوت . على أن توجه له كلمة نقد أو تعقيب .. فتكتم في نفسها .. وعلى مر الزمن يتراكم هذا الكبت إلى أن يولد انفجاراً يحرق الأخضر واليابس، ويقع الندم .. ولات حين مندم!

بعض المراقبين يظن الشارع العربي راضياً بالحملات الأمريكية ضد أفغانستان .. بسبب أنهم لا يخرجون مظاهرات يعبرون فيها عن معارضتهم لتلك الحرب الأثيمة .. وهؤلاء فاتتهم الحقيقة .. ولوراقبوا ما يُكتب في أندية الحوارات المنتشرة على شاشة الإنترنت من قبل الشباب بأسماء مستعارة حيث الأمان من ظلم وبطش الطواغيت .. لأدركوا أن الشارع العربي المسلم عبارة عن جمرة من نار تحترق في داخلها .. وتآكل بعضها بعضاً كبداً لما يحصل لأبناء الأمة في أفغانستان وفلسطين .. وهذه الجمرة لا بد يوماً من أن تمتد شرارتها ونارها لتحرق من حولها من الظالمين المستبدين العملاء .. وما ذلك ببعيد إن شاء الله!

ثم هاهي الجزائر اليوم . ممثلة في نظامه الفاشي الطاغي . ومنذ أكثر من عشر سنوات فإنها تدفع ضريبة باهظة من أبناء ودماء شعبيها .. بسبب ظلمها وطغيانها، وغدرها للحريات المشروعة . بمباركة وتأييد من أمريكا وفرنسا وغيرها من دول الغرب . وما كان قد اختاره الشعب الجزائري .. رغم

الإرهابُ "معناهُ وواقفه من منظورٍ إسلامي"

وجود تحفظنا المعروف على شرعية تلك التجربة .. وغيرها من التجارب الديمقراطية الفاشلة في بلاد المسلمين!

3- توسيع دائرة الملاحقات .. وما يتبعها من انتهاكات ومضايقات .. بحيث تشمل المتهم والبريء

.. ووضع البريء في موضع المدافع الشرس عن حقوقه وحرماته .. بزعم ملاحقة الإرهاب!

فهذا التوسع في الملاحقات والمطاردات الغير مبررة .. من جملة الأسباب التي قد تؤدي إلى

جنوح بعض الأفراد بل والجماعات إلى انتهاج بعض الأعمال الإرهابية الغير مشروعة .. من قبيل الدفاع عن النفس .. وطلب النجاة!

متى يلجأ الإنسان للسعي إلى الحصول على جواز سفر مزور .. أترأه يفعل ذلك ودولته تمنحه

بكل سهولة ويسر تلك الوثيقة التي هي من حقه ..؟!!!

عشرات الدول .. وأكثرها عربية .. تحرم شعوبها هذا الحق البسيط .. ولا تعطي مواطنيها هذا

الجواز إلا بعد سلسلة من الإذلالات والمماطلات والرشاوى، والوساطات، وموافقة المخابرات، وغير ذلك من الإجراءات .. مما يجعل هذه الشعوب من باب طلب النجاة والسلامة .. وممارسة حقهم في

السفر والتنقل .. يبحثون عن البديل المزور!

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نصنف هذه الشعوب برمتها بأنها إرهابية .. أو نلومها لكونها

تفعل ذلك تحت ظروف الاضطرار والإكراه .. وإنما الصواب والعدل أن نلوم الأنظمة الطاغية الإرهابية التي حرمت هذه الشعوب أبسط حقوقها .. وألجأتها رغماً عن أنفسها إلى هذه الوسائل

الملتوية!

ليفرض نفسه "كوفي عنان" مكان أي مواطن يُمارس بحقه وحق أهله جميع صنوف التنكيل

والإذلال والإرهاب .. ثم مع ذلك يُمنع من الوثيقة التي تمكنه من السفر والتنقل .. ليبقى تحت رحمة

الجلادين .. ثم هو في هذه الأجواء يُعرض عليه جواز سفر مزور بمئات الدولارات .. يمكنه من السفر والنجاة .. ألا ترون أنه سيشتريه ويستخدمه ..؟!!!

لكن هل يمكن أن يُصنف "كوفي عنان" حينئذٍ بأنه إرهابي لكونه لجأ مضطراً إلى هذه

الوسيلة..؟!!!

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

الشاهد مما تقدم أن نلفت النظر لمن صدقت نيته في محاربة الإرهاب المحظور والممنوع شرعاً وعقلاً .. أن لا يقصروا اهتمامهم بالنظر إلى سلوك بعض الأفراد أو الجماعات التي تبدوا أنها غير قانونية .. من دون النظر إلى الدوافع أو الأسباب التي أدت إلى مثل هذه السلوكيات الشاذة .. وملاحقة من كان السبب فيها قبل الذين يُباشرونها!

وأردت كذلك أن أنبه إلى أن توسيع دائرة الاشتباه .. والالتهام .. والملاحقات .. والمطارادات .. بغير حق ولا بينة .. قد تولد جيلاً كاملاً من الإرهابيين .. وجيلاً كاملاً من المرهوبين الخائفين .. شئنا أم أبينا .. ومن حيث لا ندري!

هذا القط الوديع الناعم .. احصره في غرفة .. وأغلق عليه جميع النوافذ والمنافذ .. ثم أشعره أنك تريد قتله .. فإنه سرعان ما يتحول وينقلب عليك إلى نمر متوحش كاسر ..!

فلا تحوّلوا الشعوب بأيديكم .. وسوء صنيعكم إلى وحوش كاسرة .. ولا تلجئوا الشعوب بظلمكم وإرهابكم .. إلى الوسائل الملتوية .. فإن حصل فلا تلموا إلا أنفسكم!

4- ومن جملة الأسباب كذلك التي تجنح بصاحبها للوقوع في بعض الأعمال الإرهابية الغير مشروعة .. **الفهم الخاطئ للدين ولغاياته ومقاصده** .. والجنوح للغلو والتشدد في الدين .. وانتهاج طريق الغلاة الخوارج الأوائل .. الذين وضعوا السيف في أبناء الأمة من أهل القبلة .. وانتهكوا الحرمات بغير حق ..!

هؤلاء موجودون في زماننا .. ولكنهم شذمة قليلون .. وهم منبوذون مرفوضون شرعاً وعقلاً .. وعلى مستوى القطاع الأعظم للشباب المسلم الملتزم .. والإسلام أول من أعلن البراء منهم ومن غلوهم وشذوذهم .. وحدّر منهم!

وهؤلاء مشكلتهم سهل حلها لو ترك المجال للعلماء العاملين بأن يتصدوا لهم بالتعليم والنصح .. وقيام الحجة .. ولكن أنى للطواغيت العملاء . وبخاصة منها العربية . أن يسمحوا بذلك!

. موقف الإسلام من العنف والشدة ..!

كنا قد بينا في أول هذا البحث موقف الإسلام من الإرهاب .. ومعنى الإرهاب .. وهانحن نبين هنا موقف الإسلام من العنف والشدة لارتباط هذا الموضوع وتعلقه بما تقدم من حديث عن الإرهاب!!

هل الإسلام دين يدعو إلى العنف والشدة ..؟!!

هذه مسألة قد جنح فيها كثير من الناس والكتاب . كما هو شأنهم في كثير من المسائل . بين الإفراط والتفريط .. ففريق منهم قال بأن الإسلام دين عنف .. ويدعو إلى العنف والشدة واستدل على ذلك بأدلة، وفريق آخر ينفي ذلك مطلقاً، واستدل بأدلة ..!

فما هو الحق والصواب في هذه المسألة ..؟!!

أقول: العنف هو ما يُقابل الرفق ويُضاده، وهو في الشرع خُلُق مذموم .. لم يرد فيه نص واحد من الكتاب أو السنة بصيغة المدح .. بخلاف خُلُق "الرفق" فقد جاءت فيه نصوص عديدة تحض على التخلق والتمسك به، كما في قوله ﷺ: "من يحرم الرفق يُحرم الخير كله".

وقال ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العنف".

وقال ﷺ: "عليك بالرفق؛ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه". وقال ﷺ: "إن الله رفيق يُحب الرفق في الأمر كُلِّه" وهذه صيغة عامة تفيد كل شيء بما في ذلك الجهاد في سبيل الله، حيث لا بد من أن ينضبط ويتقيد بضوابط وقيود الشرع المعروفة .. فهذا هو رفقته!

وعن قُرّة قال: قال رجل يا رسول الله إني لأذبح الشاة فأرحمها. أو قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها؛ أي أمتنع عن ذبحها رحمة بها! قال ﷺ: "والشاة إن رحمتها رحمتك الله .. والشاة إن رحمتها رحمتك الله" مرتين.

هذا فيمن يُرفق ويرحم الشاة أو البهائم فكيف بمن يرحم الناس .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يرحم الله من لا يرحم الناس".

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

كما أن النبي ﷺ قد نهى عن الغلو والتشدد في الدين؛ وهو كل ما زاد عن المشروع .. فقد صح عنه ﷺ أنه قال: "عليكم هدياً قاصداً؛ فإنه من يُغالب الدين يغلبه". وقال ﷺ: "إنه من يُشاد هذا الدين يغلبه".

وقال ﷺ: "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين".

وقال ﷺ: "سَيُشَدَّدُ هذا الدين برجالٍ ليس لهم عند الله خلاق".

هذا هو ديننا .. فهو دين رفق ورحمة للعالمين كما قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: 107.

وهذا لا يعني مطلقاً أن الإسلام يقبل أن يُعطي الدنيّة أو الذل لأعداء الملة والدين .. أو يرضى أن يُصيبه ضيم من ملل الكفر والشرك من دون أن ينتصر لنفسه .. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الشورى: 39. فهذا من أبرز خصال وصفات المؤمنين المجاهدين وهو أن ينتصروا لأنفسهم وحرمتهم إذا ما أصابهم البغي والعدوان.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ الفتح: 29. فكما أن المؤمنين رحماء رفقاء على من يُسلمهم ويدخل في سلمهم وأمنهم أو دينهم .. فهم أشداء غلاظ على من يتجرأ على قتالهم ومنازلتهم ومحاربتهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: 123. أي قوة وشدة ..!

فهذا موضع يستلزم الشدة والغلظة على كل من ينازح الإسلام والمسلمين الحرب والقتال أو يتجرأ على الاعتداء .. وذلك موضع يستلزم الرفق والرحمة على كل من يدخل في هذا الدين وسلمه، أو عهدده وأمنه، وجواره .. حيث لا يجوز الخلط بين الموضعين، وحمل نصوص كل موضع على الموضع الآخر .. كما يفعل ذلك عديد من الكتاب والباحثين!

ولكن يمكننا القول أن مواطن الجهاد والقتال التي تستلزم الشدة والقوة والغلظة .. هي كذلك مقيدة بقيود وضوابط الشرع التي تمنع المجاهد المقاتل من أن يُعمل هواه في قتل وقتال من

شاء، وبالطريقة التي يشاء.

. خاتمة:

وفي الختام بقي سؤال لا بد من أن نجيب عليه قبل أن نختم هذا البحث، وهو: هل القوم عازمون بصدق . من خلال حملتهم المعلنة . على محاربة الإرهاب .. أم أن لهم أهدافاً أخرى غير الإرهاب؟!

أقول: في الظاهر أنهم يريدون محاربة الإرهاب .. وفي الباطن الظاهر أنهم يريدون محاربة الإسلام والمسلمين .. ومنعهم من أي محاولة تمكثهم من استئناف حياة إسلامية راشدة في أي قطر من الأقطار .. إضافة إلى تعزيز نفوذهم وهيمنتهم وسياساتهم السائدة في مناطق وبلاد المسلمين، وبخاصة منها منطقة الشرق الأوسط .. التي بدت تتزعزع في الآونة الأخيرة .. والذي حملنا على القول بذلك الأسباب التالية:

1- من خلال ما تقدم في طيات هذا البحث تبين لنا أن القوم هم الإرهابيون الحقيقيون .. وهم الذين يمارسون، ويدعمون ويؤيدون الإرهاب بكل أبعاده ومعانيه .. ولو صدقوا بأنهم سيحاربون الإرهاب .. لحاربوا أنفسهم بأنفسهم .. وهذا لن يكون!

2- هذه الحشود العسكرية الضخمة التي جيشتها أمريكا وحلفاؤها، والتي تكفي لغزو وتدمير عشرات البلاد .. لا يمكن أن يُصدق أنها جُيشت من أجل مطاردة أفراد معدودين متهمين بالإرهاب..!

3- تصريحاتهم المعلنة التي ما استطاعت أن تُخفي ما في صدورهم .. كما جاء ذلك على لسان الرئيس الأمريكي "جورج بوش" بأن هذه الحملة التي يقودها ضد الإرهاب إنما هي حملة صليبية ضد الإرهاب ..!!

وهل الإرهاب لا يُحارب إلا من خلال حملة صليبية وتعبئة صليبية ..!؟

وكذلك تصريح رئيس وزراء بريطانيا . التي جاءت أقل صراحة من نظيره بوش . عندما ناشد

دول الغرب بأن تتحد لمحاربة الإرهاب ..!

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

لماذا دول الغرب وحسب .. لماذا لم تكن دول الغرب والشرق معاً .. مما يجعلنا نجزم أنه يقصد ويريد اتحاد دول الغرب الصليبي لمحاربة دول الشرق الإسلامي مبعث الإرهاب .. كما يزعمون!
4- تصريحاتهم المتكررة بأن هذه الحرب قد تستغرق عشرات السنين .. وتطال دول عدة يتجاوز تعدادها الستين بلداً ..!

ولا نظن أن محاربة الإرهاب يستلزم هذه السنين الطوال .. وهذه البلدان العديدة ..؟!
5- حصر تهمة الإرهاب بالمسلمين فقط لتكون ذريعة لمحاربة الإسلام والمسلمين .. فهم ما إن حصل ما حصل في نيويورك وواشنطن .. إلا وأسرعوا في الإعلان بأن وراء هذا الحدث هم المسلمون .. الطالبان .. وأسامة وجماعته .. قبل أن يأخذ التحقيق مجراه ومداه .. مما يجعلنا نشعر بأنهم يرتبون لحرب طويلة ضد الإسلام والمسلمين .. ومنذ أمد .. ينتظرون الفرصة المناسبة لها .. وقد جاءتهم!

ما يقوم به غير المسلمين من إرهاب بشع .. ليس إرهاباً .. ولا يمكن أن يُصنف على أنه عمل إرهابي مهما كان العمل فظيماً وممعناً بالإجرام والإرهاب بحق الآخرين .. والسبب أنه ليس مسلماً ..! منذ أسبوعين تقريباً تناقلت وسائل الإعلام عن خبر مفاده أن شخصاً مسلحاً اقتحم البرلمان السويسري وقتل من أعضائه وموظفيه أربعة عشر شخصاً .. غير الجرحى الذين أصابهم .. فجاء التعليق مباشرة بأن هذا العمل ليس عملاً إرهابياً .. والتعليل أن صاحبه سويسري الأصل .. أي ليس مسلماً!

وكذلك الخبر الذي تناقلته وسائل الإعلام عن قيام شخص في أمريكا بقطع رأس سائق الحافلة بالسكين .. مما أدى إلى سقوط الحافلة في حفرة وقتل ستة أشخاص من الركاب .. فجاء التعليق الأمريكي الرسمي أن هذا العمل ليس إرهابياً وليس له علاقة بالإرهاب .. والسبب أن صاحبه نصراني من كرواتيا .. وانتهى الأمر وكأنه لم يكن شيئاً؟!!

ولو كان مسلماً لرأينا كيف حملوه وجميع المسلمين في الأرض تهمة الإرهاب .. وتبعات العمل بالإرهاب ..؟!!

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

ومنذ أيام قلائل خرجت لنا أمريكا بقائمة أخطر الإرهابيين في العالم الذين جيشت مئات الطائرات .. وعشرات البوارج البحرية وراجمات الصواريخ .. وآلاف المعدات العسكرية .. من أجل محاربتهم ومطاردتهم .. وعددهم كان اثنان وعشرين شخصاً .. كلهم من المسلمين !!..

والسؤال: لماذا كلهم من المسلمين .. ألا يوجد نصراني أو يهودي واحد في العالم قد مارس الإرهاب .. رغم أن المجازر والمقابر الجماعية للمستضعفين من المدنيين لا تزال إلى الساعة أكبر شاهد على إجرام وإرهاب قطاع كبير من اليهود والنصارى !!؟..

فعلام لم يُدرج اسم نصراني أو يهودي واحد ضمن قائمة الإرهابيين المطلوبين . وما أكثرهم لو أردنا الإحصاء أو التعداد . هل لأن البلاد والعباد خلت فعلاً من الإرهابيين الذين ينتمون إلى اليهودية أو النصرانية .. أم أنها المؤامرة الصريحة لضرب ومحاربة الإسلام والمسلمين .. تحت ستار ملاحقة ومحاربة الإرهاب؟!..

قد هالني خبر نشرته قناة الجزيرة في موقعها على الإنترنت بتاريخ 2001/10/3م، تحت عنوان: "تقديراً لمساندة موسكو للحرب الأمريكية، أوروباً تكافئ روسيا بتجاهل ممارساتها في الشيشان"، جاء في الخبر: "توقع وزير الخارجية اليوناني جورج بابانديريو أن يكون الاتحاد الأوروبي أكثر تساهلاً في موقفه من الممارسات الروسية في الشيشان تقديراً لمساندة موسكو للحملة الأمريكية على ما يُسمى بالإرهاب .. وأوضح أن الاتحاد يراجع أيضاً الإجراءات التي اتخذت ضد موسكو بسبب انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان .. وقال للصحفيين في زيارة لواشنطن: سنتخذ موقفاً أكثر تساهلاً مما تفعله روسيا في الشيشان !!..!!" - هـ.

يا سبحان الله !! يباركون ويؤيدون الإرهاب الوحشي الذي يمارسه الجيش الروسي بحق الشعب المسلم في الشيشان . بعد أن كانوا قد أدانوه . لكون الإرهاب الذي يمارسه الجيش الملحد الروسي يطال فقط المسلمين الشيشانيين الذين ليس لهم بواكي ولا حرمة .. ولكون موسكو ستساند الحملة الأمريكية ضد الإرهاب .. زعموا!!

فإن كان الغرض هو محاربة الإرهاب كما يدعون .. وليس محاربة الإسلام .. فعلام يؤيدون ويباركون الإرهاب الروسي المتوحش لشعب الشيشان المسلم .. مع اعترافهم المسبق بأن الذي تمارسه

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

روسيا في الشيشان من انتهاك للحرمات واعتداء على المدنيين، والمستضعفين منهم .. يتنافى مع حقوق الإنسان .. وهو من الإرهاب !!؟

موسكو ذو التاريخ الحافل بالإرهاب، والتعذيب، والتقتيل لعشرات الملايين من المسلمين المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال .. وغيرهم من المدنيين ممن لا حول لهم ولا قوة .. والتي لا تزال إلى الساعة أيديها ملطخة بدماء مئات الآلاف من الأبرياء في أفغانستان والشيشان وغيرهم .. الآن أصبحت ضد الإرهاب .. وأنها ستساند الحملة الأمريكية ضد الإرهاب !!؟

كل ذلك يجعلنا نضع عشرات إشارات الاستفهام على طبيعة هذا الإرهاب الذي يريدون محاربتة .. ويتحالفون على ملاحقته واستئصاله !!؟

وما تقدم يدل كذلك على تلاعب الساسة الأوروبيين بمصطلح الإرهاب وفق أهوائهم ومصالحهم الذاتية المتقلبة .. وسياساتهم الخبيثة .. فيدخلون من شاءوا في دائرة الإرهاب وقت يشاءون .. ويُخرجون من شاءوا من دائرة الإرهاب .. وتهممة الإرهاب وقت يشاءون .. بحسب ما تقتضيه المصلحة .. وإن كان في الحقيقة إرهابياً يُمارس الإرهاب في أبشع صوره ومعانيه ..! فممن كان معهم . مهما كان إرهابياً مجرماً . ليس إرهابياً .. وهو منزه عن الإرهاب .. وفوق الشبهة أو الاتهام .. ومن لم يكن معهم . مهما كان بريئاً من تهمة الإرهاب . فهو إرهابي ، بل وأبو الإرهابيين الذي ينبغي أن يُلاحق ويُحارب ..!!

هذا هو المقياس والضابط في تحديد الإرهابي من عدمه عند الساسة المتنفذين في أمريكا وبلاد الغرب ..!!

6- إعلانهم أكثر من مرة وبكل صراحة ووضوح أن الهدف من الحملة العسكرية الأمريكية الضخمة ضد أفغانستان ليس فقط أسامة ومن معه .. وإنما نظام الطالبان الحاكم في أفغانستان .. والتجربة الإسلامية الناشئة في أفغانستان!

بمعنى آخر أن هدفهم استئصال النظام الإسلامي الحاكم في أفغانستان الذي ارتضاه الشعب الأفغاني .. والذي يمثل 95% من أراضي وشعب أفغانستان باعتراف الجميع .. واستبداله بنظام

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

عميل موالٍ لأمريكا ولدول الغرب .. لا يمثل إلا القلة العميلة .. يحقق لهم مصالحهم وأهدافهم في المنطقة!

وهاهي أمريكا . ومعها حلفاؤها . يترجمون اليوم هذا الهدف الخبيث بكل وضوح على أرض الواقع على مرأى ومسمع من العالم .. من خلال هجماتهم العسكرية المكثفة بالقنابل الثقيلة .. والصواريخ العابرة للقارات .. على جميع المرافق التابعة لحكومة الطالبان .. تمهيداً للغزو البري الذي يخططون له برفقة عملائهم من الأفغان المتمثل في التحالف الشمالي الهزيل !!.. هذا الذي يحصل وجميع ما تقدم ذكره من نقاط .. يجعلنا نجزم أن الحملة الأمريكية ضد الإرهاب .. هي في حقيقتها وواقعها حملة صليبية صريحة ضد الإسلام والمسلمين .. وهي إعلان حرب على الإسلام وليس على الإرهاب كما يصورون .. وأن إعلاناتهم التي تدل على خلاف ذلك .. لا تغير من هذه الحقيقة شيئاً .. فواقع حالهم يكذب ادعاءهم وهو أصدق دلالة وتعبيراً من تصريحاتهم التي هي بمثابة ذرّ الرماد في العيون !!..

ونحن نقول لهم بكل وضوح: أنتم تحاولون عبثاً .. الإسلام لا يُحارب؛ لأنه دين الله تعالى الذي تكفل بحفظه وحمايته .. وعلى مر العصور وإلى أن تقوم الساعة! حاربتم الإسلام . عبر تاريخكم الصليبي الحاقد . أكثر من مرة ومرة .. وفي جميع الميادين والساحات .. فأين الذين حاربوه .. وأين الإسلام .. الذي يزداد انتشاراً واتساعاً .. وقوة .. وفي عقر داركم .. رغم حملات التشويش والمؤامرات العديدة التي تُحاك ضده من قبل ملل الكفر والشرك، وعملائهم المحليين من الزنادقة المنافقين !!..

فأنتم عندما تحاربون الإسلام .. فإنكم في حقيقتكم تحاربون الله .. خالق السماوات والأرض .. الذي بيده الأمر كله .. والله تعالى لا يُحارب .. لأن الله لا غالب لأمره وقضائه !!.. فمشيئة الله تعالى هي النافذة والماضية في خلقه وعباده .. أما مشيئة العباد لا ينفذ منها شيء إلا أن يشاء الله تعالى.

يجب أن تتذكروا كل ذلك عندما تحاربون الإسلام !!..

الإرهابُ "معناه وواقعه من منظور إسلامي"

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ

الْمَاكِرِينَ﴾ لأنفال: 30.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آل عمران: 12.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ﴾ الروم: 4-5. وما ذلك ببعيد إن شاء الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/07/28هـ

أبو بصير الطرطوسي

2001/10/15م

.ملاحظة: أرسلت نسخة من هذا البحث للأمم المتحدة عن طريق عنوانها الإلكتروني .. وغيرها

من المؤسسات والهيئات ذات الاهتمام بهذا الموضوع.

ماذا يَنْقِمُونَ مِنَّا ..؟!؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

اعلم . يا عبد الله .. يا مسلم . أنه لا شيء من الإسلام يغيظ ملل الكفر والنفاق .. ويقلقهم ..

ويحملهم على النعمة .. كعقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله!

لا شيء يُخيفهم من دين المسلمين .. كما تخيفهم عقيدة الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله ..!

فأيا إسلام يتخلى عن عقيدة الولاء والبراء .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله .. فهو إسلام مرضي

عنه من قبل ملل الكفر .. وهو إسلام متحضر .. متحرر .. يمكن التعايش معه وبكل سرور وسهولة!

وأيا طائفة أو جماعة .. تتخلى عن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. والجهاد في سبيل الله ..

وتستثني من خطابها ومنهجها عقيدتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. فهي جماعة تحظى بالقرب

والقبول، وبكل العطايا والامتيازات .. والحريات .. لا توجد معها أدنى مشكلة!

أظهر من شعائر الإسلام ما تشاء .. فلا حرج عليك في شيء من ذلك .. ولك كامل الحق والحرية

.. لكن إياك ثم إياك أن تتكلم أو تحيي في الأمة عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل

الله!

لك كامل الحق في أن تصلي وأنت على سفنهم الحربية .. وأن تلبس العمامة الإسلامية .. وأن تُرخي

لحيثك لو شئت .. وأن تصوم رمضان .. وهم على كامل الاستعداد أن يُحضروا لك الطعام المعد على

الطريقة الإسلامية .. لكن بشرط أن تعطيهم الولاء .. وتتخلى عن عقيدة الجهاد في سبيل الله ..!!

لك كامل الحق والحرية .. أن تصلي وأنت على سفنهم الحربية .. شريطة أن لا تقول لهم .. لا ..

عندما تطلق سفنهم الصواريخ العابرة للقارات لتقتل شيوخ ونساء وأطفال المسلمين .. وتهدم على الأمنين

منهم منازلهم!!

ماذا يَنْقُومَن مِنَّا ..؟!

يقدمون لك الطعام المذبوح على الطريقة الإسلامية .. والمغلف بعباراة ذبح حلال .. شريطة أن لا تقول لهم .. لا .. عندما يذبحون أخاك المسلم^[1]!!

إلى كل من يريد أن يتجنس بجنسيات القوم .. يشترطون عليه شرطاً واحداً .. وله بعد ذلك منهم ما يشاء إن وافقهم عليه .. وأعطاهم إياه .. ألا وهو شرط أن يدخل في موالاتهم ونصرتهم . بلا أدنى تحفظ . ويتخلى عن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وله بعد ذلك كامل الحقوق!!

الإسلام المتحضر .. المتفتح .. المعتدل .. الأمريكي .. يعنون به: الإسلام الذي يتخلى عن عقيدتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله!!

يسمعون منك كل شيء إلا حديث الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله لا يمكن أن يسمعه ..! يكفي لكي تُرمى بالتشدد .. والتعصب .. والإرهاب .. والتطرف . إلى آخر مفردات الناقمين على الإسلام . أن تُظهر أو تتكلم عن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله !! لو تأملت حملات الكيد والتحريف .. والتشويه التي تعرض لها الإسلام عبر تاريخه كله .. من قبل ملل الكفر والنفاق .. لن تجد شيئاً من الدين تعرض لتلك الحملات البغيضة كما تعرضت له عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله ..؟!!!

¹ مما يلفت النظر .. ويشتد له العجب والأسف .. أن كثيراً من المسلمين الذين يعيشون في بلاد الغرب . وبخاصة منهم الأعاجم . تراهم يهتمون بالذبح الحلال اهتماماً غريباً وشديداً وكأنه أصل تهون في سبيله جميع أصول الدين ..! حتى أنك ترى أحدهم . كما سمعنا من تلك القصص الشيئية الكثير . لا يبالي أن يذهب إلى البار ليقارع شرب الخمر والفواحش والمنكرات .. ولكن عندما يأتيه المضيف بالطعام أول ما يسأله: هل هذا الطعام مُعد .. ومذبوح على الطريقة الإسلامية ..؟!!!

لا مانع عندهم من أن يجندوا أنفسهم في جيوش الكفر التي تحارب الإسلام .. شرط أن يؤمنوا لهم الطعام المعد على الطريقة الإسلامية .. والمذبوح بالحلال ..!!

يذبحون المسلمين بالحرام .. ليس مشكل .. المهم أن يكون طعامهم .. ذبح حلال! يتهاونون بشأن الصلاة .. وجميع أركان وواجبات الدين .. إلا الذبح الحلال .. لا يمكن أن يتهاونوا أو يفرضوا به ..! ولشدة تعلقهم بالذبح الحلال .. حمل كثير من الشركات التي تصنع الطعام في بلاد الغرب .. أن يكتبوا على معلبات الخضار والأسماك .. مذبوح على الطريقة الشرعية .. ذبح حلال .. فتأمل!!

ماذا يَنْقُمُونَ مِنَّا ..؟!؟

عندما يتكلمون عن ضرورة تعديل ومراقبة مناهج الدراسة التي تُدرس لأبناء المسلمين .. يستهدفون بذلك تحديداً عقيدتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. وكل ما له صلة بهاتين العقيدتين .. لتبقى الأمة بلا عقيدة .. ولا ولاء ولا براء!

هذه النعمة المعلنة على الإرهاب .. زعموا! .. ما هي في حقيقتها إلا نعمة على عقيدة الولاء والبراء .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله! ..

لذلك تراهم يصرحون بكل وقاحة .. وعلى لسان كبيرهم .. إما أن تكونوا معنا أو تكونوا علينا .. ولا يوجد خيار وسط .. وإذا لم تكن معنا .. فأنت الإرهابي .. وأنت المستهدف من حربنا هذه التي نخوضها ضد الإرهاب !!!

لماذا كل ذلك .. لماذا ينقمون منا ومن ديننا وعقيدتنا .. عقيدتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. وكأنه ليس من حقنا أن نوالي من نشاء .. ونعادي من نشاء وفق ما تمليه علينا عقيدتنا السمحاء..؟!؟ لماذا من حق الجميع أن يُجاهدوا ويُقاتلوا .. ويجيشوا الجيوش والعساكر .. انتصاراً لأهوائهم وأطماعهم ومخططاتهم .. وليس من حقنا كمسلمين الجهاد والقتال من أجل حماية حقوقنا وثوابتنا .. وحرماننا .. والكليات العامة التي جاء من أجلها ديننا الحنيف ..؟!؟

لماذا قتال غيرنا . وفي الباطل .. وفي سبيل الشيطان . يُعد حقاً وتحضراً .. وواجباً .. بينما نحن مجرد التفكير بالجهاد للذود عن الحقوق والحرمان المغتصبة يُعد جريمة نكراء .. وإرهاباً يجب أن يُطارد ويُحارب ..؟!؟

لماذا كل ذلك ..؟!؟

أقول: لتضعف المقاومة .. ويموت في الأمة جهاز المناعة .. فيسهل عليهم غزو البلاد والعباد .. وقبل ذلك غزو العقول والمبادئ والأفكار! ..

ليسهل عليهم .. التعايش بأمانٍ مع الحق المعتدى عليه .. من دون منغصات أو أدنى اعتراضات! .. حتى لا يُقال لهم .. لا .. وهم يُمارسون عملية الهدم والتخريب، والإفساد في حق البلاد والعباد! ..

ماذا يَنْقُمُونَ مِنَّا ..؟!؟

حتى لا يُقال لهم .. لا .. وهم يذبحون في الأمة عقيدتها، وأخلاقها، وقيمها .. ويهدمون آخر حصنٍ

من حصونها!

حتى لا يُقال لهم .. لا .. وهم يُمارسون عملية النهب والسلب لخيرات الأمة .. لتصب في بنوكهم

وجيوبهم!

ولأن تغييب عقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله .. عن ساحة الشعور

والاعتقاد .. وواقع الحياة .. يضمن لهم العيش مع أموات لا حراك لهم إلا فيما يُشبع غرائزهم وشهواتهم

.. كالأنعام بل أضل!

أمة بلا ولاء ولا براء .. ولا قوة ولا جهاد .. سهلة المنال .. والكبير والحقير يطمع بها .. ويتجرأ عليها..!

وهل فكرة عملية السلام مع لصوص الصهاينة اليهود .. المعتدين المحتلين للبلاد والعباد .. وفكرة

التعايش معهم بأمان .. والرضى بالفُتات اليسير مما اغتُصِب .. نالت شيئاً من القبول عند الأمة .. إلا

بعد تغييب عقيدتي الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله .. من ساحة الشعور والوجدان .. بل

والاعتقاد..؟!؟

تأمل التاريخ كله .. تجد ما من خرق أصاب ويُصيب الأمة .. إلا وتجد من جهة التخلي عن عقيدة

الولاء والبراء .. والجهاد في سبيل الله ..!

صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم

الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم!"

فكيف إذا ضموا إلى ترك الجهاد .. ترك عقيدة الولاء والبراء .. فإنه يكون حينئذٍ ذل مركب

ومضاعف يعلو بعضه بعضاً .. بل قل هو الكفر والنفاق، والمروق من الدين!

وإلى هؤلاء الواهمين .. الذين يريدون أن يعيشوا الإسلام بعيداً عن عقيدة الولاء والبراء كما جاء

بها الإسلام .. ومن دون أن يعيشوا عقيدة الجهاد في سبيل الله .. ويتحملوا شيئاً من تبعاته .. ثم يحسبون

أنفسهم على شيء أو أنهم يُحسنون صنْعاً .. نقول لهم وبكل وضوح مشفقين ومحذرين وناصحين: أنتم

لستم على شيء .. وإن تسميتم زوراً بالمسلمين .. وبأسماء إسلامية .. وانتسبتم لبلاد المسلمين!

ماذا يَنْقُمُونَ مِنَّا ..؟!؟

لا ولاء ولا براء .. ولا جهاد في سبيل الله .. فِيمَ تدخلون الجنة ..؟!؟

راجعوا دينكم .. واقروا كتاب الله من جديد .. واسألوا الله تعالى الهداية والتوفيق!

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ

فِي شَيْءٍ﴾ آل عمران: 28. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة: 51.

لذلك نجد ملل الكفر والزندقة والنفاق .. قد حرصوا . ولا يزالون . جاهدين على استبدال عقيدة

الولاء والبراء في الإسلام بولاءات جاهلية نتنة ما أنزل الله بها من سلطان، لا تزيد المسلمين إلا فرقة

وضعفاً ووهناً على وهن .. كعقد الولاء والبراء في الانتساب إلى القطر أو الوطن .. أو إلى الجنس .. أو إلى

القومية .. أو القبيلة .. أو الإنسانية .. أو العلمانية .. أو الطاغوت الحاكم .. وغيرها الكثير الكثير من

الروابط والوشائج الجاهلية المحدثة التي تصرف المسلمين عن عقيدة الولاء والبراء كما جاء بها الإسلام

.. وكما يريدتها الإسلام!!

وقد نجحوا . وللأسف . إلى حدٍ كبير في تحقيق مهمتهم هذه .. وهم لا يتورعون . في سبيل ذلك . أن

يسلكوا كل مسلك وطريق ممكن من أجل تحقيق هدفهم هذا .. ومن لم يأت معهم بالترغيب والإغواء ..

والشراء .. جاءوا به عن طريق الترهيب والتهديد .. ولا ينجو إلا من نجاه الله وثبته^[1]!

¹ علماً أن ملل الكفر كلها وبخاصة منهم اليهود والنصارى، يعقدون الولاء والبراء على أساس ديني طائفي وإن تظاهروا

بخلاف ذلك، فإن الحقد الصليبي اليهودي يظهر بوضوح في كل موقف يتخذه الغرب الصليبي تجاه قضايا المسلمين في

العالم، ومن يتأمل ما جرى ويجرى على الساحة من أحداث يدرك حقيقة ذلك .. وما يجري اليوم في فلسطين، وفي

أفغانستان، والشيشان، وكشمير .. وغيرها من البلدان التي يضطهد فيها المسلمون .. وما أكثرها لو أردنا الإحصاء

والاستقصاء .. كل ذلك شاهد صادق يدل على مدى النزعة الدينية الحاقدة عند اليهود والنصارى .. والتي ينطلقون

من خلالها في محاربتهم للإسلام والمسلمين .. وهم كما قال تعاليفهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ

اسْتَطَاعُوا﴾. وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. فالحذر الحذريا عبد الله .. يا

مسلم .. أن تُؤتى من جهة دينك وأنت تعلم أو لا تعلم!

ماذا يَنقِمُونَ مِنَّا ..؟!١

ولله در الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . إذ يقول: "فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم، وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال: ما علي منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين"^[1]. اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/11/19 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/02/01 م

¹ مجموعة التوحيد ص 111.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: هذه عقيدتنا .. وهذا الذي ندعو إليه .. ونجاهد في سبيله .. والذي نموت، ونُبْعَثُ، ونلقى الله تعالى عليه إن شاء الله:

فإني أشهد . ظاهراً وباطناً . بأن الله تعالى واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

كان الله ولم يكن معه ولا قبله شيء .. فأول ما خلق الله القلم .. ثم خلق العرش .. ثم قدر مقادير الخلق، وما هو كائن . قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . إلى يوم القيامة.

له تعالى الأسماء الحسنى، والصفات العليا، لا شبيهه، ولا مثيل، ولا نظير له في ذاته، ولا في شيء من خصائصه وصفاته، أو ربوبيته وألوهيته ﷻ، كما قال تعالى عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى:11.

نثبت ونؤمن بجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلا الثابتة في الكتاب والسنة من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل .. وعلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

كما ونؤمن بأن لله تعالى أسماء وصفاتاً لا نعلمها مما استأثر به في علم الغيب عنده. ونؤمن أنه تعالى هو الغني عن عباده، وعباده هم الفقراء إليه، فكل الخلق قائم به، محتاج إليه،

وهو قائم بذاته، قيوم على خلقه، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آل عمران:2. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر:15. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران:97.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

ونؤمن أنه تعالى هو المألوه المعبود بحق المستحق للعبادة .. لا معبود بحق سواه .. يجب أن يُعبد وحده .. وما سواه لا تجوز عبادته في شيء؛ لأنه مخلوق ومربوب لا يستحق أن يُعبد في شيء .. ولو عُبد فعبادته باطلة، وهي من الشرك بالله تعالى.

لا مُطاع لذاته إلا الله .. ولا محبوب لذاته إلا الله .. وما سواه يُحب له ويُطاع فيه ﷺ .. وأيما مخلوق يُحب أو يُطاع لذاته فقد جعل نداءً لله ﷻ، وعُبد من دون أو مع الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ البقرة:165.

فإن الله تعالى خلق الخلق .. وأرسل الرسل .. وأنزل الكتب لغاية واحدة: وهي أن يعبدوا الله تعالى وحده ولا يُشركوا به شيئاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:56. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة:5. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36. وهو حق الله تعالى على عباده .. فإن أدوا له سبحانه هذا الحق لا يُعذبهم، ويدخلهم جنته.

والعبادة التي يجب أن تُصرف لله تعالى هي: العبادة الجامعة والشاملة لجميع ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام:162-163.

والعبادة لا تُقبل إلا بشرطين: أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، لا يشوبها الرياء، وأن تكون مشروعة مأموراً بها، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف:110. وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الملك:2. ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال السلف: أي أصوبه وأخلصه.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه".

وقال ﷺ: "قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك".

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

هذا فيما يخص أحاد الأعمال التعبدية، أما إن أريد مجموع العبادة وما يقوم به العبد نحوربه من أعمال تعبدية، فإنه لا بد من أن يضيف إلى الشرطين السابقين شرط ثالث: وهو الكفر بالطاغوت، والبراءة من الشرك كله؛ ما ظهر منه وما بطن: لأن الشرك يبطل العمل، ويحبطه، ويمنع من قبوله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:88. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر:65.

والله تعالى كما له الخلقُ فله الأمر والحكم في الخلق .. فهو سبحانه الذي خلق .. وهو الأعلَم بما يناسب ما خلق، فلا ينفذ في خلقه وملكه إلا أمره، وما سواه فأمره باطل، ومردود، ومرفوض، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40.

فحكمه هو العدل المطلق .. والحق المطلق .. وهو الأحسن والأجمل والأنفع .. وهو الذي يجب أن يتبع، وكل ما خالفه فهو باطل ومردود، وهو حكم الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ غافر:20.

ونعتقد بتوحيد الله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته .. ولا نقول: أن توحيد الله تعالى في الحاكمية أو التحاكم هو توحيد رابع أو خامس .. وإنما نعتقد أن منه ما يدخل في توحيد الألوهية، ومنه ما يدخل في توحيد الربوبية، ومنه ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات.

ونؤكد على أهميته ونخصه بالذكر لاعتقادنا أن فتنة الأمة في هذا العصر تأتي من جهة مناقضة

توحيد الله تعالى في حاكميته .. والخروج عن حكمه وشرعه إلى حكم وشرائع الطاغوت!

ونؤمن أن الدين عند الله هو الإسلام .. وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين .. ملة إبراهيم حنيفاً

وما كان من المشركين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران:19. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ

يَلْتَمِعْ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران:85.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

وما كان من خلاف بين الرسل أو الديانات السماوية فهو في الشرائع لا في العقائد والأصول، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ المائدة:48.

ونؤمن ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .. وأنه حبيبه وخليله .. سيد الأنبياء والمرسلين .. أرسله الله تعالى رحمة للعالمين . أنسهم وجنهم . بشيراً ونذيراً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء:107. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان:1. وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ص:87.

فالإنس والجن منذ مبعثه ﷺ وإلى يوم القيامة حظه من بين الأمم والشعوب .. لا يسع أحد ممن سمع به اتباع غيره .. فمن سمع به ولم يؤمن به، ولم يتبعه فهو من أهل النار.

وهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .. لا نبي بعده .. كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الأحزاب:40. فمن زعم بعده أنه نبي مرسل فهو كذاب أشر، وكافر مرتد. ونشهد أنه ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده .. صلوات ربي وسلامه عليه.

هو قدوتنا وأسوتنا .. ودليلنا إلى الله تعالى، وإلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة .. ما من شيء يقربنا إلى الله تعالى وإلى الجنة إلا وقد بينه لنا وأمرنا به، وما من شيء يبعدنا عن الله تعالى ويقربنا إلى النار إلا وقد بينه لنا ونهانا عنه.

تركنا ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن تمسك بغيره وسنته ﷺ فقد نجا، ومن خالفه وتنكب عن سنته فقد هلك، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب:21.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران:31.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

تجب طاعته واتباعه في جميع ما أمر وبلغ عن ربه .. فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران:132. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ النساء:59. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال:1. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد:33.

ومن طاعته ﷺ التحاكم إليه وإلى سنته .. فمن رد حكمه وسنته فقد رد حكم الله .. ومن رد حكم الله فقد كفر.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:65.

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:63. والفتنة هنا يُراد بها الشرك والكفر.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب:36.

فكل امرئ . مهما علا شأنه . يُخطئ ويُصيب، يؤخذ منه ويُرد عليه .. يجوز أن يُقال له أخطأت وأصبت .. إلا النبي ﷺ لا يجوز أن يُفترض في حقه إلا الحق والصواب، والعدل؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم:3-4.

ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات:1-2.

ترد الأقوال بقوله .. ولا يُرد قوله بأقوال الآخرين .. مهما علا كعبيهم وشأنهم.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

تجب محبته .. والصلاة عليه .. كما يجب توقيره وتعظيمه من غير غلو ولا جفاء؛ فقد نهانا النبي ﷺ عن ذلك، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا عبدُ الله ورسولُه" البخاري.

وقد سمع ﷺ جارية تنشد وتقول: وفيما نبيُّ يعلمُ ما في غدٍ! فقال ﷺ: "لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين" البخاري.

فمن أبغضه .. أو أبغض دينه وحكمه .. أو شتمه .. أو استهزأ به .. أو انتقص من قدره شيئاً .. فقد كفر، وخرج من الإسلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَدِرُوا قَد كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ التوبة:65-66.

وسنته ﷺ. الأحاد منها والمتواتر. العمل بها واجب وملزم، وهي حجة في الأصول والفروع، والعقائد والأحكام.

وهذا التفريق بين العمل بالحديث المتواتر دون حديث الأحاد في مسائل الاعتقاد هو من الأمور المحدثه في الدين .. وهو من صنيع أهل الكلام والأهواء .. وهو بخلاف الدليل، وما كان عليه سلفنا الصالح في القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخير والفضل.

ونترضى على جميع أصحاب النبي ﷺ الأنصار منهم والمهاجرين، وغيرهم ممن أسلم بعد الفتح .. فنوالهم ونوالي من والأهم وأحيمهم، ونعادي من عاداهم وأبغضهم، ونلعن من لعنهم، ونكفر من كفرهم؛ لأن الطعن بهم هو طعن بالدين .. وطعن بكتاب الله .. وطعن بسيد الأنبياء والمرسلين، فلا يتجرأ على الطعن بهم ولا يفتاظ منهم إلا كل منافق كافر.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح:18. والذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة كانوا أكثر من ألف وأربعمائة صحابي .. والله تعالى إذ يرضى عنهم فهو يرضى عنهم لدينهم وإيمانهم، وحسن جهادهم ونصرتهم للنبي ﷺ.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح:29. والذين معه هم أصحابه من المهاجرين والأنصار.. كما أن الآية دلت أن أصحاب النبي ﷺ لا يفتنوا منهم إلا الكفار، كما قال تعالى: ﴿لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُغْفَبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ التوبة:65-66.

وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم لم يستهزئوا بالله وآياته ورسوله تحديداً، وإنما استهزءوا بالصحابة، فقالوا عنهم: ما رأينا مثل قراننا هؤلاء. يعني أصحاب النبي ﷺ. أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجب عند اللقاء!!

فعد ذلك استهزاء بالله تعالى الذي زكى الصحابة وأثنى عليهم خيراً، واستهزاء بآياته التي ورد فيها رضى الله تعالى عن الصحابة، واستهزاء برسوله ﷺ الذي أثنى خيراً على أصحابه.. فكفروا بذلك بعد إيمانهم.

ونعتقد أن جميع الصحابة عدول.. وهم خير خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين.. وأن قرنهم خير القرون.. وأنهم هم الأفقه، والأعلم، والأحكم، والأسلم.. بالنسبة لمن جاء بعدهم.. من سلك طريقهم ومنهجهم.. والتمس فهمهم.. فقد رشد ونجا.. ومن يُشاققهم، ويتبع غير منهجهم وسبيلهم فقد ضل وغوى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء:115. وأولى الناس دخولاً في ﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هم أصحاب النبي ﷺ.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

وأفضل الصحابة هم الذين أجمعت الأمة على فضلهم، وهم: أبو بكر الصديق، ثم الفاروق عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب .. رضي الله تعالى عنهم أجمعين.
ونعتقد أن خير القرون بعد قرن النبي ﷺ وأصحابه .. قرن التابعين لهم بإحسان؛ ثم القرن الثاني ثم الثالث .. ثم يفسحوا الكذب، وتضعف الأمانة حتى يُقال في بني فلانٍ رجلٌ أمين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الخلف ممن جاءوا بعد القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخير والفضل .. فقيمتهم تأتي من جهة التزامهم بغرس وفهم من سلف .. فمنهم الكثير، ومنهم المقل .. ولكل له قدرٌ .. جعلنا الله تعالى وإياكم من المكثرين.

ونعتقد أن المؤمنين أخوة .. وأن الموالاتة فيما بينهم واجبة .. وأنهم يد على من سواهم، يمشي بذمتهم أدناهم .. وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يُسلمه، ولا يخذله، ولا يحقره.
فالمسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه .. لا يجوز الاعتداء عليه في شيء، كما لا يجوز تكفيره بالظن، والمرجوح، أو المتشابهات .. إلا أن يُرى منه كفراً بواحاً لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً، لنا فيه من كتاب الله وسنة رسوله دليل صريح.

فمن أبغض عامة المسلمين أو شتمهم .. أو كفرهم .. فهو كافر منافق؛ إذ لا يبغض جميع المسلمين إلا منافق كافر بالإسلام، ومبغض له.

والمرء من المسلمين الذي فيه صلاح وفسوق .. فيه موجبات الموالاتة والمجافاة؛ فيؤالي من وجه، ويُجافي من وجه، بحسب ما فيه من صلاح أو فسوق .. ولا يُجافي على الإطلاق إلا من أثر الكفر والشرك على الإيمان وكان من المجرمين.

ونحترم علماءنا ونجلهم .. ونعرف لهم فضلهم وحقهم .. ونتوسع لهم في التأويل فيما أخطأوا فيه .. ولا نعتقد بعصمتهم أو أنهم فوق الخطأ أو التعقيب .. أو أنهم فوق أن يُقال لهم أخطأتم وأصبتم!

ولا نتعصب لهم ولا لأقوالهم فيما يخالف الحق .. ولا نتابعهم فيما أخطأوا فيه .. فالحق أولى بالتباع، وهو أحب إلينا مما سواه.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

ونقول في الإيمان ما قال به السلف الصالح، ودلت عليه نصوص الشريعة بأنه: اعتقاد، وقول، وعمل، يزيد بالطاعات، وينقص بالذنوب والمعاصي، لا ينتفي مطلقاً إلا بالكفر والشرك.
والعمل منه ما يكون شرطاً لصحته، ينتفي الإيمان بانتفائه، ومنه ما يكون دون ذلك.
ولا نقول: لا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله !!
وإنما نقول: لا نكفر أحداً بكل ذنب، أو لا نكفر أحداً بذنب دون الشرك ما لم يستحله.
فالشرك كفر لذاته، وكذلك أي قول أو عملٍ كفري فهو كفر لذاته لا يُشترط له الاستحلال .. أو أن يكون معقوداً حله في القلب!

ولا نقول: أن المرء لا يكفر إلا بالجحود أو الاستحلال القلبي .. كما يزعم أهل التجهيم والإرجاء ..
فإن الكفر أو سع من حصره بالجحود: فمنه الكفر الذي يأتي من جهة الإعراض والتولي، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة العناد، والكبر، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الطعن والاستهزاء، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الكره والبغض لما أنزل الله، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الموالاتة ومظاهرة المشركين ..
ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الشك بالله تعالى، وبوعده ووعيده .. ومنه الكفر الذي يأتي من جهة التوجه بأي نوع من أنواع لعبادة للمخلوق .. فهذه الأنواع كلها يمكن أن يكفر المرء من جهتها وإن لم يكن جاحداً للحق أو مستحلاً للكفر في قلبه!

كذلك الجحود والتكذيب يمكن أن يكون باللسان والعمل، كما يمكن أن يكون بالقلب ..
وجميعها تسمى كفر جحود .. وهذا كله قد دلت عليه نصوص الشريعة.

من أظهر لنا الإسلام حكمنا بإسلامه، وعاملناه معاملة المسلمين، ومن أظهر لنا الكفر. من غير مانع شرعي معتبر. أظهرنا له التكفير، وحكمنا بكفره ظاهراً وباطناً، وعاملناه معاملة الكافرين.

ونعتقد كفر من لا يعمل بالتوحيد، وكفر من انتفى عنه مطلق العمل وجنسه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران:31. فالذي

ينتفي عنه مطلق الاتباع ينتفي عنه مطلق الحب لله ﷻ .. ومن كان كذلك لا شك في كفره.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه:124.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ السجدة:22.

ونعتقد كفر تارك الصلاة .. ولو كان مقيماً لغيرها من الفرائض .. لورود الأدلة والآثار الصريحة

في ذلك.

ولا نوّثم ولا نبديع من لا يرى كفره .. إلا إذا كان لا يرى كفره لأن الصلاة عمل، وتارك العمل كلياً

عنده ليس بكافراً!

ونعتقد كفر من توجه إلى الأموات والقبور بالدعاء والسؤال والاستغاثة؛ لأن الدعاء عبادة،

والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى .. وكذلك من صرف أي نوع من أنواع العبادة للمخلوق.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيِّنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا

عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأعراف:37.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام:41-42.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ

إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ الأنعام:56.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

الأعراف:197.

ونعتقد أن موالاة الكافرين نوعان: موالاة كبرى تُخرج صاحبها من الملة، وموالاة صُغرى؛ موالاة

دون موالاة، لا تُخرج صاحبها من الملة.

ومن الموالاة الكبرى مظاهره المشركين على المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ

مِنْهُمْ﴾ المائدة:51. ولقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ آل عمران:28. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي

أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ الكهف:102.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

ونعتقد أن العلمانية . على اختلاف راياتها ومسمياتها وأحزابها المعمول بها في الأمصار .. التي تفصل الدين عن الدولة والحياة، وشؤون الحكم والعباد .. وتجعل ما لله لله؛ وهي المساجد وزوايا التعبد وحسب .. وما لقيصر لقيصر؛ وهي جميع مرافق وشؤون الحياة .. وما كان لله يصل لقيصر، وما كان لقيصر لا يصل إلى الله .. وليس من حقه ولا من خصوصياته التدخل فيه . غرسٌ خبيث ودخيل على الأمة وثقافتها، وهي كفر بواح ومروق ظاهر من الدين .. فمن اعتقد بها، أو دعا إليها، أو ناصرها وقاتل دونها .. أو حكم بها .. فهو كافر مشرك مهما تسمى بأسماء المسلمين وزعم أنه من المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ النساء:151.

وقال تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا

كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الأنعام:136.

فالعلمانية ودين الله لا يلتقيان .. ولا يتعايشان .. ولا يجتمعان في قلب امرئٍ أبداً.

وكذلك الديمقراطية .. فتنة هذا العصر .. التي تُكرس ألوهية المخلوق وحاكميته .. وترد له

خاصية الحكم والتشريع من دون الله .. وتُعطي إرادته وحكمه على إرادة وحكم الله تعالى .. هي كفر بواح

ومروق من الدين، فمن اعتقد بها بمفهومها هذا، والمعمول به في بلاد الغرب وغيرها من الأمصار .. أو

دعا إليها، أو حكم بها .. أو رضخها .. فهو كافر مرتد مهما زعم بلسانه زوراً أنه من المسلمين.

ونعتقد كفر الحاكم الذي يبدل شرع الله تعالى بشرائع وقوانين الكفر، والحاكم الذي يجعل من

نفسه نداً لله ﷻ في خاصية التشريع، فيشرع التشريع الذي يضاهي شرع الله، وكذلك الذي يعدل عن

شرع الله فيحتكم إلى شرائع الطاغوت، ويقدمها على شرع الله.

ونعتقد كفر الحاكم الذي يحكم بالكفر والشرك، والحاكم الذي يحمي ويقاوم دون قوانين وشرائع

الكفر، والحاكم الذي يرد حكم الله تعالى كبراً أو جحوداً أو عناداً أو كرهاً، أو استحلالاً، والحاكم الذي

لا يحكم بما أنزل الله مطلقاً، والحاكم الذي يُحارب شرع الله، ودعاة الحكم بما أنزل الله لكونهم يدعون

ويأمرون بالحكم بما أنزل الله، والحاكم الذي يوالي أعداء الأمة على الأمة .. فيحرص على تنفيذ أوامرهم

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

ومخططاتهم في الأمة أكثر من حرصه على تنفيذ أوامر الله تعالى .. فهؤلاء الحكام جميعهم كفار، وأيما حاكم يتلبس . بيقين . بخصلة من تلك الخصال الأنفة الذكر فهو كافر مرتد، لا تجوز له الطاعة، ولا ولاية له على المسلمين ولا على بلادهم، ونرى وجوب إقالته والخروج عليه، عند توفر القدرة على ذلك.

والدليل على كفر جميع من تقدم ذكرهم من الحكام قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة:44. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:26. وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى:21. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء:60. وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:65. وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50. وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة:31. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام:121. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ محمد:26. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ محمد:9. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور:47. فهذه الآيات كلها تصلح دليلاً على كفر من تقدم ذكرهم من طواغيت الحكم.

فالمسألة ليست محصورة . كما يصور البعض! . في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ليكثر الجدل في تفسيرها، ودلالاتها، وأسباب نزولها .. وكان المسألة لا يوجد عليها دليل من كتاب الله وسنة رسوله إلا هذه الآية الكريمة!

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

ونعتقد أن الله تعالى لا يغفر الكفر والشرك، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء:48.

ونعتقد أن التوبة الصادقة تجب ما قبلها وتمحه بما في ذلك الشرك والكفر.. وأن باهما لا يغلق إلا عند الغرغرة ومعاينة الموت، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء:18.

ونعتقد أن التوحيد مصلحة عظمى تهون في سبيله جميع المقاصد والمصالح، وأن الشرك ظلم عظيم لا يعلوه ظلم، وفتنة عظمى لا تعلوها فتنة.. تهون في سبيل استئصالها جميع الفتن والمفاسد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:13. وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة:191. وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال:39.

فالفتنة الحقيقية في قبول الشرك، والرضى به، والسكوت عنه، وليس في جهاده واستئصاله، وتغييره.. كما يصور البعض.

والشرك ضد التوحيد: وهو أن تجعل لله تعالى نداً في ألوهيته، أو ربوبيته، أو في شيء من خصائصه وصفاته.. وهو **شرك** الذي خلقك، وتفضل عليك بالنعمة التي لا تحصى.

أما التوحيد: فهو إفراد الله تعالى بالعبادة وحده، وله ركنان لا يقبل ولا يستقيم إلا بهما معاً، أولهما: الكفر بالطاغوت؛ والبراءة منه، ومن عبادته، ومن عابديه، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ الممتحنة:4.

والطاغوت: هو كل ما عبد من دون الله **تعالى**، ولو بوجه من أوجه العبادة.. ورضي بذلك.

فالشيطان طاغوت.. والهوى المتبع طاغوت.. والساحر طاغوت.. والكاهن الذي يتكهن علم الغيب طاغوت.. والحاكم بغير ما أنزل الله طاغوت.. والذي يشرع مع الله أو من دونه طاغوت.. والفساديات

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

والتشريعات المضاهية لشرع الله تعالى طاغوت .. والمتحاكم إليه من دون الله طاغوت .. والمطاع لذاته من دون الله طاغوت .. والمحبوب لذاته من دون الله طاغوت.

واشترط الرضى في تعريف الطاغوت؛ لنخرج الأنبياء والصالحين الذين يُعبدون من دون الله . وهم لعبادة الناس لهم كارهون، ومبغضون، ومحدِّرون . من مسمى وحكم الطاغوت.

ثانياً: إفراد الله تعالى بالعبادة؛ وإثبات أن الله تعالى وحده المعبود المألوه بحق، وهو معنى شهادة أن " لا إله إلا الله"، التي تتضمن ركني النفي والإثبات، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة:256. والعروة الوثقى، هي: لا إله إلا الله.

فمن توجه لله تعالى بالعبادة ولم يكفر بالطاغوت وبعبادته وعابديه فتوحيده ناقص ولا يُقبل منه، ولا يكون موحداً .. وهو مثله مثل من يأتي بالشيء وضده معاً.

فإن قيل: كيف يُكفر بالطاغوت ..؟

أقول: كما أن الإيمان بالله تعالى يجب أن يكون بالاعتقاد والقول والعمل، كذلك الكفر بالطاغوت يجب أن يكون بالاعتقاد والقول والعمل .. لا تُجزئ واحدة من هذه الخصال عن الأخرى. فمن اعتقد كفره وبغضه في قلبه، ثم هو بلسانه يدعو له، ويدعو لموالاته، ويزين باطله، ويسكت عن كفره وشركه وطغيانه .. ويُجادل عنه .. فهذا لا يكون قد كفر بالطاغوت.

كذلك الذي يكفر بالطاغوت في الاعتقاد والقول، لكنه في العمل يواليه ويُقاتل دونه ومعه على كل من يُعاديه .. فهذا كذلك لا يكون قد كفر بالطاغوت .. ولو زعم بلسانه ألف مرة أنه كافر بالطاغوت .. ولا يكون كافراً به إلا إذا كفر به . كما تقدم . بالاعتقاد، والقول، والعمل، معاً.

مع ضرورة مراعاة ما يمكن أن يعجز عنه المرء تحت ظروف الإكراه، والخوف، والتقية. ونعذر. عملاً بالنصوص الشرعية وأقوال أئمة العلم . بالجهل المعجز الذي لا يمكن دفعه ..

وبالتأويل المعتبر.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

ونعتقد أن بداية كل غلو في التكفير مرده إلى عدم الإعذار بالجهل مطلقاً .. كما أن مبدأ أهل الإرجاء والجفاء .. والوقوع في شبهاتهم وتفريطهم مرده إلى الإعذار بالجهل مطلقاً .. من دون تفصيل ولا ضوابط.

ولا نفرق . عند حصول العجز وانتفاء القدرة . بين الجهل في الفروع وبين الجهل في الأصول .. فيُعذر الأول، ولا يُعذر الآخر .. فهذا لا نقول به؛ لأنه قول محدث وغريب، وهو بخلاف ما دلت عليه نصوص الشريعة.

ومن فرق من أهل العلم بينهما فهو محمول على اعتبار استفاضة العلم بالأصول . في مجتمع من المجتمعات . إلى حد ينتفي معه العجز، ويحقق القدرة عند كل من يصدق في طلب ومعرفة تلك الأصول .. ولا يجوز تعميم ذلك على جميع أهل الأمصار، وفي كل زمان ومكان!

ونفرق بين الكفر العام وكفر المعين، ولا نرى كفر المعين إلا إذا توفرت بحقه شروط التكفير، وانتفت عنه موانعه.

ونعتقد أن الأصل في الناس في مجتمعات المسلمين: الإسلام .. وأنهم مسلمون .. ما لم يظهر منهم ما يدل على خلاف ذلك.

ولا نكفر أحداً منهم بعينه إلا إذا ظهر منه كفر بواح صريح لنا فيه برهان من الكتاب أو السنة .. فالإسلام الصريح لا ينقضه إلا الكفر الصريح.

ونرى صحة الصلاة خلف البر والفاجر، وخلف مستور ومجهول الحال .. ما لم نر منه كفراً بواحاً .. ولا يُشترط . للصلاة خلفه . التثبيت أو التبين من عقيدته ومعرفة حاله .. فهذا من صنيع أهل الأهواء والتنتطع .. وهو بخلاف ما دلت عليه السنة، وأجمع عليه علماء الأمة.

كما نعتقد أن الله تعالى لا يُعذب أحداً يوم القيامة إلا من قامت عليه الحجة من جهة نذارة الرسل، فقابلها بالإعراض والإدبار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء:15. وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

النساء:165. وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾
الملك:8.

وكذلك في الحياة الدنيا فإن سنة الله تعالى في عباده أن لا يهلكهم بعذاب عام إلا بعد أن تبلغهم
نذارة الرسل فيقابلونها بالجحود والإعراض، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَنَخْزَى﴾ طه:134. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف:59.

ولا نشهد على معين من أهل القبلة بجنة ولا نار .. ولا بعفو ولا عذاب .. إلا من ورد بحقه ممن
سلف نص شرعي .. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:216.

فإن حسنت الخاتمة، وظهرت قرائن عن الميت تبشر بالخير، يُمكن أن يُقال حينئذٍ على وجه
الرجاء لا الجزم: نحسبه شهيداً .. نرجو أن يكون شهيداً .. ومن أهل الجنة .. ولا نزكويه على الله!
أما الكافر الذي يموت على الكفر فإننا نشهد عليه بعينه بالعذاب والخلود في النار .. ونبشره
بذلك، كما وردت بذلك الأحاديث والآثار، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "حيثما مررت بقبر كافر فبشره
بالنار"، قال الصحابي: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً؛ ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.
قال ابن عمر رضي الله عنهما: "نهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحدٍ من أهل الدين النار؛ مفهوم المخالفة
يقضي بأن نوجب لكل أحدٍ بعينه ليس من أهل القبلة والدين النار؛ إذ لو كان لا يجوز لما كان تخصيص
النهي عن الحكم لأهل الدين بالنار معنى.

ولا يجوز أن يُحكّم على كافر في حياته بأنه من أهل النار؛ لاحتمال توبته ودخوله في الإسلام،
ولكن يُمكن أن يُعلق الحكم على الخاتمة، فيُقال: إن مات على كفره فهو من أهل النار.

والمرء يدخل الإسلام بشهادة التوحيد، ولا يُجزئ عنها من أركان الإسلام شيء سوى الصلاة؛ فمن
رؤي يُصلي صلاتنا، ويستقبل قبلتنا .. فهو المسلم، ويُحكّم له بالإسلام وإن لم يُعرف عنه أنه نطق
بشهادتي التوحيد، كما في الحديث: "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم له
ذمة الله وذمة رسوله" البخاري.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

فإن كان كفره من غير جهة شهادتي التوحيد، فإنه يدخل الإسلام بشهادتي التوحيد، وبالتوبة والبراءة مما كان سبباً في كفره وخروجه من دائرة الإسلام.

فمن نطق وصرح بشهادة التوحيد عصم دمه وماله، وعومل في الدنيا معاملة المسلمين، فله ما لهم وعليه ما عليهم ما لم يُظهر ما يُناقضها ويُبطلها، وهي تنفعه في الآخرة إن استوفى شروطها، وهي إضافة إلى شرط النطق والإقرار: العلم، والصدق والإخلاص، وانتفاء الشك وحصول اليقين، والعمل بها، ومحبتها ومحبة أوليائها، والرضى بها، والانقياد والتسليم لها، والموافاة عليها.

فمن قال: لا إله إلا الله بهذه الشروط .. نفعته يوم القيامة مهما كان منه من عمل .. وعليه ينبغي أن تُحمل الأحاديث التي تفيد دخول الجنة لمن قال لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال خردلة أو ذرة من إيمان .. أو من لم يعمل خيراً قط .. زائداً عن التوحيد.

ونعتقد أن العلاقة بين الظاهر والباطن مترابطة ومتلازمة، وكل منهما يؤثر ويتأثر من الآخر، ودليل عليه؛ فمن فسد ظاهره فسد باطنه، ومن فسد باطنه فسد ظاهره ولا بد، ومن كفر في الظاهر كفر في الباطن، ومن كفر في الباطن كفر في الظاهر .. والمنافق مهما أخفى كفره الباطن فإنه يُعرف من قرائن عدة .. ومن لحن القول .. ويأبى الله إلا أن يفضحه، كما الحديث المتفق عليه: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".

ونعتقد أن الإيمان لا يمكن أن يجتمع مع الكفر في قلب امرئ أبداً .. فإذا حلَّ أحدهما انتفى الآخر ولا بد.

ويمكن أن يجتمع في قلب واحدٍ إيمان وفسوق أو إيمان وكفر أصغر أو شرك أصغر. ونبرأ إلى الله تعالى من ضلالات وغلو الخوارج ومن تابعهم من غلاة التكفير في هذا الزمان .. ونحذّر منهم ومن غلوهم وظلمهم .. وننصح باعترالهم وعدم مجالستهم إلا من مُس منه الاسترشاد والحرص على طلب الحق .. فحينئذٍ يُجالسه طالب علم أو من كان قادراً على قيام الحجة عليه وإرشاده للصواب .. ونرى أن تسليط الدرّة على رؤوسهم الجامدة أنفع لهم من نقاشهم وحوارهم!

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

وكذلك الخبثاء أهل التجهم والإرجاء .. بطانة الطواغيت الظالمين .. وعينهم الساهرة الحارسة على أمنهم وسلامتهم .. فهم الطرف النقيض للخوارج وغلاة التكفير .. فإننا نبرأ إلى الله تعالى من مذهبهم الضال الخبيث .. ومن أخلاقهم .. ونحذر منهم ومن غيهم وتفريطهم وفسادهم .. ومن كذبهم على دين الله..!

ورأينا فهم أن يُضربوا بالنعال، ويُطاف بهم في الأسواق، ويُقال: هذا جزء من يجادل عن الطواغيت .. ويخذل التوحيد وأهله ..!

ونعتقد أن الحق وسط بين الغلو والجفاء، وبين التعطيل والتشبيه، وبين الأمن والإياس، وبين الجبر والقدر .. لا إفراط ولا تفريط .. في جميع مسائل الأصول والفروع .. وإنما هو وسط بينهما. ونعتقد أن الجهاد ماضٍ مع كل بروفاجر. ما لم يرق فجوره إلى درجة الكفر. وفي كل زمان، وبإمامٍ ومن دون إمام .. وأنه يجوز أن يمضي بفرد واحدٍ فما فوق .. لا يوقفه جور الجائرين، ولا إرجاف المثبطين .. وإلى قيام الساعة.

قال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يُقاتل آخرهم المسيح الدجال". وفي رواية: "إلى يوم القيامة". والطائفة تُطلق في اللغة على الفرد فما فوق.

ونعتقد أن الجهاد في سبيل الله هو الطريق الشرعي الصحيح الذي يمكّن الأمة من استئناف حياتها الإسلامية، وقيام خلافة راشدة.

وهو الطريق الشرعي الصحيح الذي يمكن الأمة من استرداد حقوقها المغتصبة والمنتهكة .. وما أكثرها.

وهو الطريق الشرعي الصحيح الذي تُصان به الحقوق والحرمان من السطو والاعتداء. وهو الطريق الشرعي الصحيح الذي يحفظ للأمة مكانتها وهيبتها بين الأمم التي لا تحترم إلا القوي. وهو أقرب الطرق .. وأيسرها .. وأقلها كلفة .. للوصول إلى أهداف وغايات هذا الدين .. وإن بدا لأعشى الليل خلاف ذلك.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

وما سوى ذلك من الطرق والحلول والمناهج المقترحة .. فمنها الباطل ومنها المشروع .. والمشروع منها لا يمكن أن تحقق نصراً عاماً على مستوى الأمة، أو ترقى إلى مستوى أهداف وغايات هذا الدين .. وأكثر ما يمكن أن يُقال فيها أنها تُعتبر روافد تمد بحر الجهاد بالقوة والحياة.

ونعتقد أن الله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين .. وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة .. وأنه تعالى لا يزال يسخر لهذا الدين رجالاً ينصر بهم الملة .. ويحفظ بهم دينه .. ويُعلي بهم كلمته .. ظاهرين على من ناوهم .. لا يضرهم من خذلهم .. لا يخلو منهم زمان .. وإلى أن تقوم الساعة .. وهم الطائفة الظاهرة المنصورة.

ونعتقد أن الصراع والتدافع بين الحق والباطل قائم منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وناصبه إبليسُ العداة حسداً وكبراً، فأمرهم الله بالهبوط إلى الأرض كأعداء، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ البقرة:36. ولا يزال هذا الصراع والتدافع بين الحق وأهله من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى .. ما بقيا على وجه الأرض .. وإلى حين قيام الساعة .. وهو من ضروريات ولوازم بقاء الحياة وحفظها .. وهو سنة ماضية من سنن الله تعالى في خلقه .. وأن العاقبة . ولو بعد حين . للمتقين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة:251. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ الحج:40. وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ الأنبياء:18. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء:81.

ونعتقد ونؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، لا نفرق بين أحدٍ من رسله .. وبكتبه المنزلة على رسله، وبملائكته، وأنهم عباد لله عز وجل لا يعصون الله ما أمرهم.

ونشهد ونؤمن أن عيسى عليه السلام عبدُ الله ورسولُه وابنُ أمته وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروحٌ منه .. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ النساء: 157. وأنه ينزل إلى الأرض حكماً عادلاً؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية؛ فلا يقبل من الناس إلا الإسلام.

هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه

ونؤمن بالقدَر خيره وشره .. وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا .. وأن ما من شيء . مهما دق أو خفي . إلا بقدر، وقد رُقم قبل أن يكون .. وأن ما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا .. وبقدر .. وما أصابنا من حسنة فمن الله تعالى .. وبقدر.

ونعتقد جازمين بأن الموت حق .. وأن عذاب القبر ونعيمه حق .. وأن البعث والنشور حق .. وأن الحساب حق .. وأن الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق .. وأن الميزان الذي تُوزن به الأعمال حق .. وأن حوض نبينا ﷺ حق .. وأن الجنة ونعيمها حق .. وأن النار وعذابها حق .. وهي لا تفتى ولا تبديد .. وأن الشفاعة حق .. وهي لا تكون إلا لمن أذن الله له وارتضى .. وأن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حق .. وأن العرش حق .. والكرسي الذي بين يدي العرش حق .. وأن علو الله تعالى فوق عرشه حق .. وأن القرآن كلامُ الله غير مخلوق حق .. وأن جميع ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة من إخبار أو أمر أو نهي .. فهو حق ونؤمن به.

ونقول . ظاهراً وباطناً . ما أمرنا الله تعالى أن نقوله: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة:136.

هذه عقيدتنا .. وهذا الذي نؤمن به وندعو إليه .. ونجاهد في سبيله .. بها نحيا .. وعليها نموت ونلقى الله تعالى إن شاء الله .. سائلين الله تعالى القبول، والثبات، وحسن الختام.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/12/26هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/03/10م

جهادنا وجهادهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جهادنا في سبيل الله .. وجهادهم في سبيل الطاغوت، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾.

جهادنا من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض .. ولكي تكون هي العليا .. وجهادهم من أجل إعلاء كلمة الطاغوت!

جهادنا من أجل إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان وأغلالها إلى عدل الإسلام ورحمته، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة .. وجهادهم من أجل إخراج العباد من عبادة رب العباد إلى عبادة العباد والأوثان .. وتعبيد العبيد للعبيد .. ومن عدل الإسلام ورحمته إلى جور الأديان وأغلالها .. ومن سعة الآخرة وجنانها إلى ضيق الدنيا وزينتها ..!

جهادنا في حقيقته أطر للعباد .. ولو بالسلاسل .. إلى الجنة .. ومنعهم من دخول النار .. وجهادهم أطر للعباد إلى النار وجحيمها .. ومنعهم من دخول الجنة .. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

جهادنا من أجل كسر القيود، وإزالة السدود والموانع التي تحيل بين العبد وحرية اختياره لدينه .. وجهادهم من أجل نصب السدود والموانع، وإحكام السلاسل الغليظة في المعاصم وحول الأعناق لتحيل بين العباد وبين حرية اختيارهم للدين الحق ..!

جهادنا مضبوط بضوابط وأحكام الشرع .. له ثوابته وأخلاقياته .. لا يمكن تجاوزها في الرضى والسخط .. ولا في القوة أو الضعف .. معروف ما له وما عليه .. وجهادهم بلا ضابط، ولا قيد، ولا رادع .. ولا وازع .. ولا خلق .. لا يمكن أن تعرف ما له وما عليه!!

جهادنا مرجعيته حكم الله .. وجهادهم مرجعيته حكم الطاغوت .. الأهواء .. والتزوات .. والمصالح المادية ..!

جهادنا ذوداً عن الحقوق والحرمان المغتصبة .. وجهادهم اعتداءً وسطواً على حقوق وحرمان الآخرين ..!

جِهَادُنَا وَجِهَادُهُمْ

جِهَادُنَا لَا تَبْرُرُ غَايَاتِهِ الرَّفِيعَةَ وَسِيلَةً وَضِيعَةً .. وَجِهَادُهُمْ تَبْرُرُ غَايَاتِهِ الْوَضِيعَةَ السَّاقِطَةَ كُلَّ وَسِيلَةً وَوَسِيلَةً .. لَا تَوْجَدُ عِنْدَهُمْ وَسِيلَةً مَمْنُوعَةً! فَالْأَطْمَاعُ .. وَمَصَالِحُ الْأَسْيَادِ وَالْكَبْرَاءِ .. فَوْقَ كُلِّ غَايَةٍ وَوَسِيلَةٍ!

جِهَادُنَا لَا تَزِرُ فِيهِ وَازْرَةَ وَزَرَ أُخْرَى .. لَا يُوْخِذُ الْمَرْءَ فِيهِ بِجَرِيرَةٍ غَيْرِهِ .. وَجِهَادُهُمْ يُوْخِذُ فِيهِ الْبَرِيءَ بِجَرِيرَةٍ غَيْرِهِ .. لَا يَمِيزُ بَيْنَ الظَّالِمِ وَالْمُظْلَمِ .. وَبَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْمَعْدُومِ .. وَبَيْنَ الْمُعْتَدِي وَالْبَرِيءِ ..!

جِهَادُنَا لَا يَأْخُذُ الْآخِرِينَ بِالظَّنِّ وَالشُّهَاتِ .. فَقَضَايَاهُ كُلُّهَا تَقُومُ عَلَى التَّثَبُّتِ وَالْيَقِينِ .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

بَيْنَمَا جِهَادُهُمْ يَقُومُ عَلَى ظَنِّ السُّوءِ .. وَيَأْخُذُ الْآخِرِينَ بِالظَّنِّ وَالشُّهَاتِ ..!!

جِهَادُنَا حَرَامٌ فِيهِ قَصْدُ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِمَّنْ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ .. بِسُوءِ أَوْ أذى .. وَجِهَادُهُمْ لَا يَوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ حَرَامٌ أَوْ مَمْنُوعٌ، أَوْ لَا يَجُوزُ قَصْدُ تَرْوِيعِهِ وَأَذَاهُ .. بِمَا فِي ذَلِكَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الشُّيُوخِ وَغَيْرِهِمْ ..!

جِهَادُنَا سَوْرٌ أَمْنِي يَحْفَظُ الْإِنْسَانِيَّةَ وَمَجْتَمَعَاتِهَا مِنَ الدَّمَارِ وَالْهَلَاكِ .. وَجِهَادُهُمْ مِنْ أَجْلِ تَدْمِيرِ وَهَلَاكِ الْبَشَرِيَّةِ بِرَمْتِهَا .. وَمَا تَصْرِيحَاتُ كِبْرَاءِ الْقَوْمِ عَنْ إِمْكَانِيَّةِ اسْتِخْدَامِهِمْ لِلْأَسْلِحَةِ النَّوَوِيَّةِ ضِدَّ الشُّعُوبِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ .. عَنْ مَسَامَعِنَا بَبَعِيدَةٍ .. وَقَدْ اسْتِخْدَمُوا مِنْهَا الْكَثِيرَ!

فَمِثْلُ جِهَادُنَا وَجِهَادُهُمْ .. كَمِثْلِ قَوْمِ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ .. فَقَسَمَ مِنْهُمْ جَاءَ فِي أَسْفَلِهَا .. وَقَسَمَ مِنْهُمْ جَاءَ فِي أَعْلَاهَا .. فَالَّذِينَ كَانُوا فِي أَسْفَلِهَا .. بِاسْمِ الْحَرِيَّةِ .. وَالبَحْثُ عَنِ الْمِيَاهِ .. وَالحَاجَةُ إِلَيْهَا .. أَرَادُوا أَنْ يُعْمَلُوا مَعَاوِلَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَقَنَابِلَهُمْ فِي السَّفِينَةِ .. فَإِنْ تَرَكَهُمُ الَّذِينَ فِي أَعْلَى السَّفِينَةِ وَمَا يُرِيدُونَ .. غَرَقَتِ السَّفِينَةُ .. وَهَلَكُوا جَمِيعًا .. وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ بِالْمَنْعِ وَالزُّجْرِ وَالتَّأْدِيبِ .. نَجَوْا .. وَنَجَوْا جَمِيعًا! جِهَادُنَا كَعَمَلِ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ يَكْتَفِي بِإِزَالَةِ مَوَاضِعِ الدَّاءِ وَالْمَرَضِ مِنْ غَيْرِ تَوْسِعٍ .. لَيْسْتَ تَرُدُّ الْمَرِيضَ عَاقِيَتَهُ، وَيَسْتَأْنِفُ حَيَاتِهِ الرَّاشِدَةَ مِنْ جَدِيدٍ .. وَجِهَادُهُمْ كَعَمَلِ الْجَزَّارِ الَّذِي لَا يَرْحَمُ ضَحِيَّتَهُ .. وَلَا يُبْقِي مِنْهَا شَيْئًا وَلَا يَذُرُّ!

جهادنا وجهادهم

جهادنا حياة حقيقية .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ .. ﴾
﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وجهادهم موت حقيقي .. وهلاك حقيقي .. ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

جهادنا من أجل امرأة يُعتدى عليها تُسير الجيوش .. وجهادهم من أجل المكاسب والأرباح .. وإشباع رغبات ونزوات الكبراء والزعماء .. تُحاصر الشعوب .. ويقتلون مليون طفل وطفل .. ومليون امرأة وامرأة .. جوعاً وحرماناً!

جهادنا .. من قتل نفساً واحدةً بغير حق أو فساداً في الأرض ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ .. وجهادهم قتلُ شعبٍ بكامله .. حرية دائمة .. وعدالة مطلقة ..!!

جهادنا إذا نزل بأرض .. بسط العدل والأمن .. والطهر والحشمة والعفة .. وجهادهم إذا نزل بأرض نشر الظلم والخوف .. والفساد، والفجور، والعهر .. والرذيلة والمرض .. فالخمور والعاشرات .. تسبق جيوشهم الفاتحة!

جهادنا لأخلاقياته الرفيعة .. يحمده العدو قبل الصديق .. ومفخرة تتباهى به الأجيال .. وجهادهم لجرائمه الشنيعة، ومجازره الرهيبة .. ومقابره الجماعية التي يُدفن فيها العباد وهم أحياء .. تستحي منه أجيالهم .. مما يضطروهم للاعتذار عنه ولو بعد حين ..!!

جهادنا قتلاه في الجنة .. وجهادهم قتلاه في النار..!

جهادنا الله مولاه .. وجهادهم لا مولى له ..!

فأي الجهادين أفضل .. وأحق بالأمن والاتباع ..؟!

وأي الجهادين أعز، وأكرم، وأشرف .. وأولى بالثناء والبقاء ..؟!

وأي الجهادين أولى بوصف الإرهاب الذي ينبغي أن يُحارب .. جهادنا أم جهادهم .. جهادنا أم

جهادهم .. !!!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1422/12/28هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/03/12م

الجماعات الجهادية

بين الاعتراف بالخطأ والتراجع عن الثوابت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

كل جماعة وارد بحقها الخطأ والصواب .. فمن حقها . بل والواجب عليها . أن تصحح الخطأ، وتعتذر عنه .. فالاعتذار عن الخطأ والإقلاع عنه فضيلة تُذكر للمرء لا عليه .. فالاستمرار بالخطأ مع العلم به .. هو ضرب من ضروب العناد في الباطل .. الذي قد يؤدي إلى نتائج لا تُحمد عُقباها! كما من حقها . بين فترة وأخرى . أن تراجع مواقفها وتقف مع الذات موقف الناقد البصير المتجرد للحق .. فتتنظر إلى الجوانب الإيجابية فتعززها وتنميها .. وتنظر إلى الجوانب السلبية فتعتزلها وتتفادها قدر الإمكان ..!

فهذا التجديد في التقييم والنقد .. ومراجعة النفس كلما دعت الضرورة لذلك هو علامة من علامات حياة وقوة هذه الجماعة .. وأنها أبعد ما تكون عن التآكل والذوبان! من حقها على ضوء ما يستجد عليها وعلى الأمة من أحداث .. أن تقدم ورقة كانت قد أخرجتها أو تأخر ورقة كانت قد قدمتها .. تستدعي السياسة الشرعية .. وضرورة استمرارية العمل الدعوي هذا التقديم وهذا التأخير.

من حقها أن تنوع بالوسائل .. مادامت هذه الوسائل كلها مشروعة ومأذون بها .. وتتوسع بوسائل دون وسائل بحسب الحاجة والضرورة .. وما تسمح به الظروف والمعطيات ..! فهذا من حق كل جماعة أن تقوم به، وبخاصة منها الجماعات الجهادية الجادة الراشدة التي تعمل من أجل استئناف حياة إسلامية راشدة على مستوى الأمة!

لكن هذا الحق لا ينبغي . بل لا يجوز . أن يحمل الجماعة على التوسع في الاعتذار؛ فتعتذر عما كانت عليه من الحق .. وما يُعد من ثوابت وكليات هذا الدين!

الجماعات الجهادية بين الاعتراف بالخطأ والتراجع عن الثوابت

هذا الحق .. لا يجوز أن يحملها على إقرار وسائل وطرق ومناهج غير شرعية .. أو إلغاء وإنكار

وسائل شرعية قد أمر الله بها ورسوله ..!

هذا الحق .. لا يبرر لها مطلقاً الاعتراف بشرعية الطواغيت الظالمين الخارجين على عقيدة وثوابت

الأمة .. أو الركون إليهم .. أو الدخول في موالاتهم!

وأياً جماعة تفعل ذلك .. تخرج مباشرة عن وصفها كجماعة إسلامية تعمل من أجل الإسلام ..

ومن أجل قضاياه .. وإعلاء كلمته!

فهي بذلك .. ومنذ الخطوة الأولى التي يخطونها نحو قصور الطواغيت الظالمين ليستجدوا منهم

الاعتراف .. تفقد الجماعة مبررات وجودها كجماعة إسلامية تجاهد في سبيل الله .. بل وكجماعة تعمل

من أجل الإسلام!

الآلام والجراح مهما تعاضمت وتراكت .. تبرر التبرص .. والراحة .. والسكون .. والهدنة .. لالتقاط

الأنفاس .. وتضميد الجراح .. وإعداد العدة .. لاستئناف الجهاد من جديد .. ولكنها لا تبرر تنكب طريق

الجهاد .. والانتكاس على الأعقاب .. والوقوع في أحضان الطواغيت الظالمين .. لكي يُستجدى منهم العطاء

والفُتات .. أو الاعتراف بشرعية الحق بالوجود والحياة!

الذي حملنا على الإشارة إلى ذلك أن من الجماعات الجهادية المعاصرة .. تجاهد على طريقة

حاطب ليل .. فلا تميز في جهادها بين المهم والأهم .. وبين الجائز وغير الجائز .. وبين الصعلوك الذي لا زبر

له يزره وبين أئمة الكفر والطغيان .. وبين فقه قتال الجبهات وبين فقه قتال الشوارع والأزقة وما يقتضيه

من حذر واحتراز .. وبين ما يجوز لذاته لكنه محرم لغيره .. وبين ما يجوز لذاته ولغيره .. فتقع بسبب ذلك

في أخطاء جسيمة يثقل كاهلها .. ويُضعف من قوتها .. وربما يهدد وجودها بالبقاء كجماعة تعمل لقضية

الإسلام والمسلمين ..!

فيحملها ذلك على التخلي عن طريق الجهاد في سبيل الله .. وعلى الإعلان أن هذا الطريق لا يُجدي

نفعاً .. وأنه لا يجر على العمل الإسلامي إلا مزيداً من الانتكاسات والتأخر .. فتكون بذلك كشاهد زور

على أمر قد شرعه الله تعالى للعباد وفرضه عليهم .. وصوتاً جديداً من جملة الأصوات الكثيرة التي تندد

بالجهاد وتستتهجنه .. ليتحولوا بعد ذلك . هم وتجربتهم! . إلى دليل سوء وزور يستدل به الناس على بطلان

الجماعات الجهادية بين الاعتراف بالخطأ والتراجع عن الثوابت

شرعية الجهاد أو عدم جدواه .. وعلى شرعية سبل وطرق باطلة ما أنزل الله بها من سلطان .. حتى إذا ما قيل لهم ﴿انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قالوا: أتريد أن يحصل لنا كما حصل لجماعة كذا وكذا .. وفي بلد كذا وكذا .. أتريدون أن تكررُوا المأساة الفلانية .. كما حصل للجماعة الفلانية .. وفي البلد الفلاني .. سمعنا من هذه الاعتراضات الكثير الكثير .. ولعل هذا أقوى حجج من يرفضون نهج طريق الجهاد .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!؟

والحقيقة تكون أن ما أصابهم من سوء هو من عند أنفسهم .. وبما كسبت أيديهم .. ولكونهم لم يُراعوا العمل بالسُّنن .. وليس لكونهم نهجوا طريق الجهاد في سبيل الله .. الذي أمرهم الله تعالى به! قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: 30. وقال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: 165.

فالإلصاق يقتضي منا أن نتهم أنفسنا لا أن نتهم الله .. وأن نرد السيئات إلى أنفسنا .. وإلى ما اقترفته أيدينا من الأخطاء .. وليس إلى شرع الله تعالى المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!

ولعل من أسباب ظلم هؤلاء الناس لمبدأ الجهاد في سبيل الله .. أن أكثرهم لا يفرق بين الجهاد كشرعية ودين وبين المجاهد الذي يعمل على إحياء فريضة الجهاد .. فإذا أخطأ المجاهد . والخطأ وارد بحقه . قالوا: أخطأ الجهاد .. وخطأه ناتج عن كون أن الجهاد خطأ!..

ولهؤلاء نقول: الجهاد في سبيل الله حق مطلق .. وصواب مطلق لا يجوز افتراض الخطأ فيه .. لأنه دين الله .. وحكم الله .. وشرعية الله .. والمجاهد وارد في حقه الصواب والخطأ .. والخطأ وارد بحقه بقدر ما يتعد عن الالتزام بقواعد الشريعة وأصولها وبخاصة منها ما يتعلق بفقهاء الجهاد وما يتعلق به من أحكام ومسائل .. كما أن الصواب وارد بحقه بقدر ما يلتزم بقواعد وأحكام الجهاد الشرعية!.. فالمجاهد إذا أخطأ قيل أخطأ .. وإذا أصاب قيل أصاب .. من دون رمي مبدأ الجهاد بعبارات الطعن، والغمز واللمز!..

فالجهاد شيء .. والمجاهد شيء آخر .. لا يخلط بينهما إلا جاهل ظالم!

وكننت قد ذكّرت في أكثر من موضع من أبحاثي جملةً من القواعد والضوابط التي ينبغي لأي عمل جهادي جاد وهادف أن ينضبط بها .. ويراعها وهو في مسيره نحو أهدافه وغاياته السامية والرفيعة .. والتي تقلل من ظاهرة الانتكاس والارتداد عن الجهاد .. على مستوى الجماعات والأفراد سواء .. أعيد تلخيصها هنا في النقاط التالية طمعاً بالأجر .. وتعميم النفع لعامة المسلمين، وبخاصة منهم المجاهدين .. والله المستعان:

1- التفقه قبل العمل والانطلاق للجهاد: إذ الجاهل لا تؤمن عليه الفتنة والمخالفة .. والوقوع في أخطاء جسام .. تتنافى مع أخلاق ومبادئ الجهاد في سبيل الله.
مبدأ اضرب واعمل .. ثم ابحث عن دليل شرعي عما قمت به .. وعن عالم يجيز لك ما فعلت .. مبدأ خاطئ ومرفوض .. ومنطق قاصر لا يليق بالحركات الجادة والواعية التي تعمل من أجل رفعة هذا الدين العظيم .. وعلى مستوى الأمة!
والصواب أن يُقال: اعرف الدليل الشرعي المحكم فيما تريد القيام به قبل أن تقوم به .. لكي تكون على بصيرة من دينك وأمرك قبل أن تقدم على العمل .. وقبل أن تُرغم على الاعتذار وتقع في الندم .. ولات حين مندم!

فالعلم دائماً يتقدم العمل .. وهو شرط لصحته وقبوله .. لا يجوز أن يكون العكس.
فإن قيل: فما بال الصحابي الذي أسلم .. فقاتل .. فقتل، فقال النبي ﷺ عنه: "عمل قليلاً وأجر كثيراً". فكيف نوفق بين ذلك وبين ما تقدم عن ضرورة العلم قبل العمل ..؟!
أقول: أولاً أن هذا الصحابي المسؤول عنه .. قد تعلم العلم الضروري الذي ينفعه في وقته .. ويحتاجه قبل بدء المعركة؛ وهو أنه لم يؤجل إسلامه إلى ما بعد انتهاء القتال .. وإنما عمل بتوجيه النبي ﷺ له: "أسلم ثم قاتل". فأسلم فقاتل فقتل .. فنفعه إسلامه، والله الحمد!
ثانياً: وجود واحد أو عشرة ممن يجهلون غايات وأحكام الجهاد على وجه التفصيل .. في جيش يتواجد فيه كبار الصحابة والعلماء .. وعلى رأسهم سيدنا وقائدنا ومعلمنا محمد ﷺ .. لا يضر شيئاً ولا يمكن أن يضر بشيء ..!

الجماعات الجهادية بين الاعتراف بالخطأ والتراجع عن الثوابت

وهكذا الجيش أو الجماعة التي يقودها العلماء .. ويتخلل في صفوفها العلماء الناصحين .. فإن أخطاءها تقل كثيراً مهما كثر فيها الأفراد الذين لا يُحيطون علماً بمسائل الجهاد على وجه التفصيل والتدقيق .. والله تعالى أعلم.

لكن لا يجوز افتراض الجهل بمقاصد وغايات هذا الدين .. على مستوى القيادة والأفراد سواء .. ثم نعتبر ذلك ظاهرة صحية .. أو تجربة يُمكن أن يُكتب لها النجاح والاستمرار .. أو يتحقق على يديها نصراً لهذا الدين .. فجاهل الشيء كفاقده، وفاقد الشيء لا يمكن أن يُعطيه!!

2- أن لا يؤخذ المرء بجريرة غيره: فلا يُعامل بذنب غيره .. وبما لم يفعل، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يؤخذ المرء بجريرة أبيه أو أخيه". وبالتالي ظاهرة التوسع في قتل الأبرياء بغير حق بحجة أن الذي يجالسهم أو يسكن معهم يستحق القتل .. فيُقتلون معه .. ظاهرة خاطئة .. وهي مرفوضة عقلاً وشرعاً.

3- التثبت والتبين قبل القتل والقتال وإصدار الأحكام: إذ لا يجوز أن تُنتهك حرمة العباد بالظن .. فإن الظن لا يُغني من الحق شيئاً .. أو بما لا يوجب القتل والقتال شرعاً، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء: 94.

4- عدم قصد النساء والأطفال، والشيوخ .. ومن كان على شاكلتهم ممن لا حول لهم ولا قوة من مستضعفي أهل الكفر .. إلا من باشر منهم الحرب والقتال .. لورود النص الذي ينهى عن قصدهم بالحرب والقتال، أو بشيء من أنواع الأذى.

5- عدم القتال في ساحة المتشابهات .. وترك الساحات والميادين المحكمة التي لا خلاف على وجوب القتال فيها: من ذلك الانشغال بالصعاليك، وبمن لا زبر له، ومن كان على شاكلتهم من الجند المجبرين على الخدمة .. وترك أئمة الكفر والطغيان .. يسيحون ويمرحون .. ويحكمون!

فليس كل ما يجوز قتله وقتاله .. جاز قتله وقتاله؛ لدخول عوامل أخرى تؤثر على الحكم وتمنع من قتله أو قتاله .. والأمثلة على ذلك من السنة أكثر من أن تحصر في هذا الموضوع .. ولعلنا ذكرنا بعضها في أكثر من موضع من أبحاثنا ذات العلاقة بالموضوع.

6- عدم توسيع ساحات القتال والمواجهة أكثر مما هو مقدور عليه .. ويكون تحت السيطرة .. وعند الإقدام على أي عمل جهادي .. لا بد من تقدير المصالح والمفاسد .. وتقدير القدرة على احتواء المفاسد المترتبة والنتيجة عن العمل .. بحيث لا تأتي أكبر من المفاسد التي يُراد إزالتها ابتداءً ..!

7- التمييز بين فقه قتال الجبهات المتميزة .. وما يمكن أن يُقال فيه .. وبين فقه قتال الشوارع التي تتداخل فيها مصالح الناس بعضهم مع بعض .. الصالح منهم مع الطالح .. وما يمكن أن يُقال فيه! وبالتالي ليس كل ما يمكن أن يُقال في فقه قتال الجبهات يمكن أن يُقال ويُحمل على قتال الأزقة والشوارع .. والله تعالى أعلم.

8- مراعاة مراحل الاستضعاف وما يُحمل عليها من أحكام .. ومراحل القوة وما يُحمل عليها من أحكام .. وعدم حمل أحكام مراحل القوة على مراحل ومواطن الاستضعاف أو العكس .. حيث أن مراحل القوة لها أحكامها، ومراحل الضعف والاستضعاف لها أحكامها!

فالفقه الذي يُقال في عهد هارون الرشيد .. وهو يُخاطب سحابة المطر في السماء بأن تهطل حيثما تشاء؛ فإن خراجها سيأتيه .. لا يمكن أن يُقال في الزمن أو المكان الذي لا يستطيع المسلمون فيه أن يُظهروا دينهم .. أو يقيموا الصلاة!!

9- الأخذ بأسباب المنعة والقوة .. وعدم التعامل مع قضايا الجهاد بروح التصوف والتواكل .. حيث لا بد من تأمين الحد الأدنى من القوة والإعداد الذي يرقى بالجماعة إلى مستوى المواجهة والتحدي والثبات .. ويصونها من عمليات الإبادة والاستئصال، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾ الأنفال: 60.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا أن القوة الرمي .." و"من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى". وقال ﷺ: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، واحرص على

ما ينفعك".

10- ضرورة احترام العقود والعهود التي يتم توثيقها بين المسلمين وغيرهم: فمن دخل دارهم من المسلمين بأمان وعهد، وكلاجئ مستجير.. يجب عليه الوفاء بأمانهم وعهدهم وأن لا يغدر بهم في شيء.. مهما لاحت له المصلحة من وراء الغدر!

وكذلك من دخل منهم بلاد المسلمين بعهد وأمان.. كسائح، أو عامل، أو مستجير.. لا يجوز الغدر بعهده وأمانه أو الاعتداء عليه في شيء..!

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: 1.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لكل غادرٍ لواء يُعرف به يوم القيامة.. يُرفع له بقدر غدرته".

وقال ﷺ: "من آمن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافراً".

11- اعلم يا عبد الله.. أن الجهاد في الإسلام يختلف من حيث المقاصد والوسائل عن جميع أنواع القتال التي تمارسها الجاهليات على مختلف راياتها وصورها ومسمياتها..!

فأنت لا تجاهد من أجل تعبيد العبيد للعبيد.. أو من أجل استعلاء قوم على قوم.. أو وطن على وطن.. أو زعيم على زعيم.. أو من أجل مصلحة دنيوية.. لا.. فالمجاهد الصادق لا يعرف شيئاً من ذلك.. فهو إذ يُجاهد.. يُجاهد في سبيل الله.. يُجاهد لكي تكون كلمة الله هي العليا.. لكي يُعبد العباد لرب العباد.. ويحررهم من العبودية للعبيد.. لكي يأطروهم من جور الأديان وأغلالها.. إلى عدل الإسلام ورحمته.. وكل ذلك مضبوط بضوابط الشرع وأحكامه.. ليس للهوى أو النزوات في ذلك وجود يُذكر..!!

ليس لنفسك حظاً في القتال أو الجهاد؛ فالأمر كله لله.. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ آل عمران: 128.

بدليل لو أن الكافر. في ساحات القتال. قد قطع رجلك ويدك، ونال منك بجراحات عدة.. ثم قدرت عليه، وقبل أن تقتله قال لك: "أشهد أن لا إله إلا الله" لما جاز لك قتله.. أو مسه بسوء.. ولأصبح بعد نطقه لهذه الكلمة الطيبة المباركة "أخوك" رغماً عن أنفك.. مهما كان في نفسك عليه من الغل أو الغيظ... إنه الإسلام!!

الجماعات الجهادية بين الاعتراف بالخطأ والتراجع عن الثوابت

قد يكون هذا في عرف جيوش الآخرين .. وفي عرف الأنظمة الجاهلية الأخرى .. ضرب من الخيال أو المثالية الغير ممكنة .. لكنه في الإسلام .. دين الله .. حق واقع .. وأمر مجرّب .. لا يمكن مخالفته .. وما أكثر الأمثلة على صدق ذلك لو أردنا الإحصاء!

هذه جملة من الضوابط الشرعية أذكر نفسي وإخواني بها .. لما في العمل بها من خير كثير على ملة الإسلام بعامة، وعلى الجهاد والمجاهدين بخاصة.

﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: 88.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1423/01/10 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/03/24 م

حقائق حول الصراع في فلسطين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

توجد حقائق حول الصراع في فلسطين لا ينبغي . ونحن في غمرة الحماسة والصراع مع بني يهود

. نسيانها .. أو تجاهلها وغيض الطرف عنها!

فمن لوازم فهم حقيقة الصراع . أي صراع . فهم طبيعة الصراع، والحقائق المحيطة بهذا الصراع

.. والعناصر التي تتحكم به وتوجهه ..!

وللصراع في فلسطين حقائق ثابتة .. كأنها رأي العين .. دل عليها المنقول والمعقول،

والواقع المجرب والملموس .. نجملها في النقاط التالية:

1- الحقيقة الأولى: أن اليهود في فلسطين غرباء .. ودخلاء .. وجلب من أطراف وبلدان عدة ..

ولصوص .. سطوا على أملاك وأراضي الآخرين .. لا حق لهم البتة في فلسطين .. وأرض فلسطين!

وهذا يعني أن وجودهم في فلسطين وجود غير شرعي .. والاعتراف بهم وبدولتهم على ثرى وأرض

فلسطين لا يغير من هذه الحقيقة شيئاً .. فالاعتراف للصوص بشرعية ما استملكه عن طريق الغصب

والسطو لا يُحيل استملاكه لهذا الشيء إلى حق مشروع ومباح .. مهما طال زمن استملاكه لهذا الشيء!

2- الحقيقة الثانية: أن اليهود كانوا ولا يزالون دعاة غدر وحرب .. دعاة قتل ودم .. لا يعرفون

للسلام معنى ولا طعماً .. لا يُراعون حرمة لعهد ولا ميثاق .. ما يقطعونه على أنفسهم من عهد في المساء

ينقضونه في الصباح، وما يقطعونه على أنفسهم في الصباح ينقضونه في المساء ..!

ما من حرب وخديعة تُحاك إلا وتجد أصابع يهود من ورائها .. كما قال تعالى عنهم: ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا

نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة: 64.

وهذا يعني أن الذين يسعون للسلام مع اليهود فإن مسعاهم في سراب .. وهم يُحاولون عبثاً ..

ومن جهة يُثبتون أنهم لا يعرفون بني يهود .. ولا طبائعهم الشريرة التي تنطوي عليها نفوسهم المريضة!

حقائق حول الصراع في فلسطين

وهذا الذي نقوله هنا ليس هو من ضروب التحامل عليهم .. لا .. فإن تاريخهم وواقعهم يشهد عليهم بكل ذلك، وهو مليء بالشواهد والأدلة .. فما يُعطونه مما اغتصبوه بيد يستردون أضعافه باليد الأخرى .. وبخاصة إن ظهر لهم أنهم قادرون على ذلك!

كم من اتفاق يبرمونه ويوقعون عليه ثم . طمعاً وشحاً . ينقضونه .. ويفعلون خلافه كلما سمحت لهم الظروف بذلك !؟

3- **الحقيقة الثالثة:** أن اليهود أشد الناس عداوة وكرهاً لهذه الأمة .. ولدينها، كما قال تعالى عنهم:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المائدة: 82.

وواقعهم . عبر تاريخهم كله . مع الأمة يُصدق ذلك .. ومن كان كذلك لا يمكن أن يُرجى منه خير قط لهذه الأمة ..!

4- **الحقيقة الرابعة:** أثبت اليهود . عبر تاريخهم كله وإلى الساعة . أنهم لا يستجيبون لمنطق الشجب

والاستنكار أو المطالبة .. وأنهم لا يفهمون إلا بمنطق القوة الرادعة .. وأن ما اغتصبوه من الأمة لا يمكن أن يُرد شيء منه إلا بالقوة .. تاريخهم كله ينطق بهذه الحقيقة .. والقرآن الكريم يُشير إليها بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: 75.

إذا كان دينار .. مجرد دينار .. لا يؤدونه لأصحابه إلا بعد طول الوقوف على رؤوسهم بالمطالبة .. وبعد مماطلة طويلة طمعاً بيأس صاحبه وإمساكه عن المطالبة .. ذلك بأنهم يقولون ليس عليهم حرج في السطو وسرقة، ونهب المسلمين ..!!

وإذا كان دينار لا يؤدونه لأصحابه .. بمجرد المطالبة والمساءلة .. فكيف تراهم يؤدون فلسطين بكل خيراتها ومقدساتها إلى أهلها وأصحابها .. عن طريق المطالبة أو السؤال أو الشجب والاستنكار .. فهذا لن يكون .. ومن أبعد ما يكون !؟

5- **الحقيقة الخامسة:** بناء على الحقائق الأنفة الذكر .. تتأكد حقيقة لا تتخلف وهي أن أقرب

وأقصر طريق لتحصيل واسترداد الحقوق المغتصبة في فلسطين .. وتحجيم أطماع اليهود يكمن في طريق الجهاد في سبيل الله .. وإعلان المقاومة المسلحة، والنفير العام ..!

حقائق حول الصراع في فلسطين

وأياً طريق آخر يُنشد غير طريق الجهاد .. فهو مضيعة للحقوق، والأوقات، والطاقات .. وتكريس

لشرعية اعتداء المعتدي .. كما هو حاصل ومُشاهد!

6- **الحقيقة السادسة:** أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض على الإسلام وعلى أمة الإسلام

.. وهذه حقيقة ظاهرة واضحة لا يجوز الشك بها .. تواترت عليها شواهد المنقول والمعقول، والواقع

المشاهد الملموس ..!

وما أسهل ملاحظة ذلك .. فأول من أعان على قيام دولة الصهاينة اليهود في فلسطين كشرخ

يفرق جسد الأمة .. هم نصارى الإنكليز..!

ومن ذلك الوقت وإلى الساعة جميع الدول النصرانية؛ وبخاصة منها أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا

.. تقف صففاً واحداً منحازاً إلى جانب المعتدين المحتلين من الصهاينة اليهود .. يدعمونهم بجميع أنواع

الدعم العسكري، والمادي، والمعنوي ..!

ومن انحيازهم لليهود .. أنهم يجعلون باطلهم حقاً .. وحق المسلمين باطلاً .. وإرهاب اليهود دفاعاً

مشروعاً .. ودفاع المسلمين عن حقوقهم المغتصبة إرهاباً مرفوضاً ..!

وهذه الحقيقة الدامغة يذكرها الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: 51.

وهذا يعني أن استجداء الدعم أو التأييد من أمريكا أو غيرها من الأمم النصرانية .. في الصراع

الدائر مع اليهود في فلسطين .. هو مخالف لهذه الحقيقة الدامغة .. وهو من جهة أخرى ضرب من

الخيانة، والجنون، والجهل، والعبث ..!

كيف تُناشد أمريكا لكي تكون وسيطاً بين طرفي النزاع .. وهي تثبت في كل مواقفها .. وفي كل ساعة

.. أنها طرف محايد بكيته لصالح اليهود في فلسطين ..!

أمريكا .. في نزاع المسلمين مع اليهود في فلسطين .. ليست طرفاً نزيهاً أو مستقلاً .. وإنما هي مع

الصهاينة اليهود في خندق واحد ضد المسلمين .. وبالتالي فهي لا تصلح للوساطة .. وقد أثبتت ذلك بكل

جدارة ووقاحة!

أمريكا خصم غير شريف .. ومن كان خصماً لا يجوز أن يكون خصماً وحكماً على خصمه في آن معاً ..!

7- **الحقيقة السابعة:** أكدت الأحداث الأخيرة حقيقة طالما أشرنا إليها؛ وهي أن حكام العرب . وبخاصة منهم حكام بلاد الطوق المحيطة بفلسطين . حكام عملاء ومأجورون .. يعملون ككلاب حراسة أوفياء لحماية دولة يهود .. ومصالح اليهود في المنطقة ..!

فقدوا مروءة الرجال .. بل ومطلق الحياء .. وهم لا يهتمون من شؤون الملك والحكم إلا كيف يُحافظون على عروشهم المهترئة .. ومخصصاتهم المادية الضخمة والمفتوحة التي أثقلوا بها كاهل شعوبهم .. ولو كان ذلك على حساب أمن ومصالح الأمة والشعوب ..!

وهذا يعني أنهم لا يُرجى منهم خير للأمة .. ولشعوب الأمة .. والذي يستغيث بهم ويستصرخهم لنصرة قضايا المسلمين في فلسطين وغيرها .. كالذي يستنجد بسراب وبأموات فقدوا مطلق الغيرة والإحساس ..!

والذي نعتده .. لكي تأخذ الشعوب طريقها الصحيح للقيام بواجبها نحو قضية فلسطين وغيرها من قضايا المسلمين .. أنه لا بد لها أولاً من التحرر من ضغط هؤلاء الطواغيت العملاء الجاثمين على صدر الأمة ومقدراتها ..!

لا بد لها أولاً من أن تكسر القيود .. وتهدم السدود . المتمثلة بعمالة أنظمة هؤلاء الطواغيت . التي تحيل بينها وبين القيام بواجبها الشرعي نحو تحرير فلسطين .. وغيرها من قضايا الأمة الهامة والمصيرية ..!

لا بد لها . على الأقل! . من أن تقوم بعصيان مدني شامل يشمل حياة هؤلاء الطواغيت .. ويحملهم على الرحيل ..!

فإن قيل . وقد قيل : هذا يعني أن تفتح الأمة عدة جبهات داخلية .. قد تستنزف قوتها .. وتشغلها عن معاركها الحقيقية مع أعداء الأمة الخارجيين ..!؟

أقول: وإن كان هذا الخيار صعباً .. قد يكلف الأمة شيئاً من التضحيات .. لكنه خيار لا بد منه

.. ولا مفر منه .. هذا إذا أرادت الأمة أن تقوم . بحق . بدورها في الدفاع عن حقوقها وثوابتها ..!

حقائق حول الصراع في فلسطين

انظروا بتمعن ما الذي يحيل بين مليار مسلم من القيام بواجبهم نحو إخوانهم في فلسطين ..
أليس هؤلاء الطواغيت .. أليست الأنظمة المخابراتية التابعة لهؤلاء الطواغيت الظالمين .. التي تسهر بكل
إخلاص على حماية حدود دولة يهود!

فهم عقبة كأداء حقيقية أمام أي خطوة تريد الأمة أن تخطوها نحو أهدافها وغاياتها ..!
معذرة إلى أهاليها وإخواننا في فلسطين .. فإن صرخات الاستغاثة .. وطلب النصر والعون التي
توجهونها للأمة .. يتفطر لها قلوبنا .. وتزيدنا ألماً على ألم .. وهمماً على هم .. واعلموا أنه لا يحيل بيننا
وبين نصرتكم سوى هؤلاء الطواغيت .. سوى الأنظمة الطاغية العميلة التي تسهر على أمن وحماية دولة
يهود ..!

أقول لكم جازماً: أن ملايين المسلمين يطوقون شوقاً للقتال والاستشهاد على ثرى وثغور فلسطين
.. لا يحول بينهم وبين رغبتهم هذه سوى هؤلاء الطواغيت الظالمين الذي يُقاتلون بالنيابة عن اليهود في
بلاد المسلمين ..!

أكبر جريمة يرتكبها المرء المقيم في بلاد الطوق .. والتي قد يُحكم عليه لأجلها بالسجن المؤبد .. مع
الأعمال الشاقة .. أن يفكر بجذ كيف يجاهد في فلسطين .. كيف يمد يد العون والنصرة لإخوانه وأهله
في فلسطين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

8- **الحقيقة الثامنة:** أن قضية فلسطين قضية إسلامية قبل أن تكون قضية عربية، أو فلسطينية
محلية؛ وهذا يعني أن كل مسلم في العالم له حق في فلسطين، وعليه واجب الدفاع عنها، وعن أهلها ..
وكيف لا تكون كذلك وفيها مسرى النبي ﷺ .. وأولى القبلتين .. وكانت عبر تاريخها منذ ألف وأربعمائة عام
داراً للإسلام والمسلمين ..!!؟

ومما يُحتم إسلامية القضية الفلسطينية كذلك أن كل يهودي في العالم .. أياً كانت جنسيته،
ولغته، وكان موطنه .. يعتبر المعركة الدائرة في فلسطين هي معركته .. وأن له حظ فيها لا بد من أدائه ..!
فإذا كان هذا حال اليهود . كل اليهود . وموقفهم من القضية الفلسطينية .. وهم معتدون ليس
لهم حق في فلسطين .. فمن باب أولى على كل مسلم في العالم . الذي له حق ظاهر في فلسطين . أن يعتبر
المعركة الدائرة في فلسطين معركته .. وأن عليه واجب نحوها .. كما له حق فيها!

حقائق حول الصراع في فلسطين

فكلمة "يهودي" التي تعني الانتماء لدين .. تقابلها كلمة "مسلم" وليس عربي أو فلسطيني .. التي تعني

الانتماء لجنس أو قوم أو وطن !!

وهذا يعني كذلك أنه لا يحق لأحدٍ . أياً كان منصبه وكان موقعه . بأن يفرض بشبرٍ واحدٍ من أرض

وتراب فلسطين لصالح اليهود .. فضلاً عن أن يعترف . كما فعل حكام العرب في قمتهم الأخيرة! . بشرعية

دولة يهود على أرض فلسطين .. وبالتطبيع الكامل معها .. مقابل أن ينسحب اليهود من الأراضي التي

استولوا عليها سنة 1967 م ..!!

9- الحقيقة التاسعة: أن التحرير التام لأرض فلسطين لا يتم إلا على أيدٍ مؤمنة متوضئة توحد

الله تعالى .. فعلى قدر ما نعدُّ الجيلَ المؤمنَ الموحِّدَ الطاهر .. الذي يهوى الموت في سبيل الله كما يهوى

العدو الحياة .. بقدر ما نقرب من النصر والتحرير والتمكين .. وعلى قدر ما نتجاهل هذه الحقيقة، وتبتعد

أجيالنا عن دينها وتعاليم قرآنها .. وتركن إلى الترف والميوعة والمجون .. على قدر ما نبتعد عن النصر

والتحرير، والتمكين .. كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ النور: 55. فكل هذا الخير والعطاء .. مقابل الاستقامة على الطاعة،

وتحقيق التوحيد ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود،

فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا

عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر يهود".

فلم يقل الحجر أو الشجر: يا عربي أو يا فلسطيني .. أو يا فتحاوي .. أو يا علماني .. أو يا شيوعي

.. وإنما يقول: يا مسلم .. يا عبد الله؛ أي يا موحِّد .. هذا يهودي خلفي تعال فاقتله .. مما يدل على البعد

العقدي الديني لحقيقة المعركة مع يهود .. وعلى نوعية الناس التي يتحقق على أيديهم هذا الفتح، والنصر

.. وما ذلك ببعيد إن شاء الله!

حقائق حول الصراع في فلسطين

وبعد: فهذه الحقائق . التي هي في حكم المسلمات . التي أشرنا إليها لا بد من الانتباه إليها وعدم تجاهلها أو نسيانها .. ونحن نخوض معركة تحصيل الحقوق .. وطرد الغاصب المستعمر اليهودي .. من أرض فلسطين .. كل فلسطين.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْحَرُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1423/01/19 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/04/01 م

التعاجز العربي المخزي ..!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أظهر حكام العرب جميعهم ومن دون استثناء . تجاه ما يجري في هذه الأيام من جرائم وحرب إبادة ترتكب بحق أهاليينا وإخواننا في فلسطين . عجزاً مخزياً يدل على مدى جبنهم وتخاذلهم وعمالتهم ..! أظهروا عجزاً .. يدل على عراقتهم في الخيانة والعمالة ..! أظهروا عجزاً .. يدل على أن معاني الغيرة .. والإحساس .. والحياء .. قد ماتت في نفوسهم، ومنذ زمن بعيد ..!

أظهروا عجزاً .. يدل أنهم ليسوا من أبناء هذه الأمة .. يألمون لمصائبها .. ويُسرون لسرائرها ..! أظهروا عجزاً .. يدل أنهم لا يهتمهم من شؤون الحكم والملك شيء سوى إشباع شهواتهم وغرائزهم .. والحفاظ على عروشهم وحكمهم .. ومخصصاتهم المفتوحة .. وتنفيذ مخططات أعداء الأمة الهدامة في الأمة ..!

الويل كل الويل لمن يفكر من الشعوب بالخروج عليهم .. أو مجرد النقد والاعتراض .. أو حتى التظاهر للإعراب عن التضامن لما يجري لأهل فلسطين .. فالجيوش المعدة لحماية العروش العفنة .. والدبابات .. والراجمات .. سرعان ما تنزل إلى الشوارع لتقوم بواجبها الوطني . وبكل حماسة ورجولة! . في الذود عن الأوثان .. وأنظمتهم الكافرة العميلة!

لا يتورعون .. من أجل عروشهم .. من أن يبيدوا شعباً بكامله .. وأن يتكلموا عن قبضتهم الحديدية .. وقوتهم التي لا تُقهر ..!!

بينما من أجل الذود عن الأمة وحرمتها، ومقدساتها .. التي تُنتهك على أيدي يهود .. تراهم يتكلمون بمنطق العجزة الذين لا يملكون قوة على الحراك أو فعل أي شيء ..!؟

أسود متوحشة ومفترسة على شعوبهم .. بينما تراهم أراذب ونعاج على أعداء الأمة .. مع تسجيل الاعتذار للأراذب والنعاج؛ لأنها أحياناً تدافع عن أفرأخها وأعشاشها ..!!

اليهود يقومون بمزيد من حروب الإبادة والتقتيل والتشريد .. وارتكاب كل ما هو محظور بحق
الأمين الفلسطينيين .. وحكام العرب يُقابلون ذلك بمزيدٍ من الاستسلام، والانبطاح، والتطبيع مع بني
يهود .. ومد جسور التفاهم والتعاون .. تحت ذريعة العجز .. وفرض الأمر الواقع .. وأنهم لا يقدرّون على
فعل شيء!!

يموت طاغية منهم .. فتُجبر جميع المدن والمحافظات . ولمدة أربعين يوماً! . على الخروج في مسيرات
ومظاهرات .. لتعرب عن حادها وحزنها على فراق القائد الملمهم !!
ويموت شعب بكامله .. فلا يتحرك لأجله ساكن .. وتُحظر المظاهرات والمسيرات .. والويل لمن يُظهر

الحزن أو الحداد على الحرمات التي تنتهك على أيدي يهود !!
والعجيب في الأمر أن لهؤلاء الطواغيت .. طائفة من الكتاب .. والمحللين السياسيين .. هم من
بطانة الطاغوت .. باعوا أنفسهم ودينهم وآخرتهم بثمن بخس .. يتصدرون وسائل الإعلام .. يقومون بدور
سحرة فرعون .. يبررون لهؤلاء الحكام عجزهم وضعفهم .. ويعملون . منذ زمن . على إقناع الشعوب على
أننا . كعرب وحكومات عربية . لا نستطيع أن نفعل شيئاً أمام إرادة دولة يهود .. وما ترتكبه من مجازر
وحرب إبادة بحق أبناء فلسطين !!

فإنهم يصورون للناس بأن اليهود يملكون مالا نملك .. وعندهم من المقومات والخصائص
القتالية ما ليس عندنا .. وميزانيتهم تفوق ميزانيتنا .. وبالتالي من العبث والتهور أن نفكر بقتالهم .. أو
بالرد على جرائمهم وإرهابهم بالقوة التي تردعهم عن المضي في غيهم وتجبرهم !!

يتذرعون بالمواثيق الدولية .. وضرورة احترامها ومراعاتها .. وغير ذلك من الأعدار التي توجي بها
شياطينهم .. يحسبون أن ذلك نافعهم أو يخفي عمالتهم وخيانتهم!

ولهؤلاء الدجالين الذين جندوا أنفسهم وأقلامهم للجدال عن الطواغيت الخونة العملاء نقول:
الأمة قد اجتمع فيها من خصال القوة والخير .. ومقومات النصر والسؤدد .. ما لم تجتمع لأمة غيرها ..
ولكن لما تسلط عليها وعلى مقدراتها اللصوص .. والخونة والعملاء .. ظهرت بهذا المظهر المخزي .. الذي
لم تعرفه الأمة من قبل!

ما الذي جعل ميزانية دولة يهود .. تفوق ميزانية كثير من الدول العربية مجتمعة ..؟!

الجواب . يعرفه القاضي والداني، وهو لا يحتاج إلى دراسة العلوم السياسة أو الاقتصاد . هو:
للصوص .. والبطون التي لا تشبع .. المتسلطة على مقدرات البلاد والعباد .. تنهب من أموال الأمة ما
تشاء .. من غير حسيب ولا رقيب من بشر..!!

راجعوا حسابات كثير من حكام العرب .. تجدونها بمليارات الدولارات .. مودعة في بنوك يهود ..
تكفي لإشباع ملايين الناس .. بينما شعوبهم تتضور فقراً وجوعاً وحرماناً!
تجدون من الحكام العرب من يحتل المرتبة الثانية أو الثالثة كأغنى أغنياء العالم .. أضف إلى
ذلك حالات النهب والسلب الواسعة التي يقوم بها الحاشية المقربون من الحكام أو الحزب الحاكم ..
لأجل ذلك نجد أن ميزانية دولة الصهاينة تزيد ميزانية عدد من الدول العربية مجتمعة!!
لماذا دولة يهود . التي نصف جيشها من النساء! . تتفوق عسكرياً على كثير من جيوش العرب
مجتمعة..!!?

الجواب: لأن جيش اليهود معد للقتال والدفاع عن دولتهم ومصالحهم .. وهو جاهز للحرب والقتال
في أي وقت ولحظة .. وهو في جاهزية وتدريب مستمر .. بينما جيوش العرب معدة لحماية عروش
الطاوغيت من غضب وسخط شعوبهم المقهورة .. فقط .. فإذا ما داهمتها أي حرب خارجية .. سرعان
ما يرفعون رايات الاستسلام والعجز..!

جيش اليهود .. يتدرب على حروب الجبهات .. وكيف يغزو البلاد والعباد .. ليحقق لشعبه أطماعه
وأهدافه .. بينما جيوش العرب تتدرب على كيفية قمع المظاهرات .. وإبادة أي تمرد داخلي على سلطة
الطاوغوت الحاكم..!!

جيش يهود .. لا يدافع عن سلطة حاكم .. أو الحزب الحاكم .. فهو معد ليدافع عن الأمة اليهودية
.. وعن مصالحها .. بينما جيوش العرب معدة للدفاع عن سلطة الحاكم .. و سلطة الحزب الحاكم
فقط..!!

لأجل ذلك يظهر جيش يهود أنه أقوى من جيوش العرب ..!

منحت الأمة هؤلاء الحكام من عمرها . وهي مكرهة . أكثر من خمسين عاماً .. ماذا كنتم تفعلون .. أين الإعداد .. أين السلاح .. أين الكفاءات القتالية .. أين الروح الجهادية القتالية التي تربون الأجيال عليها .. لا شيء من ذلك .. إلا ما يصب في خدمة عروش وأنظمة الطواغيت !!

مما يدل أنهم كذابون منافقون لا يريدون الجهاد ولا التحرير .. ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة: 46.

لوجدت الإرادة الصادقة على التحرير .. لتحقيق التحرير .. ومنذ زمن !!
لوجدت الإرادة الصادقة على النهوض والتقدم في جميع الميادين .. لكان لهذه الأمة السبق في كل الميادين !!!

إذا توفرت الإرادة والعزيمة على التماس دروب النصر والرفعة والتمكين .. وتحررنا من عقدة الاعتذار بالعجز والاستضعاف .. أتت النتائج الكبار سهلة وهي مرغمة !!

نملة .. يا عرب .. نملة .. يا جيوش العرب .. أضال مخلوقات الله تحرس قومها .. من أكبر وأقوى جيش على مر التاريخ وإلى يوم القيامة .. إنه جيش سليمان !!

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: 18.

نملة .. لم يحملها ضعفها .. وضالة جسمها على الاستخفاف بنفسها .. والتخلف عن القيام بدور حراسة بني قومها وجنسها .. من أضخم وأقوى جيش في العالم على الإطلاق !!؟!

أتكون هذه النملة . أضال وأضعف مخلوقات الله . خيراً لبني جنسها .. منكم يا جيوش العرب لشعوبكم وبلادكم ..؟!!

أتكون هذه النملة أعلى منكم همة واعتداداً بالنفس ..؟!!

لذا فإن تعذركم بالعجز والضعف .. مرفوض .. وهو ذنب .. بل أقبح من ذنب!

ثم نسأل: هل احترام الصهاينة اليهود العهود والمواثيق الدولية وغيرها .. حتى تعتذروا بضرورة احترام المواثيق والعهود الدولية المبرمة مع بني يهود ..!

كم من ميثاق وعهد يرمونه ثم . طمعاً وشحاً . ينقضونه، ويفعلون خلافه .. أترون لهؤلاء عهداً وميثاقاً؟!

فإن قيل هل من سبيل الآن لإيقاف هذه المجازر التي تقوم بها عصابات يهود بحق الأمنين في فلسطين!؟..

أقول: نعم، لو صدقوا، وتوفرت النية الصادقة لدى حكام العرب على إيقاف تلك المجازر التي تمارس بحق أهاليها في فلسطين!..

ليجربوا فقط . ولو لشهر واحد . إيقاف ضخ البترول العربي لأمريكا .. ولغيرها من الدول الغربية التي تقف في صف وخذق دولة يهود .. ثم ليروا كيف تأتي النتائج على رؤوس عصابات يهود! لم يحصل شيء من ذلك بعد .. ومع ذلك الرعب والخوف دب الحياة الأوروبية .. خوفاً من انقطاع البترول أو رفع أسعاره بشكل كبير!..

لا نطالبهم بالحرب والقتال .. ولا نطالبهم بإرسال جيوشهم إليهم القتال .. فليحافظوا عليها منتشرة حول عروشهم وقصورهم!..

لا نطالبهم بشيء من ذلك .. وإنما نطالبهم فقط بأن يفتحوا ثغرة صغيرة على الجهات المحيطة بدولة يهود .. ليقوم المجاهدون الصادقون في جميع أنحاء العالم بواجبهم نحو تحرير فلسطين وأهل فلسطين من براثن واحتلال يهود!..

ليخففوا الحراسة المشددة على الحدود .. ليقللوا من عدد كلاب الحراسة الأوفياء الرابضة على حدود دولة يهود .. ثم ليروا كيف ستأتي النتائج!..

نطالبهم بأن يتوقفوا عن ملاحقة المجاهدين .. وعن محاربة الجهاد وأهله .. وأن يخلوا بين المجاهدين وعصابات بني يهود!..

فقط لو فعلوا ذلك . ولن يفعلوا! . سيرون أن هالة جيش دويلة بني صهيون .. كانت عبارة عن وهم وخيال .. وأن جيشهم أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون!..

المشكلة ليست في السلاح .. ولا العدد والعدة .. وإنما بانعدام الإرادة والعزيمة، والرغبة الصادقة في الدفاع عن فلسطين .. وأهل فلسطين!

المشكلة تكمن في هؤلاء الطواغيت الجاثمين على مقدرات وطاقات الأمة .. الذين لا يرون من الحياة الدنيا إلا مصالحهم الذاتية .. وسلامة عروشهم .. ولو كان ذلك على حساب الشعوب بل والأمة برمتها!!

لذا فإني أصارح بني قومي القول .. وأقول لهم ناصحاً مشفقاً ومحذراً: ليس لكم خيار إلا واحداً من اثنين: إما الرضى بالأمر الواقع .. والاستسلام له .. والاستمرار فيه .. وهذا يعني الرضى بمزيدٍ من الذل والخنوع والظلم .. يعني الرضى بالكفر .. وبطواغيت الكفر!!
يعني مزيداً من ضياع الدين، والمال، والأرض، والعرض ..!!
يعني مزيداً من التضحية بكل غال ونفيس على موائد وشهوات هؤلاء الطواغيت اللئام .. التي لا تقنع بحدٍ من العطاء!

يعني مزيداً من التخلف، والتفرق، والضعف ..!!
يعني مزيداً من العبودية للعبيد .. مزيداً من القهر والعذاب!
يعني كلّ هذا .. ولا تلوموا إلا أنفسكم ..!!
إما هذا .. وإما الرجوع إلى الله تعالى .. والخروج على هؤلاء الطواغيت الظالمين .. والتحرر من أغلال الخوف والجبن .. وإراحة الأمة من أوثان طالما مُجِدت في الباطل .. هذا إن أردتم بحق أن تعود للأمة عزتها وكرامتها .. وقوتها .. ويعود لها دورها الريادي المتقدم من بين الأمم الأخرى ..!!
لا بد من ولوج هذا الطريق مهما بدت تكاليفه .. وتعاضمت تضحياته .. هذا إن أردتم بحق أن تتحرروا من تلك الضرائب الباهظة التي تقدمونها . وأنتم كارهون . على موائد شهوات وأهواء الطواغيت الظالمين ..!!

لا بد من مخاض وآلام .. وتضحية .. وفداء ودماء .. إن أردتم بحق السلامة والنجاة .. وأردتم لهذه الأمة أن تهض من جديد ..!!

أعلم أن هذا الخيار خيار صعب .. ومُكلف .. ولكن مهما قيل في تكاليفه فإنها لا يمكن أن تساوي أو ترقى إلى درجة تكاليف الخيار الأول: خيار الركون إلى الطواغيت الخونة العملاء .. والرضى بهم وبأنظمتهم الكافرة!

التعاجز العربي المخزي

أعلم أن هذا الخيار خيار صعب .. وشاق .. لا تستهويه ذوي النفوس الضعيفة التي استمرت
الذل والسكوت عن الظالمين .. لكن لا بد من ولوجه وعبوره ولو بعد حين ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ
وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ غافر: 44.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1423/01/25 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/04/07 م

الحرية بين الإسلام والديمقراطية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

لا توجد كلمة تغنت بها الشعوب .. واستهوتها قلوبهم ككلمة "الحرية"!!

تنادوا بها في كل وادٍ وناذٍ .. وفي كل خطبة ومقالٍ أو كتاب .. ورفعوها شعاراً .. وجعلوها غاية

يرخص في سبيلها كل غالٍ ونفيس ..!

وفي كثير من الأحيان ينادون بها ولا يعرفون ما الذي يريدونه منها ..؟!!

إلى أن أصبحت هذه الكلمة . لشدة فتنة الناس بها . مطية دهاقنة الحكم والسياسة إلى أهدافهم

ومآربهم ومصالحهم الخاصة .. وليصرفوا إليهم وجوه الناس ..!

وأصبحت الحرية . في كثير من الأحيان . ذريعة وسبباً لوأد الحرية .. والحريات .. وإعلان الحروب

على كثير من الشعوب!

وصوروا أن الديمقراطية هي التي تحقق لهم الحرية .. لأنها تقوم على الحرية .. لذا جعلوا من

لوازم مناداتهم بالحرية التنادي بالديمقراطية .. وكأن كل واحدة منهما لازمة للأخرى ومؤدية إليها ولا بد

.. فمن كان محباً للحرية والتحرر لا بد من أن ينادي بالديمقراطية .. ويكون محباً لها والعكس كذلك ..

وكل من كان عدواً للديمقراطية فهو عدو للحرية .. كما زعموا !!

والسؤال الذي يفرض نفسه بقوة: هل الديمقراطية . كما تمارس في أرقى الدول الغربية

الديمقراطية . فعلاً تحقق الحرية التي يحتاجها ويريدها الإنسان .. وترقى به إلى المستوى المطلوب والمنشود

من الحرية ..؟!!

وما هي نوعية وصفة وحدود الحرية التي تحققها الديمقراطية للشعوب ..؟!!

وهل الإنسان الأمريكي أو الأوربي فعلاً هو حر .. وهل الحرية التي يعيشها في بلاده ومجتمعاته فعلاً

هي الحرية .. أو من الحرية؟!!

وهل الإسلام يتعارض مع مبدأ الحرية .. أم أنه يقرها ويدعو إليها؟!!

ثم . إن كان يقرها . كيف ينظر للحرية .. وكيف يمارسها .. وما هو الممنوع منها وما هو المسموح؟!!

الحرية بين الإسلام والديمقراطية

وهل الحرية التي يريد الإسلام هي ذات الحرية التي تريدها الديمقراطية .. أم يوجد فارق

بينهما..!؟

ثم أيهما أصدق لهجة وواقعاً مع الحرية المنشودة .. الإسلام أم الديمقراطية!؟

هذه الأسئلة وغيرها تحملنا على المقارنة بين الحرية كما يريد الإسلام .. وكما مارسها لأكثر من

ألف وأربعمائة سنة خلت .. ولا يزال يمارسها ويدعو إليها .. وبين الحرية كما تريدها الديمقراطية .. وكما

تمارس في واقع أرقى الدول والمجتمعات الديمقراطية المعاصرة .. لنرى أيهما أجدى نفعاً .. وأصدق لهجة

.. وأولى بالسلامة .. وأقرب للحق والصواب!

فأقول: الحرية في الديمقراطية .. يقوم بتحديدتها .. وتحديد المسموح منها من الممنوع الإنسان

القاصر الضعيف .. وفق ما تملي عليه أهواؤه ونزواته وشهواته .. وهذا يعني أن مساحة الحرية في

الديمقراطية تتسع أحياناً وتضيق أحياناً .. بحسب ما يرتئيه الإنسان المشرع في كل يوم أو ظرف .. بحسب

ما يظن فيه المصلحة!

وهذا يعني أن الشعوب تكون حقل تجارب، وهي في حالة تغيير وتقلب مستمر مع ما يجوز لهم

ومالا يجوز لهم من الحرية ..!

بينما الحرية في الإسلام .. الذي يقوم بتحديدتها .. وتحديد المسموح منها من الممنوع .. هو الله

تعالى وحده .. خالق الإنسان المنزه عن صفات النقص أو الضعف والعجز .. العالم بأحوال عباده وما

يُناسبهم وما يحتاجون إليه .. وبالتالي فالحرية في الإسلام تمتاز بالثبات والاستقرار .. فالذي يجوز من

الحرية للإنسان قبل ألف وأربعمائة سنة يجوز له إلى قيام الساعة .. فكل امرئ يعرف ما له وما عليه،

والمساحة التي يمكن أن يتحرك بها كحق وهبه الله إياه ..!

كما أنها تمتاز بالحق المطلق والعدالة المطلقة؛ لأنها صادرة عن الله ﷻ .. وهذا بخلاف الحرية في

الديمقراطية الصادرة عن الإنسان الذي يحتمل الوقوع في الظلم والخطأ، والقصور ..!

الحرية في الديمقراطية .. يكون الإنسان حراً في دائرة المباحات التي أذن له المشرعون من البشر

أن يتحرك بها ..!!

الحرية بين الإسلام والديمقراطية

بينما الحرية في الإسلام .. يكون الإنسان حراً في دائرة المباحات والمسموحات التي أذن الله بها ..

وأذن لعبده استباحتها والتنعم بها .. والتحرك فيها!

الحرية في الديمقراطية .. تحارب وتنكر الشر الذي يتفق عليه المشرعون من البشر بأنه شرٌّ ..

وهذا من لوازمه . بحكم جهلهم وقصورهم وعجزهم . أن يدخلوا كثيراً من الشر في دائرة الخير الجائز

والمباح، كما من لوازمه أن يدخلوا كثيراً من الخير في دائرة الشر الممنوع والمحظور .. عقلاً وشرعاً!

كم من أمر يجيزونه تحت عنوان الحرية ثم بعد ذلك يظهر لهم خطوهم وظلمهم فينقضونه

ويمنعونه .. وكذلك كم من أمر يحرمونه ويمنعونه ثم يظهر لهم نفعه .. فيجيزونه ويبيحونه .. وهذا كله

يقلل من قيمة الحرية التي يدعونها!

بينما الحرية في الإسلام .. تحارب وتنكر الشر الذي حكم الله تعالى عليه بأنه شرٌّ .. الذي ما بعده

إلا الخير .. وذلك لما ذكرناه آنفاً أن الله تعالى منزّه عن الخطأ أو الزلل ﷻ .. فهو ﷻ لا يجيز إلا الخير

والنافع، كما أنه لا يحرم إلا كل شرٍ وقبيح!

فالله تعالى جميل يحب الجمال .. وبالتالي فهو لا يُشرع إلا الجميل والجمال .. فحاشاه ﷻ أن

يشرع القبيح أو يأذن به ..!

ومنه نعلم أن الحرية في الإسلام .. تتحرك في جميع ميادينها مع الجميل والجمال .. وتبتعد كل

البعد عن الخبائث والقبائح ..!

الحرية في الديمقراطية .. تعبد العبيد للعبيد .. فتجعل العبيد منقادين لعبيد ربما يكونون أقل

منهم شأناً .. يُشرعون ويُقنونون لهم .. يُحرمون ويُحلون لهم .. وليس على الآخرين إلا الطاعة والاستسلام

والانقياد، والخضوع ..!

فأي حرية هذه .. مع العبودية للمخلوق هذه !!؟

بينما الحرية في الإسلام .. فإنها تعمل على تحرير العباد . كل العباد . من عبادة العباد إلى عبادة

رب العباد وحده ﷻ ..!

فإن قيل: هي في نهاية المطاف عبادة وعبودية .. فأين الحرية؟!

أقول: أجيب على هذا السؤال الساقط من أوجه:

منها: أن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان .. وأنشأه ورباه .. وهده النجدين .. وسخر له الكون كله .. وبالتالي من حقه ﷻ أن يُعبد .. ومن الواجب على عباده أن يعبدوه ويُخلصوا في عبادته ﷻ .. وشكره .. واتباع أوامره!

فعبادة العبد لخالقه وحده .. عز، وفخر، ورفعة، وشرف ما بعده شرف .. بينما عبادته للمخلوق العاجز الضعيف .. ظلم، وذل، وضياع .. وعذاب ما بعده عذاب!

ومنها: أن المرء فُطر على العبودية والتدين .. فهو إن لم يكن عبداً لخالقه .. فسيكون لا محالة عبداً للمخلوق وفي الباطل .. أياً كانت صورة ونوعية هذا المخلوق ..!

ومنها: أن أفراد الله تعالى وحده بالعبادة .. هو عين التحرر من عبادة الآلهة الأخرى الوضيعة المكذوبة المزعومة ..!

الحرية في الديمقراطية .. تُخضع الإنسان لكثير من المؤثرات والضغوط الخارجية التي تفقده كثيراً من حرية الاختيار والتفكير: ضغط الإعلام بجميع فروعهِ وتخصصاته ووسائله .. ضغط إثارة الشهوات ووسائل اللهو بجميع أصنافها وألوانها .. وما أضخمها .. ضغط الحاجة والسعي الدؤوب وراء الرزق والكسب .. ضغط سحرة الساسة والأخبار والرهبان ومدى تزويرهم للحقائق .. ضغط المخدرات والمسكرات المنتشرة في كل مكان .. وأخيراً التلويح باستخدام عصا الإرهاب والتهديد الجسدي والمادي لمن يستعصي على جميع تلك الوسائل والضغوطات .. ولا يستعصي عليها إلا من رحمه الله .. وما أقلهم!

فهذه الضغوط والمؤثرات تُسلب المرء صفة حرية الاختيار، والتفكير، واتخاذ المواقف التي يريدونها ويرضاها بعيداً عن تلك المؤثرات الخارجية المصطنعة ..!

هذه الضغوط والمؤثرات التي يصعب الفكك منها .. تُسلب المرء حريته .. وإن زعم بلسانه أنه حرٌّ .. وظهر للآخرين بأنه حرٌّ ..!

لذلك نجد طغاة القوم ومستكبريهم .. وأخبارهم ورهبانهم .. لا يحتاجون إلى مزيد عناء عندما يريدون من شعوبهم أن تسير في اتجاه دون اتجاه .. أو يريدون حملهم على استعداد جهة دون جهة .. أو

الحرية بين الإسلام والديمقراطية

على اختيار شيء دون شيء .. يكفي لتحقيق ذلك أن يُسلطوا عليهم قليلاً من تلك المؤثرات والضغطات الأنفة الذكر .. ولفترة وجيزة من الوقت !!

هذه الضغوط والمؤثرات التي تسلب المرء حريته .. هي المعنية من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ مَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سبأ: 33. ليس مكر الليل وحسب .. أو مكر النهار وحسب .. بل هو مكر الليل والنهار وعلى مدار الوقت .. بحيث لا يُعطى المرء منهم لحظة واحدة يخلد فيها للراحة والهدوء والتفكير .. حتى لا يهتدي إلى الحق، ويعرف أين هو من الصواب !!

بينما الحرية في الإسلام .. تحرر المرء من جميع تلك المؤثرات الخارجية التي تقلل من حريته وحرية اختياره وقراره .. وربما تسلبها كلها .. لتعيد له جميع قواه النفسية والجسدية والمعنوية .. وترفع عنه جميع الأغلال والقيود، ثم تقول له بعد ذلك: اختر الذي تريده .. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. الحرية في الديمقراطية .. تمر بصاحبها على الجيف المتآكلة .. وعلى القبائح .. وعلى الأمراض .. وعلى الفساد .. وعلى كل ما يُفسد الذوق الجميل .. والطبائع السوية .. فتجرئه على الشذوذ والاعتداء .. والإدمان على ذلك!

ومثله كمثل الذي يقود سيارة بلا كوابح .. ولا ضوابط .. ولا مراعاة لحقوق طريق أو مار .. فيصطدم بالجميع .. ويمر على الجميع .. ويعتدي على الجميع! بينما الحرية في الإسلام .. تمر بصاحبها على كل ما هو جميل أو طيب .. كما أنها لا تسمح له أن يتعدى ذلك .. ليمر على الخبائث والجيف والأمراض .. لتحافظ على سلامة ذوقه، وتفكيره، وصحته، وإيمانه !!

ومثله كمثل الذي يقود سيارة بكوابح وضوابط .. ينطلق حيث ينبغي الانطلاق، ويقف حيث ينبغي التوقف .. ويُعطي كل ذي حقِّ حقه .. من غير إفراطٍ ولا تفريط!

الحرية في الديمقراطية .. تظهر وكأنها منحة يمن بها الإنسان على أخيه الإنسان .. يعطيه منها ما يشاء ويسلبها منه متى يشاء !!

الحرية بين الإسلام والديمقراطية

بينما الحرية في الإسلام .. حق وهبه الله تعالى لعباده، وفطرهم عليه .. لا منة فيه لمخلوق على مخلوق .. لا يجوز أن يُسلب أو يُنتقص منه شيء إلا بإذن الله .. وبسلطانٍ بينٍ منه ﷺ .. يتجسد هذا المعنى في مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض أمرائه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً". هذه هي الحرية في الديمقراطية .. وهذه هي الحرية في الإسلام .. فأى الفريقين أولى بالحرية، والسلامة، والحق ..!؟

الحرية في الديمقراطية أم الحرية في الإسلام ..!؟

﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1423/03/08 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/05/19 م

الإعداد

أنواعه - حكمه - أهميته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

الإعداد: هو رفع جاهزية الفرد أو الجماعة إلى مستوى المهام الشرعية المطلوبة، الخاصة منها

والعامة، ويشمل ذلك الجانب المادي والمعنوي معاً.

الإعداد المعنوي: يُعنى ببناء الفرد أو الجماعة بناءً إيمانياً، وفقهياً، وفكرياً .. يرقى بالفرد أو

الجماعة إلى مستوى هذا الدين .. ومستوى أخلاقه ومهامه .. ومستوى التحديات والشبهات التي تحاك

وتثار ضد الإسلام والمسلمين.

الإعداد المعنوي الذي يُعين السائرين في الطريق على تحمل تبعات المسير .. ومشاق الطريق ..

مهما امتد بهم الطريق، وطال المسير..!

كثير من الناس ممن يستهينون بهذا الجانب الهام من الإعداد .. تراهم يتساقطون في أول الطريق

أو منتصفه .. ويتهاوون في أصغر حُفرة تُنصب لهم ..!

ولأدنى فتنة أو بلاء يُصيبيهم .. تراهم يرفعون رايات الاستسلام والخنوع .. والركون إلى الظالمين

المجرمين .. ليقدموا لهم أسمى آيات الطاعة والولاء!

طريق الإسلام لا يعرف فترة زمنية محددة من البذل والعطاء .. ثم بعدها يلجأ الإنسان إلى الراحة

والاسترخاء .. مواسياً نفسه بأنه قد قام بالواجب والمطلوب .. وعلى الآخرين أن يكملوا عنه المسير والطريق

.. كما يحلو ذلك للبعض .. لا .. طريق الإسلام ليس شيئاً من ذلك .. وإنما هو بذل وعطاء، وجهاد .. من

المهد إلى اللحد!

المسلم لا يعرف الراحة الحقيقية إلا في جنان الخلد .. هذا المُستفاد من البيع والشراء الذي تكلم

عنه ربنا ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ التوبة: 111. البيع قد تم .. والشراء قد تم .. والعقد

قد مضى .. لا رجوع فيه ولا انتكاس .. والله قد وثق وأجزل الوفاء .. ولا بد للعبد من الوفاء!

إذا عرفنا ذلك عرفنا المراد من قول النبي ﷺ: "إنما الناس كإبلٍ مائة لا تكاد تجدُ فيها راحلةً" متفق

عليه. أي راحلة تتحمل مشاق السفر .. ووعثاءه .. وتبعاته .. وإلى نهاية الطريق!

أما الإعداد المادي: فهو يمتد ليشمل ويستحوذ على جميع أسباب القوة المادية ابتداءً ببناء

الإنسان لجسمه بناءً رياضياً صحيحاً يقدر من خلاله على التكيف والاستجابة مع جميع الأجواء والمراحل

التي قد يمر بها، ويتعرض لها وهو في طريقه وجهاده من أجل إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض .. لينتهي به

عند الامتلاك والتعرف . قدر المستطاع . على آخر ما توصل إليه الإنسان من صناعات في مجال العتاد

والسلاح ..!

أما حكم الإعداد بنوعيه الأنفي الذكر: فهو واجب لسببين:

أولاً: لدلالة النصوص الشرعية التي تفيد الوجوب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ

مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا

تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ الأنفال: 60. فقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ أمر

يُفِيدُ الْوَجُوبَ.

وفي الحديث عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾؛ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي "مسلم.

وقال ﷺ: "مَنْ عَلمَ الرميَ ثم تركه فليس منا أو قد عصى" مسلم. وهذا وعيد يفيد الوجوب ..!

ومما يدخل في الرمي المراد من الحديث: الرمي على المسدس .. إلى البندقية .. إلى المدفع .. إلى

الدبابة .. إلى الرمي على الصواريخ .. فكل فنون الرماية هذه تدخل في المراد من كلمة "الرمي" الواردة في

الحديث .. والتي يجب على المسلم أن يأتي منها ما يستطيع ويقدر عليه!

وكذلك قوله ﷺ: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كلِّ خير، واحرص على ما

ينفعك" مسلم. والقوة هنا يُراد منها جانبي القوة والإعداد: المادي منها والمعنوي.

ثانياً: ومما يدل على وجوب الإعداد كذلك أنه واجب لغيره .. فلا يمضي الجهاد إلا به .. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فمن أراد الجهاد لزمه الإعداد ولا بد .. ومن لم يعد للجهاد عدته .. فهو كمن ينشد الشيء ولا يسعى إليه من أسبابه ووسائله التي تؤدي إليه .. وهو كذلك يحكم على نفسه بالكذب والخداع، وأنه لا يريد الجهاد ولا أن يجاهد .. وإن زعم بلسانه ألف مرة أنه يريد الجهاد .. ويحب الجهاد والمجاهدين!

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة: 46.

كحال الأنظمة العربية الخائنة العميلة التي تتظاهر بالعجز والضعف أمام طغيان وظلم واعتداءات دويلة بني صهيون في فلسطين .. وأنهم لا يقدرّون على المواجهة والتحرير .. وإغاثة الملهوفين المستضعفين من أبناء فلسطين!

نقول لهم: كذبتهم .. ثم كذبتهم ألف مرة .. لو أردتم الجهاد والتحرير .. وصدقتم في ذلك لأعددتهم للخروج والتحرير عدته .. ولكن لما مضى على حكمكم عشرات السنين .. وأنتم في كل عام تزدادون ضعفاً وتعجزاً .. وتخاذلاً .. عن العام الذي قبله .. علمنا بالضرورة أنكم لا تريدون التحرير ولا الجهاد .. بل ولا تفكرون به مجرد تفكير .. وأنكم تكذبون على أنفسكم وعلى المغفلين من شعوبكم .. عندما ترفعون شعارات التحرير .. والصمود والتصدي!

فإن قيل: على من يجب الإعداد ..؟

أقول: يجب الإعداد على من يجب عليه الجهاد ..!

فإن قيل: ما حد الإعداد الذي يجب تحقيقه ..؟

أقول: حد الإعداد ينتهي عند حدود أعلى درجات الطاقة، والاستطاعة، والقدرة التي يتمتع بها الإنسان؛ إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وكما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾. فكل امرئ مطالب بأن يعد للجهاد عدته على قدر استطاعته، وما يقدر عليه؛ فإن كان يستطيع أن يعد بمائة دينار ثم أعد بخمسين دينار فهو آثم بخمسين؛ وهو الفارق بين الخمسين والمائة .. ومن كان قادراً على أن

يعد للجهاد بندقية أو رشاشاً ثم أعد مسدساً فهو آثم على قدر الفارق بين المسدس والرشاش .. ومن كان قادراً على الإعداد بماله وبدنه فأعد بماله دون بدنه فهو آثم على تفريطه الإعداد ببدنه .. وهكذا!

قال سيد قطب في الظلال 1543/3: فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها.

فهي حدود الطاقة إلى أقصاها .. بحيث لا تقعد العصبية المسلمة عن سببٍ من أسباب القوة يدخل في طاقتها ا- هـ.

وتأتي أهمية الإعداد إضافة إلى كونه سبباً لا يمضي الجهاد إلا به .. أنه الأداة التي تُرهب العدو، وتمنعه من التجاسر على الاعتداء والتعدي.

فالعدو عندما يعلم أن للمسلمين قوة تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وحرماتهم .. وحقوقهم .. لا يتجرأ على الاعتداء .. وتراه يفكر ألف مرة .. ويحسب ألف حساب بعواقب الأمور عليه .. قبل أن يخطو أية خطوة نحو الاعتداء ..!

أما إن أدرك وتيقن أن للمسلمين ليس لهم القوة الرادعة .. التي بها يُدافعون عن أنفسهم وحرماتهم، ومقدساتهم .. ترى الجميع يتجرأون عليهم .. ويتطاولون عليهم وعلى حرماتهم .. وعلى صفعهم متى شاءوا .. ومن دون أن يحسبوا لهم أدنى حساب .. وما أكثر الشواهد على ذلك في هذا الزمان!!

ما من أمة أو دولة إلا ولها القدر الكافي من الإعداد والقوة .. والسلاح .. كسورٍ أممي تحمي به نفسها ودولتها من اعتداءات الآخرين .. إلا المسلمين .. لا يجوز أن تكون لهم دولة .. ولا سوراً أمنياً يحميهم .. بل ولا قوة يُدافعون بها عن أنفسهم، وحقوقهم، وحرماتهم ..!

ما من أمة من الأمم المعاصرة إلا وتجد بيوتها محصنة مصانة، مقفلة الأبواب أيما إقفال .. إلا أمة الإسلام يجب أن تبقى بيوتها مشرعة الأبواب .. لا أقفال لها ولا حصانة .. سهلة المنال لمن تطاوعه نفسه على النيل منها .. أو التسوّر عليها .. أو التغوط فيها ..!!

فما هو حلال لهم .. حرام على أمة الإسلام .. وما كان حقاً لهم .. كان باطلاً وحراماً على غيرهم..!

هذه هي عدالة الأمم الطاغية الكافرة .. وهذه هي شريعة التسابق على التسلح في هذا الزمان ..

وهذا الذي يريدونه من الإسلام والمسلمين ..!

ولكن أنى لهم أن يتحقق مرادهم هذا .. مادام قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال: 60. يلاحق عقول وضمائر المسلمين على مدار الأوقات والساعات .. يستحثهم على النهوض والقيام .. ورفض غبار النذل والهوان .. وعلى الإعداد والاستعداد!..

أمة الإسلام تغفو .. لكنها لا ولن تموت!..

أمة الإسلام تكبو .. لكن سرعان ما تهمض لتستأنف المسير .. ولتباشر دورها الريادي في قيادة ورعاية الأمم والشعوب، كما قدر الله لها أن تكون: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران: 110.

أمة الإسلام .. قد يتعثر عطاؤها في مرحلة من المراحل .. لكنه لا يتوقف .. وإلى الأبد .. وهاهي بشائر النصر، والخير، والعطاء .. التي تظهر هنا وهناك .. تُصدق ذلك كله .. وتبشر بفجرٍ جديدٍ قريبٍ للأمة، ولسائر الأمم والشعوب إن شاء الله.

قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى . أي جمع وضمَّ . لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها" مسلم.

وقال ﷺ: "ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبرٍ ولا وِبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعزٍ عزيزٍ أو بذلٍ ذليل، عزاً يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يذلُّ به الكفر".

وهذا أمر كائن ولا بد .. ولتعلمنَّ نبأه ولو بعد حين .. والحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1423/04/14 هـ

2002/06/24 م

دَعْوَةٌ إِلَى الْعَصِيَانِ الْمَدَنِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد.

فقد تسلط على أمة الإسلام أنظمة عميلة خائنة مرتدة .. ناصبت الإسلام والمسلمين الحرب والعداء .. ودخلت في موالاة أعداء الأمة على أبنائها .. نهبوا خيراتها وثرواتها .. وساموا الشعوب صنوف الإرهاب، والفقر، والقهر، والذل، والعذاب!

أثبت طواغيت الحكم هؤلاء، وبكل جدارة. وفق كل معايير الطغيان والظلم. أنهم طواغيت ظالمون .. ومستكبرون .. يعيثون في الأرض كفرًا وفجورًا وفسادًا ..!

أثبتوا أنهم لا يغارون على دين .. ولا على عرض .. ولا أرض .. وأنهم لا يعرفون من مصالح الدنيا سوى سلامة عروشهم .. وإشباع كروشهم .. ونزواتهم .. ولو كان ذلك على حساب جماجم وأشلاء الشعوب!

الكل يشكو كفرهم .. وظلمهم .. وخيانتهم .. وطغيانهم .. وسطوهم على الحقوق والثروات .. إلا قلة قليلة ممن باعوا أنفسهم ودينهم .. وعقولهم .. ودخلوا بصورة ذليلة وخسيصة في بطانة السوء لهؤلاء الطواغيت الظالمين .. ورضوا لأنفسهم بالعبودية لهم من دون الله .. وهؤلاء هم طرف مع الطاغوت .. وجزء من المرض والظلم الذي تعاني منه الأمة .. والذي يجب أن يُعالج ويُستأصل!

الكل يشكو طغيان هؤلاء الطواغيت .. ويسأل عن كيفية الخلاص منهم ومن أنظمتهم العميلة المهترئة الكافرة ..؟!

الكل يتكلم عن عمالتهم وخيانتهم لفلسطين وأهل فلسطين .. وغير فلسطين من بلاد المسلمين .. ويسأل عن ساعة الخلاص منهم ومن شرهم .. وما أكثر المقالات التي تُكتب في اليوم الواحد حول ذلك!!
الكل يسأل: ما هو الحل .. وكيف السبيل .. ومتى ساعة الخلاص .. وإلى متى ستظل الشعوب تدفع ضريبة باهظة من دينها .. وعرضها .. وكرامتها .. وشبابها .. وكرائم أموالها وثرواتها .. لهؤلاء الطواغيت الظالمين؛ مصاصي دماء وعرق الشعوب!

دَعْوَةٌ إِلَى الْعَصِيَانِ الْمَدَنِيِّ

هذه أسئلة ستظل تلاحق الطليعة النخبة من أبناء الأمة العاملين من أجل التغيير.. واستئناف

حياة إسلامية أفضل .. إلى أن يجدوا لها الحل العملي الممكن والأنجع !!

وأنا هنا في طرحي هذا لا أختزل جميع الحلول والطرق .. لأحصرها في طريقة معينة محددة ..

وإنما أقدم اقتراحاً مشروعاً، وعملياً، وممكناً .. تمارسه كل الشعوب .. يساعد في الحل والخلاص، وإيجاد

الجواب على الأسئلة المتقدمة الذكر أعلاه .. عسى أن ينال القبول عند الشعوب المقهورة، المهضومة

الحقوق، وبخاصة منهم الطليعة النخبة من العلماء العاملين .. وغيرهم من المثقفين!

وخلاصة هذا الطرح الذي أتقدم به، وأطالب الناس به: هو العصيان المدني العام؛ الذي يشل

على الطواغيت الحاكمين جميع مرافق الحياة .. ويضيّق عليهم العيش والخناق .. عسى الله تعالى أن

يجعل بعد هذا العسر يسراً .. وبعد هذا الضيق والكرب فرجاً ومخرجاً .. ويبدل الحال إلى أحسن وخير

حالٍ بإذن الله، وما ذلك على الله بعزيز.

وصفة هذا العصيان يجب أن يكون عاماً وشاملاً: فلا تُدفع لهم ضريبة ولا حقوق^[1] .. ولا

يُطاعون في أمرٍ ولا نهي .. ولا يُفتح مصنع .. ولا يذهب عامل إلى معمله .. ولا جندي إلى معسكره .. ولا

تاجر إلى متجره .. ولا طالب إلى مدرسته .. فتغلق جميع المتاجر والمحلات .. وجميع أبواب المدارس

والجامعات .. إلى أن يسقط الطاغوت، ويزول حكمه ونظامه!

ولو صبر الناس شهراً واحداً .. وربما أسبوعاً واحداً .. على هذا النوع من العصيان .. لتحقيق لهم

مرادهم .. ولزال عنهم ظلم الطواغيت الجاثمين على صدورهم .. وعلى مقاليد الحكم ومقدرات الأمة ..

والذي طال لعشرات السنين !!

فإن قيل: هذا أمر صعب المنال لا يمكن تحقيقه وإنجازه .. واجتماع الناس عليه !؟

أقول: بل هو سهل جداً لو توفرت العزيمة الصادقة والإرادة القوية .. ولتسهيل الأمر نضيف

التوضيح التالي:

¹ إلا ما كان متعلقاً بحقوق العباد فحينئذٍ لا بد من السداد.

دَعْوَةٌ إِلَى الْعَصِيَانِ الْمَدَنِيِّ

هذا العصيان المدني المشار إليه يجب أن ينقسم إلى قسمين:

1- **عصيان فردي**: وهذا ممكن القيام به ومباشرته من الآن؛ وصفته أن يتمرد كل فرد . بحسب

استطاعته . عن الطاعة وامتثال الأوامر .. ودفع الضرائب وغيرها من الرسوم التي تذهب إلى جيوب الجلادين الظالمين .. ولصالح الطواغيت وقصورهم، وعروشهم!

اعلم أيها الأخ أن أي ضريبة تدفعها لهؤلاء الطواغيت الظالمين .. فأنت بذلك تعينهم على شراء أدوات القمع، والتعذيب، والقهر التي يحمون بها عروشهم وقصورهم .. والتي بها كذلك يُمارسون على شعوبهم صنوف التعذيب، والقمع والإرهاب كلها، وبخاصة منهم المقهورين المعتقلين من إخوانك . صفوة هذه الأمة وخيرة شبابها . القابعين في غياهب زنازين وسجون الظالمين .. وأنت شريك لهم في هذا الإثم والوزر؛ بخاصة إذا كنت تستطيع أن تهرب من دفعها ثم لا تفعل !!

من هذه الضرائب وغيرها تُدفع رواتب الجلادين الذين يمارسون أنواع القمع والتعذيب، والإهانات على إخوانك المكبلين بأغلال الظالمين!

من هذه الضرائب وغيرها يشترون الأسلحة التي يحمون بها عروشهم وقصورهم .. والتي بها يحرسون . ككلاب حراسة أوفياء . دولة الصهاينة اليهود .. ويحمونها من نقمة وغضب الشعوب المقهورة .. المعتدى عليها!

لا تكن عوناً لهم على الإثم .. وشريكاً لهم في الوزر والظلم وأنت تدري أو لا تدري .. والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: من الآية 2. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ الأنفال: 73. وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ التوبة: 67.

2- **العصيان الجماعي العام**: ولكي يتحقق هذا العصيان .. وبصورة ناجحة .. لا بد أن تتبناه

الصفوة والنخبة من أبناء الأمة .. والجماعات المخلصة العاملة من أجل نصره هذا الدين .. ليقوموا بطرحه على الناس في جميع مجالسهم الخاصة والعامة .. وعلى جميع المستويات .. وعبر جميع الوسائل

دَعْوَةٌ إِلَى الْعَصِيَانِ الْمَدَنِيِّ

الإعلامية الممكنة والمتاحة .. وبصورة منظمة تراعي الجوانب الأمنية منها .. إلى أن يتحول . موضوع العصيان هذا . إلى أحاديث الناس في بيوتهم، و نوادهم، وأماكن تجمعاتهم .. وليصبح جزءاً من عقيدتهم وثقافتهم، وتفكيرهم اليومي .. لكي تتهيأ له نفوسهم!

فإن تحقق ذلك .. وتحققت التعبئة العامة .. سهل تحديد ساعة ابتداء العصيان العام .. وساعة انتهائه .. وساعة معاودته كلما دعت الحاجة إليه.

لا بد من فعل ذلك .. كما لا بد للناس من طاعة علمائهم وقياداتهم المخلصين العاملين في ذلك .. هذا إن أرادوا . بحق . الخلاص من طغيان وكفر هؤلاء الطواغيت الظالمين!

فإن قيل: هذا خيار صعب ومكلف .. يترتب عليه تضحيات!

أقول: نعم، قد يترتب عليه بعض التضحيات .. لكن مهما تعاظمت لن تبلغ معشار التضحيات والضرائب التي تُقدم على موائد الذل والطاعة والركون لهؤلاء الطواغيت الظالمين!

لم تكن يوماً من الأيام ضريبة العزة والكرامة .. كضريبة الذل والخنوع للظالمين، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله ﷺ: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم". أي حتى ترجعوا وتعودوا إلى جهادكم .. والأخذ بأسباب العزة التي يوجبها عليكم دينكم.

وفي حديث القصة التي تتداعى الأكلة إليها، يقول ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت".

لا بد من التحرر من الوهن، ومن عقدة شرك الخوف والخشية من المخلوق .. هذا إذا أرادت

الشعوب أن تنهض وتعيش بعز وكرامة!..

دَعْوَةٌ إِلَى الْعَصِيَانِ الْمَدَنِيِّ

ثم في هذا الخيار لم نطالبكم بحمل السلاح . وإن كانت الأمة بحاجة إلى حمله في مرحلة من مراحل التغيير والانقلاب . وإنما نطالبكم فقط بأن تدخلوا مساكنكم .. وتقفلوا عليكم أبواب بيوتكم .. ولفترة وجيزة محددة من الوقت !!..

فإن عجزتم عن هذا الحد الأدنى من الجهاد .. والعطاء .. فلا تنشدوا التغيير .. ولا تشكو إلى الله ظلم الطواغيت .. ولا تلوموا إلا أنفسكم !!..

فإن عجزتم عن هذا الحد الأدنى من البذل والعطاء . ونعيذ الأمة من أن تصل إليه . فروضوا أنفسكم للقبول بمزيدٍ من النذل والهوان .. وبمزيدٍ من البذل والعطاء .. ودفع الضرائب الباهظة .. تقدمونها . بنفوس سخية مقهورة وذليلة . من كرائم أموالكم وأعراضكم على موائد شهوات الطواغيت الظالمين .. التي لا تشبع ولا تقنع بحدٍ من العطاء .. ولا تلوموا . حينئذٍ . إلا أنفسكم .

وفي الختام لنا طلب ورجاء من إخواننا العلماء ، وطلبة العلم ، وغيرهم من مثقفي الأمة المخلصين الأوفياء .. أن يتلقوا هذا البيان بشيء من القبول والعناية والدراسة .. عسى أن يتولد لديهم من الأفكار والسُّبل .. ما يجعل هذه الفكرة ممكنة التطبيق .. سهلة التنفيذ .. وبأقل خسارة ممكنة إن شاء الله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: 7.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

30/جمادى الأولى/1423هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/08/08م

كلمات تقوم بهنّ الحجّة على الآخريين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه كلمات فمن بلغته من غير المسلمين فقد قامت عليه الحجّة الشرعية .. وبلغته نذارة الرسل .. ولم يعد يُعذر بالجهل.

• اعلم أنّ الله تعالى واحدٌ أحد، فردٌ صمَد، لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كُفُواً أحد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ الإخلاص. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: 11.

• واعلم أنّ الله تعالى هو خالق الخلق، لا رب لهذا الكون وما فيه إلا الله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الزمر: 62. وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ﴾ غافر: 62. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ آل عمران: 109.

• واعلم أنّ الله تعالى خلقك لغاية واحدة؛ وهي إفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: 56. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ البينة: 5.

• ومن إخلاص العبادة لله تعالى اجتناب عبادة المخلوق، أيّاً كان هذا المخلوق .. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المائدة: 72. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ الجن: 20. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: 110. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَابٍ﴾ الرعد: 36.

كلمات تقوم بهنَّ الحجة على الآخرين

- فمن عبد الله تعالى وعبد معه أحداً آخر.. أيّاً كان هذا الآخر.. ولو في شيء يسير مما يدخل في معنى ومسمى العبادة.. فقد أشرك بالله تعالى، وحبط عمله، وخاب وخسر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر: 65. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: 88.
- واعلم أنّ الله تعالى أرسل جميع الأنبياء والرسل.. ليقرروا ويذكروا العباد بأنه لا إله إلا الله؛ أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: 36. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: 25. فما من نبي إلا وقال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف: 59.
- واعلم أن الإيمان والتصديق بجميع الأنبياء والرسل فرض واجب؛ فمن كفر أو كذب بنبي واحد من أنبياء الله تعالى، لزمه التكذيب بالله تعالى وبجميع الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: 285. وقال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ طه: 48. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ العنكبوت: 68. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ غافر: 70.
- واعلم أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ آل عمران: 144. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. قُلْ يَا

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿الأعراف: 157- 158﴾. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: 128. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: 40. وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الفتح: 29. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصف: 6.

• واعلم أن الله تعالى قد أنزل على محمد ﷺ الكتاب الحكيم وهو القرآن الكريم؛ وهو كلام الله، فيه هدى ونور للعالمين، وتبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة: 185. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ الأنعام: 19. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: 9. وقال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: 82. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النمل: 6. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الإسراء: 89.

• وهو المعجزة الكبرى الباهرة، والدائمة المستمرة التي أنزلها الله تعالى على نبيه، والتي تعجز البشرية مجتمعة على أن يأتوا بمثله، أو بسورة واحدة من مثله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: 88. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: 23.

كلمات تقوم بهنَّ الحُجَّة على الآخريين

• واعلم أن الله تعالى فرض على البشرية جمعاء . على اختلاف ألوانهم، وأجناسهم، ولغاتهم . الإيمان بالنبي محمد ﷺ واتباعه وطاعته، فمن أطاعه فقد أطاع الله ورشد، ومن عصاه فقد عصى الله وهلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران: 32. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ الأنفال: 20. وقال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء: 80. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آل عمران: 31.

• فمن سمع به ﷺ ولم يؤمن به ولم يتبعه .. فهو كافر بالله تعالى مكذب به .. وقد حق عليه الوعيد والعذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: 33 وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ النساء: 42. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: 115.

وقال ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ إلا كان من أصحاب النار" رواه مسلم.

• واعلم أن الدين عند الله تعالى الإسلام .. وهو دين جميع الأنبياء والرسل .. لا يُقبل من أحدٍ ديناً إلا دين الإسلام .. قال تعالى: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة: 132. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران: 19. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران: 85.

• واعلم أن البعث والنشور بعد الموت حق .. وأن الساعة حق .. وأن الحساب يوم القيامة حق، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ ﴾

بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿الأنعام: 31﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ طه: 15. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ الحج: 7. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ سبأ: 3. وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ غافر: 59. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: 16. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: 40. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة: 7-8.

• واعلم أن الجنة ونعيمها حق؛ فيها من النعيم المقيم ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر، أعدها الله تعالى لعباده المتقين المؤمنين، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ الرعد: 35. وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: 25. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ العنكبوت: 58. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ يس: 55. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ محمد: 15. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: 133. وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

كلمات تقوم بهنَّ الصَّجَّةُ على الآخِرِينَ

عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿الحديد: 21﴾.

• واعلم أن نار جهنم حق .. وأن عذابها حق .. فيها من العذاب المقيم الأليم الشديد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .. أعدها الله تعالى للمشركين المجرمين الظالمين: الذين كذبوا بالله، وآياته، ورسوله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: 63. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ الإسراء: 97. وقال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ مريم: 86. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ طه: 74. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ فاطر: 36. وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الزمر: 71.

• واعلم أنك إن مت على التوحيد والتصديق والمتابعة للنبي ﷺ فأنت من أهل النجاة، والجنة والنعيم المقيم .. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ طه: 75.

• أما إن مت وأنت على الشرك، والتكذيب، والإعراض فأنت من أهل النار وجحيمها خالد فيها أبداً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه: 124. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ السجدة: 22. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ طه: 74. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: 217.

كلمات تقوم بهنَّ الحُجَّة على الآخريين

- واعلم أنه لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. قد تبيّن الرشد من الغي .. وأنتك بعد وقوفك على هذه الكلمات لم تعد تُعذر بالجهل .. وأن حجة الرسل وندارتهم قد بلغتك .. وأنتك مُحاسب ومسؤول .. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
- واعلم أن شياطين الإنس والجن .. وكذلك أحبار السوء .. ودهاقنة الحكم والسياسة .. يمكرون الليل والنهار ليحيلوا بينك وبين الإصغاء لهذا الخطاب .. وكل خطاب يصدع بالحق .. نسأل الله تعالى لك الهداية، وأن يأخذ بيدك لما يُحبه ويرضاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبها الفقير إلى عفوريه ورحمته

عبد المنعم مصطفى حليلة

17/رمضان/1423هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/11/22م

. ملاحظة: من يقدر على ترجمت معاني هذه الكلمات إلى اللغات الأخرى فله ذلك، وجزاه

الله خيراً.

أسباب فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

كلما أثرنا موضوع الخروج على أنظمة الكفر والعمالة والخيانة، وضرورة تغييرها وجهادها واستبدالها بنظام إسلامي راشد يحكم بما أنزل الله .. عملاً بالنصوص الشرعية التي تلزم بذلك .. انبرى لنا نفر من الناس . الله أعلم بمقاصدهم ونواياهم . بشيئهم القديمة الحديثة، معترضين ومنكرين، يقولون: أتريدون أن تكرروا تجارب فشل بعض الحركات الجهادية كما حصل في بعض البلدان .. انظروا ماذا حصل ويحصل في كل من سورية، ومصر، والجزائر .. من آثار ونتائج سلبية ومدمرة بسبب خروج المسلمين في تلك البلاد على أنظمتهم .. أتريدون أن تكرروا المآسي التي حصلت للمسلمين في تلك البلاد .. فدعوتكم للخروج على الأنظمة الحاكمة لا يعني إلا ذلك .. وهو لا يؤدي إلا إلى ذلك!!

وهنا لا أريد أن أسلط الضوء على الجوانب الإيجابية لما قد حققته وأفرزته الحركات الجهادية المخلصة في تلك البلاد .. فهذا له موضع آخر .. وإنما أكتفي بالرد على الشبهة المثارة أعلاه، والتي تُعتبر أقوى أدلة واعتراضات المخالفين لمبدأ الخروج على أنظمة الكفر والإجرام، والعمالة ..!

فأقول: قبل أن أستعرض الأسباب الحقيقية لفشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير، أشير

أولاً إلى أن هذا الاعتراض من المخالفين هو في حقيقته اعتراض على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ، واعتراض على الحكم الشرعي الذي أوجب على الأمة الخروج على أئمة الكفر والردة والطغيان .. وعدم الرضى بهم وبأنظمتهم الكافرة العميلة المحاربة لله ولرسوله، والمؤمنين .. وهو في حقيقته كذلك اتهام لحكم الله تعالى بأن العمل به يؤدي إلى الفتنة، والهلكة، والشقاء .. فلينتهوا لذلك .. وليعدوا الإجابة عن ذلك يوم أن يقفوا بين يدي العزيز الجبار .. ويسألهم عن موقفهم واعتراضهم هذا .. وأنى!

أما عن الأسباب التي أدت إلى فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير فكلها مردها إلى أنفسنا

الخطاء .. والأمارة بالسوء .. والله سبحانه ورسوله مبرآن منها .. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ

أسباب فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير

أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ آل عمران:165. أي بسبب من أنفسكم .. وتقصيركم .. وعدم التزام رمااتكم بجميع ما أمرهم به رسول الله ﷺ يوم غزوة أحد .. فأصابتكم هذا الذي تسألون عنه ..!

هذه آية نزلت في الصحابة الأظهار .. وقيلت لهم .. وهم خير أجيال الأمة .. وإلى يوم القيامة .. فالنواميس التي فطر الله تعالى الخلق عليها لا تُحايي أحداً!

وألخص أهم الأسباب التي أدت إلى فشل بعض الحركات الجهادية المعاصرة في عملية التغيير، في النقاط التالية:

1- **عدم استيفاء الحد المقبول من الإعداد اللازم للخروج على هذه الأنظمة الكافرة ..** فيحصل الاستعجال في المواجهة .. وقطف الثمار قبل أوانها .. مما يؤدي إلى الوقوع في المحذور .. وفي أمور لا تُحمد عُقباها .. ومن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .. فالنصر والتمكين له أسبابه المؤدية إليه فمن تنكها .. تنكبه النصر وضل عنه!

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة: 46. فمن علامات صدق الخروج الإعداد .. فمن أراد الخروج ثم هو لم يعد للخروج عدته فهو غير صادق في زعمه ودعواه في الخروج للجهاد ..!

فالإعداد هو الذي يميز الصادق في الخروج للجهاد من سواه ..!

2- **اعتماد العشوائية وأسلوب الترجل .. بعيداً عن التنظيم والتخطيط الدقيق الذي يُعطي لكل مرحلة من مراحل الصراع حقها ..** من غير إقدامٍ مفرط ولا إحجامٍ مغل .. وهذا قد حصل منه الشيء الكثير!

3- **توسيع دائرة المواجهات والمعركة أكثر من إمكانيات وقدرات المجاهدين ..** وفي كثير من الأحيان يتعمد النظام الكافر. بحكم الوسائل الضخمة المتاحة لديه . فعل ذلك .. لجر المجاهدين إلى خارج ساحاتهم أو الدائرة القادرين على توجيه المعركة فيها .. وإلى ما هو أكبر من قدراتهم وإمكانياتهم .. ليقع عليهم المحذور!

أسباب فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير

فالمرء الذي يقدر على توجيه وقيادة معركة واحدة في اليوم .. لا شك أنه سيفشل . هو ومن معه . لو طلب منه أو جُر إلى معارك إضافية خارجة عن حدود إمكانياته وقدراته .. وهذا قد حصل!
والأخ الذي يقدر أن يقود عشرة لا شك أنه سيفشل عندما توكل إليه مهمة قيادة مائة من المجاهدين .. وقد حصل شيء من هذا!

4- الاهتمام بالكم دون النوع .. والانشغال بالصعاليك وبمن لا زبْر له .. وأحياناً بمن لا يجوز قتله وقتاله .. عن أئمة الكفروطاغيتهم .. وبمن بيده القرار وزمام الأمور .. وهذا قد حصل منه الشيء الكثير!
هذا الأسلوب إضافة إلى أنه لا يغير من واقع الطواغيت وأنظمتهم شيئاً .. ويُطيل من أمد المعركة والصراع .. فإنه يستهلك طاقات وقدرات المجاهدين المحدودة .. في معارك جانبية لا طائل من ورائها يُذكر!
أكثر من مرة قلنا لإخواننا الأفعى تُقتل من رأسها فإذا ضُرب الرأس هُداً الجسد وانهدت أركانه .. وبخاصة أن أكثر الأنظمة الكافرة المتسلطة على الأمة يحكمها أفراد وليس شعوب .. لكن يأبى الإخوان إلا أن يتقاتلوا مع الذيل والذنب .. ومن لا زبْر له يزْبُرُه!

فإن قيل وقد قيل: الوصول إلى الرأس صعب ..!

أقول: لا أحد يُطالبك بالاستعجال .. ثم هذا الأمر لا يُطقنه إلا الرجل المكبث .. فإن لم تكن من أهل المكث والصبر فلا تستشرفنه .. وبخاصة في مراحل الأولى!

5- الانقسام الضخم لقيادات العمل الإسلامي حول مشروعية الخروج على هذه الأنظمة الكافرة العميلة .. والدخول في جدال عقيم ممتد منذ أكثر من خمسين سنة ولا يزال .. حول كفرهم وشرعية الخروج عليهم .. وهل كفرهم كفر أكبر أم كفر دون كفر .. وهذا مما لا شك أنه يمد الطواغيت بأسباب القوة والبقاء والحياة .. ويؤثر سلباً على وحدة الصف والكلمة .. وعلى قوة المجاهدين .. ونتائج جهادهم!

6- وقوف كثير من الحركات والجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة موقف المتفرج المراقب لنتائج الصراع .. ليضمنوا السلامة لأنفسهم وأفرادهم .. وليقدروا على تحديد موقفهم في النهاية . وبأقل حرج ممكن . مع المنتصر .. ولو كان المنتصر هو الطاغوت وحزبه .. وهذا قد حصل!

أسباب فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير

حتى أننا نعلم من المشايخ والقيادات في بعض الدول التي جرى فيها صراع وقتال بين المجاهدين والنظام الكافر الحاكم .. أنهم تقدموا للطاغوت بطلب للحصول على بطاقات خاصة بهم وبأفرادهم تميزهم عن المجاهدين .. وتعرفهم لجند الطاغوت .. لكي يسلموا من تبعات المداهمات .. والمساءلة في دوائر الطاغوت!!

7- وقوف كثير من المرجعيات والشخصيات الدينية المعتبرة عند كثير من عامة الناس .. في صف الطاغوت وحزبه على المجاهدين الموحدين وكل من يفكر بالخروج عليه وعلى نظامه .. وهذا مما لا شك أنه يؤثر على نتائج الصراع ونتائج الخروج على الطاغوت!

كثير من المشايخ يتكلم . وهو متكئ على أريكته . بصيغة النقد والتهمك والتجريح لما آلت إليه بعض نتائج العمل الجهادي في بعض الأقطار .. وفاته أنه هو . بقعوده وخذلانه وتثبيطه للآخرين . سبب رئيسي في حصول تلك النتائج السلبية!!

8- الانحراف الذي طرأ ويطراً على كثير من الحركات التي سارت في طريق الجهاد والخروج على أنظمة الكفر .. فهي تبدأ كحركات جهادية تُجاهد في سبيل الله .. ثم تنتهي كحركات تطالب بالديمقراطية .. وبنظام علماني .. الحكم فيه للشعب .. والولاء فيه للوطن!!

كما حصل للتجربة السورية لما انتهت بدخول الإخوان المسلمين وكثير من الفصائل الإسلامية .. بتحالف وطني مع أحزاب الكفر والزندقة والردة والإلحاد، وقد سموه "التحالف الوطني لتحرير سورية" .. اتفقوا فيه على تنحية الإسلام عن الحكم .. واستبداله بنظام ديمقراطي علماني يكفل الحرية للجميع .. ويكون الحكم فيه لمن تختارهم أكثرية الشعب ..!!

وكذلك التجربة الجزائرية .. حيث سار القطاع الأعظم من عناصرها . ومنذ مراحلها الأولى . في طريق الديمقراطية وخيار التعايش مع الطاغوت ونظامه .. والطاغوت إلى الساعة لم يرض بهم ولا عليهم!!

هذا الانحراف في المنهج والتصور والاعتقاد لا شك أنه يؤثر سلباً على نتائج الصراع .. بل ويرفع بركة النصر عن المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا

أسباب فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير

بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿المائدة:14﴾. وهذا العقاب ليس محصوراً في النصارى وحسب بل هو يتعداهم إلى كل من ينسى حظاً من حظوظ الدين والتوحيد .. وما أكثر الحظوظ التي نسيها تلك الحركات .. ثم هم بعد ذلك يتساءلون عن النصر .. وعن أسباب تأخر النصر!!

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: 7. مفهوم الآية أي إن لم تنصروا الله .. وتدخلوا في توحيده وعبادته .. وتخلصوا له الدين والولاء ويكون ﷻ هو الغاية من جهادكم .. لا ينصركم الله ولا يُثبِت أَقْدَامَكُمْ.

9- تجاهل دور الشعوب في عملية التغيير .. والاستخفاف بهم .. والاقتصار على جهود القلة من النخبة

المجاهدين .. الذين قد لا يتعدون المئات إن لم يكن العشرات .. وهذا لا شك أنه خطأ كبير!! في الوقت الذي يخرج فيه العشرات من الشباب المجاهد على نظام من أنظمة الكفر .. تجد الملايين من الناس يمدون ذلك النظام بالقوة والحياة وكل أصناف السند العون والتأييد .. وكأن الذي يجري على الساحة لا يعنهم .. وهو لا يعني سوى حفنة من الشباب!!

لذا لا بد من تلاحم المجاهدين مع الشعوب المسلمة .. لتكون قضية الخروج على هذه الأنظمة الكافرة الخائنة .. قضية الجميع، ومهمة الجميع، ومسؤولية الجميع .. فهذا الدين أمانة في أعناق الجميع .. وكل منا على ثغر من الثغور .. ومسؤول عن ثغره!

لا بد لهذه الشعوب من أن تقطع حبل المدد والعون والقوة والحياة الذي تمد به الطواغيت وأنظمتهم .. وهذا هو معنى مفاصلة الطواغيت واعتزالهم واجتنائهم والبراء منهم الذي أمرت به عشرات النصوص الشرعية!!

كما لا بد للطليعة المجاهدة من العمل الدؤوب للارتقاء بالشعوب المسلمة إلى هذا المستوى من الوعي والفهم والالتزام .. وإلا سنظل نُمنى بمزيد من الخسائر والهزائم!

أسباب فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير

هذه هي أهم وأبرز أسباب فشل بعض الحركات الجهادية في عملية التغيير.. فما من حركة أو تجربة فشلت في عملية التغيير والخروج على أئمة الكفر والطغيان إلا لسببٍ من هذه الأسباب الأتفة الذكر أو بعضها، أو جلها.. وهي كلها كما رأيت من عند أنفسنا.. وبسبب من أنفسنا.. وليس بسبب العمل بالأحكام الشرعية التي تقضي بالخروج على أنظمة الكفر والخيانة!

التقوى والعدل والعقل كل ذلك يقضي بأن نتهم أنفسنا عند حصول أي هزيمة أو تأخير للنصر.. وأن نصحح المسار والخطأ.. ونقلع عن الأسباب التي كانت سبباً في حصول الهزيمة أو الخسائر.. لا أن نتهم الخالق سبحانه وتعالى.. أو أن نتهم شرعه وحكمه.. ونرميه بما لا ينبغي ولا يجوز من القول، ونحن نعلم أو لا نعلم!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: 70-71.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1423/10/19 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2002/12/23 م

هكذا كانت حياة النبي محمد ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ وبعد.

إلى العاملين من أجل استئناف حياة إسلامية راشدة ..!

إلى الذين يحدوهم الأمل لغدٍ مُشرق ..!

إلى من يحرص على الارتواء من معين المصطفى ﷺ الطاهر الذي لا ينضب عطاؤه وخيره!

إلى من ينشد الاقتداء بالنبي ﷺ .. والسير على دربه ونهجه!

إلى الذين يسألون عن المنهج والطريق ..!

إلى الذين يفرقون بين السُّنة والسير .. فيأخذون بالسنة ويدعون العمل بالسير!

إلى الذين يزعمون أنهم سلفيون وأثريون .. وأنهم على نهج النبي ﷺ وسنته .. وهم ليسوا كذلك ..!

إلى الذين يهون عليهم العيش في السهول .. وبين الحفر .. ويستصعبون العيش في الجبال ..

والارتقاء إلى القمم العوالي ..!

إلى الذين يستثقلون النهوض بالواجب .. ويستعذبون الموت أحياء في المقابر الجماعية .. التي

يعدها لهم الظالمون .. ويخشون الموت مقبلين غير مدبرين!

إلى الذين أصبحت العزة بالنسبة لهم حكايات وقصص تُروى عن الأجداد .. لا يعرفون من طعامها

ولونها وواقعها شيء!

إلى هؤلاء جميعاً وغيرهم نقول: هكذا كانت حياة قائدنا .. وأسوتنا .. ومعلمنا .. النبي الهادي

محمد ﷺ .. فهل أنتم مقتدون ومتبعون ؟!

لنلقِ جميعاً نظرة . ولو سريعة . على بعض جوانب حياة وسيرة هذا النبي العظيم .. كيف كانت

وعلى أي نهج مضت .. لنستنبط منها الدروس والعبر .. ونقتفي الآثار .. ونسير على الطريق .. ونهتدي بنور

سنته وسيرته ﷺ .. وما أحوجنا لذلك وبخاصة في هذه الحقبة من الزمن التي تكالبت فيها أمم الكفر

والإلحاد على أمة الإسلام.

في المرحلة المكية بعد أن أوحى الله تعالى إليه بالرسالة وأمره بالبلاغ .. نجد جهداً متواصلاً ..
 وحركة دؤوبة لا تعرف السكون ولا الكلل ولا الملل .. وقلقاً وهمماً .. وصدعاً بالحق .. وأمرأً بالمعروف ونهياً
 عن المنكر .. وتضحية وفداء .. وبلاغاً وإنذاراً .. وتحملاً شديداً لجميع صنوف الأذى والبلاء .. وثباتاً فريداً
 على العقيدة والتوحيد والمبدأ .. صلوات ربي وسلامه عليه!

تُعرض عليه الدنيا وكل ما يمكن أن يصبو إليه مخلوق من ملك ومتاع .. لا من أجل أن يُمسك
 عن جانب الدعوة إلى الحق .. بل من أجل أن يُمسك عن تعرية باطلهم وشتم آلهتهم .. وأصنامهم ..
 وطواغيتهم .. لكن يأبى النبي ﷺ إلا أن يصدع بالحق كاملاً كما أوحاه الله تعالى إليه .. ويأبى إلا أن يأطرحهم
 إلى الحق كاملاً من غير انتقاصٍ ولا اجتزاء!

قالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا .. ووقع في آلهتنا .. فأنه عنا!
 قال أبو طالب: يا محمد إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فانته عن
 أذاهم!

فحلّق رسول الله ﷺ ببصره في السماء، فقال: "أترون هذه الشمس؟" قالوا: نعم، قال: "فما أنا
 بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تُشعلوا منها بشعلة!!"
 قالوا: فرقت جماعتنا، وشئت أمرنا، وعبت ديننا وآلهتنا، وفضحتنا في العرب .. وكفرت من مضى
 من آبائنا .. إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا
 مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك
 علينا .. وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش فتزوجك عشراً..؟!!

فقال رسول الله ﷺ: "أفرغت"، فقال: نعم، فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿حَمِّ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنُؤُودٍ﴾.

فقال عتبة بن ربيعة: حسبك ما عندك غير هذا؟!

قال ﷺ: لا!

هذا هو نبينا ﷺ .. وهذا هو موقفه .. فأين دعاة الحفاظ على المصالح والمكاسب المزعومة من ذلك . وما أكثرهم في زماننا . ما إن يرمي لهم الطاغوت قليلاً من الفتات .. والعظام المجردة عن لحومها .. إلا وتراهم يتمسكون بها ويعضون عليها بالنواجذ ويؤثرونها . كمكاسب ومصالح . على العقيدة .. والتوحيد .. والمبادئ الكلية لهذا الدين!

من أجل راتب شهري يتقاضونه من الطاغوت .. يسكتون عن بيان الحق .. ويُدهنون ويجمالون .. ويوالون!

ما أن يقترب الطاغوت منهم ذراعاً إلا ويقربون منه مائة ذراع .. وما أن يُغازلهم بطرف من العين .. إلا ويُغازلونه بالعينين معاً .. وبالأشعار .. والمدائح .. وفنون الإطراء .. ثم هم بعد كل هذا الافتراء يقولون . ظلماً وعدواناً : نحن سلفيون وأثريون .. وعلى نهج وسنة المصطفى ﷺ سائرون!!

لم يقتصر فعل المشركين وإجرامهم في الصد عن الحق .. وإيقاف الدعوة .. على المساومة والإغراء .. فهم ما إن تيقن لهم فشل المساومة وما عرضوه على النبي ﷺ من إغراء ومتاع .. إلا ونفوسهم الخبيثة الأمارة بالسوء تحملهم على التجرؤ والتناول بصنوف من العدوان والأذى والشر .. على سيد الخلق ﷺ .. ظناً منهم أن ذلك قد يُجدي لهم مأرباً!!

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سقّه أحلامنا، وشتّم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صرنا منه على أمر عظيم ..!

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مرّ بهم غمزوه ببعض ما يقول . أي استهزأوا به مرددين بعض قوله وكلامه . قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ..!

فقال لهم: "تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح[1]"،

فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ..!

¹ أي إن لم تؤمنوا وتُسلموا فليس لكم عندي إلا الذبح والقتل، وهذا أمر ستعلمونه ولو بعد حين ..!

قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؛ كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم؟!

فيقول رسول الله ﷺ: "نعم، أنا الذي أقول ذلك!"

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه .. وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!

ومن حديث ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه . أي مزدحمون . إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه، ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب .. يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى .. فلا تسمعوا له ولا تتبعوه !!

قلت لأبي من هذا؟ قال: عمه أبو لهب!

ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد إذا سجد!

فانبعث شقي القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ساجد، ما يرفع رأسه ...!

وفي رواية قال أبو جهل: أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتيننا بفرثها . أي كرشتها . فنكفنه على محمد ﷺ، فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط، فأتى به فألقاه على كتفيه، ورسول الله ﷺ ساجد. قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم، ليس عندي منعة تمنعني ..!

ومن حديث أسماء بنت أبي بكر، قالت: كان المشركون رفعوا في المسجد عمداً ليروا رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له لغدائر أربع، وهو يقول: ويلكم أقتلون رجلاً يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟! فلهاؤا عن رسول الله وأقبلوا على أبي بكر ﷺ، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام!.. ومن حديث أنس بن مالك ﷺ قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر ﷺ فجعل ينادي ويلكم أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!!!

فقالوا: من هذا؟! فقالوا: أبو بكر المجنون .. فتركوه وأقبلوا على أبي بكر!!

ومن حديث ابن عباس ﷺ قال: تواعد أبو معيط أن يأتي مجلس النبي ﷺ، فيبزيق في وجهه، ويشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: "إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً".

فلما كان يوم بدر خرج مع المشركين .. فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟! قال ﷺ: "نعم، بما بزقت في وجهي!" فأنزل الله في أبي معيط ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾.

وكذلك يوم أن قصد ﷺ الطائف وعرض نفسه ودعوته على أشرف ثقيف .. ردوه أسوأ ردٍ .. وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائطٍ لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة!..

هذا قليل من كثير مما تعرّض له شخص النبي ﷺ من أذى وبلاء في سبيل الله . فداه نفسي وأبي وأمي . فأين المقتدون المتبعون .. السائرون؟!

أين الذين يتحدثون عن النصر والمجد .. والسنة والاتباع ..!!

يا أيها النائمون .. الواهمون .. الحالمون .. يا من ينشدون النصر والرفعة والمجد لهذا الدين من دون أن يهتز لهم بدن .. أو يقلق لهم بال .. أو يتلوث لهم ثوب .. أو يتعكر لهم مزاج .. أو ينتفخ لهم عرق أو يحمر لهم وجه .. ومن دون أن يتعرضوا لأي نوع من البلاء أو الأذى في الله .. أو يخسروا شيئاً مما

يملكون وقد ألفته أنفسهم الضعيفة .. تحت زعم أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها؛ ويريدون بذلك أن الكفر مستتب ومهيمن على البلاد والعباد لعن الله من أيقظه وتحرش به .. وسبب الأذى والبلاء للناس .. لهؤلاء وغيرهم نقول: هذا هو نبيكم ﷺ فأين أنتم منه .. أين أنتم من سيرته وسنته وجهاده وتضحيته .. أيكم أعز وأشرف .. وأكرم .. أم أنكم تظنون أن هذا الدين كان سيصل إليكم وإلى من بعدكم من غير تضحية وجهاد وبلاء..!؟

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ العنكبوت: 2. وقال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد: 31.

يقولون بلسان القال وأحياناً بلسان الحال: نحن على السنة .. وسلفيون وأثريون .. ومن أهل الاتباع لا الابتداع .. لكن لا نريد ولا نحب أن نفعل كما فعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نجهر بالحق في وجوه الطغاة الظالمين كما فعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نفاصل الطواغيت .. ونكفرهم .. ونكفر بهم .. كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نجاهد الشرك والمشركين .. ونظهر البراء من آلهتهم وطواغيتهم .. ونضحي في سبيل ذلك .. كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نبتلى في الله .. ونرتكب حماقات مع الطواغيت .. لا قبل لنا بها .. كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نصدع بالحق كاملاً كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا بد من مدهانة الطواغيت الظالمين ومداراتهم ومجاملتهم .. وهذه هي الحكمة .. بخلاف ما كان عليه محمد ﷺ .. نحن من ورثة النبي محمد ﷺ .. لكن في الحفظ والعلم .. لا في العمل والجهاد والتضحية والبلاء .. والصدع بالحق .. أولوياتنا الكروش .. ثم الفلوس .. ثم الجاه والشرف .. ثم الحفاظ على النساء والبنين .. ثم الدين .. بخلاف ما كان عليه سيد الأنبياء والمرسلين .. نحن نحب محمداً لكن لا نريد أن يُصيبنا من البلاء والأذى في الله ما أصاب محمداً .. صلوات ربي وسلامه عليه!

وهؤلاء لم يحققوا الاتباع ولا الاقتداء .. وهم ليسوا بسنيين ولا سلفيين .. وإنما هم كذابون دجالون .. يقتاتون بالانتساب إلى السنة كما يقتات اللصوص مما لا يملكون .. وإن زعموا بلسانهم ألف مرة أنهم من أتباع محمد ﷺ .. وأنهم على سنته ونهجه .. فلسان حالهم وواقعهم يكذبهم وهو أصدق تعبيراً وبياناً من لسانهم الذي بين لحيمهم!

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: 31. ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ في كل ما أنا عليه .. وليس في بعض دون بعض .. أو في جانبٍ دون جانبٍ .. وإلا فإن زعمكم ثقيل وباطل!

أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: والله يا رسول الله إني أحبك، فقال له رسول الله ﷺ: "إن البلى أسرع إلى من يُحِبُّني من السيل إلى منتهاه" هذه هي علامة صدق المحبة إن كنت صادقاً في دعواك .. وإلا لا تدعي ولا تستشرف ما ليس فيك!

هذه بعض جوانب العطاء والثبات والجهاد من سيرة وحياة المصطفى ﷺ في المرحلة المكية .. فكيف كانت حياته ﷺ في المرحلة المدنية بعد الهجرة ..؟! ما إن استقر المقام في المدينة المنورة .. ونزل قوله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّمَا اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج: 39. إلا وبدأ عهد جديد من الجهاد والغزو والقتال .. لا يعرف الهدوء ولا التوقف ولا الكلل.

في صفر على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الأبواء .. وعلى رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره ﷺ يقود ﷺ بنفسه غزوة بواط .. ثم أتبع غزوة البواط بغزوة العشيرة .. قال البخاري: "قال ابن إسحاق أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة".

وقبل ذلك يُرسل سريتين: سرية بقيادة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من جهينة .. وسرية بقيادة عبيدة بن الحارث .. وبعد غزوة العشيرة يخرج ﷺ بنفسه لطلب كرز بن جابر الفهري، وكان قد أغار على سرح المدينة .. وهي غزوة بدر الأولى!

وفي رجب من السنة الثانية للهجرة يُرسل ﷺ سرية عبد الله بن جحش .. التي كانت سبباً لغزوة بدر الكبرى!

وفي رمضان من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بدر الكبرى أنعم وأعظم بها من غزوة .. قال علي بن أبي طالب ؓ: "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن برسول الله ﷺ. أي نحتمي. وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ باساً" .. الله أكبر!

ومن حديث أنس ؓ قال: فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: "لا يقوم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه".

وفي شوال من نفس السنة .. وبعد غزوة بدر الكبرى بأيام .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بني سليم!..

وبعدها من نفس السنة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة السويق .. يُطارد فيها أبا سفيان ومن كان معه من المشركين .. كانوا قد تجرؤوا على الاقتراب من حدود المدينة!..

وفي النصف الثاني من شوال من نفس السنة يغزو النبي ﷺ بنفسه يهود بني قينقاع .. وكانوا أول يهود قد نقضوا العهد وحاربوا!..

وفي ذي الحجة من السنة الثالثة للهجرة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة نجد ويُقال لها غزوة ذي أمر .. يريد مشركي غطفان!

وفي ربيع الأول من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الفُرع من بُحران .. أراد بها قريشاً!.. ثم يرسل ﷺ سرية زيد بن حارثة .. في طلب عيرٍ لقريش كانت تحمل أموالهم وتجارتهم .. فلقبهم على ماء يُقال له القردة فأصاب تلك العيروما فيها .. وكانت تلك السرية بعد وقعة بدر بستة أشهر. ثم ينتدب نَفراً من أصحابه لقتل الطاغية كعب بن الأشرف اليهودي .. وكان قد آذى الله ورسوله .. وقد فعلوا!

وفي شوال من نفس السنة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة أحد .. وفيها جرح وجهه الشريف .. وكُسرت ربايعيته .. وهُشمت البيضة على رأسه .. وشجَّ رأسه .. فجعل يسלט الدم عنه، ويقول: "كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا ربايعيته وهو يدعوهم إلى الله" فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ آل عمران: 128.

وبعد موقعة أحد بيوم .. والجراح لم تندمل بعد .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة حمراء الأسد .. طالباً أبا سفيان ومن معه من المشركين .. وكان قد بلغه أن المشركين يريدون الكرلاستئصال المسلمين في مدينتهم !!

وفي هذه الغزوة أنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران: 172.

وبعد أحد من السنة الرابعة للهجرة .. يتوجه النبي القائد ﷺ لغزو يهود بني النضير .. فيغزوهم في ديارهم وحصونهم .. بعد أن غدروا ونقضوا العهد .. وأرادوا السوء بالنبي ﷺ !!

وبعد النضير من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بني لحيان .. لما أصيب خبيب وأصحابه طالباً بدمهم !!

وفي جمادى الأولى من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة ذات الرقاع .. أراد بها غزو مشركي بني محارب وبني ثعلبة من غطفان .. وسُميت غزوة ذات الرقاع لأن الصحابة كانوا يربطون على أرجلهم بالخرق والرقاع من شدة الحر..!

وبعد غزوة ذات الرقاع في شعبان من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بدر الآخرة أو الثانية .. خرج فيها لملاقاة أبي سفيان .. وكان على موعد معه عند بدر .. فأقام عليه ثمانياً إلا أن الآخر لم يأت !!

وفي ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة دومة الجندل .. فخرج في ألف من المسلمين .. وأراد بذلك أن يخيف قيصر الروم .. وأن يؤدب مشركي ومجرمي دومة الجندل !!

وفي شعبان من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بني المصطلق أو غزوة المريسي .. وقد غزاهم النبي ﷺ بعد أن بلغه أن بني المصطلق يجمعون له .. فبادأهم القتال في حماهم قبل أن يبادئونه .. فقتل مقاتلتهم، وسبى سبيهم !!

وفي شوال من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الخندق أو الأحزاب .. وفي هذه الغزوة يواجه النبي ﷺ جميع طوائف وأحزاب الكفر والشرك من اليهود ومشركي العرب وأبائهم .. الذين

قصدوا استئصال المسلمين في مدينتهم .. إلا أن الله تعالى رد كيدهم في نحورهم وأبى إلا أن يعز دينه ورسوله!

وفي هذه الغزوة تم حفر الخندق حول المدينة لصد الأعداء .. وقد حصل فيها من الآيات والكرامات ما يطول بنا المقام لو أردنا ذكرها وإحصاءها! ..
وكان الصحابة من الأنصار والمهاجرين يرجزون وهم يحفرون الخندق، وقد بلغ بهم الجوع والنصب مبلغه:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

فيجيهم النبي ﷺ: "اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة".

وما إن انتهت موقعة الأحزاب على حال تسر المؤمنين وتسيء العدى .. رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل، أتاه جبريل الطيب، فقال: قد وضعت السلاح؟! والله ما وضعناه! فاخرج إليهم، قال ﷺ: "فإلى أين؟" قال: ها هنا وأشار إلى قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم.

ومن حديث كعب بن مالك ؓ قال: إن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب رجع فوضع لأمته واستجمر. أي تطيب. فنزل جبريل الطيب فقال: عذيرك من محارب، ألا أراك قد وضعت اللأمة، وما وضعناها بعد! فوثب رسول الله ﷺ فرعاً، فعزم على الناس ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، فلبسوا السلاح وخرجوا! ..

وفي شعبان من السنة السادسة للهجرة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة قرد أو غزوة الغابة .. ليسترد اللقاح وإبل المسلمين من غطفان وكانوا قد سطوا عليها! ..

وفي ذي القعدة من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الحديبية العظيمة .. وفيها بايع النبي ﷺ أصحابه ببيعة الرضوان. تحت الشجرة. على الموت والجهاد والثبات وعدم الفرار .. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: 18. وكانوا يومئذ أربع عشر مائة .. وقد انتهت الغزوة بصلح آمن مع قريش ومن دخل في حلفهم .. وكان هذا الصلح كما أخبر عنه النبي ﷺ فتحاً مبيناً، وفيه أنزل الله تعالى

قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح: 1. قال رجل: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: "أي والذي نفسي بيده إنه لفتح".

وفي أواخر شهر محرم من السنة السابعة للهجرة .. يقود بنفسه ﷺ غزوة خيبر .. فغزا اليهود في حصونهم .. فلما دخل القرية، قال: "الله أكبر! خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين!.."

وفي هذه الغزوة بارز علي بن أبي طالب ﷺ مرحباً اليهودي وكان ملكاً على يهود خيبر فقتله .. وعلى يديه فتح الله ونصر المسلمين.

وفي هذه السنة يُرسل النبي ﷺ عدة سرايا للجهاد .. فأرسل أبا بكر على رأس سرية إلى فزارة .. وأرسل عمر على رأس سرية إلى هوازن .. وأرسل عبد الله بن رواحة على رأس سرية إلى يسير بن رزام اليهودي .. وسرية أخرى بقيادة بشير بن سعد على بني مرة من أرض فدك .. وسرية عليها عبد الله بن حزافة السهمي .. وغيرها!

وفي جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .. يجهز ﷺ جيش مؤتة وجعل زيد بن حارثة أميراً عليه، وقال: "إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة .. فكانوا على رأس ثلاثة آلاف رجل .. رمى بهم الروم في مؤتة من أرض الشام!

وفي جمادى الثانية من نفس السنة .. يُرسل ﷺ سرية إلى ذات السلاسل من مشارف الشام عليها عمرو بن العاص .. وفيها أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وفي العاشر من رمضان من نفس السنة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة فتح مكة بعد أن نقضت قريش وحلفاؤها العهد وغدروا .. ونقضوا ما كان بينهم وبين النبي ﷺ من صلح .. فدخل مكة فاتحاً .. وحطم الأصنام التي كانت حول الكعبة .. وكان يطعنها بعود في يده، وهو يقول: "جاء الحق وزهق الباطل وما يُبدي الباطل وما يُعيد" .. ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

فبعد فتح مكة بتسعة عشر يوماً وكان ذلك لخمس خلت من شوال .. انطلق ﷺ يقود بنفسه غزوة حنين .. ليواجه آخر محاولات مشركي العرب التي تجمعت للصد عن دعوة التوحيد .. فنصره الله تعالى عليهم .. وجعل أموالهم غنيمة للمسلمين.

وفي هذه الموقعة كان النبي ﷺ ينادي مثبتاً للمسلمين: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.
قال البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به ﷺ، وإن الشجاع منا للذي يُحاذي به؛
يعني النبي ﷺ.

ومن حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: "جزوهم جزاً": وأوماً إلى الحلق!
وما إن نصره الله تعالى في حنين .. إلا وينطلق بمن معه من المسلمين لمحاصرة وقتال المشركين في
الطائف .. فحاصرهم أربعين يوماً!

وفي رجب من السنة التاسعة للهجرة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة تبوك .. في قيظ شديد .. قصد بها
غزو الروم .. وسُميت هذه الغزوة كذلك غزوة العسرة .. لاجتماع العسر على المسلمين: عسرة الظهر،
وعسرة الزاد، وعسرة الماء، حتى أن العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقونه بينهم، وكان زادهم
التمر المتسوس، والشعير المتغير، والإهالة المنتنة ..!

وقد سئل عمر رضي الله عنه عن ساعة العسرة، فقال: خرجنا في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه
عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع من العطش، وحتى أن الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه
فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده!

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال ﷺ: "أتحب ذلك"،
قال: نعم. فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم
نجدها جاوزت العسكر.

صدق رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية
تغزو في سبيل الله أبداً، ولكني لا أجد سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدي. والذي نفس
محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل!"

هذه بعض جوانب جهاد وقاتل النبي ﷺ .. فأين المقتدون المتبعون السائرون؟!

يا من تسألون عن المنهج والطريق .. هذا هو الطريق .. وهذا هو المنهج!

يا من تسألون عن الحل فيما نحن فيه .. هذا هو الحل واضح بين أعينكم .. لا تعلقه شبهة ولا

غموض .. ولا غبار!

يا من يتشدق بالسلفية والاتباع .. ثم هو لا يعرف طعماً للجهاد والقتال في سبيل الله .. نقول له: قد ضللت الطريق .. وتشبعت بما لم تُعط .. وبما ليس فيك!

السلفيون السنيون .. والمتبعون المقتدون الصادقون .. هم المجاهدون في سبيل الله!
يا من يستخف بالجهاد في سبيل الله .. ويستثني القتال من برامجه وتصوره وأولوياته .. نقول له: أنت تستخف بحياة نبيك المجاهد المقاتل .. وتستثني . من تصورك وأولوياتك . تاريخ وجهاد وحياة نبيك!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم هي لا تمهض . بشيها وشبايها . للجهاد والقتال في سبيل الله ..!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يتجاسر عليها العدو الكافر بالعدوان والاستيلاء على البلاد والعباد!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم تشكو ضياع الحقوق وانتهاك الحرمات!
أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يوجد فيها طاغوت يهناً بالعيش والحياة من غير مقاومة ولا جهاد ولا قتال ..!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يوجد كفر في أطراف الأرض .. وهي لا تأطره إلى الحق أطراً!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يوجد ظلم وإجرام في أطراف الأرض .. وهي لا تأخذ على يديه بالضرب والزجر والتأديب!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم تكون الكلمة في الأرض للذين كفروا وأشركوا!!

أعجب لأمة يقول نبيها: "والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل" ثم هي ترضى بحياة الدعة والخمول .. ولا تعشق الجهاد والقتال في سبيل الله!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة: 54.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1423/11/01 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/01/03 م

الفهرس

- 5.....المقدمة
- 7.....تنبيه الدعوة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين
- 43..... هذه هي الديمقراطية فهل أنتم منتمون
- 51..... حكم الاستئناف لطلب اللجوء السياسي في دار الكفر
- 61..... نصيحتنا للمجاهدين
- 66..... دعاة أم طغاة
- 73..... غاية الغايات التي غفل عنها الدعوة
- 86..... صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها
- 109..... بيان إلى بشار الأسد والطائفة النصيرية بخاصة، والعالم الإسلامي بعامة حول الأوضاع المستجدة في سورية
- 115..... حوار بين مسجدين الروضة والرضى
- 129..... كبوة فارس مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه
- 160..... كيف نربي أبنائنا في بلاد الغرب ..؟
- 179..... حالات يجوز فيها إظهار الكفر
- 198..... زنادقة العصر
- 216..... فلسطين .. وكلاب الحراسة
- 222..... مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة

- 257.....أَحْذَرُ ثَقَافَةَ الْمَهْزُومِينَ.....
- 264.....أَثْرُ الشَّهَوَاتِ فِي الصِّدِّ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَتَعْبِيدِ الْعَبِيدِ لِلْعَبِيدِ.....
- 280.....أَحْذَرُ الْكِبَرِ .. أَوْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُنْكَبِرِينَ !.....
- 292.....لِمَاذَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟.....
- 316.....فَصَلُّ الْكَلَامِ فِي مَسْأَلَةِ الْخُرُوجِ عَلَى الْحُكَامِ.....
- 340.....حُكْمُ الْجَاسُوسِ.....
- 349.....قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ التَّكْفِيرِ.....
- 358.....حَرْبٌ عَلَى الْإِرْهَابِ .. أَمْ حَرْبٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ؟!.....
- 370.....لِمَاذَا هَذِهِ الْمَمَاطِلَةُ فِي تَحْدِيدِ مَعْنَى وَمَفْهُومِ الْإِرْهَابِ ؟!.....
- 373.....الْإِرْهَابُ مَعْنَاهُ وَوَأَقِعُهُ مِنْ مَنْظُورٍ إِسْلَامِي.....
- 407.....مَاذَا يَنْقِمُونَ مِنَّا ؟!.....
- 413.....هَذِهِ عَقِيدَتُنَا وَهَذَا الَّذِي نَدْعُو إِلَيْهِ.....
- 434.....جِهَادُنَا وَجِهَادُهُمْ.....
- 437.....الْجَمَاعَاتُ الْجِهَادِيَّةُ بَيْنَ الْإِعْتِرَافِ بِالخَطَأِ وَالتَّرَاجُعِ عَنِ الثَّوَابِتِ.....
- 445.....حَقَائِقُ حَوْلِ الصَّرَاحِ فِي فِلَسْطِينَ.....
- 452.....التَّعَاجِزُ الْعَرَبِيَّةُ الْمَخْزِيَّةُ ..!.....
- 459.....الْحُرِّيَّةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ.....
- 465.....الإِعْدَادُ (أَنْوَاعُهُ . حُكْمُهُ . أَهْمِيَّتُهُ).....

الفهرس

- 470.....دَعْوَةُ إِلَى الْعَصِيَانِ الْمَدَنِيِّ.....
- 475.....كَلِمَاتٌ تَقُومُ بِهِنَّ الْحُجَّةُ عَلَى الْآخِرِينَ.....
- 482.....أَسْبَابُ فَشَلِّ بَعْضِ الْحَرَكَاتِ الْجِهَادِيَّةِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّغْيِيرِ.....
- 488.....هَكَذَا كَانَتْ حَيَاةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.....
- 502.....الفهرس.....

الصفحات الالكترونية

Abubaseer.bizland.com	الموقع الالكتروني
Tartosi.blogspot.com	المدونة الالكترونية
Twitter.com/abubaseer123	تويتر
facebook.com/abubaseer.altartosi	الفيسبوك
Youtube.com/altartosi	اليوتيوب